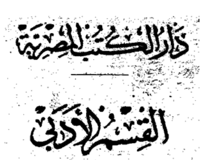




كتاب الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني

الجزء الرابع

[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء الرابع

من كتاب الأغاني

ذكر نسب أبي العتاهية وأخباره

٥ سوى ما كان منها مع عتبة، فانه أُفرد لكثرة الصنعة فى تشبيبه بها، وأنها اتسعت جدا فلم يصلح ذكرها هنا، لئلا تنقطع المائة الصوت المختارة، وهى تذكر فى موضع آخر إن شاء الله تعالى.

اسمه ولقبه وكنيته ونشأته

أبو العَتَاهِيَة لقبٌ غلَب عليه، واسمه إسماعيل بن القاسم بن سُوَيد بن كَيْسان، مولى عَنَزَة؛ وكنيتُه أبو إسحاق. وأمّه أمّ زيد بنت زِيَاد المُحَارِبيّ مولى بنى زُهْرَة؛ وفى ذلك يقول أبو قَابُوس النَّصْرانيّ وقد بلغه أن أبا العتاهية فضّل عليه العَتَّابيّ:

١٠ قلْ لِلمُكَنِّى نفسَه * مُتخيِّرًا بعَتَاهِيَهْ

والمرسلِ الكَلِمَ القبيـ * ـحَ وعَتْه أُذُنٌ واعيهْ

إن كنتَ سرًّا سؤتَنى * أو كان ذاك عَلَانيهْ

فعليكَ لعنةُ ذى الجلا * ل وأُمُّ زيد زانيهْ

ومنشؤه بالكوفة، وكان فى أوّل أمره يتخنّث ويحمل زاملةَ المخنّثين، ثم كان ١٥ يبيع الفَخَّار بالكوفة، ثم قال الشعر فبرَع فيه وتقدّم. ويقال: أطبعُ الناس بشّارٌ

مناحيه الشعرية

والسيّد[1] وأبو العتاهيــة . وما قدَر أحد على جمع شعر هؤلاء الثلاثة لكثرته . وكان غزيرَ البحر، لطيفَ المعانى، سهلَ الألفاظ، كثيرَ الافتنان، قليلَ التكلف، إلا أنه كثيرُ الساقط المرذول مع ذلك . وأكثرُ شـعره فى الزهد والأمثال . وكان قوم من أهل عصره ينسُبونه الى القول بمذهب الفلاسـفة ممن لا يؤمن بالبعث، ويحتجّون بأن شعره إنما هو فى ذكر الموت والفناء دون ذكر النُّشُور والمعَادَ . وله أوزان طريفة[2] قالهـا ممـا لم يتقدّمه الأوائلُ فيهـا . وكان أبخَلَ الناس مع يَساره وكثرة ما جمعه من الأموال .

سبب كنيته

حدّثنى محمد بن يحيى الصُّولِىّ قال أخبرنى محمد بن موسى بن حَمّاد قال :

قال المهدىّ يومًا لأبى العتاهية : أنت إنسانٌ مُتحذلِقٌ[3] معتّهٌ[4]، فآستوتْ له من ذلك كنيةٌ غلَبَتْ عليه دون آسمه وكنيتِه، وسارت له فى الناس . قال: ويقال للرجل المتحذلق : عَتَاهِيــةٌ، كما يقال للرجل الطويل : شَنَاحِيةٌ[5] . ويقال : أبو عَتَاهية، بإسقاط الألف واللام .

١٢٧ / ٣

---

(١) يعنى السيد الحميرىّ، واسمه إسماعيل بن محمد أبو هاشم، وقد أورد له أبو الفرج ترجمة فى (ج ٧ ص ٢ — ٢٤ طبع بولاق) .

(٢) كذا فى ء و م ، وفى باقى النسخ : « ظريفة » بالظاء المعجمة . (٣) المتحذلق: المتكيس المتظرف . (٤) يقال : رجل معته اذا كان مجنونا مضطربا فى خلقه، وقد ذكر صاحب اللسان (فى مادة عته) هذا الخبر فقال : «وأبو العتاهية الشاعر المعروف ذكر أنه كان له ولد يقال له عتاهية، وقيل : لو كان الأمر كذلك لقيل له أبو عتاهية بغير تعريف، إنمـا هو لقب لا كنية . وكنيته أبو إسحاق، ولقب بذلك لأن المهدىّ قال له : أراك متخلطا متعتّها، وكان قد تعتّه بجارية للمهدىّ... وقيل : لقب بذلك لأنه كان طويلا مضطربا، وقيل : لأنه يرى بالزندقة» . (٥) كذا فى نسخة الشنقيطى وهو الموافق لمـا فى معاجم اللغة، وفى أكثر الأصول : «شناجية» بالجيم المعجمة وهو تحريف .

قال محمد بن يحيى وأخبرني محمد بن موسى قال أخبرني ميمون بن هارون عن بعض مشايخه قال : كُنِي بأبي العتاهية أن كان[1] يحبّ الشهرةَ والمُجُونَ والتعتُّه. وبلده الكوفةُ وبلد آبائه، وبها مولده ومنشؤه وباديتُه.

يقول ابنه إنهم من عنزة

قال محمد بن سَلَّام: وكان محمد بن أبي العتاهية يذكر أن أصلَهم من عَنَزة، وأن جدّهم كَيْسان كان من أهل عَيْنِ التَّمْر[2]، فلما غزاها خالد بن الوليد كان كَيْسان جَدُّهم هذا يتيمًا صغيرًا يكفُله قَرَابةٌ له من عَنَزة، فسباه خالدٌ مع جماعةِ صبيانٍ من أهلها، فوجّه بهم الى أبي بكر، فوصلوا اليه وبحَضْرته عَبَّادُ بن رِفَاعةَ العَنَزيّ بن أَسَد بن رَبيعة بن نِزَار، فجعل أبو بكر رضي الله عنه يسأل الصبيانَ عن أنسابهم فيُخبره كل واحد بمبلغ معرفته، حتى سأل كَيْسانَ، فذكر له أنه من عَنَزة؛ فلما سمعه عَبّاد يقول ذلك آستوهبه من أبي بكر رضي الله عنه، وقد كان خالصًا له، فوهبه له، فأعتقه، فتولّى[3] عَنَزة.

استعداؤه مندل بن علي وأخاه على من سبه بأنه نبطي

أخبرني محمد بن عِمْرانَ الصَّيْرَفيّ قال حدّثنا الحَسَن بن عُلَيل العَنَزيّ قال حدّثنا أحمد بن الحَجَّاج الجَلَّانِيّ الكُوفيّ قال حدّثني أبو دُوَيْل مُصْعَب بن دُوَيل الجَلَّانِيّ، قال : لم أَرَ قطُّ مَنْدَلَ بن عليّ العَنَزيّ وأخاه حَيَّانَ بن عليّ غضبا من شيء قطُّ إلا يومًا واحدا، دخل عليهما أبو العتاهية وهو مُضمَّخ بالدماء، فقالا له : وَيْحَك! ما بالُك؟ فقال لهما : من أنا؟ فقالا له : أنت أخونا وآبنُ عمّنا ومولانا؛ فقال : إن فلانا الجزار قَتَلني وضربني وزعم أنّي نَبَطيٌّ[4]، فإن كنتُ نبطيًّا هرَبت على وجهي

(١) في أ و ء و ى : «اذ كان».

(٢) عين التمر : بلدة قريبة من الأنبار غربيّ الكوفة غزاها خالد بن الوليد في أيام أبي بكر رضي الله عنه.   (٣) اتخذهم أولياء له.   (٤) النبطيّ : منسوب الى النبط وهم جيل ينزلون البطائح بين العراقين.

وإلا فقوما فخُذَا لى بحقّ ؛ فقام معه مَنْدَل بن علىّ وما تعلّق نعلَه(١) غضباً ، وقال له : والله لو كان حقُّك على عيسى بن موسى لأخذتُه لك منه ؛ ومرّ معه حافياً حتى أخذ له بحقّه .

أخبرنى الصُّولىّ(٢) قال حدّثنا محمد بن موسى عن الحسن بن علىّ عن عمر بن معاوية عن جُبَارة بن المُغَلِّس(٣) الحِمّانىّ قال : أبو العتاهية مولَى عَطَاء بن مِحْجَن العَنَزىّ .

مولد أبى العتاهية وصنعته وصنعة أهله

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَهْ قال قال أبو عون أحمد بن المُنَجِّم أخبرنى خَيَّارٌ الكاتب قال :

كان أبو العتاهية وإبراهيمُ الموصلىّ من أهل المَذَار(٤) جميعا ، وكان أبو العتاهية وأهلُه يعمَلون الجِرَارَ الخُضر ، فقدما الى بغداد ثم ٱفترقا ، فنزل إبراهيم الموصلىّ ببَغداد ، ونزل أبو العتاهية الحيرةَ . وذُكِر عن الرِّياشىّ أنه قال مثلَ ذلك ، وأن أبا أبى العتاهية نقله إلى الكوفة .

قال محمد بن موسى : فولاءُ أبى العتاهية من قِبل أبيه لعَنَزة ، ومن قِبل أُمّه لبنى زُهْرة ، ثم لمحمد بن هاشم بن عُتْبة بن أبى وَقّاص ، وكانت أمّه مَولاةً لهم ، يقال لها أمّ زيد .

(١) ما تعلق نعله : ما لبسها . (٢) فى حـ : « محمد بن معاوية » . (٣) كذا فى تهذيب التهذيب والخلاصة فى أسماء الرجال وأنساب السمعانى وشرح القاموس مادة غلس . وفى أ ، حـ ، ء «جنادة بن المغلس» وفى ب ، سـ : جنادة بن الأغلس » وكلاهما تحريف . (٤) كذا فى أ : بالذال المعجمة . والمذار فى ميسان بين واسط والبصرة وهى قصبة ميسان بينها وبين البصرة مقدار أربعة أيام . وفى سائر النسخ : « المزار » بالزاى المعجمة ولم نعثر عليه فى أسماء البلدان .

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن مَهْرُويَهْ قال: قال الخليل بن أسد: كان أبو العتاهيـة يأتينا فيستأذن ويقول : أبو إسحاق الخزّاف . وكان أبوه حجّاما من أهل ورجة[1]؛ ولذلك يقول أبو العتاهية :

أَلا إنّمـا التّقوى هـو العزّ والكرمْ * وحبُّـك للدّنيا هو الفقر والعَـدمْ

وليس على عبـدٍ تقِيّ نقيصـةٌ * إذا صحّح التّقوى وإن حاك أو حَجمْ ٥

فاخره رجل من كنانة فقال شعرا

حدّثنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنا الغَلاَبىّ قال حدّثنا محمد بن أبى العتاهية قال :

١٢٨/٣ جاذب رجل من كِنانة أبا العتاهية فى شىء، ففخَر عليه الكِنَانىّ واستطال بقوم من أهله؛ فقال أبو العتاهية :

دَعْنى من ذِكْر أبٍ وجَدٍّ * ونَسَبٍ يُعْليكَ سُورَ المجدِ ١٠

ما الفخرُ إلا فى التّقى والزُّهدِ * وطاعةٍ تُعطى جِنَانَ الخُلْدِ

لا بُدَّ من وِرْدٍ لأهلِ الوِردِ * إمّا الى ضَحْضَـلٍ[2] وإمّا عِدِّ[3]

آراؤه الدينية

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنا موسى عن أحمد بن حَرْب قال :

كان مذهب أبى العتاهيـة القولَ بالتوحيد وأن الله خلق جوهرين متضادّين ١٥ لا من شىء ، ثم إنه بَنَى العالَمَ هـذه البِنْية منهما ، وأن العالَم حديثُ العين والصّنعة لا مُحدِثَ له إلا اللهُ ، وكان يزعم أن الله سيَرُدّ كلّ شىء الى الجوهرين المتضادّين قبـل أن تَفنى الأعيانُ جميعا ، وكان يذهب الى أن المعارف واقعةٌ بقدر الفكر

(١) كذا فى جميع الأصول التى بأيدينا ، ولم نعثر عليه فى معاجم البلدان . والذى فى اللسان (مادة ودج) ومعجم ما استعجم (ج ٢ ص ٦٢٢) أن «ودج» اسم موضع .

٢٠ (٢) الضحل : الماء القليل على الأرض لا عمق له .

(٣) العِدّ : الماء الجارى الذى له مادة لا تنقطع كماء العين .

والاستدلال والبحث طِباعا، وكان يقول بالوعيد و بتحريم المكاسب، و يتشيّع بمذهب الزّيدية البَتَريّة[1] المبتدِعة، لا يتنقّص أحدا ولا يرى مع ذلك الخروجَ على السّلطان، وكان مُجبِّراً[2] . قال الصُّولىّ: فحدّثنى يموتُ بن المُزرِّع قال حدّثنى الجاحظ قال : قال أبو العتاهية لثُمَامةَ بين يدَى المأمون — وكان كثيرا ما يعارضه بقوله فى الإجبار — : أسألك عن مسألة؛ فقال له المأمون: عليك بشعرك؛ فقال: إنْ رأى أميرُ المؤمنين أن يأذن لى فى مسألته و يأمرَه بإجابتى ! فقال له : أجبه اذا سألك ؛ فقال: أنا أقول: إنّ كلّ ما فعله العباد من خيرٍ وشرّ فهو من الله، وأنت تأبى ذلك، فمن حرّك يدى هذه ؟ وجعل أبو العتاهية يحرّكها ؛ فقال له ثُمامة : حرّكها من أمّه زانية ؛ فقال : شتمنى والله يا أمير المؤمنين؛ فقال ثمامةُ : ناقض الماصّ بَظْر أمه والله يا أمير المؤمنين ! فضحك المأمون وقال له : ألم أقل لك أن تشتغل بشعرك وتدعَ ماليس من عملك ! قال ثمامة : فلقينى بعد ذلك فقال لى : ياأبا مَعْن، أمَا أغناك الجواب عن السّفه ! فقلت : إنّ من أتمّ الكلامِ ما قطع الحجة وعاقبَ على الإساءة وشَفَى من الغيظ وانتصَر من الجاهل .

مناظرته لثمامة بن أشرس فى العقائد بين يدى المأمون

قال محمد بن يحيى وحدّثنى عَوْن بن محمد الكِنْدىّ قال :

سمعتُ العبّاس بن رُسْتَم يقول: كان أبو العتاهية مُذبذَبا فى مذهبه: يعتقد شيئا، فإذا سمع طاعِنا عليه ترك اعتقاده إياه وأخذ غيره .

(١) الزيدية : فرقة نسبت الى زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، تقصر الإمامة على أولاد فاطمة ولا تجيز الإمامة فى غيرهم . والبترية : طائفة منهم أصحاب كثير النوى الأبتر، توقفوا فى أمر عثمان أهو مؤمن أم كافر، وفضلوا عليا على جميع الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم (انظر الكلام على هذه الفرقة ببيان واف فى كتاب الملل والنحل للشهرستانى طبع أوربا ص ١١٥ — ١٢١).

(٢) أى منسوبا الى الجبر وهو القول بأن الله يجبر العباد على الذنوب أى يكرههم عليها، يقال : أجبرته اذا نسبته الى الجبر، كما يقال : أكفرته اذا نسبته الى الكفر .

اعترض عليه أبو الشمقمق فى ملازمة المخنثين فأجابه

حدّثني أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار قال حدّثنى ابن أبى الدّنيا قال حدّثنى الحُسَين بن عبد ربه قال حدّثنى على بن عُبيدة الرَّيْحانىّ قال حدّثنى أبو الشَّمَقْمَق: أنه رأى أبا العتاهية يحمل زاملةَ المُخَنَّثين، فقلت له[1]: أمثلُك يضع نفسه هذا الموضعَ مع سِنّك وشعرك وقدرك؟! فقال له: أريد أن أتعلم كِيَادَهم، وأتحفّظ كلامهم.

حاوره بشر بن المعتمر فى صنعة الحجامة

٥ أخبرنى عيسى بن الحسن الوَرّاق قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال: ذكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل أنّ بِشْر بن المُعْتمِر قال يوما لأبى العتاهية: بلغنى أنك لما نَسَكْتَ جلست تحجُم اليتامى والفقراءَ للسبيل، أكذلك كان؟ قال: نعم؛ قال له: فما أردتَ بذلك؟ قال: أردتُ أن أضعَ من نفسى حسبما رفعتْنى الدّنيا، وأضعَ منها ليَسقُط عنها الكِبْر، وأكتسب بما فعلتُه الثوابَ، وكنت أحجُمُ ١٠ اليتامى والفقراء خاصّة؛ فقال له بشر: دعنى من تذليلك نفسَك بالحجامة، فإنه ليس بحُجّة لك أن تؤدّبها وتُصلحَها بما لعلّك تُفسد به أمرَ غيرك؛ أُحبّ أن تُخبرَنى هل كنتَ تعرف الوقت الذى كان يحتاج فيه من تحجُمه إلى إخراج الدّم؟ قال: لا؛ قال: هل كنت تعرف مقدارَ ما يحتاج كلّ واحد منهم الى أن يُخرجه على قَدْر طبعه، مما إذا زدتَ فيه أو نقصت منه ضَرّ المحجومَ؟ قال: لا؛ قال: ١٥ فما أراك إلا أردتَ أن تتعلّم الحِجامةَ على أقْفاء اليتامى والمساكين!.

١٢٩/٣

أراد حمدويه صاحب الزنادقة أخذه فتستر بالحجامة

أخبرنى محمد بن يحيى الصُّولِىّ قال حدّثنا أبو ذَكْوان قال حدّثنا العبّاس بن رُسْتَم قال: كان حَمْدُويَهْ صاحبُ الزَّنادقة قد أراد أن يأخذ أبا العتاهية، ففزِع من ذلك وقعَد حجّاما.

---

(١) كذا فى جميع الأصول ولعله: «فقال له».

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال قال أبو دِعَامة علىّ بن يزيد : أُخبر يحيى بن خالد أن أبا العتاهية قد نَسَك ، وأنه جلس يحجُم النّاس للأجر تَوَاضُعًا بذلك ، فقال : ألم يكن يبيع الجرار قبل ذلك ! . فقيل له : بلى ، فقال : أمَا فى بَيْع الجرار من الذّل ما يكفيه ويَسْتَغنى به عن الحجامة ! . ٥

سئل عن خلق القرآن فأجاب

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنى شيخ من مشايخنا قال حدّثنى أبو شُعَيب صاحب ابن أبى دُوَاد قال :

قلتُ لأبى العتاهية : القرآن عندك مخلوقٌ أم غير مخلوق؟ فقال : أسألتَنى عن الله أم عن غير الله؟ قلتُ : عن غير الله ، فأمسك ، وأعدتُ عليه فأجابنى هذا الجوابَ ، حتى فعل ذلك مرارا ، فقلت له : ما لك لا تُجيبنى ؟ قال : قد أجبتُك ولكنّك حِمار . ١٠

أوصافه وصناعته

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنا شيخ من مشايخنا قال حدّثنى محمد بن موسى قال :

كان أبو العتاهية قَضِيفًا[1] ، أبيضَ اللون ، أسودَ الشعر ، له وفْرة[2] جَعْدة ، وهيئة حسنة ولَبَاقة وحَصَافة ، وكان له عَبِيد من السّودان ، ولأخيه زيدٍ أيضا عبيدٌ منهم يعملون الخَزَف فى أَتُّون[3] لهم ، فإذا آجتمع منه شىء أَلْقَوْه على أَجير لهم يُقال له أبو عباد ١٥

(١) كذا فى ء ، أ ، م . والقضيف : الدقيق العظم القليل اللحم . وفى ب ، س «نظيفا» . وفى حـ : «قصيفا» بالصاد المهملة . والظاهر أنها محرّفة عن «قضيفا» . (٢) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس أو ما سال على الأذنين أو ما جاوز شحمة الأذن . والجعدة : التى فيها التواء وتقبض (٣) الأتون (بتشديد التاء) : الموقد ، والعامة تخففه . ٢٠

اليزيدي من أهل طاق الحرار[٤] بالكوفة، فيبيعه على يديه ويرد فضله إليهم . وقيل : بل كان يفعل ذلك أخوه زيد لا هو، وسئل عن ذلك فقال : أنا جرار القوافي، وأخي جرار التجارة .

قال محمد بن موسى : وحدثني عبد الله بن محمد قال حدثني عبد الحميد بن سريع مولى بني عجل قال :

أنا رأيت أبا العتاهية وهو جرار يأتيه الأحداث والمتأدبون فينشدهم أشعاره، فيأخذون ما تكسر من الخزف فيكتبونها فيها .

كان يشتم أبا قابوس ويفضل عليه العتابي فهجاه

حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني عون بن محمد الكندي قال حدثني محمد بن عمر الجرجاني قال :

لما هاجى أبو قابوس النصراني كلثوم بن عمرو العتابي جعل أبو العتاهية يشتم أبا قابوس ويضع منه، ويفضل العتابي عليه؛ فبلغه ذلك فقال فيه :

قل للمكني نفسه * متخيرا بعتاهيه
والمرسل الكلم القبيـ * ـح وعته أذن واعيه
إن كنت سرا سؤتني * أو كان ذاك علانيه
فعليك لعنة ذي الجلا * ل وأم زيد زانيه

— يعني أم أبي العتاهية ، وهي أم زيد بنت زياد — فقيل له : أتشتم مسلما ؟ فقال : لم أشتمه وإنما قلت :

فعليك لعنة ذي الجلا * ل ومن عنينا زانيه

(٤) في ب ، سـ : « طارق الجرار » وهو تحريف .

١٣٠/٣

هجاء والبة بن الحباب

قال : وفيه يقول وَالِبَةُ بن الحُبَاب وكان يُهاجيه :

كان فينا يُكَنَى أبا إسحاقِ * وبها الرَّكْبُ سارَ فى الآفاقِ
فتكنَّى مَعتُوهَنَا(١) بعَتَاهٍ * يا لها كُنْيَةٌ أتت باتّفاقِ
خلق الله لِحيةً لك لا تنـ * ـفكّ معقودةً بداء الحُلاقِ(٢)

قصته مع النوشجانى

أخبرنا محمد بن مَزْيد بن أبى الأزهر قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثنا النُّوشَجَانِىّ قال : أتانى البَوّاب يوما فقال لى : أبو إسحاق الخزّاف بالباب؛ فقلت : ائْذَن له ، فإذا أبو العتاهية قد دخل ، فوضعت بين يديه قِنْو مَوْزٍ(٣)؛ فقال: قد صِرتَ تقتل العلماءَ بالموز، قتلتَ أبا عُبَيدة بالموز، وتريد أن تقتلنى به ! لا والله لا أذوقه.

قال : فحدّثنى عُرْوة بن يوسف الثّقفىّ قال : رأيت أبا عبيدة قد خرج من دار النُّوشَجَانىّ فى شِقّ مَحْمِل مُسَجًّى ، إلا أنه حىّ ،وعندرأسه قِنْو موز وعند رجليه قِنْو موز آخر،يُذْهب به الى أهله ،فقال النُّوشَجَانىّ وغيرُه : لمّا دخلنا عليه نعوده قلنا : ماسبب عِلّتك ؟ قال : هذا النُّوشَجَانىّ جاءنى بموز كأنه أُيُور المساكين، فأكثرتُ منه ، فكان سببَ عِلّتى قال : ومات فى تلك العِلّة .

رأى مصعب بن عبدالله فى شعره

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال :

سمعت مُصْعَب بن عبد الله يقول : أبو العتاهية أشعرُ الناس؛ فقلت له : بأىّ شىء ٱستحقّ ذلك عندك؟ فقال : بقوله :

تعلّقتُ بآمالٍ * طِوالٍ أىِّ آمالِ
وأقبلتُ على الدّنيا * مُلِحًّا أىَّ إقبالِ

(١) كذا فى أكثر النسخ وديوانه طبع بيروت . وفى ب ، س : «معتوّها» . (٢) الحلاق : صفة سوء، وقد ورد هذا البيت فى هامش ديوانه (ص ٣٤٣) هكذا :

خلق الله لحيــة لك لاتنـ * ـفك معقودة لدى الحلّاق

(٣) القنو : الكباسة ، وهى كالعنقود من العنب .

أيا هــذا تجهَّزْ لـ * ـفراق الأهل والمال

فلا بدّ من الموت * على حالٍ من الحالِ

ثم قال مُصعب : هـذا كلام سهلٌ حقّ لا حشوَ فيـه ولا نُقصان ، يعرِفه العاقل ويُقِرّ به الجاهل .

استحسن الأصمعىّ شـعره

٥ أخبرنى هاشم بن محمـد الخُزَاعىّ قال حدّثنا الرِّياشىّ قال : سمعتُ الأصمعىّ يستحسن قولَ أبى العتاهية :

أنتَ ما آستغنيتَ عن صا * حبــك الدهرَ أخــوه

فإذا آحتجــتَ إليــه * ساعــةً مجّـك فُــوه

أنشد سلم الخاسر من شعره وقال : هو أشعر الجن والإنس

حدّثنا محمـد بن العَبّاس اليَزيدى إملاءً قال حدّثنى عمّى الفَضْل بن محمد قال ١٠ حدّثنى موسى بن صالح الشَّهْرَزُورِىّ (١) قال :

أتيتُ سَلْمًا الخَاسِرَ فقلتُ له : أَنْشِدنى لنفسك ، قال : لا ، ولكن أُنشدك لأشعر الجنّ والإنس ، لأبى العتاهية ، ثم أنشدنى قولَه :

صـــوت

سَكَنٌ يبـقَى له سَكَنُ * ما بهـذا يُؤذِن الزَّمنُ

١٥ نحـن فى دار يُخـبِّرنا * ببِـلَاها ناطقٌ لَسِـنُ

دار سَوء لم يدُم فَرَحٌ * لآمرئٍ فيها ولا حَزَنُ

فى سـبيل الله أنفسُنا * كلُّنا بالموت مُرتَهنُ

كلُّ نفس عند مِيتَتِها * حظُّها من مالها الكفنُ

إنّ مال المرء ليس له * منه إلا ذكْرُه الحسن

٢٠ (١) الشهرزورىّ : نسبة الى شهرزور، وهى كورة واسعة فى الجبال بين أربل وهمذان .

فأخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنى محمد بن القاسم قال حدّثنى رجل من أهـل البَصْرة أُنسِيتُ آسمَه، قال حدّثنى حَمْـدون بن زيد قال حدّثنى رجاء بن مَسْلمة[1] قال :

١٣١ / ٣

قلت لسَلْم الخاسر : من أشعرُ الناس ؟ فقال : إن شئتَ أخبرتُك بأشعر الجن والإنس، فقلتُ: إنمـا أسالك عن الإنس، فإن زدتَنى الجنّ فقد أحسنتَ، فقال: أشعرُهم الذى يقول :

سَكَنٌ يبـقى له سَكَنُ * ما بهذا يُؤذِن الزّمنُ

قال : والشعر لأبى العتاهية .

مدح جعفر بن يحيى شعره بحضرة الفرّاء فوافقـه

حدّثنى اليَزيدىّ قال حدّثنى عمّى الفَضْـل قال حدّثنا عبد الله بن محمـد قال حدّثنا يحيى بن زِيَاد الفَرّاء قال :

دخلت على جعفر بن يحيى فقال لى : يا أبا زكريا ، ما تقول فيما أقول ؟ فقلت : وما تقـول أَصْلَحك الله ؟ قال : أزعُم أنّ أبا العتاهيـة أشعرُ أهل هـذا العصر، فقلت : هو والله أشعرُهم عندى .

مدح داود بن زيد وعبد الله بن عبد العزيز شعره

حدّثنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنى محمـد بن موسى قال حدّثنى جعفر ابن النَّضْر الوَاسِطىّ الضَّرير قال حدّثنى محمد بن شِيرَوَيْه[2] الأَنْماطىّ قال :

قلت لداود بن زيد بن رَزِين الشاعر: من أشعرُ أهل زمانه؟ قال: أبو نواس، قلت : فمـا تقول فى أبى العتاهية؟ فقال : أبو العتاهية أشعرُ الإنس والجنّ .

(١) فى حـ : «رجاء بن سلمة» .

(٢) فى أ ، ء : «خروية» بالخاء المعجمة . وفى ب ، حـ ، سـ : «سروية» . ولعل الجميع محرّف عما أثبتناه .

أخبرنى الصُّولىّ قال حدّثنى محمد بن موسى قال قال الزُّبير بن بَكّار : أخبرنى إبراهيم بن المُنذِر عن الضحّاك، قال :

قال عبد الله بن عبد العزيز العُمَرىّ : أشعرُ النّاس أبو العتاهية حيث يقول :

ما ضرّ مَنْ جَعل التُّرابَ مِهادَه * ألّا ينامَ على الحرير إذا قَنِــعْ

٥ صدق والله وأَحْسن .

مهارته فى الشعر وحديثه عن نفسه فى ذلك

حدّثنى الصّولىّ قال حدّثنى محمد بن موسى قال حدّثنى أحمد بن حَرْب قال حدّثنى المعلَّى بن عثمان قال :

قيل لأبى العتاهية : كيف تقول الشعر؟ قال: ما أردتُه قطّ إلا مَثَل لى، فأقول ما أريد وأَترُك ما لا أُريد .

١٠ أخبرنى ابن عَمّار قال حدّثنى ابن مَهْرُويَهْ قال حدّثنى رَوْح بن الفرج الحِرْمازىّ قال :

جلست الى أبى العتاهية فسمعتُه يقول : لو شئت أن أجعل كلامى كلَّه شِعرا لفعلتُ .

حدّثنا الصّولىّ قال حدّثنا العَنَزىّ قال حدّثنا أبو عِكْرِمة قال :

١٥ قال محمد بن أبى العتاهية : سُئل أبى: هل تَعْرِف العَرُوض؟ فقال : أنا أكبر من العروض . وله أَوْزانٌ لا تَدخُل فى العَروض .

نظم شعرا للرشيد وهو مريض فأبلغه الفضل وقربه الرشيد

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا العَنَزىّ قال حدّثنا أبو عِكرمة قال :

حُمّ الرّشيدُ فصار أبو العتاهية الى الفضل بن الرّبيع برُقْعة فيها :

لو عَلِمَ النّــاسُ كيف أنت لهم * ماتوا إذا ما أَلِمْتَ أَجمعُهـــمْ

خليفـــةَ الله أنت ترجُحُ بالـ ـنّـ ـاس إذا ما وزنتَ أنت وهُمْ
قد عَلِمَ النّاسُ أن وجهك يَسـ * ـتغنى[(١)] إذا ما رآه مُعدِمُهـــمْ

فأنشدها الفضـلُ بن الربيع الرشـيدَ، فأمر بإحضار أبى العتاهية، فما زال يُسامِره ويُحدّثه إلى أن بَرِئَ[(٢)]، ووَصل إليه بذلك السببِ مالٌ جَليلٌ .

إعجاب ابن الأعرابىّ به وإنكاره من تنقص شعره

قال : وحُدّثتُ أنّ ابن الأعرابىّ حَدّث بهذا الحديث، فقال له رجل بالمجلس: ما هذا الشعر بمُستحق لما قلتَ؛ قال : ولِمَ؟ قال : لأنه شعر ضعيف؛ فقال ابن الأعرابىّ —وكان أحَدَّ الناس— : الضعيفُ والله عقلُك لا شعرُ أبى العتاهيــة ، أَلِأَبى العتاهية تقول: إنّه ضعيفُ الشعر! فوالله ما رأيتُ شاعرًا قطّ أطبعَ ولا أقدرَ على بيت منه، وما أحسبُ مذهبَه إلا ضَرْبا من السحر، ثم أنشد له :

قطَّعتُ منــك حبـائلَ الآمال * وحطَطتُ عن ظَهْر المَطِىّ رِحالى
ووجدتُ بَرْد اليأس بين جَوانحى * فأَرَحْتُ من حِلٍّ ومن تَرْحال
يأيهـا البَطِـرُ الذى هـو من غدٍ * فى قـبره متمـزِّق الأَوْصال
حذَف المُنَى عنه[(٣)] المُشمِّرُ فى الهُدى * وأرى مُنـاك طَـويلةَ الأذيال
حِيَلُ ابن آدم فى الأمور كثيرةٌ * والمـوتُ يقطَعُ حيـلةَ المُحتال
قِستُ السـؤالَ فكان أعظمَ قيمةً * من كلّ عارفــةٍ جرَتْ بسـؤال
فإذا ابتُليتَ ببَـذْل وجهك سائلًا * فابـذُله للمتكـرِّم المِفضـال

(١) كذا فى جميع النسخ والديوان وهى رواية جيدة وفيها المطابقة بين العدم والغنى، ومع هــذا فمن المحتمل أن يكون « يستسق »، قال أبو طالب :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للأرامل

(٢) أهل العالية يقولون : برأت من المرض أبرأ برءا وبروءا . وأهل الحجاز يقولون : برأت من المرض برءا بالفتح وسائر العرب يقولون : برئت من المرض . وبرؤ برءا من باب قرب لغة (انظر اللسان مادة برأ والمصباح المنير) .

(٣) فى ب، س، حـ : «عنده» وهو تحريف .

وإذا خَشِيتَ تَعَذُّرًا فى بلدة * فاشْدُدْ يديك بعاجل التَّرحال

واصبِرْ على غِيَر الزمان فإنما * فَرَجُ الشدائد مثلُ حَلّ عِقال

ثم قال للرجل : هل تعرف أحدًا يُحسِنُ أنْ يقول مثلَ هذا الشعر؟ فقال له الرجل : يا أبا عبد الله ، جعلنى الله فداءَك ، إنى لم أَرْدُدْ عليك ما قلتَ ، ولكنّ الزهدَ مذهبُ أبى العتاهية، وشعرُه فى المديح ليس كشعره فى الزُّهد؛ فقال : أَفَلَيس الذى يقول فى المديح :

وهارونُ ماءُ المُزْن يُشْفَى به الصَّدَى[1] * إذا ما الصَّدِى بالرِّيق غَصَّتْ حناجرُهْ

وأَوْسَطُ بيتٍ فى قريش لَبَيْتُه * وأوّلُ عِزٍّ فى قريش وآخرُه

وزَحْفٍ له تَحكِى البروقَ سيوفُه * وتَحكِى الرعودَ القاصفاتِ حوافرُه

إذا حَمِيتْ شمسُ النَّهار تضاحكتْ * إلى الشمس فيه بَيْضُه[2] ومَغَافرُه

إذا نُكِبَ الإسلامُ يومًا بنَكْبة * فهارونُ من بين البَرِيَّة ثائرُه

ومن ذا يفوت الموتَ والموتُ مُدرِك * كذا لم يَفُتْ هارونَ ضِدٌّ يُنافرُهْ

قال : فتخلّص الرجل من شرّ ابن الأعرابىّ بأن قال له : القولُ كما قلتَ ، وما كنتُ سمعتُ له مثلَ هذين الشعرين، وكتبهما عنه .

قال أبو نواس لست أشعر الناس وهو حىّ

حدّثنى محمد قال حدّثنى أحمد بن أبى طاهر قال حدّثنى ابن الأعرابىّ المُنَجِّم قال حدّثنى هارون بن سَعْدان بن الحارث مولى عَبّاد قال :

حضرتُ أبا نُوَاس فى مجلس وأنشد شعرا، فقال له من حضر فى المجلس: أنت أشعرُ الناس؛ قال : أمّا والشيخُ حىّ فلا . (يَعنى أبا العتاهية) .

أنشد لثمامة شعره فى ذم البخل فاعترض على بخله فأجابه

أخبرنى يحيى بن علىّ إجازةً قال حدّثنى علىّ بن مَهْدِىّ قال حدّثنى الحسين ابن أبى السَّرِىّ قال :

(١) الصدى : العطش . (٢) البيض (بفتح الباء) : جمع بيضة وهى الخوذة تصنع من الحديد ليتقى بها فى الحرب . والمغفر : زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة ، والجمع مغافر ، وقيل فيه غير ذلك .

قال ثُمامة بن أشْرس أنشدنى أبو العتاهية :

إذا المرء لم يُعتِق من المال نفسَه * تملّكه المالُ الذى هو مالكه

ألا إنّما مالى الذى أنا مُنفِقٌ * وليس لىَ المالُ الذى أنا تاركُه

إذا كنتَ ذا مالٍ فبادِرْ به الذى * يَحِقّ وإلا آستهلكته مَهالكُهْ

فقلت له : من أين قضيتَ بهذا ؟ فقال : من قول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ٥
" إنما لك من مالك ما أكلتَ فأفنيتَ ، أو لبستَ فأبليتَ ، أو تصدّقت فأمضيْتَ ".
فقلت له : أتؤمن بأنّ هذا قولُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم وأنه الحقّ؟ قال :
نعم . قلت : فلِمَ تحبِس عندك سبعا وعشرين بَدْرَةً[1] فى دارك ، ولا تأكل منها ١٣٣/٣
ولا تشرب ولا تُزكّى ولا تُقدّمها ذُخْرًا ليوم فقرك وفاقتك ؟ فقال : يا أبا مَعْن ،
والله إنّ ما قلتَ لهو الحقّ ، ولكنّى أخاف الفقرَ والحاجةَ الى الناس ، فقلت : وبِمَ ١٠
تَزيد حالُ من آفتقر على حالِك وأنت دائمُ الحِرص دائمُ الجَمْع شحيحٌ على نفسك
لا تشترى اللحمَ إلا من عِيد إلى عيد ؟ ! فترك جوابَ كلامى كلّه ثم قال لى : والله
لقد آشتريتُ فى يوم عاشوراء لحمًا وتوابِلَه وما يتبعه بخمسة دراهم ؛ فلما قال لى هذا
القولَ أضحكنى حتى أذهلنى عن جوابه ومُعاتبته ، فأمسكتُ عنه وعلمت أنه ليس
ممن شَرَح الله صدرَه للإسلام . ١٥

بخله ، ونوادر مختلفة فى ذلك

أخبرنى يحيى بن علىّ إجازةً قال حدّثنى علىّ بن المهدىّ قال قال الجاحظ :
حدّثنى ثُمامة قال :

دخلت يومًا الى أبى العتاهية فإذا هو يأكل خُبزا بلاشىء ، فقلتُ : كأنك رأيتَه
يأكل خُبزًا وحده ، قال : لا ! ولكنّى رأيتُه يتأدّم بلا شىء ، فقلت : وكيف ذلك؟
فقال : رأيت قُدّامه خبزا يابسا من رِقاقٍ فَطير وقَدَحا فيه لبنٌ حليبٌ ، فكان يأخذ ٢٠

(١) البدرة : عشرة آلاف درهم .

القطعة من الخبز فيغمسها فى اللبن ويُخرجها ولم تَتعلق منه بقليل ولا كثير؛ فقلت له : كأنك آشتهيتَ أن تتأدّم بلا شىء وما رأيتُ أحدًا قبلك تأدّم بلا شىء .

قال الجاحظ : وزعم لى بعضُ أصحابنا قال : دخلتُ على أبى العتاهية فى بعض المتنزّهات، وقد دعا عيّاشًا صاحبَ الجِسْر وتهيّأ له بطعام، وقال لغلامه : اذا وضعتَ قُدّامهم الغَدَاء فقدّمْ إلىّ ثَريدةً[1] بخَلّ وزَيْت ؛ فدخلت عليه وإذا هو يأكل منها أكْلَ مُتكمّش[2] غيرَ مُنكر لشىء، فدعانى فمددت يدى معه، فإذا بثريدة بخلّ وبزر بَدلا من الزّيت؛ فقلت له : أتدرى ما تأكل؟ قال : نعم ثريدة بخل وبزر؛ فقلت : وما دعاك الى هذا ؟ قال : غَلِط الغلام بين دَبّة[3] الزيت ودَبّة البِزر، فلما جاءنى كرِهت التجبّر وقلت : دُهنٌ كدهن، فأكلتُ وما أنكرتُ شيئا .

١٠ أخبرنى يحيى بن علىّ قال حدّثنى علىّ بن مهدىّ قال حدّثنا عُبَيد الله بن عَطيّة الكوفىّ قال حدّثنا محمد بن عيسى الخُزَيْمِىّ، وكان جارَ أبى العتاهية، قال :

كان لأبى العتاهية جارٌ يلتقط النّوى ضعيفٌ سيّئ الحال مُتجمّل[4] عليه ثياب ، فكان يمرّ بأبى العتاهية طَرَفَىِ النهار، فيقول أبو العتاهية : اللهم أَغْنِه عمّا هو بسبيله، شيخٌ ضعيف سيّئُ الحال عليه ثيابٌ مُتجمّل، اللهم أَعِنْه، اِصنعْ له، بارِكْ فيه؛

١٥ فبَقِى على هذا إلى أن مات الشيخ نحْوا من عشرين سنة، ووالله إنْ[5] تصدّق عليه بدرهم ولا دانِق قطّ، وما زاد على الدعاء شيئا؛ فقلتُ له يومًا : يا أبا إسحاق إنى أراك تُكثِر الدعاءَ لهذا الشيخ وتزعُم أنه فقير مُقِلّ، فلِمَ لا تتصدّق عليه بشىء؟ فقال : أخشى أن يعتاد الصَّدَقةَ، والصدقةُ آخر كَسْب العبد، وإنّ فى الدعاء لخيرًا كثيرًا .

(١) فى ب ، سـ : «ثردة» والثردة (بالضم) : الاسم من ثرد الخبز أى فته . (٢) تكمش
٢٠ الرجل : أسرع . (٣) الدبة : الوعاء للبزر والزيت .
(٤) المتجمل : الفقير الذى لم يظهر على نفسه المسكنة والذل . (٥) فى أ ، حـ ، ء : «لا والله» .

قال محمد بن عيسى الخُزَيْمىّ هذا : وكان لأبى العتاهية خادمٌ أسودُ طويلٌ كأنه مِحْراك أَتُّون، وكان يُجْرِى عليه فى كلّ يوم رغيفين ، فجاءنى الخادم يوما فقال لى : والله ما أشبَع؛ فقلت : وكيف ذاك ؟ قال : لأنّى ما أَفْتُرُ من الكَدّ وهو يُجرِى علىّ رغيفين بغير إدَام، فإن رأيتَ أن تكلّمه حتى يزيدَنى رغيفا فتُؤجَر! فوعدتُه بذلك؛ فلما جلستُ معه مَرّ بنا الخادم فكرِهتُ إعلامَه أنّه شكا إلىّ ذلك، فقلت له : يا أبا إسحاق كم تُجْرى على هذا الخادم فى كلّ يوم؟ قال : رغيفين ؛ فقلت له : لا يَكْفيانه؛قال: من لم يَكْفِه القليلُ لم يكفه الكثير، وكلُّ من أَعطى نفسَه شهوتَها هلَك، وهذا خادمٌ يدخُل الى حُرَمى وبناتى، فإن لم أُعوِّده القناعةَ والاقتصادأهلكنى وأَهلك عيالى ومالى ؛ فمات الخادم بعد ذلك فكفّنه فى إزارٍ وفِراشٍ له خَلَقٍ ؛ فقلت له : سبحان الله ! خادمٌ قديمُ الحُرمة طويلُ الخِدمة واجبُ الحقّ تُكَفِّنه فى خَلَق، وإنما يَكفيك له كفنٌ بدينارٍ ! فقال : إنه يصير إلى البِلى، والحىُّ أولى بالجديد من الميّت ؛ فقلت له : يرحمك الله أبا إسحاق! فلقد عوّدتَه الاقتصادَ حيّا وميّتا .

قال محمد بن عيسى هذا : وقَف عليه ذاتَ يوم سائلٌ من العَيّارين[1] الظُّرَفاء، وجماعةٌ من جيرانه حوله، فسأله مِن بين الجيران؛ فقال : صنَع الله لك؛ فأعاد السّؤال فأعاد عليه ثانيةً، فأعاد عليه ثالثةً فردّ عليه مثلَ ذلك، فغضِب وقال له : ألستَ القائلَ :

كلُّ حىّ عند ميتته * حظُّه من ماله الكفنُ

ثم قال : فبالله عليك أَتريدُ أن تُعِدّ مالَك كلَّه لثمن كفنك ؟ قال لا ؛ قال : فبالله كم قَدَرت لكفنك؟ قال : خمسة دنانير؛ قال : فهى إذًا حظُّك من مالك

(١) العيار : الكثير الطواف والذى يتردّد بلا عمل .

كلّه؛ قال : نعم؛ قال: فتصدّق علىّ من غير حظّك بدرهم واحد؛ قال : لو تصدّقتُ عليك لكان حظّى؛ قال : فٱعمل على أنّ دينارا من الخمسة الدنانير وَضيعةُ[1] قيراط، وٱدفع إلىّ قيراطا واحدا، وإلا فواحدة أخرى[2]؛ قال : وما هى؟ قال : القبور تُحفَر بثلاثة دراهم فأعطنى درهما وأُقيم لك كفيلا بأنّى أحفر لك قبرَك به متى مُتّ، وتربَح درهمين لم يكونا فى حُسْبانك، فإن لم أحتفر رددتُه على وَرَثتك أو ردّه كفيلى عليهم؛ فخجِل أبو العتاهية وقال : اعزُب لعنك الله وغضب عليك؛ فضحك جميع من حضر، ومرّ السائلُ يضحك، فالتفت إلينا أبو العتاهية فقال : من أجل هذا وأمثالِه حُرّمتِ الصدقةُ؛ فقلنا له : ومن حرّمها ومتى حُرّمت! فما رأينا أحدا ٱدّعى أنّ الصدقة حُرّمت قبله ولا بعده ! .

قال محمد بن عيسى هذا : وقلت لأبى العتاهية : أتُزَكّى مالَك؟ فقال : والله ما أُنفق على عيالى إلا من زكاة مالى؛ فقلت : سبحان الله ! إنما ينبغى أن تُخرج زكاةَ مالك إلى الفقراء والمساكين؛ فقال : لو ٱنقطعتْ عن عيالى زكاةُ مالى لم يكن فى الأرض أفقرُ منهم .

سئل عن أحكم شعره فأجاب

أخبرنى عيسى بن الحُسين الورّاق قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال :

قال سليمان بن أبى شَيْخ قال إبراهيم بن أبى شَيْخ قلت لأبى العتاهية : أىّ شِعْر قلتَه أَحْكم ؟ قال قَوْلى :

عَلِمْتَ يا مُجاشِعُ بنَ مَسْعَدَهْ * أنّ الشّباب والفَراغ والجِدَهْ

* مَفْسدةٌ للمرء أىُّ مَفْسدهْ *

(١) الوضيعة : الحطيطة .
(٢) فى ب ، سـ : «فواحدا آخر... وما ذلك» .

عاتب عمرو بن مسعدة على عدم قضاء حاجته بعد موت أخيه

أخبرنى عيسى قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا أبو غَزِيّة قال :

كان مُجاشِع بن مَسْعَدة أخو عمرو بن مَسْعَدة صَديقًا لأبى العتاهية، فكان يقوم بحوائجه كلّها ويُخلص مودّته، فمات وعرَضتْ لأبى العتاهية حاجةٌ إلى أخيه عمرو ابن مسعدة فتباطأ فيها، فكتب إليه أبو العتاهية :

غَنِيتَ عن العهد القـديم غَنِيتَا * وضـيَّعتَ وُدّا بيننـا ونَسِيتا ٥
ومِن عَجَب الأيّام أن مات مَأْلَفِى * ومن كُنتَ تَغْشانى به وبَقِيتَا

فقال عمرو : استطال أبو إسحاق أعمارَنا وتوعّدنا ، ما بعد هـذا خيرٌ، ثم قَضَى حاجتَـه . ١٣٥/٣

فارق أبا غزية فى المدينة وأنشده شعرا

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنا أبو غَزِيّة قال :

كان أبو العتاهية إذا قدِم من المدينة يجلس إلىّ(١)؛ فأراد مرّة الخروجَ من المدينة فودّعنى ثم قال : ١٠

إنْ نَعِش نجتمعْ وإلّا فما أَشْـ * ـغَلَ من مات عن جميع الأَنام

طالبه غلام من التجار بمال فقال فيه شعرا أخجله

أخبرنى أحمد بن العَبّاس العَسْكرىّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزىّ قال حدّثنى عبد الرحمن بن إسحاق العُذْرىّ قال :

كان لبعض التُّجار من أهل باب الطّاق(٢) على أبى العتاهيـة ثمنُ ثِياب أخذها منه، فمرّ به يوما ، فقال صاحبُ الدّكان لغلامٍ ممن يخدُمه حسنِ الوجه : أَدْرِكْ أبا العتاهية فلا تُفارِقْه حتى تأخذَ منه ما لنا عنده(٣)؛ فأدركه على رأس الجِسْر ، ١٥

(١) كذا فى جميع النسخ والسياق يقتضى حذف «من» كما هو ظاهر . (٢) باب الطاق : محلة كبيرة ببغداد بالجانب الشرقىّ تعرف بطاق أسماء . (٣) فى س ، ب : «ما كان عنده» .

فأخذ بعنان حماره ووقّفه[1]، فقال له : ما حاجتُك يا غلام ؟ قال : أنا رسول فلان بعثنى إليك لآخذَ مالَه عليك، فأمسك عنه أبو العتاهية ، وكان كلُّ مَن مرّ فرأى الغلامَ متعلّقا به وقف ينظُر، حتى رضِى أبو العتاهية جَمْعَ الناس وحَفْلَهم ثم أنشأ يقول :

٥ واللهِ ربِّك إننى * لأُجِلُّ وجهَك عن فِعالكْ
لو كان فعلُك مثلَ وجـ * ـهك كنتُ مُكْتفيًا بذلكْ

فخجِل الغلام وأرسل عِنانَ الحمار، ورجَع الى صاحبه وقال : بعثتَنى الى شيطان جَمَع علىّ الناس وقال فىّ الشعرَ حتى أخجلنى فهربتُ منه .

حجبه حاجب عمرو ابن مسعدة فقال فيه شعرا

أخبرنى أحمد بن العباس قال حدّثنا العَنَزِىّ قال قال إبراهيم بن إسحاق ١٠ ابن إبراهيم التَّيْمىّ : حدّثنى إبراهيم بن حَكِيم قال :

كان أبو العتاهية يختلف الى عمرو بن مَسعدة لوُدٍّ كان بينه وبين أخيه مُجاشع، فاستأذن عليه يومًا فحُجِب عنه، فلزِم منزلَه، فاستبطأه عمرو، فكتب اليه : إنّ الكسل يمنعنى من لقائك، وكتب فى أسفل رقعته :

كَسَّلنى اليأسُ منك عنك فما * أرفع طَرْفِى إليك من كسلِ
١٥ إنّى اذا لم يكن أخى ثقةً * قطّعتُ منه حَبائل الأملِ

حدّثنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنى محمد بن يزيد النَّحْوىّ قال : استأذن أبو العتاهية على عمرو بن مَسْعدة فحُجِب عنه ، فكتب اليه :

(١) حكى عن بعضهم أنه قال : ما يمسك باليد يقال فيه : أوقفت (بالألف)، وما لا يمسك باليد يقال فيه : وقفت (بغير ألف) . والفصيح وقفت بغير ألف فى جميع الباب إلا فى قولك : ما أوقفك هاهنا ؟ ٢٠ وأنت تريد : أىّ شأن حملك على الوقوف ! (أنظر المصباح المنير مادة وقف) .

مالك قد حُلْتَ عن إخائك وٱسـ * ـتبدلتَ يا عمـرُو شِـيمةً كَدِرهْ
إنّى إذا البـابُ تاه حاجبُــه * لم يَكُ عنـدى فى هَجْـره نَظِــرَهْ
لسـتُمْ تُرَجَّوْنَ لِلحِسـاب ولا * يومَ تكـونُ السماءُ مُنفطِــرهْ
لكنْ لدنيـا كالظلّ بهجتُهـا * سريعــةُ الإنقضـاءِ مُنْشـمِرَهْ
قد كان وجهى لديك مَعرفةً * فاليـوم أضحى حَرْفًا من النَّكِرهْ ٥

قصيدته فى هجو عبد الله بن معن وما كان بينهما

أخبرنى محمد بن القاسم الأَنْبارىّ قال حدّثنا أبو عِكْرِمة قال :

كان الرَّشيد إذا رأى عبدَ الله بن مَعْن بن زَائدة تمثّل قولَ أبى العتاهية :

أختُ بنى شَيْبان مرّتْ بنا * مَمْشوطةً كُورًا[1] على بَغْــلِ

١٣٦
٣

وأوّل هذه الأبيات :

يا صاحِبَيْ رَحْلِيَ لا تُكْثِرا * فى شَتْم عبد الله من عَذْل ١٠
سبحان من خَصَّ ٱبنَ معنٍ بما * أرى به من قِــلّة العَقْل
قال ٱبنُ مَعْن وجَلا نفسَــه * على مَنِ الجَـلْوةُ يا أهـلِى
أنا فتـاةُ الحىّ من وَائـلٍ * فى الشَّرف الشّـامخ والنُّبْل
ما فى بَنى شَيبان أهلِ الحِجَا * جاريةٌ واحــدةٌ مثـلى
وَيْـلى ويا لَهْفِى على أَمْردٍ * يُلْصِق منّى القُرْطَ بالحِجْـل[2] ١٥
صاحِبْتُــه يومًا على خَلْوةٍ * فقال دَعْ كفّى وخُذْ رِجْلى
أختُ بنى شيبان مرّتْ بنا * ممشوطةً كُورًا على بَغْل
تُكْنَى أباالفضل ويا مَن رأى * جاريةً تُكْنَى أبا الفضل

(١) الكور : الرحل .
(٢) الحِجل (بفتح الحاء وكسرها) : الخلخال . ٢٠

قد نَقَّطتْ فى وجهها نُقطةً * مَخافةَ العينِ من الكُحل

إن زُرتمـوها قال حُجَّابُهـا * نحن عن الزُّوَّار فى شُـغل

مولاتُنا مشـغولةٌ عندها * بَعْـلٌ ولا إذنَ على البَعْـلِ

يا بنتَ مَعْنِ الخيرِ لا تجهلِى * وأين إقصـارٌ عنِ الجهلِ

أتَجْلِدُ النـاسَ وأنت آمرؤ * تُجْـلَد فى الدُّبْر وفى القُبْـلِ

٥

ما ينبغى للنّاس أن يَنسُبُوا * من كان ذا جُود الى البُخلِ

يَبْذُل ما يمنع أهلُ النـدى * هذا لَعَمْرى مُنتهى البَـذْلِ

ما قلتُ هـذا فيك إلا وقد * جَفّتْ به الأقلامُ من قَبْلى

قال : فبعث اليه عبـد الله بن مَعْن، فأُتِى به ، فدعا بغِلْمـان له ثم أمرَهم أن يَرتكبوا منه الفاحشةَ، ففعلوا ذلك، ثم أجلسه وقال له : قد جزَيتُك على قولك فىّ ، فهل لك فى الصّلح ومعه مَرْكَبٌ وعشرة آلاف درهم أو تُقيم على الحرب؟ قال: بل الصلح؛ قال : فأسمِعْنى ما تقوله فى الصلح؛ فقال :

١٠

ما لِعُـذّالى ومالى * أمرونى بالضّـلال

عذَلونى فى آغتِفـارى * لآبنِ مَعْنٍ وآحتمالى

إن يكـن ما كان منه * فبِجُـرْمى وفِعـالى

١٥

أنا منـه كنت أسـوا * عِشْرةً فى كلّ حال

قل لِمن يَعجَب من حُسْـ * ـن رُجوعى ومَقـالى

رُبَّ وُدٍّ بعـد صَـدٍّ * وهـوًى بعـد تَقَـالِى(١)

قد رأينـا ذا كثيراً * جارياً بين الرّجال

إنمـا كانتْ يمينى * لطَمتْ مـنّى شمَـالى

٢٠

(١) التقالى : التباغض .

أحب سعدى التى كان يحبها ابن معن ثم هجاها

حدّثنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنا محمد بن موسى اليَزِيدىّ قال حدّثنا أبو سُوَيد عبد القَوىّ بن محمد بن أبى العتاهية ومحمدُ بن سعد قالا[1] :

١٣٧ / ٣

كان أبو العتاهية يَهوَى فى حَداثته آمرأةً نائحة من أهل الحِيرة لها حُسن وجمال يقال لها سُعدى ؛ وكان عبد الله بن مَعْن بن زائدة المُكَنّى بأبى الفضل يَهواها أيضا ، وكانت مولاةً لهم ، ثم آتّهمها أبو العتاهية بالنّساء ، فقال فيها :

٥

ألَا يا ذَواتِ السَّحْق فى الغرب والشّرق * أَفِقْن فإن النَّيْك أَشْفَى من السَّحْقِ
أفِقن فإن الخبز بالأُدم يُشتَهَى * وليس يَسُوغ الخبزُ بالخبز فى الحَلْق
أَراكُنّ تَرْقَعن الخُروقَ بمثلها * وأىّ لبيب يرقَع الخَرْقَ بالخَرق
وهل يصلُح المِهراسُ[2] إلا بعُوده * إذا آحْتِيجَ منه ذاتَ يوم الى الدّق

١٠

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى الغَلَابِىّ قال حدّثنى مَهْدِىّ بنُ سابق قال :

تهدّد عبدُ الله بن معن أبا العتاهية وخَوّفه ونهاه أن يَعْرِض لمولاته سُعْدى ؛ فقال أبو العتاهية :

ألَا قل لآبن معنٍ ذا الذى فى الوُدّ قد حالا
لقد بُلّغتُ ما قل * فما باليتُ ما قالا
ولو كان من الأُسْدِ * لما صَال ولا هالا
فصُغْ ما كنتَ حلّيتَ * به سَيْفَك خَلْخَالا
وما تصنَع بالسيف * اذا لم تَكُ قتّالا
ولو مَدّ إلى أُذْنيه * كَفَّيه لما نالا
قَصيرُ الطُّول والطِّيلة[3] * لا شَبّ ولا طَالا
أرى قومَك أبطالا * وقد أصبحتَ بطّالا

١٥

٢٠

(١) فى جميع النسخ : «قال» بالإفراد. (٢) المهراس : الهاون. (٣) الطيلة : العمر.

ضربه عبد الله بن معن فهجاه

حدّثنا الصُّولىّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنى سُليمان المدائنىّ قال :

احتال عبد الله بن مَعْن على أبى العتاهية حتى أُخِذ فى مكان فضربه مائةَ سَوْط ضربًا ليس بالمبرّح غَيْظًا عليه، وإنما لم يَعْنُف فى ضربه خوفا من كثرة من يُعْنَى به؛ فقال أبو العتاهية يهجوه :

٥

جَلَدَتْنى بكَفّها * بنتُ معن بن زائدهْ

جَلدتنى فأَوجعتْ * بأبى تلك جَالدهْ

وتَراها مع الخَصِىّ * على الباب قاعدهْ

تَتَكَنّى كُنَى الرجا * ل بِعَمْدٍ مُكَايدهْ

جلدتْنى وبالغتْ * مائةً غيرَ واحدهْ

١٠

اجلدينى وأجلِدى * إنّما أنتِ والدهْ

وقال أيضا :

ضربَتْنِى بكفها بنتُ مَعْنٍ * أوْجَعَتْ كفَّها وما أوجعتنِى

ولَعَمْرى لولا أذى كفِّها إذ * ضَرَبتْنِى بالسّوط ما تَرَكْتُنى

توعده يزيد بن معن لهجائه أخاه فهجاه

١٣٨ / ٣

قال الصُّولىّ : حدّثنا عَوْن بن محمد ومحمد بن موسى قالا :

١٥

لما آتصل هِجاءُ أبى العتاهية بعبد الله بن معن وكَثُر، غضِبَ أخوه يزيدُ بن معن من ذلك وتوعّد أبا العتاهية؛ فقال فيه قصيدته التى أوّلها :

بَنِى مَعْنٍ ويَهْدِمه يزيدُ * كذاك اللهُ يفعل ما يُريدُ

فمَعْنٌ كان للحُسّاد غَمًّا * وهذا قد يُسَرّ به الحسود

يزيدُ يزيدُ فى مَنْعٍ وبخلٍ * ويَنقُص فى العطاء ولا يزيد

مصالحته أولاد معن

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى جَبَلَةُ بن محمد قال حدّثنى أبى قال :

مضى بنو مَعْن الى مَنْدَل وحيّان ٱبنَىْ علىّ العَنَزِيَّيْن الفقيهين — وهما من بنى عمرو ابن عامر بطنٍ مِنْ يَقْدُمَ بن عَنَزة، وكانا من سادات أهل الكوفة — فقالوا لهما : نحن بيتٌ واحد وأهلٌ، ولا فرقَ بيننا، وقد أتانا من مولاكم هذا ما لو أتانا من بعيد الوَلاء لوجبَ أن تَرْدعاه؛ فأحْضَرا أبا العتاهية، ولم يكن يُمكنه الخلافُ عليهما، فأصلحا بينه و بين عبد الله و يزيد ٱبنَىْ معن ، وضمِنا عنه خُلُوصَ النيّة ، وعنهما ألّا يَتْبَعاه بسوء، وكانا ممّن لا يُمكن خلافُهما، فرجَعت الحالُ إلى المَودّة والصَّفاء ، فجعل الناس يَعذُلون أبا العتاهية على ما فرَط منه ، ولامه آخرون فى صُلْحه لهما ؛ فقال :

ما لعُذّالى ومالى * أَمَرونى بالضَّلال

وقد كُتِبَتْ مُتقدِّمة .

رثاؤه زائدة بن معن

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال :

كان زائدةُ بن معنٍ صديقا لأبى العتاهية ولم يُعِنْ إخوتَه عليه، فمات ؛ فقال أبو العتاهية يَرثيه :

حَزِنتُ لموت زائدة بن مَعْنٍ * حقيقٌ أن يطولَ عليه حُزنى

فتى الفتيان زائدةُ المُصَفَّى * أبو العباس كان أخى وخِدْنى

فتى قومٍ وأىُّ فتًى توارتْ * به الأكفانُ تحت ثرًى ولِبْنٍ (١)

ألا يا قبرَ زائدةَ بن مَعْنٍ * دعوتُك كى تُجيبَ فلَم تُجبنِى

سَلِ الأيّامَ عن أركانِ قومى * أصبن بهنّ رُكْنًا بعد ركن

(١) اللبن (بكسر فسكون لغة فى اللبن ككتف ، و يقال فيه : اللبن بكسرتين كإبل) : المضروب من الطين مربعا للبناء .

كان عبد الله ابن معن يخجل اذا لبس السيف لهجوه فيه

أخبرني الصولي قال حدّثنا الحسن بن علي الرازي القارئ قال حدّثني أحمد ابن أبي فَنَن قال :

كنّا عند ابن الأعرابي، فذكروا قولَ ابن نَوْفَل في عبد الملك بن عُمَير :

إذا ذاتُ دَلٍّ كلّمتْه لحاجةٍ * فَهَمّ بأن يَقْضِي تَنحنحَ أو سَعَلْ

٥ وأن عبد الملك قال : تركني والله وإن السُّعلة لتَعْرِض لي في الخلاء فأذكُر قولَه فأهاب أن أسْعُل؛ قال : فقلت لابن الأعرابي : فهذا أبو العتاهية قال في عبد الله ابن مَعْن بن زائدة :

فصُغ ما كنت حَلّيتَ * به سيفَك خَلْخالَا

وما تصنع بالسّيف * إذا لم تك قتّالا

١٠ فقال عبد الله بن مَعْن : ما لبِستُ سيفي قطّ فرأيت إنسانا يَلْمَحُني إلا ظننتُ أنه يحفَظ قولَ أبي العتاهية فيّ فلذلك يتأمّلني فأخجل ؛ فقال ابن الأعرابي : اعْجَبوا لعبد يَهجو مولاه . قال : وكان ابن الأعرابي مولى بني شَيْبان .

ناظر مسلم بن الوليد في قول الشعر

١٣٩/٣ نسختُ من كتاب هارون بن علي بن يحيى حدّثني علي بن مَهْدِي قال حدّثني الحسين بن أبي السَّرِي قال :

١٥ اجتمع أبو العتاهية ومسلم بن الوليد الأنصاري في بعض المجالس، فجرى بينهما كلامٌ؛ فقال له مُسلم : والله لو كنتُ أرضى أن أقولَ مثل قولك :

الحمدُ والنعمةُ لك * والملكُ لا شريكَ لك

* لبّيك إنّ المُلْك لك *

قلت فى اليوم عشرةَ آلاف بيت، ولكنّى أقول :

مُوفٍ على مُهَجٍ فى يوم ذى رَهَجٍ[1] * كأنّــه أجلٌ يســعَى الى أملِ
ينال بالرِّفق ما يَعْيا الرجالُ به * كالموتِ مُستعجِلًا يأتى على مَهَلِ
يكسو السيوفَ نُفوسَ النا كثين به * ويجعلُ الهامَ تيجانَ القَنا الذُّبُلِ
لله من هاشمٍ فى أرضه جَبلٌ * وأنت وٱبنُك رُكْنَا ذلك الجَبَلِ

فقال له أبو العتاهية : قُلْ مثل قولى :

* الحمــدُ والنِّعمة لكْ *

أَقُلْ مثلَ قولك :

* كأنّه أجلٌ يَسعى الى أملِ *

تقارض هو وبشار الثناء على شعر بهما

حدّثنى الصّولىّ قال حدّثنا الغَلَابىّ قال حدّثنا مَهْدىّ بن سابِق قال :
قال بَشّار لأبى العتاهية : أنا والله أَسْتَحسِنُ ٱعتذارَك من دَمْعك حيث تقول:

كم من صَديقٍ لى أُسَا * رِقُه البُكاءَ من الحَيـاءِ
فإذا تأمَّــل لامــنى * فأقول ما بى منْ بُكاء
لكن ذهبتُ لأَرتدى * فطَرَفتُ عيــنى بالرّداء

فقال له أبو العتاهية : لا والله يا أبا مُعَاذ، ما لُذتُ إلّا بِغناكَ[2] ولا ٱجْتنيتُ إلا من غَرْسك حيث تقول :

(١) فى يوم ذى رهج : أى فى يوم ذى غبار من الحرب . وفى ديوان مسلم (طبع مدينة ليدن ص ٩):
* موف على مهج واليومُ ذو رهج *

(٢) فى الأصول : «بمعناك» بالعين المهملة .

صـــوت

شكوتُ إلى الغوانى ما أُلاقِى * وقلتُ لهنّ ما يَومى بَعِيـدُ

فقُلْن بكيتَ قلتُ لهنّ كلّا * وقد يَبْكى من الشّوق الجَلِيـدُ

ولكنّى أصـابَ سوادَ عينى * عُوَيْدُ قَذًى له طرَفٌ حديدُ

٥ فقُلْن فـما لدَمْعِهما سـواءً * أ كِلْتَا مُقْلتَيْك أصاب عُودُ

لإبراهيم المَوصلىّ فى هذه الأبيات لَحْن من الثّقيل الأوّل بالوُسطى مُطْلَق .

شكا اليـه الفضل الهـاشمىّ جفـاء السلطان فقال شعرا

أخبرنى الحسـن بن علىّ الخَفّاف قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَهْ قال حدّثنى محمد بن هارون الأَزْرَقِىّ مولى بنى هاشم عن ابن عائشة عن آبنٍ لمحمد بن الفضل الهاشمىّ قال :

١٠ جاء أبو العتاهيـة الى أبى فتحدّثا ساعةً، وجعل أبى يشكو اليه تَخَلُّف الصَّنعة (١) وجَفاءَ السلطان، فقال لى أبو العتاهية : أ كتب :

كلٌّ على الدّنيـا له حِرْصُ * والحادثات أَنَاتُهـا غَفْصُ (٢)

وكأنّ من وَارَوْه فى جَدَثٍ * لم يبدُ منـه لنـاظر شَخصُ

تَبْغِى من الدنيا زِيادتَهـا * وزيادةُ الدنيا هى النّقصُ

١٥ لِيَـدِ المنيّة فى تَلطُّفها * عن ذُخر كلِّ شفيقةٍ فَحْصُ

حبسه الرشـيد ثم عفا عنه وأجازه

حدّثنى عمرو قال حدّثنى علىّ بن محمـد الهشامىّ (٣) عن جدّه ابن حَمْـدون قال أخبرنى مُخَارِق قال :

١٤٠ / ٣

لمـا تنسّك (٤) أبو العتاهية ولبِس الصوف، أمره الرشيد أن يقول شعرًا فى الغزَل، فآمتنع، فضربه الرشيد ستين عصًا، وحلَف ألّا يخرُج من حَبْسه حتى يقول شـعرا

٢٠ (١) كذا فى الأصول، ولعلها : « الصنيعة » . (٢) الغفص : الختل . (٣) فى جميع النسخ : « الشامى » وهو تحريف . (٤) فى حـ : « تقرأ » ومعناه : تنسك .

فى الغزل، فلمّا رُفعت المَقارعُ عنه قال أبو العتاهية : كلّ مملوك له حرّ وآمرأته طالقٌ إن تكلّم سَنةً إلا بالقرآن أو بلا إله إلا الله محمد رسول الله؛ فكأن الرشيدَ تحزّن ممّا فعله، فأمر أن يُحبَس فى دار ويُوسَّعَ عليه ولا يُمنَع من دخول من يُريد اليه . قال مُخارق : وكانت الحالُ بينه وبين إبراهيم الموصلىّ لطيفةً، فكان يبعثنى اليه فى الأيام أتعرّف خبرَه؛ فإذا دخلتُ وجدتُ بين يديه ظَهْراً[1] ودواةً، فيكتب الىّ ما يريد، وأكلمه، فمكث هكذا سنةً . واتفق أنّ إبراهيم الموصلىّ صنع صوتَه :

صــــوت

أعَرَفْتَ دار الحىّ بالحِجْرِ * فشدوريان فقُنّـةِ[2] الغَمْرِ
وهجرتنا وألِفتَ رسْمَ بِـلًى * والرسمُ كان أحقّ بالهَجْرِ

— لَحْنُ إبراهيم فى هذا الشعر خفيفُ رَمَلٍ بالوُسْطَى . وفيه لإسحاق رمل بالوسطى —
قال مُخارق : فقال لى إبراهيم : اذهب إلى أبى العتاهية حتى تُغنّيَه هـذا الصوتَ؛ فأتيته فى اليوم الذى انقضت فيه يمينه، فغنّيته إياه، فكتب إلىّ بعد أن غنّيته : هذا اليوم تَنقضى فيه يمينى فأُحبّ أن تُقيم عنـدى الى الليل، فأقمتُ عنده نهارى كلَّه، حتى اذا أذّن النـاسُ المغربَ كلّمنى، فقال : يا مُخارق؛ قلت : لبيك؛ قال : قل لصاحبك : يآبن الزانية، أمَا والله لقد أبقيتَ للناس فتنةً إلى يوم القيامة، فانظر أين أنت من الله غدًا . ! قال مُخارق : فكنتُ أوّل من أَفطر على كلامه، فقلت : دعنى من هذا، هل قلت شيئا للتخلّص من هذا الموضع؟ فقال : نعم، قد قلت فى آمرأتى شعرا؛ قلت : هاته؛ فأنشدنى :

---

(١) لعله يريد بالظهر هنا الريش الذى يظهر من ريش الطائر وجمعه ظهار كعرق وعراق، ويظهر أنه كان من عادتهم الكتابة به كالأقلام . (٢) القنة : ذروة الجبل وأعلاه . والغمر : جبل بحذاء توز، وتوز : من منازل طريق مكة من البصرة معدود فى أعمال اليمامة .

صــــوت

مَن لِقلبٍ متيمٍ مُشتاقِ * شَفّه شوقُه وطولُ الفراقِ

طال شوقى الى قعيدة بيتى * ليت شعرى فهل لنا من تَلاقِ

هى حظّى قد اقتصرتُ عليها * من ذوات العُقود والأطواقِ

٥ جمع اللهُ عاجلًا بكِ شملى * عن قريبٍ وفكّنى من وَثاقِ

قال : فكتبتها وصِرت بها الى إبراهيم، فصنع فيها لحَنا، ودخل بها على الرشيد، فكان أوّل صوت غنّاه إياه فى ذلك المجلس، وسأله : لمن الشعرُ والغِناء ؟ فقال إبراهيم : أمّا الغناء فلى، وأما الشعر فلأسيرِك أبى العتاهية؛ فقال: أوَ قد فَعل؟ قال: نعم قد كان ذلك؛ فدعا به، ثم قال لمسرور الخادم : كم ضربنا أبا العتاهية؟ قال :

١٠ ستين عصًا، فأمر له بستين ألف درهم وخلَع عليه وأطلقه .

غضب عليه الرشيد وترضّاه له الفضل

نسختُ من كتاب هارون بن علىّ بن يحيى : حدّثنى علىّ بن مهدىّ قال حدّثنا الحسين بن أبى السّرىّ قال :

١٤١/٣

قال لى الفضل بن العباس: وجَد الرشيدُ وهو بالرَّقّة على أبى العتاهية وهو بمدينة السّلام، فكان أبو العتاهية يرجو أن يَتكلّم الفضلُ بن الربيع فى أمره فأبطأ عليه

١٥ بذلك؛ فكتب اليه أبو العتاهية :

أَجَفَوْتَنى فيمن جفانى * وجعلتَ شأنَك غيرَ شانى

ولَطالما أَمّنْتَنى * ممّا أرى كلَّ الأَمان

حتّى اذا انقلب الزّما * نُ علىّ صرتَ مع الزمان

فكلّم الفضلُ فيه الرشيدَ فرضِى عنه، وأرسل اليه الفضلُ يأمره بالشخوص

٢٠ ويذكر له أنّ أمير المؤمنين قد رضى عنه، فشخَص اليه؛ فلما دخل الى الفضل أنشده قولَه فيه :

قد دعوناه نائيًا فوجدنا * على نأيه قريبًا سميعَا

فأدخله الى الرشيد، فرجع الى حالته الأولى .

كان يزيد بن منصور يحبه ويقربه فرثاه عند موته

أخبرنا يحيى بن علىّ بن يحيى إجازةً قال حدّثنى علىّ بن مَهْدِىّ قال حدّثنى الحسين بن أبى السَّرِىّ قال :

كان يزيد بن منصور خالُ المهدىّ يتعصّب لأبى العتاهية، لأنه كان يمدح اليمانيةَ أخوالَ المهدىّ فى شعره، فمن ذلك قولُه :

صوت

سُقيتَ الغيثَ يا قصرَ السّلام * فنِعْمَ مَحَلّةُ الملِكِ الهُمَامِ
لقد نشَرَ الإلٰهُ عليك نُورًا * وحفّك بالملائكة الكِرام
سأشكُرُ نعمةَ المهدىّ حتّى * تدورَ علىّ دائرةُ الحِمام
له بيتان بيتٌ تُبَّعِىٌّ * وبيت حَلَّ بالبلد الحرام

قال : وكان أبو العتاهية طولَ حياة يزيد بن منصور يدّعى أنه مولًى لليمن ويَنْتفى من عَنَزَةَ، فلما مات يزيد رجَع الى ولائه الأوّل . فحدّثنى الفضل بن العبّاس قال : قلت له : ألم تكن تزعُم أنّ ولاءَك لليمن؟ ! قال : ذلك شىءٌ آحتجنا اليه فى ذلك الزمن، وما فى واحدٍ ممن آنتميتُ إليه خيرٌ، ولكنّ الحقّ أحقُّ أن يُتّبع . وكان آدّعى ولاءَ اللَّخْمِيّين . قال : وكان يزيد بن منصور من أكرم النّاس وأحفظِهم لِحُرْمةٍ، وأرعاهم لعهدٍ، وكان بارًّا بأبى العتاهية، كثيرًا فضلُه عليه؛ وكان أبو العتاهية منه فى مَنَعة وحِصْن حَصِين مع كَثْرة ما يدفعُه إليه ويَمنعه من المَكاره . فلمّا مات قال أبو العتاهية يَرْثيه :

أَنْعَى يزيدَ بن منصـور الى البَشر * أَنْعَى يزيدَ لأهلِ البَـدو والحضَر
يا ساكنَ الحُفْرة المهجورِ ساكنُها * بعـد المَقاصر والأبواب والحُجَـر
وجدتُ فَقدك فى مالى وفى نَشَبى * وجدتُ فقدك فى شَعْرى وفى بَشَرى (١)
فلَستُ أَدرى جزاك الله صالحةً * أَمنظَرى اليومَ أَسْوَا فيك أم خَبَرى

استحسن شعره بشار وقد اجتمعا عند المهدى

٥ حدّثنا ابن عَمّار قال حدّثنا محمد بن إبراهيم بن خَلَف قال حدّثنى أبى قال : حُدِّثتُ أنّ المهدىّ جلس للشّـعراء يوماً فأذِن لهم وفيهـم بشّار وأشجعُ، وكان أشجع يأخذ عن بشّار ويُعظّمـه، وغيرُهذين، وكان فى القوم أبو العتاهيـة ؛ قال أشجع : فلما سمِـع بشار كلامَه قال : يا أخا سُلَيم، أهذا ذلك الكوفىّ المُلقَّب؟ قلت : نعم؛ قال : لا جزى الله خيراً من جمعَنا معه . ثم قال له المهدىّ : أَنشد؛ فقال :

١٤٢ / ٣

١٠ ويحك ! أو يبدأ فيُسْتَنشَدَ أيضا قبلنا؛ فقلتُ : قد تَرى؛ فأَنشد :

أَلَا ما لِسـيّدتى ما لهـا * أَدَلًّا فأَحمِـلَ إدلالَهـا
وإلّا فَفِـيم تجنَّـتْ وما * جَنيتُ سَـقَى اللهُ أطلالَهـا
ألا إنّ جاريــةً للإما * م قـد أُسْكن الحبُّ سِرْبالَها
مَشتْ بين حُورٍ قِصارِ الخُطا * تُجاذِب فى المَشْى أكفالَهـا
١٥ وقــد أَتعب اللهُ نفسى بها * وأَتعب باللّـوم عُذّالَهـا

قال أشجع : فقـال لى بشار : وَيْحك يا أخا سُلَيم ! ما أدرى من أىّ أَمْرَيه أعجبُ : أَمِنْ ضَعْف شِعْره، أم من تَشْبيبه بجارية الخليفة، يسمع ذلك بأذنه ! حتى أتى على قوله :

أَتَتْه الخـلافةُ مُنقـادةً * إليــه تُجـــرِّرُ أذيالَها
٢٠ ولم تك تصـلُح إلّا له * ولم يك يصـلُح إلّا لها

(١) فى ديوانه : «شعرى (بكسر الشين) وفى ثرى» .

ولو رامها أحدٌ غيرُه * لزُلزلت الأرضُ زِلْزالَها

ولو لم تُطِعْه بناتُ القلوب (١) * لمَا قَبِل الله أعمالَها

وإنّ الخليفة من بُغْض لا * إليه لَيُبغِض مَن قالَها

قال أشجع : فقال لى بشار وقد اهتزّ طرباً : ويحك يا أخا سُلَيم ! أترى الخليفةَ لم يَطِرْ عن فرشه طَرَباً لمَا يأتى به هذا الكوفىّ ؟. ٥

شنّع عليه منصور ابن عمار ورماه بالزندقة

أخبرنى يحيى بن علىّ إجازةً قال حدّثنى ابن مَهْرُوَيْهْ قال حدّثنى العبّاس ابن مَيمون قال حدّثنى رَجَاء بن سَلَمة قال :

سمعتُ أبا العتاهية يقول : قرأت البارحةَ ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ ثم قلتُ قصيدة أحسنَ منها ؛ قال : وقد قيل : إنّ منصورَ بن عمّار شنّع عليه بهذا .

قال يحيى بن علىّ حدّثنا ابن مَهْرُويَهْ قال حدّثنى أبو عُمَر القرشىّ قال : ١٠

لمَا قصّ منصور بن عمّار على الناس مجلسَ البعوضة (٢) قال أبو العتاهية : إنما سرق منصور هذا الكلامَ من رجل كوفىّ ؛ فبلغ قولُه منصورا فقال : أبو العتاهية زِنْديقٌ، أما تَرَوْنه لا يذكر فى شعره الجنة ولا النار . وإنما يذكر الموت فقط ! فبلغ ذلك أبا العتاهية، فقال فيه :

يا واعظَ الناس قد أصبحتَ مُتَّهَمًا * إذ عِبتَ منهم أمورًا أنت تأتيها ١٥

كالمُلْبِس الثوب من عُرْيٍ وعورتُه * للناس باديةٌ ما إنْ يُواريها

(١) بنات القلوب : النيات .

(٢) يريد بذلك أنه قص ما يتعلق بالبعوضة من خلقها وصفها وما أودعه الله فيها من الأسرار، فأطلق المكان — وهو المجلس — وأراد ما يقع فيه، وهذا المجاز كثير الاستعمال . وقد تكلم الامام الغزالى فى الاحياء فى باب المحبة على البعوضة (راجع ج ٤ ص ٢٤٧ طبع المطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣٠٦ هـ) ٢٠ وتكلم عليها الدميرىّ أيضا فى حياة الحيوان (راجع ج ١ ص ١٥٩ — ١٦٦ طبع بولاق) .

فأعظمُ الإثم بعد الشرك نعلمُه * فى كلّ نفسٍ عَماها عن مَساويها
عِرفانُها بعيوب الناس تُبصرها * منهم ولا تُبصر العيبَ الذى فيها

فلم تمض إلا أيامٌ يسيرة حتى مات منصور بن عمّار، فوقف أبو العتاهية على قبره وقال: يغفرُ الله لك أبا السَّرِىّ ما كنتَ رميتَنى به.

وشى به الى حمدويه صاحب الزنادقة فتحقق أمره وتركه

٥ أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنا محمد بن موسى قال أخبرنى النَّسائىّ عن محمد ابن أبى العتاهية قال:

كانت لأبى العتاهية جارةٌ تُشرف عليه، فرأته ليلةً يَقنُت، فروت عنه أنه يُكلّم القمرَ، واتصل الخبرُ بحَمْدُويَه صاحبِ الزنادقة، فصار إلى منزلها وبات وأشرف على أبى العتاهية ورآه يُصلّى، ولم يزل يرقُبه حتى قَنَت وانصرف الى مَضْجَعه، ١٠ وانصرف حَمْدُويه خاسئًا.

١٤٣/٣

قال شعرا يدل على توحيده ليتناقله الناس

حدّثنا محمد بن يحيى قال حدّثنا محمد بن الرِّياشىّ قال حدّثنا الخليل بن أسد النُّوشَجانِىّ قال:

جاءنا أبو العتاهية إلى منزلنا فقال: زعَم الناس أنّى زنديق، والله ما دينى إلا التوحيد! فقلنا له: فقل شيئا نتحدّث به عنك؛ فقال:

١٥ ألا إنّنا كلّنا بائدُ * وأىّ بنى آدمٍ خالدُ
وبدؤُهمُ كان من ربّهم * وكلٌّ إلى ربّه عائدُ
فيا عجبًا كيف يعصى الإلـ * ـه أم كيف يجحدُه الجاحدُ
وفى كلّ شىءٍ له آيةٌ * تدلّ على أنه واحدُ

أرجوزته المشهورة وقوة شعرها

أخبرنى أبو دُلَف محمد بن هاشم الخُزَاعىّ قال :

تذاكروا يوماً شعرَ أبى العتاهيــة بحَضرة الجاحظ إلى أن جرى ذكرُ أُرْجُوزته المُزدوِجة التى سمّاها "ذاتَ الأمثـال"، فأخذ بعضُ من حضر يُنشِـدها حتى أتى على قوله :

يا لَلشَّباب المَرِح التَّصابى * روائحُ الجنَّـة فى الشَّبابِ

فقال الجاحظ للمُنشِد : قِفْ، ثم قال : آنظروا الى قوله :

* روائحُ الجنَــة فى الشَّباب *

فإن له معنى كمعنى الطَّرَب الذى لا يقدِر على معرفته إلا القلوبُ، وتَعجِز عن ترجمته الألسنةُ إلا بعـد التطويل وإدامةِ التفكير، وخيرُ المعانى ما كان القلبُ الى قَبـوله أسرعَ من اللسان إلى وَصــفه . وهذه الأُرجوزة من بدائع أبى العتاهية، ويقال : إن [له] (١) فيها أربعة آلاف مَثَل . منها قوله :

حَسْـبُك ممّـا تَبْتَغيه القــوتُ * ما أكثرَ القُوتَ لمن يموتُ
الفقــرُ فيما جاوز الكَفَافا * مَنِ آتّـــقى اللهَ رَجا وخافا
هىَ المقـاديرُ فلُمْنِى أو فَـــذَرْ * إن كنتُ أخطأتُ فما أخطا القَدَرْ
لِكلّ ما يُؤذِى وإن قَـــلَّ أَلَمْ * ما أطولَ اللّيــلَ على من لم يَنَمْ
ما آنتفــع المرءُ بمثــلِ عَقلِهِ * وخيرُ ذُخْرِ المرءِ حُسنُ فِعــلِهِ
إنّ الفســاد ضِدُّهُ الصّــلاحُ * ورُبَّ جِــدٍّ جَرّه المُــزَاحُ
مَن جَعــل النَّمّـامَ عيناً هلَكا * مُبلِغُــك الشرَّ كباغيه لكا
إنّ الشّبابَ والفَــراغ والجِدَهْ * مَفْسَــدةٌ للمرء أىُّ مَفْســدهْ

(١) الزيادة عن ١ ، م .

يغنيك عن كلّ قبيح تركُهُ * يرتهن الرأىَ الأصيلَ شكُّهُ
ما عَيشُ من آفتُه بقاؤُهُ * نغّص عيشاً كلَّه[1] فناؤُهُ
يا رُبَّ من أسخطنا بجَهْده * قد سرّنا اللهُ بغير حَمْده
ما تطلُع الشمسُ ولا تغيبُ * إلّا لأمرٍ شأنه عجيبُ
لكلّ شىء معدنٌ وجوهرُ * وأوسطٌ وأصغرٌ وأكبرُ
مَنْ لك بالمحض وكلٌّ مُمترِجْ * وساوسٌ فى الصّدر منه تَعتلِجْ
وكلُّ شىءٍ لاحقٌ بجوهرهْ * أصغرُه مُتّصلٌ بأكبرهْ
ما زالت الدنيا لنا دارَ أذَى * ممزوجةَ الصّفو بألوان القَذَى
اَلخيرُ والشرُّ بها أزواجُ * لِذا نِتاجٌ ولذا نِتاجُ
مَنْ لكَ بالمحض وليس مَحضُ * يَخبُث بعضٌ ويَطيب بعضُ
لكلّ إنسانٍ طبيعتانِ * خيرٌ وشرٌّ وهما ضِدّانِ
إنّك لو تَستنشق الشَّحيحَا * وجدتَه أنتنَ شىءٍ ريحَا
والخيرُ والشرُّ إذا ما عُدّا * بينهما بَوْنٌ بعيدٌ جِدّا
عجبتُ حتى غمّنى السكوتُ * صِرْت كأنّى حائرٌ مبهوتُ
كذا قضى اللهُ فكيف أصنَعُ * الصمتُ إن ضاق الكلامُ أوسعُ

وهى طويلة جدّا، وإنما ذكرتُ هذا القدرَ منها حسَب ما ٱستاقَ الكلامُ من صفتها .

برمه بالناس وذمهم فى شعره

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا ابن مَهْرُويَهْ عن رَوْح بن الفَرَج قال : شاوَرَ رجلٌ أبا العتاهيــة فيما ينقُشه على خاتمه؛ فقال : انقُش عليه : لَعنــةُ الله على الناس؛ وأنشد :

(١) فى ديوانه ص ٣٤٨ : «طيبا» .

بَرِمتُ بالنـاس وأخلاقِهم * فصرتُ أستأنِس بالوَحده
ما أكثرَ الناسَ لعَمْرِى وما * أقلّهم فى حاصل العِـدّهْ

مدح عمر بن العلاء فأجازه وفضله على الشعراء

حدّثنــا الصُّولىّ قال حدّثنا الغَلاَبىّ قال حدّثنا عبـد الله بن الضّحاك : أن عمر بن العـلاء مولى عمرو بن حُرَيث صاحبَ المهـدىّ كان مُمدَّحا ، فمدحه أبو العتاهية فأمر له بسبعين ألف درهم؛ فأنكر ذلك بعضُ الشعراء وقال : كيف فعل هذا بهذا الكوفىّ وأىّ شىء مِقدارُ شعره! فبلغه ذلك فأحضر الرجلَ وقال له : والله إنّ الواحد منكم ليدُور على المعنى فلا يُصيبه ويتعاطاه فلا يُحسـنه حتى يُشَبِّب بخمسين بيتا ثم يمدحنا ببعضها، وهذا كأن المعانى تُجمع له ، مدحنى فقصّر التشبيبَ، وقال :

إنّى أمنت من الزمان ورَيْبه * لمّـا عَلِقت من الأمير حِبالاَ
لو يستطيع الناسُ من إجلاله * لحَذَوا له حُرَّ الوُجـوه نِعالاَ

صـوت

إنّ المطـايا تَشتكيك لأنّهـا * قطَعتْ إليك سَباسِباً[1] ورِمالاَ
فإذا وَرَدْنَ بنا ورَدن مُخِفّـةً[2] * وإذا رجَعْنَ بنا رجعن ثِقالاَ

أخذ هذا المعنى من قول نُصيب :

فعاجُوا فأَثْنَوْا بالذى أنت أهـلُه * ولو سكتوا أثنتْ عليك الحقائبُ

فضله العتابىّ على أبى نواس

حدّثنــا الصُّولىّ قال حدّثنا محمد بن عَوْن قال حدّثنى محمـد بن النَّضْر كاتب غَسّان بن عبد الله قال :

(١) سباسب : جمع سبسب ، وهو الأرض القفر البعيدة . (٢) مخفة : قليلة الحمل ، وفى ديوانه (طبع بيروت) : «خفائفا» .

أُخرِجتُ رسولاً الى عبد الله بن طاهر وهو يُريد مصر، فنزلت على العتَّابىّ، وكان لى صديقا، فقال: أنشِدْنى لشاعر العراق ـ يعنى أبا نواس، وكان قد مات ـ فأنشدته ما كنت أحفظ من مُلَحِه، وقلت له: ظَننتُك تقول هذا لأبى العتاهية؛ فقال: لو أردت أبا العتاهية لقلت لك: أنشِدْنى لأشعر الناس ولم أقتصر على العراق.

١٤٥ / ٣

ملاحظته على سهولة الشعر لمن يعالجه

٥ أخبرنى عمّى قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى هارون بن سَعْدان عن شيخ من أهل بغداد قال:

قال أبو العتاهية: أكثرُ الناس يتكلمون بالشعر وهم لا يعلمون، ولو أحسنُوا تأليفَه كانوا شعراء كلُّهم. قال: فبينا نحن كذلك إذ قال رجل لآخر عليه مِسْحٌ[1]:

* يا صاحب المِسْح تَبِيع المسحا *

١٠ فقال لنا أبو العتاهية: هذا من ذلك، ألم تسمعوه يقول:

* يا صاحبَ المِسح تَبيع المِسحا *

قد قال شعرا وهو لا يعلم؛ ثم قال الرجل:

* تعال إن كنتَ تريد الرِّبحا *

فقال أبو العتاهية: وقد أجاز المِصراع بمصراع آخر وهو لا يعلم قال له:

١٥ * تعالَ إن كنتَ تُريد الرِّبحا *

وصف الأصمعىّ شعره

حدّثنا الصُّولىّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا أحمد بن بَشِير[2] أبو طاهر الحَلَبىّ قال حدّثنا مَرْيد الهاشمىّ عن السِّدْرىّ قال:

---

(١) المسح: كساء من شعر كثوب الرهبان.

(٢) فى أ، ء، م «ابن بشر».

سمعت الأصمعيّ يقول : شعرُ أبى العتاهية كَساحة الملوك يقع فيها الجوهرُ والذهب والتراب والخزَف والنّوى .

ملدح يزيد بن منصور لشفاعته فيه لدى المهدى

أخبرنى محمد بن مَزْيد بن أبى الأزهر قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال :

لما حَبس المهدىُّ أبا العتاهية تكلّم فيه يَزيد بن منصور الحِمْيرىّ حتى أطلقه ؛ فقال فيه أبو العتاهية :

ما قلتُ فى فَضلِه شيئًا لأَمدحَه * إلّا وفضلُ يَزيدٍ فوقَ ما قلتُ

ما زِلتُ من رَيب دهرى خائفًا وَجِلًا * فقد كفانِىَ بعد الله ما خِفْتُ

قوته فى ارتجال الشعر

أخبرنى يحيى بن على إجازةً قال حدّثنى علىّ بن مَهْدىّ قال حدّثنى محمد بن يحيى قال حدّثنى عبد الله بن الحسن قال :

جاءنى أبو العتاهية وأنا فى الديوان فجلس إلىّ ، فقلتُ : يا أبا إسحاق ، أمَا يصعُب عليك شىءٌ من الألفاظ فتحتاج فيه الى استعمال الغريب كما يحتاج اليه سائرُ من يقول الشعر، أو إلى ألفاظ مُستكرَهة؟ قال : لا ؛ فقلت [له](1) : إنى لأحسب ذلك من كثرة رُكوبك القوافىَ السَّهْلةَ ؛ قال : فاعْرِضْ علىّ ما شئتَ من القوافى الصعبة؛ فقلت : قل أبياتا على مثل البلاغ ؛ فقال من ساعته :

أىُّ عيشٍ يكون أبلغَ من عيـ * ـشٍ كَفافٍ قُوتٍ بقَدْر البلاغ(2)

صاحبُ البَغْى ليس يسلَمُ منه * وعلى نَفسه بَغى كلُّ باغِى

رُبَّ ذى نِعمة تَعرَّضَ منها * حائلٌ بينه وبين المَساغ

أَبْلَغَ الدهرُ فى مَوَاعظِه بل * زاد فيهنّ لى على الإبلاغ

غَبَنَتنى الأيّامُ عقلى ومالى * وشَبابى وصِحّتى وفَرَاغى

(١) زيادة عن حـ . (٢) البلاغ : الكفاية .

أخبرنا يحيى إجازةً قال حدّثنا علىّ بن مَهْدِىّ قال حدّثنى أبو علىّ اليَقْطِينى قال حدّثنى أبو خَارِجةَ بنُ مسلم قال :

كان مسلم بن الوليد يستخف به فلما أنشده من غزله أكبره

قال مسلم بن الوليد : كنت مُستخِفًّا بشعر أبى العتاهية ، فلقِيَنى يوما فسألنى أن أصير اليه ، فصرت اليه فجاءنى بلَونٍ واحد فأكلناه ، وأحضَرنى تمرا فأكلناه ، وجلسنا نتحدّث ، وأنشدته أشعارًا لى فى الغزل ، وسألته أن يُنْشِدنى ، فأنشدنى قولَه :

١٤٦ / ٣

٥

بالله يا قُـرّةَ العينَيْن زُورِينى * قبل المماتِ وإلا فاَسْتزِيرِينى

إنى لأَعْجَبُ من حُبٍّ يُقرّبنى * ممن يُباعدنى منـه ويُقْصِينى (١)

أمّا الكثير فما أرجوه منكِ ولو * أطمعتِنى فى قليلٍ كان يَكفينى

ثم أنشدنى أيضا :

١٠

رأيتُ الهوى جمرَ الغَضَى غيرَ أنّه * على حَرّه فى صـدر صاحبه حُلْوُ

صـــوت

أَخِلّاى بى شَجْوٌ وليس بكم شَجْوُ * وكلّ امرئٍ عن شَجْو صاحبه خِلْوُ

وما من مُحِبٍّ نال ممن يُحبّـه * هوًى صادقًا إلّا سيدخُله زَهْوُ

بُليتُ وكان المَـزْحُ بدْءَ بَلِيّتى * فأحببتُ حقًّا والبـلاء له بَدْوُ

١٥

وعُلِّقتُ من يزهو علىّ تَجَبُّرًا * وإنّىَ فى كلّ الخصال له كُفْوُ

رأيت الهوى جمرَ الغَضى غيرَ أنّه * على كل حالٍ عنـد صاحبه حُلْوُ

ـــ الغناء لإبراهيم ثقيلٌ أوّل مُطلق فى مَجْرى الوسطى عن إسحاق ، وله فيـه أيضا خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن عمرو . ولعمرو بن بانة رَملٌ بالوسطى من كتابه . ولعَرِيب فيه خفيفُ ثقيلٍ من كتاب ابن المُعتزّ ــ قال مسلم : ثم أنشدنى أبو العتاهية :

٢٠

(١) كذا فى ا ، ى ، م وفى باقى النسخ : « ويعصينى » .

صـــوت

خليلىّ مالى لا تزال مَضَرّتى * تكون على الأَقدار حَتْماً من الحَتْم
يُصاب فؤادى حين أُرْمَى ورَمْيَتى * تعودُ إلى نحرى ويَسْلَمُ من أَرْمِى
صَبَرْتُ ولا والله ما بى جَلَادةٌ * على الصبر لكنّى صبرتُ على رَغْمى
ألَا فى سبيل الله جسمى وقُوّتى * ألا مُسْعِدٌ حتى أنوحَ على جسمى
تُعَدّ عظامى واحدًا بعد واحد * بِمَنْحَى[1] مِنَ العذّال عَظْمًا على عَظم
كفاك بحقّ الله ما قد ظلمتَنى * فهذا مَقام المستجير من الظُّلْم

— الغناء لسِيَاط فى هذه الأبيات، وإيقاعه من خفيف الثّقيل الأوّل بالسّبابة فى مجرى البِنصر عن إسحاق — قال مسلم: فقلت له: لا والله يا أبا إسحاق ما يُبالى من أحسن أن يقول مثل هذا الشّعر ما فاته من الدنيا! فقال: يابن أخى، لا تقولنّ مثل هذا، فإن الشعر أيضا من بعض مَصايد الدنيا.

وفد مع الشعراء على الرشيد ومدحه فلم يجز غيره

أخبرنا يحيى إجازةً قال حدّثنى علىّ بن مهدىّ قال حدّثنى عبد الرحمن بن الفضل قال حدّثنى ابن الأعرابىّ قال:

اجتمعت الشعراء على باب الرشيد، فأذِن لهم فدخلوا وأنشدوا، فأنشد أبو العتاهية:

يا مَنْ تَبَغَّى[2] زمنا صالحا * صلاحُ هارون صلاحُ الزمنْ
كلُّ لسانٍ هو فى مُلكه * بالشكر فى إحسانه مُرْتَهَنْ

قال: فاهتزّ[3] له الرشيد، وقال له: أحسنتَ والله؛ وما خرج فى ذلك اليوم أحدٌ من الشعراء بِصلَةٍ غيرُه.

(١) فى ب، س «بمحنى» بتقديم الحاء على النون وهو تحريف.
(٢) تبغى: تطلب. (٣) فى ب، س: «فأدهش».

قال شعرا فى المشمر فرس الرشيد فأجازه

أخبرنى يحيى بن علىّ إجازةً قال حدّثنا علىّ بن مهدىّ قال حدّثنا عامر بن عِمْران الضّبّىّ قال حدّثنى آبن الأعرابىّ قال :

أَجرى هارونُ الرشيد الخيلَ فجاءه فرس يقال له المُشَمِّر سابقًا ، وكان الرشيد مُعجَبًا بذلك الفرس ، فأمر الشعراءَ أن يقولوا فيه ، فبدَرهم أبو العتاهية فقال :

٥ جاء المشمِّرُ والأفراس يقدُمُها * هَوْنًا على رِسْله[1] منها وما آنْبَهرا

وخلّف الريحَ حَسْرَى[2] وهى جاهدةٌ * ومرّ يختطف الأبصارَ والنظرا

فأجزَل صلته ، وما جَسَر أحد بعد أبى العتاهية أن يقول فيه شيئًا .

رثاؤه صديقه على ابن ثابت

أخبرنى يحيى إجازةً قال حدّثنى الفضل بن عبّاس بن عُقبة بن جعفر قال :

كان علىّ بن ثابت صديقًا لأبى العتاهية وبينهما مُجاوبات كثيرة فى الزهد

١٠ والحكمة ، فتوفّى علىّ بن ثابت قبله ، فقال يرثيه :

مُؤْنِسٌ كان لى هَلَكْ * والسبيلُ التى سَلَكْ

يا علىَّ بنَ ثابتٍ * غَفَر الله لى ولَكْ

كلُّ حىٍّ مُمَلَّكٍ * سوف يَفْنَى وما مَلَكْ

قال الفضل[3] : وحضر أبو العتاهية علىَّ بن ثابت وهو يجود بنفسه فلم يزل مُلتزِمه

١٥ حتى فاض[4] ، فلما شُدّ لَحْياه بكى طويلا ، ثم أنشد يقول :

يا شريكى فى الخير قرّبك الله * ـهُ فنعم الشريكُ فى الخير كُنتا

قد لعَمْرى حكَيْتَ لى غُصَصَ المو * ت فحرّكتنى لها وسَكَنْتا

---

(١) على رسله : على تؤدته وهينته ، ومثله الهون (بالفتح) . (٢) حسرى : كالة معيبة .

(٣) فى ب ، سـ : «أبو الفضل» وهو تحريف . (٤) فى م : «فاظ» وكلاهما بمعنى مات.

قال : ولمـا دُفن وقف على قبره يبكى طويلا أحرّ بكاء، و يردّد هذه الأبياتَ :

ألَا من لى بأُنْسِـك يا أُخَيّـا * ومن لى أن أبُثَّـك ما لديّا

طَوتْكَ خُطوبُ دهرِك بعدَنَشْرٍ * كذاكَ خُطـو به نَشْرًا وطيّـا

فلو نَشَرتْ قُـواكَ لىَ المنـايا * شكوتُ إليـك ما صنعتْ إليّا

بكيتُك يا عـلىُّ بدمع عَيـنى * فمـا أغنى البكاءُ عليـك[1] شَيّا

وكانت فى حيـاتك لى عِظاتٌ * وأنت اليـومَ أوعظُ منك حيّا

اشتمال مرثيته فى على بن ثابت على أقوال الفلاسفة فى موت الاسكندر

قال علىّ بن الحسين مؤلّف هذا الكتاب : هذه المعانى أخذها كلَّها أبو العتاهية من كلام الفلاسفة لمـا حضروا تابوت الإسكندر، وقد أُخرج الإسكندر ليُدفن: قال بعضهم : كان الملك أمسِ أهيبَ منه اليومَ ، وهو اليوم أوعظُ منـه أمسِ . وقال آخر : سَكَنتْ حركةُ الملك فى لذّاته، وقد حرّكنا اليوم فى سكونه جزعًا لفقده . وهذان المعنيان هما اللذان ذكرهما أبو العتاهية فى هذه الأشعار .

ساله جعفر بن الحسين عن أشعر الناس فأنشده من شعره

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنى جعفر ابن الحسين المُهلّبىّ قال :

لقِينا أبو العتاهية فقلنا له: يا أبا إسحاق، من أشعرُ الناس؟ قال: الذى يقول :

اَللهُ أنجحُ ما طلبتَ به * والبِرُّ خيرُ حَقيبة الرَّحْلِ[2]

فقلت : أنشدنى شيئًا من شعرك، فأنشدنى :

ياصاحبَ الروح ذى الأنفاسِ فى البدَنْ[3] * بين النهـار و بين الليـل مُرْتَهَنِ

لقلّمـا يتخطّـاك اختـلافُهما * حتى يُفَرّق بين الرُّوح والبـدنِ

---

(١) فى أ ، م ، ء : «على» .

(٢) فى ب ، ء : « الرجل » بالجيم المعجمة . (٣) كذا فى ديوانه وفى جميع الأصول : « والأنفاس والبدن » .

لَتَجْـذِبَنِّى(١) يدُ الدنيـا بقـوّتها * إلى المنـايا وإن نازعتُها رَسَـنى

لله دُنيـا أناسٍ دائبين لهـا * قد اْرتَعوْا فى رياض الغىّ والفِتَنِ(٢)

كسائماتٍ رِتاعٍ(٣) تبتـغى سِمَنًـا * وحَتْفُهـا لو دَرَتْ فى ذلك السِّمَنِ

قال : فكتبتها ، ثم قلت له : أنشدنى شيئا من شعرك فى الغزل، فقال : يابن أخى إن الغزل يُسرِع إلى مثلك؛ فقلت له : أرجو عصمةَ الله جلّ وعزّ؛ فأنشدنى :

كأنها من حُسنها دُرّةٌ * أخرجها اليَمُّ إلى الساحلِ

كأن فى فيها وفى طَرْفهـا * سـواحرًا أقبلْنَ من بابلِ

لم يُبق مِـنّى حبُّها ما خلا * حُشَاشَـةً فى بَدَنٍ ناحلِ

يا من رأى قبلى قتيلًا بكَى * من شدّة الوَجْد على القاتلِ

فقلت له : يا أبا إسحاق، هذا قولُ صاحبنا جَميل :

خليلىَّ فيما عِشتُما هـل رأيتما * قتيلًا بكى من حبّ قاتِله قبلى

فقال : هو ذاك يابن أخى وتبسّم .

شعره فى التحسر على الشباب

أخبرنى محمد بن القاسم الأنبارىّ قال حدّثنى أبى قال حدّثنى أبو عِكْرِمة عن شيخ له من أهل الكوفة قال :

دخلتُ مسجدَ المدينة ببغداد بعد أن بُويع الأمينُ محمدٌ بسنةٍ ، فإذا شيخٌ عليه جماعة وهو يُنشد :

---

(١) كذا فى الديوان، وفى الأصول : « لتجذبن به الدنيا ... » . (٢) ورد هذا البيت فى الديوان هكذا :

لله درّ أناس عمّـرت بهم * حتى رعوا فى رياض الغىّ والفتن

(٣) رتاع : جمع راتعة وفى الديوان : « رواع » جمع راعية وهما بمعنى .

لَهْفى على وَرَقِ الشّبابِ * وغصونه الخُضْر الرِّطابِ
ذهب الشبابُ وبان عنّى غيرَ مُنْتَظَرِ الإياب
فلأَبْكِيَنّ على الشبا * ب وطِيبِ أيّام التّصابى
ولأَبْكِيَنّ من البِلَى * ولأبكينّ من الخضاب
إنّى لآمُلُ أن أُخَلَّدَ والمنيّةُ فى طِلابى ٥

قال : فجعل يُنشدها وإنّ دموعَه لتَسيل على خدّيه ؛ فلما رأيت ذلك لم أصبر أنْ مِلتُ فكتبتُها، وسألت عن الشيخ فقيل لى : هو أبو العتاهية .

كان ابن الأعرابى يعيب شعره

أخبرنى محمد بن عِمْران الصَّيْرفىّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزىّ قال حدّثنى أبو العباس محمد بن أحمد قال :

١٠ كان ابن الأعرابىّ يَعيب أبا العتاهية ويَثْلُبه، فأنشدته :

كم من سفيهٍ غاظَنى سَفَهاً * فشَفَيتُ نفسى منه بالحِلْمِ
وكفيتُ نفسى ظلمَ عاديتى * ومنحتُ صفوَ مودّتى سِلْمى[1]
ولقد رُزِقتُ لظالمى غِلَظاً * ورحمتُه إذ لجّ فى ظُلْمى

أحب شعره اليه

١٤٩/٣ أخبرنى محمد بن عِمْران قال حدّثنى العَنَزىّ قال حدّثنى محمد بن إسحاق قال ١٥ حدّثنى محمد بن أحمد الأَزْدىّ قال :

قال لى أبو العتاهية : لم أقل شيئاً قطُّ أحبَّ إلىّ من هذين البيتين [فى][2] معناهما :

ليت شعرى فإنّنى لستُ أدرى * أىَّ يومٍ يكون آخرَ عُمْرى
وبأىّ البلادِ[3] يُقبَض رُوحى * وبأىّ البِقاعِ يُحفَر قبرى

---

(١) سلمى : مسالمى ، يقال : فلان سلم لفلان ، وحرب له اذا كان بينهما سلام أو حرب .

٢٠ (٢) التكملة عن نسخة أ . (٣) فى ب ، س : « البلاد » .

راهن فى أوّل أمره جماعة على قول الشعر فغلبهم

أخبرنى محمد بن العبّاس اليَزيدىّ قال حدّثنى محمد بن الفضل قال حدّثنا محمد ابن عبد الجَبّار الفَزَارىّ قال :

اجتاز أبو العتاهية فى أوّل أمره وعلى ظهره قفصٌ فيه فَخّار يدور به فى الكوفة ويَبيع منه ، فمرّ بفتيان جلوس يتذاكرون الشعرَ ويتناشدونه ، فسلّم ووضع القفص عن ظهره ، ثم قال : يا فتيانُ أراكم تَذَاكرون الشعرَ ، فأقول شيئًا منه فتُجيزونه ، فإن فعلتم فلكم عشرةُ دراهم ، وإن لم تفعلوا فعليكم عشرة دراهم ؛ فهزِئوا منه وسَخِروا به وقالوا : نعم ؛ قال : لا بدّ أن يُشترى بأحد القِمارين(1) رُطَب يُؤكل فإنه قِمار(1) حاصل ، وجعل رَهْنَه تحت يد أحدهم ، ففعلوا ؛ فقال : أجيزوا :

* ساكِنى الأجداثِ أنتمْ *

وجعل بينه وبينهم وقتًا فى ذلك الموضع إذا بلغته الشمسُ ولم يُجيزوا البيتَ غُرِّموا الخَطَر(2) ؛ وجعل يهزأ بهم وتَمّمه :

... ... * مثلَنا بالأمس كُنتمْ

ليت شعرى ما صنعتم * أرَبِحتم أم خَسِرتمْ

وهى قصيدة طويلة فى شعره .

هجاه أبو حبش وذم شعره

أخبرنى عمّى قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى محمد بن عبد الله عن أبى خَيْثم العنَزىّ قال :

لما حَبس الرشيدُ أبا العتاهية وحلَف ألّا يُطلِقَه أو يقولَ شعرًا ، قال لى أبو حَبش : أَسمعتَ بأعجبَ من هذا الأمر ؛ تقول الشعراء الشعرَ الجيّد النادر فلا يُسمع منهم ! ويقول هذا المُخنّث المُفكّك تلك الأشعارَ بالشفاعة ! ثم أنشدنى :

(1) فى ب ، س ، حـ : « القمرين ... قمر » . (2) الخطر : الرهان .

أبا إسحاقَ راجعتَ الجماعَهْ * وعُدتَ إلى القوافى والصِّناعَهْ
وكنتَ بجامحٍ(١) فى الغىّ عاصٍ * وأنت اليومَ ذو سمعٍ وطاعَهْ
فخُرَّ الحزّ مما كنتَ تُكْسَى * ودَع عنك التقشّفَ والبَشاعَهْ
وشَبِّب بالتى تهوَى وخَبِّر * بأنك ميّت فى كلّ ساعَهْ
كسَدنا ما نُراد وإن أَجدنا * وأنت تقول شعرك بالشّفاعَهْ ٥

خرج مع المهدى فى الصيد وقد أمره بهجوه فقال شعرا

أخبرنى أحمد بن العبّاس العَسْكرى قال حدّثنا العَنَزى قال حدّثنا محمد بن عبد الله قال حدّثنى أبو خَيْثم العَنَزى، وكان صديقًا لأبى العتاهية، قال حدّثنى أبو العتاهية قال:

أخرجنى المهدى معه الى الصيد فوقعنا منه على شىء كثير، فتفرّق أصحابُه فى طلبه وأخذ هو فى طريق غيرِ طريقهم فلم يلتقُوا(٢)، وعرَض لنا وادٍ جرّارٌ وتغيّمت السماءُ وبدأت تُمطر فتحيّرنا، وأَشرفْنا على الوادى فاذا فيه ملّاح يُعبِّر النّاسَ، فلجأنا ١٠ إليه فسألناه عن الطريق، فجعل يُضعّف رأيَنا ويُعجّزنا فى بَذْلنا أنفسَنا فى ذلك الغيم للصيد حتى أبعدَنا، ثم أدخلَنا كُوخًا له، وكاد المهدى يموت بردًا، فقال له: أُغطّيك بجُبّتى هذه الصوف؟ فقال: نعم، فغطّاه بها، فتماسك قليلًا ونام، فافتقده غِلمانُه وتبِعوا أثرَه حتى جاءونا، فلمّا رأى الملّاح كثرتَهم علم أنه الخليفةُ فهرَب، ١٥ وتبادر الغِلمان فنَحَّوُا الجبّةَ عنه وألقَوْا عليه الخَزّ والوَشْىَ، فلما انتبه قال لى: وَيْحك! ما فعل الملّاح؟ فقد والله وَجَب حقُّه علينا، فقلت: هرَب والله خوفًا من قُبح ما خاطبنا به، قال: إنّا لله! والله لقد أردتُ أن أُغنيه، وبأىّ شىء

١٥٠ / ٣

(١) فى الأصول: «بجامع» ولا يستقيم بها الكلام فآثرنا ما أثبتناه.
(٢) فى ب، سـ: «فلم يلتفتوا». ٢٠

خاطَبنا ! نحن والله مُستحقّون لأقبحَ ممـا خاطبنا به ! بحياتى عليكَ إلّا ما هجوتَنى ؛ فقلت : يا أميرَ المؤمنين ، كيف تَطيب نفسى بأن أهجـوَك ! قال : والله لَتَفْعَلَنّ، فإنى ضعيفُ الرأى مُغرَمٌ بالصّيد؛ فقلت :

يا لابسَ الوشْيِ عـلى ثوبه * ما أقبحَ الأَشْـيبَ فى الرّاحِ

فقال : زِدْنى بحياتى؛ فقلت :

لو شئتَ أيضًا جُلْتَ فى خَامةٍ[1] * وفى وِشاحَيْنِ وأَوْضَاحِ[2]

فقال : وَيْلَك ! هذا معنى سَـوْء يَرْوِيه عنك النـاسُ ، وأنا أستاهل ؛ زِدْنى شيئًا آخر ؛ فقلت : أخاف أن تغضَب؛ قال : لا والله؛ فقلت :

كم من عظيمِ القَدْرِ فى نفسه * قـد نام فى جُبّـة مَلّاحِ

فقال : معنى سَوْء عليك لعنةُ الله ! وقمنا وركبنا وآنصرفنا .

وقـع فى عسكر المأمون ورقة فيها شعره فوصله

أخبرنى على بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد قال حدّثنا جماعة من كُتّاب الحسن بن سهل قالوا :

وقعت رقعةٌ فيها بَيْتا شعرٍ فى عسكر المأمون؛ فجىء بها الى مُجَاشِع بن مَسْعَدة ، فقال : هـذا كلام أبى العتاهية وهو صـديق وليست المخاطبـة لى ولكنّها للأمير الفضلِ بن سهل . فذهبوا بها فقرأها وقال : ما أعرف هذه العلامةَ، فبلغ المأمونَ خبرُها فقال : هذه إلىّ وأنا أعرف العلامة . والبيتان :

---

(١) الخام : ثوب من القطن لم يغسل .

(٢) الأوضاح : حلىٌ من فضة أو الخلاخيل .

صــــوت

ما على ذا كنّا افترقنا بِسَنْدا(١) * نَ وما هكذا عَهِدْنا الإخاءَ

تَضرِبُ الناسَ بالمُهَنَّدة البيـ * ـضِ على غَدْرِهم وتَنسى الوفاءَ

قال : فبعث إليه المأمون بمالٍ .

فى هذين البيتين لأبى عيسى بن المتوكّل رَمَلٌ من رواية ابن المُعتزّ . ٥

استبطأ عادة ابن يقطين فقال شعرا فصيلها له

قال : وكان علىّ بن يَقْطين صديقا لأبى العتاهيـة وكان يَبَرّه فى كل سـنة ببِرّ واسع ، فأبطأ عليه بالبِرّ فى سنة من السنين ، وكان إذا لقِيَه أبو العتاهية أو دخل عليه يُسَرّ به و يرفع مجلسَـه ولا يَزيده على ذلك ؛ فلقيـه ذاتَ يوم وهو يريد دارَ الخليفة ، فاستوقفه فوقف له ، فأنشده :

حتى متى ليت شعرى يابنَ يَقْطين * أُثنى عليك بمـا لا منـك تُولِينى ١٠

إنّ السّـلام وإنّ البِشرَ من رجل * فى مثل ما أنت فيـه ليس يَكْفِينى

هذا زمانٌ ألحّ الناسُ فيـه على * تِيـه الملوك وأخلاقِ المساكينِ

أمَا علمتَ جزاك الله صالحـةً * وزادك اللهُ فضـلا يابنَ يَقْطين ١٥١/٣

أنى أُريدك للدنيـا وعاجلها * ولا أُريدك يـومَ الدّين للدين

فقـال علىّ بن يَقْطين : لستُ والله أبرح ولا تَبرح من موضعنا هـذا إلا راضيًا ، ١٥ وأمر له بمـا كان يبعث به إليه فى كل سنة ، فحُمل من وقته وعلىٌّ واقفٌ إلى أن تَسـلّمه .

---

(١) سندان : مدينة ملاصقة للسند .

نظم شعرا فى الحبس فلما سمعه الرشيد بكى وأطلقه

وأخبرنى محمد بن جعفر النحوىّ صِهْرُ المبرّد قال حدّثنا محمد بن يزيد قال : بلغنى من غير وجه : أنّ الرشيد لمّا ضرب أبا العتاهية وحبَسه ، وَكَّل به صاحبَ خَبَرٍ يكتب إليه بكل ما يسمعه، فكتب إليه أنه سمعه يُنشد :

أمَا واللهِ إنّ الظلمَ لُومُ * وما زال المُسِيء هو الظَّلومُ

إلى دَيَّان يومِ الدين نَمْضى * وعند الله تجتمع الخصومُ

قال : فبكى الرشيد، وأمر بإحضار أبى العتاهية وإطلاقه، وأمر له بألفَى دينار .

رماه منصور بن عمار بالزندقة وشنع عليه فاحتقره العامة

أخبرنى محمد بن جعفر قال حدّثنى محمد بن موسى عن أحمد بن حُرَيْث عن محمد بن أبى العتاهية قال :

لمّا قال أبى فى عُتْبة[1] :

كأنّ عُتّابةَ من حُسنها * دُميةُ قَسٍّ فَتنتْ قَسَّهَا

يا رَبِّ لو أَنْسَيْتَنِيها بما * فى جَنَّة الفِرْدوس لم أَنْسَها

شَنَّع عليه منصور بن عمّار بالزندقة وقال : يتهاون بالجنة ويَبتذل ذِكْرَها فى شعره بمثل هذا التهاونِ ! وشنّع عليه أيضا بقوله :

إنّ المليكَ رآكِ أحـ * ـسنَ خَلْقِه ورأى جمالَكْ

فحذا بقُدْرةِ نفسه * حُورَ الجنان على مثالِكْ

وقال : أَيُصَوِّر الحورَ على مثال امرأة آدميّة ! واللهُ لا يحتاج الى مثال ! وأوقع له هذا على أَلْسِنة العامّة ؛ فلَقِى منهم بلاءً .

ساله الباذغيسى عن أحسن شعره فأجابه

حدّثنى هاشم بن محمد الخُزَاعىّ قال حدّثنا خَليل بن أَسَد قال حدّثنى أبو سَلَمة البَاذَغِيسى قال :

(١) هى عتبة جارية المهدى وقد اشتهر بحبته لها وأكثر من تشبيبه فيها .

قلت لأبى العتاهية : فى أىّ شعر أنت أشعرُ؟ قال : قولى :

النَّاس فى غَفَلاتِهِـمْ * ورحا المنيّـةِ تَطْحَنُ

أنشد المأمون شعره فى الموت فوصله

أخبرنى محمد بن عِمْران الصَّيْرفىّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزىّ قال حدّثنى يَحيى بن عبد الله القُرَشىّ قال حدّثنى المُعَلَّى بن أيّوب قال :

دخلتُ على المأمون يوما وهو مُقْبِل على شيخ حَسَن اللحيةِ خَضيب شديد بياض الثياب على رأسه لاطِئةٌ(1)، فقلت للحسن بن أبى سعيد — قال : وهو ابن خالة المُعَلّى بن أيوب، وكان الحسن كاتبَ المأمون على العامّة — : من هذا ؟ فقال : أمَا تعرفه؟ فقلت : لو عرفتُه ما سألتُك عنه، فقال : هذا أبو العتاهية، فسمعت المأمونَ يقول له : أنشِدْنى أحسنَ ما قلتَ فى الموت، فأنشده :

أَنسـاك مَحْيَاك المَماتَا * فطَلَبْتَ فى الدنيا الثَّباتَا

أَوَثِقتَ بالدنيـا وأنـ * ـتَ ترى جَماعتَها شَتاتَا

وعزَمتَ منك على الحيا * ةِ وطولِهـا عَزْما بَتاتا

يا من رأى أبَـوَيْه فيـ * ـمن قد رأى كانا فـاتا

هـل فيهمـا لك عِبْرة * أم خِلْتَ أنّ لك انْفِلاتا

ومَن الذى طَلب التَّفَلُّـ * ـتَ من منيّتـه ففاتا

كُلٌّ تُصَبِّحه المنـ * ـيّةُ أو تُبَيِّتـه بَيـاتا

قال : فلما نهضَ تبِعتُه فقبضت عليه فى الصَّحن، أو فى الدِّهْليز، فكتبتها عنه .

نسختُ من كتاب هارون بن علىّ بن يحيى : قال حدّثنى علىّ بن مَهْـدىّ قال حدّثنى الجاحظ عن ثُمَـامة قال :

(1) اللاطئة : قلنسوة صغيرة تلطأ بالرأس .

دخل أبو العتاهية على المأمون فأنشده :

ما أحسنَ الدنيا وإقبالَها * اذا أَطاع اللهَ مَنْ نالَها
مَنْ لم يُواسِ الناسَ من فضلها * عَرّض للإدبار إقبالَها

فقال له المأمون : ما أجود البيتَ الأوّل، فأما الثانى فما صنعت فيه شيئا، الدنيا تُدبِر عمن واسَى منها أو ضنّ بها، وإنما يُوجِب السماحةَ بها الأجرُ، والضنُّ بها الوِزرُ ؛ فقال: صدقتَ يا أمير المؤمنين ، أهلُ الفضلِ أَوْلى بالفضل، وأهلُ النقصِ أولى بالنقص؛ فقال المأمون : ادفع إليه عشرةَ آلاف درهم لاعترافه بالحق ، فلما كان بعد أيام عاد فأنشده :

كم غافلٍ أَوْدَى به الموتُ * لم يأخذ الأُهبةَ للفَوْتِ
من لم تَزُلْ نعمتُه قبلَه * زال(١) عن النعمة بالموتِ

فقال له : أحسنتَ ! الآن طَيَّبْت المعنى؛ وأمر له بعشرين ألف درهم .

تأخرت عنه عادة المأمون سنة فقال شعرا فأعجلها له

أخبرنى أحمد بن العبّاس العَسْكرى قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزى قال حدّثنى ابنُ سِنَان(٢) العِجْلى عن الحسن بن عائذ قال :

كان أبو العتاهية يَحُجّ فى كل سنة ، فإذا قدم أَهْدى الى المأمون بُرُدًا ومطْرفًا ونعلا سوداء ومَساويكَ أَرَاكٍ فيبعَث اليه بعشرين ألف درهم [وكان](٣) يُوصّل الهديّة من جهته مِنْجابُ مولى المأمون ويَجيئه بالمال ؛ فأَهدى مرّةً له كما كان يُهدِى كلَّ سنة إذا قدِم، فلم يُثِبْه ولا بعث اليه بالوظيفة، فكتب اليه أبو العتاهية :

(١) كذا فى ديوانه، وفى الأصول : «تذعر النعمة بالموت» .
(٢) فى ا ، ء ، م : «أبو سنان» ولم نقف على ما يرجح إحدى الروايتين .
(٣) هذه الكلمة ساقطة من ب ، س ، حـ .

خَبَّرونى أنّ من ضَرْبِ السَّنَهْ * جُدُدًا بِيضا وصُفْرًا حسَــنَهْ

أُحْـدِثتْ لكنّنى لم أَرها * مِثْلَ ما كنتُ أرى كلَّ سنهْ

فأمر المأمون بحمل العشرين ألف دِرهم، وقال : أَغفلْناه حتى ذَكّرنا .

كان الهادى واجدا عليه فلما تولى استعطفه

حدّثنا محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنا المُغيرة بن محمد المُهلَّبىّ قال حدّثنا الزُّبَير ابن بَكّار قال أخبرنى عُرْوة بن يوسف الثَّقفىّ قال :

لمّـا وَلِى الهادى الخلافةَ كان واجدًا على أبى العتاهية لمُلازمته أخاه هارونَ وٱنقطاعِه اليه وتَرْكِه موسى، وكان أيضا قد أُمِر أن يخرُج معه الى الرَّىّ فأبى ذلك، فخافه وقال يَستعطفه :

أَلَا شَافِعٌ عنــد الخليفة يشفَع * فيــدفَع عنّــا شرَّ ما يَتَــوَقَّعُ

وإنى على عُظم ارْجاء لخائفٌ * كأنّ على رأسى الأسنّةَ تُشْرَعُ

يُروِّعنى موسى على غير عَثْرةٍ * ومالىَ أَرى(1) موسى من العفوِ أَوْسعُ

وما آمِنٌ يُمسِى ويُصبح عائذًا * بعفو أمير المؤمنين يُرَوَّعُ

مدح الهادى فأمر خازنه بإعطائه فطله فقال شعرا فى ابن عقال فعجلها له

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى على بن الصَّبَّاح قال حدّثنى محمد بن أبى العتاهية قال: دخل أبى على الهادى فأَنْشده :

يا أمينَ اللهِ مالى * لستُ أدرى اليومَ مالِى

لم أَنَلْ منك الذى قد * نال غيرى من نَوالِ

تَبــذُل الحق وتعطى * عن يمينٍ وشِمــالِ

وأنا البــائسُ لا تَنــ * ـظُر فى رِقَّــةِ حالى

(1) كذا فى جميع النسخ والديوان ولعله : « لدى » .

قال: فأمر المُعَلَّى الخازنَ أن يُعْطِيَه عشرة آلاف درهم. قال أبو العتاهية: فأتيته فأبى أن يُعطيَها، وذلك أنّ الهادى آمتحننى فى شىءٍ من الشعر، وكان مَهِيبًا، فكنت أخافه فلم يُطعنى طَبْعى، فأمر لى بهذا المال، فخرجتُ فلما مَنعنِيه المُعَلَّى صرت الى أبى الوليد أحمد بن عقال، وكان يُجالس الهادى، فقلت له:

٥ أَبلغ سَلِمتَ أبا الوليدِ سَلامى * عنى أميرَ المؤمنين إمامى

واذا فرَغتَ من السّلامِ فقل له * قد كان ما شاهدتَ من إلجامى

واذا حَصِرتُ[1] فليس ذاك بمُبْطِلٍ * ما قد مَضَى من حُرْمتى وذِمامى

ولطالما وَفَدتْ اليك مدائحى * مخطوطةً قَلْباتٍ[2] كلّ مَلامِ

أيام لى لَسَنٌ ورِقّةُ جِدّةٍ * والمرءُ قد يَبْلَى مع الأيّامِ

١٠ قال: فآستخرج لى آلدراهمَ وأنفذها الىّ[3].

كان الهادى واجدا عليه فلما تولى استعطفه ومدحه فأجازه

حدّثنى الصولىّ ومحمد بن عمران الصيرفىّ قالا حدّثنا العَنَزىّ قال حدّثنا محمد ابن أحمد بن سليمان قال:

وُلِد للهادى ولدٌ فى أوّل يوم وَلِى الخلافةَ، فدخل أبو العتاهية فأنشده:

أكثرَ موسى غيظَ حُسّادِه * وزَيّن الأرضَ بأولادِه

١٥ وجاءنا من صُلْبه سيّدٌ * أَصْيدُ فى تقطيع أجدادِه

فآكتستِ الأرضُ به بهجةً * وآستبشر الملكُ بميلادِه

وآبتسم المِنْبرُ عن فَرْحةٍ * علتْ بها ذِرْوةُ أعوادِه

(١) الحصر: العىّ فى المنطق. (٢) فى ا، ء، م: «فلتأب». (٣) كذا فى حـ، وفى باقى الأصول: «فاستخرج الىّ».

كأنى بعـد قليـل به * بين مواليـه وقـوّاده
فى محفـل تخفـق راياته * قد طبّق الأرض بأجناده

قال : فأمر له موسى بألف دينار وطيب كثير، وكان ساخطًا عليه فرضى عنه .

حضـور غضب المهـدى على أبى عبيد الله وترضاه عنه بشعر فرضى عنه

أخبرنى يحيى بن على بن يحيى إجازةً قال حدّثنى على بن مَهْدىّ قال حدّثنى علىّ ابن يزيد الخَزْرجىّ الشاعر عن يحيى بن الرَّبيع قال :

دخل أبو عُبَيـد الله على المهدىّ ، وكان قد وجد عليه فى أمر بلغه عنه، وأبو العتاهية حاضرُ المجلسَ، فجعل المهدىّ يشتُم أبا عُبيد الله و يتغيّظ عليه، ثم أمر به فجُرّ برجله وحُبِس؛ ثم أطرق المهدىّ طو يلًا؛ فلما سكن أنشده أبو العتاهية :

أرى الدنيا لمن هى فى يدَيْه * عذابًا كلما كَثُرتْ لدَيْه
تُهين المُكرِمين لهـا بصُغْرٍ[1] * وتُكرِم كلَّ من هانتْ عليـه
إذا آستغنيتَ عن شىءٍ فدَعْهُ * وخُـذ ما أنت محتاجٌ اليـه

فتبسّم المهـدىّ وقال لأبى العتاهية : أحسنتَ ! فقام أبو العتاهيـة ثم قال : والله يا أميرَ المؤمنين، ما رأيتُ أحدا أشدَّ إكرامًا للدّنيا ولا أصْونَ لها ولا أشحَّ عليها من هذا الذى جُرّ برجله الساعةَ، ولقد دخلتُ الى أمير المؤمنين ودخل هو وهو أعزّ الناس، فما برِحتُ حتى رأيتُه أذلَّ الناس، ولو رضِى من الدنيا بما يكفيه لآستوت أحوالُه ولم تتفاوت؛ فتبسّم المهـدىّ ودعا بأبى عُبيد الله فرضِى عنـه؛ فكان أبو عُبيد الله يشكر ذلك لأبى العتاهية .

مدح شعره إسحاق ابن حفص

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَهْ قال حدّثنى محمد ابن الحسن قال حدّثنى إسحاق بن حَفْص قال :

(١) الصغر : الضيم والذل .

أنشدنى هارون بن مُخَلَّد الرازىّ لأبى العتاهية :

ما إن يَطيب لذى الرِّعاية للـ * أيّام لا لعبٌ ولا لهــوُ (١)

إذ كان يَطْرب فى مَسرّته * فيموت من أجزائه جُزْءُ (٢)

فقلت : ما أحسنهما ! فقال : أهكذا تقول ! والله لها روحانيّان يطيران بين السماء والأرض .

فضله ابن مناذر على جميع المحدثين

أخبرنى محمد بن القاسم الأنبارىّ قال حدّثنى أبى عن آبن عِكْرمة عن مسعود ابن بِشر المازنىّ قال :

لقيت آبنَ مُناذِر بمكة فقلت له : مَنْ أشعرُ أهل الإسلام ؟ فقال : أترى من إذا شئت هزَل و إذا شئت جدّ؟ قلت : من؟ قال : مثلُ جَرير حين يقول فى النَّسيب :

إنّ الذين غَدَوا بلُبّك غادروا * وَشَــلًا بعينك ما يَزال مَعِينَا

غَيّضْنَ من عَبَراتهنّ وقُلْن لى * ما ذا لقِيتَ من الهـوى ولقِينا

ثم قال حين جدّ :

إنّ الذى حَرَم المكارِم تَغلِبًا * جعــل النُّبوّةَ والخـلافةَ فينا

مُضرٌ أبى وأبو الملوك فهل لكم * يا آل تَغلِبَ من أبٍ كأبينا

هذا آبنُ عمّى فى دِمشق خليفةٌ * لــو شئتُ ساقكمُ إلىّ قَطِينا (٣)

ومن المحدثين هذا الخبيثُ الذى يتناول شعرَه من كُمّه ؛ فقلت : من؟ قال : أبو العتاهية ؛ قلت : فى ما ذا ؟ قال : قوله :

---

(١) فى س ، ب : «الوعاية» بالواو وهو تحريف . (٢) فى ديوانه (ص ٢٩٨) : "يسرف" . (٣) القطين : الخدم والأتباع .

اللهُ بينى وبين مَوْلاتى * أبْدَتْ لِىَ الصَّدَّ والمَلالاتِ
لا تغفِرُ الذنبَ إن أسأتُ ولا * تقبَلُ عذرى ولا مُواتاتى
منحتُها مُهجتى وخالصتى * فكان هِجرانُها مكافاتى
أَقلقَنى حبُّها وصيَّرنى * أُحدوثةً فى جميع جاراتى

٥ ثم قال حين جدّ :

ومَهْمَهٍ[1] قد قطعتُ طَامِسه[2] * قَفْرٍ على الهَوْل والمُحاماةِ
بحُرّةٍ[3] جَسْرةٍ عُذافِرةٍ * خَوصاءَ عَيرانةٍ عَلَنْداةِ
تُبادر الشمسَ كلما طلعت * بالسَّير تَبغى بذاك مَرْضاتى
يا ناقُ خُبّى بنا ولا تَعدِى * نفسَك مما تَرَيْنَ راحاتِ
١٠ حتى تُنَاخى بنا الى ملكٍ * تَوَّجه اللهُ بالمَهَاباتِ
عليه تاجان فوق مَفْرِقه * تاجُ جلالٍ وتاجُ إخْباتِ[4]
يقول للريح كلّما عصَفتْ * هل لكِ ياريحُ فى مُباراتى
مَنْ مثلُ مَنْ عمُّه الرسولُ ومَنْ * أخوالُه أكرمُ الخُؤولاتِ

١٥٥ / ٣

عبر إسحاق بن عزيز قبوله المال عوضا عن عبادة معشوقته

أخبرنى وَكيع قال : قال الزُّبير بن بَكّار حدّثنى أبو غَزِيّة ، وكان قاضياً على
١٥ المدينة ، قال : كان إسحاق بن عُزَيز يتعشّق عَبّادة جارية المُهَلَّبيّة ، وكانت المهلبيّة
مُنقطعةً الى الخَيْزُران ، فركب إسحاق يوما ومعه عبد الله بن مُصْعَب يُريدان المهدىّ ،
فلقيا عَبّادة ، فقال إسحاق : يا أبا بكر ، هذه عبّادة ، وحرّك دابّته حتى سبقها فنظر اليها ،

---

(١) المهمه : المفازة البعيدة . (٢) الطامس : البعيد . (٣) الحرة : الناقة العتيقة الأصيلة . والجسرة : العظيمة من الإبل وغيرها . والعذافرة : العظيمة الشديدة من الإبل . والخوصاء :
٢٠ وصف من الخوص وهو ضيق العين وصغرها وغؤورها . والعيرانة من الإبل : التى تشبه بالعير فى سرعتها ونشاطها . والعلنداة : الناقة الضخمة الطويلة . (٤) الاخبات : الخضوع .

فجعل عبد الله بن مُصعب يتعجّب من فعله؛ ومضيا فدخلا على المهدىّ، فحدّثه عبد الله بن مصعب بحديث إسحاق وما فعل؛ فقال: أنا أشتريها لك يا إسحاق؛ ودخل على الخَيْزُران فدعا بالمهلّبية فحضرت، فأعطاها بعبادة خمسين ألف درهم؛ فقالت له: يا أمير المؤمنين، إن كنتَ تُريدها لنفسك فبها فداك الله، وهى لك؛ فقال: إنما أُريدها لإسحاق بن عُزَيز؛ فبكت وقالت: أتؤثر علىّ إسحاق بن عُزَيز وهى يَدِى ورجلى ولسانى فى جميع حوائجى! فقالت لها الخيزُران عند ذلك: ما يُبكيكِ؟ والله لا وَصَلَ إليها ٱبنُ عُزَيز أبدا، صار يتعشّق جوارىَ الناس! فخرج المهدىّ فأخبر ٱبنَ عُزَيز بما جرى وقال له: الخمسون ألف درهم لك مكانَها، وأمر له بها، فأخذها عن عبّادة. فقال أبو العتاهية يُعيّره بذلك:

مَنْ صَدَقَ الحبَّ لأَحبابه * فإنّ حُبّ ٱبن عُزَيزٍ غُرورْ
أنساه عبّادةَ ذاتَ الهوى * وأَذهب الحبَّ الذى فى الضميرْ
خمسون ألفا كلُّها راجح * حُسنًا لها فى كل كِيسٍ صَريرْ

وقال أبو العتاهية فى ذلك أيضا:

حُبُّك للمال لا كحُبّك عبّـ * ـادة يا فاضحَ المُحبّينا
لو كنتَ أَصفيتَها الوِدادَ كما * قُلتَ لما بِعتَها بخمسينا

وجعته عينه فقال شعرا

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى جَبَلة بن محمد قال حدّثنى أبى قال:
رأيت أبا العتاهية بعد ما تخلّص من حَبْس المهدىّ وهو يلزم طبيبًا على بابنا ليكحَل عينه، فقيل له: قد طال وَجَعُ عينك؛ فأنشأ يقول:

صــــوت

أيا وَيْحَ نفسى وَيْحَهـا ثم وَيْحَهـا * أمَا من خَلاصٍ من شِباك الحبائِل
أيا ويحَ عينى قد أضرّ بهـا البُكا * فلم يُغنِ عنهـا طِبٌّ ما فى المكاحل

فى هذين البيتين لإبراهيم الموصلىّ لحنٌ من الثقيل الأوّل .

١٥٦ / ٣

كان الهادى واجدا عليــه لاتصاله بهارون فلما ولى الخــلافة مدحه فأجزل صلته

أخبرنى عيسى بن الحسين قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال : ٥

كانَ الهادى وَاجِدًا على أبى العتاهية لمُلازمته أخاه هارونَ فى خلافة المهدىّ، فلما ولِى موسى الخلافةَ، قال أبو العتاهية يمدحه :

صــــوت

يضطرب الخوفُ والرجاء إذا * حَرّك موسى القضيبَ أو فَكَّرْ
ما أَبينَ الفضــلَ فى مُغَيَّبِ ما * أَوْرَدَ من رأيه وما أَصْدَرْ ١٠

فى هذين البيتين لأبى عيسى بن المتوكل لحنٌ من الثقيل الأوّل فى نهاية الجَوْدة وما بان به فضلُه فى الصّناعة

فكم تَرَى عَزَّ عنــد ذلك مِن * مَعْشرِ قومٍ وذَلَّ من مَعْشَر
يُثمــر مِن مَسّه القضيبُ ولو * يَمَسُّــه غـــيرُه لمـا أثمــر
مَنْ مِثلُ موسى ومثلُ والدِه الـ * ـمهدىّ أو جَــدّه أبى جعفرْ ١٥

قال : فرضى عنه . فلما دخل عليه أنشده :

لَهْفِى على الزمن القَصــيرِ * بين الخَــوَرْنقِ والسَّــديرِ
إذ نحن فى غُرَف الجنــا * ن نَعُومُ فى بَحـر السُّرورِ
فى فِتيــةٍ ملكوا عِنــا * نَ الدهرِ أمثـالِ الصقورِ

ما منهـــمُ إلّا الجَســو * رُ على الهوى غيرُ الحَصُورِ

يتعاوَرُون مُـــدامةً * صهباءَ من حَلَب العَصيرِ

عَـــذراءَ ربّاها شُـــعا * عُ الشمس فى حَرّ الهَجيرِ

لم تُـــدْنَ من نارٍ ولم * يَعْلَق بهـا وَضَرُ القُـدورِ

٥ ومُقَـــرْطَقٍ يمشى أمَا * مَ القـومِ كالرّشأ الغَـريرِ

بزجاجـةٍ تَســتخرج الـ * ـسـرَّ الدّفين من الضـميرِ

زهراءَ مثلِ الكوكب الـ * ـدُّرّىّ فى كَفّ المُـديرِ

تَدعُ الكريمَ وليس يَـد * رِى ما قَبيــلٌ من دَبيرِ(١)

ومخصَّـــرات(٢) زُرْنَنَـا * بعـد الهُدوِّ من الخُـدورِ

١٠ رَيّا(٣) روادفُهنّ يَلْـ * ـبَسْن الخواتمَ فى الخُصورِ

غُرِّ الوجـــوه محجّبا * تٍ قاصراتِ الطّرف حُورِ

متنـــعّمات فى النعيـ * ـمِ مُضمَّخات بالعَبِـيرِ

يَرفُلْنَ فى حُلَلِ المحا * سِنِ والمجاسِـد(٤) والحريرِ

ما إن يَرَيْن الشمسَ إلا الفَرْطَ(٥) من خَلَل الستُورِ

١٥ وإلى أمينِ اللهِ مَهـ * ـرَبُنا من الدّهرِ العَثُورِ

وإليــه أَتعبْنا المطـا * يا بالرّواح وبالبُكورِ

صُـــعْر الخـدود كأنما * جُنّحْنَ أجنحةَ النّسـورِ

(١) القبيل: ماوليك. والدبير: ما خالفك، يقولون: لا يعرف قبيله من دبيره، ولا يدرى قبيلا من دبير، أى لا يعرف شيئا. (٢) مخصرات: دقيقات الخصور. (٣) ريا: ممتلئة.

٢٠ (٤) المجاسد: جمع مجسد وهو القميص الذى يلى البدن. (٥) كذا فى أكثر الأصول، والفرط: الحين، ويقال: لا ألقاه إلا فى الفرط: أى فى الأيام مرة. وفى ب، سـ: «القرط» بالقاف وهو تحريف.

متســربلاتٍ بالظــلا * م على السهولة والوُعـورِ
حــتّى وَصَلْنَ بنـا الى * ربّ المـدائن والقُصورِ
ما زال قبــل فِطامـه * فى سِنّ مكتهلٍ كبــيرِ

قال : قيــل لو كان جزل اللفظ لكان أشعر الناس، فأجزل صِلته وعاد إلى أفضل ما كان له عليه . ٥

أخبرنى عمّى الحسن بن محمد قال حدّثنى الكُرَانىّ عن أبى حاتم قال :

قدِم علينا أبو العتاهيــة فى خلافة المأمون ، فصار اليه أصحابُنـا فاستنشـدوه ، فكان أوّل ما أنشدهم :

ألم تَرَ رَيْبَ الدّهر فى كلّ ساعةٍ * له عارضٌ[3] فيــه المنيّــة تلمَع
أيا بانىَ الدنيـا لغــيرك تَبتنِى * ويا جامعَ الدنيـا لغــيرك تَجمَعُ ١٠
أرى المرءَ وثّابًا على كل فُرصــةٍ * وللمــرء يومًا لا محالةَ مَصْرَعُ
تبـارك من لا يَملِك المُلكَ غيرُه * متى تنقضى حاجاتُ من ليس يَشبَعُ
وأىّ آمرئٍ فى غايةٍ ليس نفسُه * الى غايةٍ أخرى ســواها تَطَلَّعُ

قال: وكان أصحابنا يقولون: لو أن طَبْعَ أبى العتاهيةِ بجزالة لفظٍ لكان أشعرَ الناس.

تمثل الفضل بشعره وقد انحطت مرتبته فى دار المأمون

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا آبن مَهْرُوَيْهِ قال حدّثنى سليمان بن جعفر الجَزَرىّ قال حدّثنى أحمد بن عبد الله قال : ١٥

كانت مَرْتبة أبى العتاهيــة مع الفضل بن الربيع فى موضع واحد فى دار المأمون، فقال الفضل لأبى العتاهية : يا أبا إسحاق، ما أحسنَ بيتين لك وأصدَقهما! قال : وما هما؟ قال : قولك :

(٣) العارض : الأصل فيه السحاب المعترض فى الأفق . ٢٠

ما الناس إلا للكثيرِ المـالِ أو * لمُسـلَّطٍ ما دام فى سُـلطانهِ
فإذا الزمانُ رماهمـا ببليّـةٍ * كان الثّقاتُ هناك من أعوانهِ

يعنى : من أعوان الزمان . قال : وإنمـا تمثّل الفضـلُ بن الربيع بهذين البيتـين لانحطاط مرتبتِـه فى دار المأمون وتقـدُّمِ غيره ؛ وكان المأمون أمر بذلك لتحريره(١) مع أخيه .

كان ملازما للرشيد فلما تنسك حبسه ولما استعطفه أطلقه

أخبرنى عمّى الحسن بن محمد قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال :

قال لى محمد بن أبى العتاهية : كان أبى لا يُفارق الرشـيدَ فى سَـفرٍ ولا حضَر إلا فى طريق الحجّ، وكان يُجرِى عليـه فى كل سنة خمسين ألف درهم سوى الجوائز والمَعَاون؛ فلمـا قدم الرشـيدُ الرقّة لبِس أبى الصوفَ وتزهّد وترك حضورَ المُنادمة والقول فى الغزل، وأمر الرشيدُ بحبسه فحُبِس؛ فكتب اليه من وقته :

صـــوت

أنا اليومَ لى والحمـد لله أشهُرُ * يَرُوحُ علىّ الهـمُّ منكم ويَبكُرُ
تذكّرْ أمينَ الله حقّى وحُرْمتى * وما كنتَ تُولينى لعلك تَذْكُرُ(٢)
ليالىَ تُدنِى منك بالقربِ مجلسى * ووجهُك من ماء البشاشة يَقْطُرُ
فمن لِىَ بالعين التى كنتَ مرّة * إلىّ بها فى سالفِ الدهرِ تَنظُرُ

قال : فلما قرأ الرشيد الأبيات قال : قولوا له : لا بأس عليك؛ فكتب اليه :

(١) لعل أصل الكلام «لتحريره نفسه مع أخيه» فسقطت من الناسخ أو حذفها المؤلف للعلم بها .

(٢) كذا فى الديوان (ص ٣٢٦) وأشـير فى هامشه الى رواية أخرى هى : «كذلك يذكر» . وفى جميع النسخ : «لذلك يذكر» .

صـــوت

أَرِقتُ وطار عن عيني النُّعاسُ * ونام السامرون ولم يُوَاسُوا
أمينَ الله أَمْنُك خيرُ أمنٍ * عليك من التُّقَى فيه لِباسُ
تُساس من السماء بكلّ بِرٍّ * وأنت به تَسُوس كما تُساسُ
كأنّ الخلقَ رُكِّبَ فيه رُوحٌ * له جَسدٌ وأنت عليه رَاسُ ٥
أمينَ الله إنّ الحَبْس بأْسٌ * وقد أَرْسلتَ(١) ليس عليك باسُ

— غنّى فى هذه الأبيات إبراهيم ولحنه ثانى ثقيل بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى . وفيه أيضا ثقيلٌ أوّل عن الهِشامىّ(٢) — قال : وكتب اليه أيضا فى الحبس :

وكَلَّفتَنى ما حُلْتَ بينى وبينه * وقلتَ سأبغى ما تريد وما تَهوَى
فلو كان لِى قلبانِ كَلَّفتُ واحدا * هواك وكَلّفت الخلىّ لما يَهْوَى ١٠

قال : فأمر بإطلاقه .

حدّثنى عمّى قال حدّثنى هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثنى الزُّبير ابن بَكّار قال حدّثنى ثابت بن الزُّبير بن حبيب قال قال حدّثنى ابن أخت أبى خالد الحَرْبىّ قال :

قال لى الرشيد: احبس أبا العتاهية وضيّق عليه حتى يقولَ الشعرَ الرقيق فى الغزل ١٥ كما كان يقول، فحبسه فى بيت خمسة أشبارٍ فى مثلها، فصاح: الموت، أخرجونى، فأنا أقول كل ما شئتم، فقلت: قل، فقال : حتى أتنفّس، فأخرجته وأعطيته دواة وقِرْطاسا، فقال أبياته التى أوّلها :

---

(١) فى الديوان : «وقد وقعت» . (٢) فى أ ، ء ، م : «من الحبس» .

صـــوت

مَنْ لعبـدٍ أذلّه مولاه * ما له شافعٌ إليـه سِواهُ
يَشتكي مابه إليه ويخشا * ه ويرجوه مثلَ ما يخشاهُ

قال : فدفعتُها الى مَسرور الخـادم فأَوْصلها ، وتقدّم الرشـيد الى إبراهيم الموصـلي فغنّى فيها، وأمر بإحضار أبي العتاهية فأُحضر، فلما أُحضر قال له :أَنشدني قولَك :

صـــوت

يا عُتبَ سـيّدتي أما لَكِ دِينُ * حتى متى قلبي لديك رَهينُ
وأنا الذّلولُ لكلّ ما حمّلتِني * وأنا الشقيّ البـائسُ المسكينُ
وأنا الغـداةَ لكلّ باكٍ مُسعِدٌ * ولكلّ صَبٍّ صاحبٌ وخَدينُ
لا بأس إنّ لذاك عندي راحةً * للصَّبِّ أن يَلْقَى الحزينَ حزينُ
يا عُتْبَ أين أفِرّ منـك أميرتي * وعليّ حِصْنٌ من هواكِ حصينُ

— لإبراهيم في هذه الأبيات هَزَجٌ عن الهِشاميّ — فأمر له الرشـيد بخمسين ألف درهم .

ولأبي العتاهية في الرشيد لمـا حبسه أشعارٌ كثيرة، منها قوله :

يا رشـيدَ الأمرِ أرشـدْني الى * وجهِ نُجْحي لا عدمتَ الرَّشَدا
لا أراكَ اللهُ سـوءاً أبدًا * ما رأتْ مثلَك عينٌ أحدَا
أَعِنِ الخـائفَ[1] وٱرحمْ صـوتَه * رافعًا نحـوَك يدعوك يَدَا
وا بلائي من دعاوَى أملٍ * كلّمـا قلتُ تَدانَى بَعُـدَا
كم أُمَنَّى بغـدٍ بعـد غدٍ * يَنْفَـدُ العمرُ ولم ألقَ غـدَا

(١) كذا في جميع النسخ والديوان ولعله : « آمن الخائف » .

هجا القاسم بن الرشيد فضربه وحبسه ولما اشتكى الى زبيدة برّه الرشيد وأجازه

نسخت من كتاب هارون بن علىّ بن يحيى: حدّثنى علىّ بن مَهْدِىّ قال حدّثنى الحُسَين بن أبى السَّرِىّ قال :

مرّ القاسم بن الرشيد فى موكبٍ عظيم وكان من أَتْيَهِ الناس، وأبو العتاهية جالس مع قوم على ظهر الطريق، فقام أبو العتاهية حين رآه إعظامًا له، فلم يزل قائمًا حتى جاز، فأجازه ولم يلتفت اليه، فقال أبو العتاهية :

يَتيه ابنُ آدمَ من جهلِهِ * كأن رَحَا الموت لا تَطْحَنُهْ

فسمع بعضُ من فى موكبه ذلك فأخبر به القاسمَ، فبعث الى أبى العتاهية وضربه مائةَ مِقْرعةٍ(1)، وقال له : يآبنَ الفاعلة ! أَتُعرِّض بى فى مثل ذلك الموضع ! وحبَسه فى داره؛ فدسّ أبو العتاهية الى زُبَيْدة بنت جعفر، وكانت توجِب(2) له [حقه](3)، هذه الأبيات :

حتّى متى ذُو التِّيه فى تِيهه * أَصلحه الله وعافاهُ

يَتيه أهلُ التِّيه من جَهلهمْ * وهم يموتون وإن تاهُوا

مَنْ طلب العِزّ ليبقى به * فإن عِزّ المرء تَقْواهُ

لم يعتصم بالله من خَلْقِه * من ليس يَرْجُوه ويَخْشاهُ

وكتب اليها بحاله وضِيق حبسه، وكانت مائِلة اليه، فرقّت(4) له وأخبرت الرشيدَ بأمره وكلمته فيه، فأحضره وكساه ووصله، ولم يَرْضَ عن القاسم حتى بَرّ أبا العتاهية وأدناه وآعتذر اليه .

---

(1) المقرعة : السوط . (2) كذا فى حـ وهو المناسب، يقال : أوجب لفلان حقه اذا راعاه، وفى سائر النسخ : « توجه له » وليس لها معنى . (3) زيادة يقتضيها السياق . (4) كذا فى ب وسـ، وفى باقى النسخ : « فرثت » .

مدح الرشيد والفضل فأجازاه

ونسخت من كتاب هارون بن على : قال حدّثنى علىّ بن مهدىّ قال حدّثنى محمد ابن سهل عن خالد بن أبى الأزهر قال :

بعث الرشيد بالحَرَشىّ (١) الى ناحية المَوصل ، فجبى له منها مالا عظيما من بقايا الخراج فوافى به باب الرشيد ، فأمر بصرف المال أجمع إلى بعض جواريه ، فاستعظم الناسُ ذلك وتحدّثوا به ؛ فرأيت أبا العتاهية وقد أخذه شِبهُ الجنون ، فقلتُ له : مالك وَيْحك ! فقال لى : سبحان الله ! أيُدفع هذا المال الجليل إلى امرأة ، ولا تتعلق كفى بشىء منه ! . ثم دخل الى الرشيد بعد أيام فأنشده :

اللهُ هوّن عندك الدنيا وبغّضها إليكَا ❊ فأبيتَ إلّا أن تُصغّر كلّ شىء فى يديكَا

ما هانت الدنيا على ❊ أحد كما هانت عليكَا

فقال له الفضل بن الربيع : ياأمير المؤمنين ، ما مُدحتِ الخلفاء بأصدقَ من هذا المدح ؛ فقال : يا فضل ، أَعطِه عشرين ألف درهم . فغدا أبو العتاهية على الفضل فأنشده :

اذا ما كنتَ مُتّخذًا خليلَا ❊ فمثل الفضلِ فاتّخِذِ الخليلَا

يرى الشكرَ القليل له عظيًما ❊ ويُعطى من مَواهبه الجزيلَا

أرانى حيثما يَمّمتُ طَرْفى ❊ وجدت على مَكارمه دليلَا

فقال له الفضل : والله لو لا أن أساوىَ أميرَ المؤمنين لأعطيتُك مِثلَها ، ولكن سأُوصلها اليك فى دَفَعات ، ثم أعطاه ماأمر له به الرشيد ، وزاد له خمسةَ آلافِ درهم من عنده .

(١) فى الأصول «الجرشى» ولم نجد هذا الاسم ولعله محرف عما أثبتناه ، وهو سعيد الحرشى الذى كان معاصرا للرشيد والذى كان يقوم له بأعمال هامة .

سمع على بن عيسى شعره وهو طفل فأعجب به

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا المبرّد قال حدّثنى عبد الصمد بن المُعَذَّل قال :

سمعت الأميرَ علىَّ بنَ عيسى بن جعفر يقول : كنت صبياً فى دار الرشيد، فرأيت شيخا يُنشد والناس حوله :

٥

لِيس للإنسان إلّا ما رُزِقْ * أستعين اللهَ بالله أَثِقْ
عَلِق الهمُّ بقلبى كلّه * وإذا ما علِق الهمّ عَلِقْ
بأبى مَنْ كان لى من قلبه * مَرّةً وُدٌّ قليلٌ فسُرِقْ
يابنى الإسلام فيكم مَلِكٌ (١) * جامعُ الإسلام عنه يَفترِقْ
لِنَدَى هارونَ فيكم وَلَهُ * فيكمُ صَوْبٌ هَطُولٌ وورِقْ
لم يزل هارونُ خيراً كلّه * قُتِل الشرُّ به يومَ خُلِقْ

١٠

فقلت لبعض الهاشميّين : أمَا ترى إعجابَ الناس بشعر هذا الرجل ؟ فقال : يا بنىّ، إن الأعناقَ لتُقطع دون هذا الطبع ؛ قال : ثم كان الشيخ أبا العتاهية، والذى سأله إبراهيمَ بن المهدىّ .

استعطف الرشيد وهو محبوس فأطلقه

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنا أحمد بن محمد بن إسحاق قال حدّثنى عبد القوىّ ابن محمد بن أبى العتاهية عن أبيه قال :

١٥

لبِس أبو العتاهية كساءَ صوفٍ ودُرّاعةَ صوفٍ ، وآلَى على نفسه ألّا يقول شعراً فى الغَزَل، وأمر الرشيدُ بحبسه والتضييقِ عليه، فقال :

---

(١) ورد هذا البيت فى ديوانه (ص ٣١٤) وكذا فيا سيأتى (ص ٧٤) من هذا الجزء هكذا :

يابنى العباس فيكم ملك * شعب الاحسان عنه تفترق

صـــوت

يا بن عم النبيّ سمعاً وطاعهْ * قــد خلعنا الكساءَ والدُّرّاعهْ
ورجعنا الى الصِّـناعة لمّـا * كان سُخْطُ الامام تَرْكَ الصِّناعهْ

وقال أيضـا :

٥ أما رحمتنى يومَ ولّتْ فأسرعتْ * وقــد تركتْنى واقفًا أتلفّتُ
أُقلّب طَرْفى كى أراها فلا أرى * وأحلُب عينى دَرَّها وأُصـوِّت

فلم يزل الرشيد متوانياً فى إخراجه الى أن قال :

أمَا والله إنّ الظـلـم لُومُ * وما زال المُسِىء هو الظَّـلومُ
الى ديّان يومِ الدّين نَمْضِى * وعنـد الله تجتمع الخصـومُ
١٠ لأمرٍ مّا تصـرّفت الليـالى * وأمرٍ مّا تُوُلِّيَتِ[(١)] النّجـومُ
تموت غـدًا وأنت قريرُ عينٍ * من الغَفَلات فى لُجَج تعـومُ
تنـام ولم تَنَمْ عنـك المنـايا * تنبّـهْ للمنيّـة يا نـؤومُ
سَـلِ الأيّامَ عن أُممٍ تقضّت * ســتُخبرك المَعالمُ والرُّسـومُ
تَروم الخُـلدَ فى دار المنـايا * وكم قــد رام غيرُك ما تروم
١٥ ألَا يأيّهـا الملك المُرَجّى * عليــه نواهضُ الدنيـا تحومُ
أقِلْـنى زَلّةً لم أجْرِ منهـا * الى لَوْمٍ وما مثـلى مَلـومُ
وخَلّصْـنى تُخَلَّص يومَ بَعْثٍ * اذا للنـاس بُرِّزَت[(٢)] الجَحـيمُ

فرَقّ له وأمر بإطلاقه .

١٦١ / ٣

---

(١) تُوُلِّيَت النجوم (بالبناء للفعول) : أى تولاها الله فتطلُع ثم تَغيبُ بتأثير قدرته ، ولا يصح بناء
٢٠ الفعل للفاعل الا مع ضرورة قبيحة وهى عدم حذف لام الفعل مع تاء التأنيث وقلبها ياء . (٢) فى أ :
«سعرت» وفى هامشها كما فى الأصل .

حديثه عن شعره ورأى أبى نواس فيه

نسخت من كتاب هارون بن علىّ : قال حدّثنى علىّ بن مهدىّ قال حدّثنى ابن أبى الأَبْيض قال :

أتيت أبا العتاهية فقلت له : إنّى رجل أقول الشعرَ فى الزُّهد، ولى فيه أشعارٌ كثيرة، وهو مذهبٌ أَستحسِنه لأنى أرجو ألّا آثَمَ فيه ، وسمعت شعرك فى هذا المعنى، فأَحببتُ أن أستزيدَ منه ، فأُحبّ أن تُنشدنى من جَيّد ما قلتَ؛ فقال : اعلم أنّ ما قلته ردىء؛ قلت : وكيف! قال : لأن الشعر ينبغى أن يكون مثلَ أشعار الفحول المتقدّمين أو مثلَ شعر بشّار وابن هَرْمة ، فان لم يكن كذلك فالصواب لقائله أن تكون ألفاظُه مما لا تخفى على جُمهور الناس مثل شعرى، ولا سيما الأشعارُ التى فى الزُّهد ، فان الزُّهد ليس من مذاهب الملوك ولا من مذاهب رُواةِ الشعر ولا طُلّاب الغريب ، وهو مذهبٌ أَشْغَفُ الناسِ به الزُّهّادُ وأصحاب الحديث والفقهاءُ وأصحابُ الرِّياء والعامّة، وأعجبُ الأشياء اليهم ما فهِموه؛ فقلت: صدقتَ. ثم أَنشدنى قصيدتَه :

لِدُوا للموت وٱبْنُوا للخرابِ * فكلّكمُ يَصير الى تَبابِ (١)

ألَا ياموتُ لم أر منك بُدًّا * أتيتَ وما تَحيف وما تُحابى

كأنّك قد هجَمتَ على مَشيبى * كما هجم المشيبُ على شَبابى

قال : فصرتُ الى أبى نواس فأَعلمتُه ما دار بيننا؛ فقال : والله ما أحسب فى شعره مثلَ ما أنشدك بيتًا آخر، فصرت اليه فأخبرته بقول أبى نواس، فأنشدنى قصيدتَه التى يقول فيها :

---

(١) التباب : الهلاك .

طُولُ التَّعاشُرِ بين النـاس مَمْلولُ * ما لاَبْنِ آدم إن فَتَّشْتَ معقولُ

يا راعيَ الشّاءِ(١) لا تُغْفِـلْ رِعايتهـا * فأنت عن كلّ ما آسْتُرْعِيتَ مسئولُ

إنّى لفِى مَنزلٍ ما زلتُ أعمُـره * على يَقِـينٍ بأنّى عنـه منقـولُ

وليس من موضِع يأتيه ذو نَفَسٍ * إلّا وللموت سـيفٌ فيـه مَسْلولُ

لم يُشغَلِ الموتُ عنا مذ أُعِدّ لنـا * وكلّنـا عنـه باللذات مَشـغولُ

ومن يَمُتْ فهـو مَقْطوع ومُجْتَنَبٌ * والحىّ ما عاش مَغْشِىٌّ ومَوْصـولُ

كُلُّ ما بدا لك فالآ كالُ فانيـةٌ * وكُلُّ ذى أُكُلٍ لا بُدَّ مأْكـولُ

قال : ثم أنشدنى عدّةَ قصائد ما هى بدون هذه ، فصرتُ الى أبى نواس فأخبرته ؛ فتغيّر لونُه وقال : لم خَبَّرْتَه بما قلتُ! قد والله أجاد ! ولم يقل فيه سوءا .

كان أبو نواس يجله و يعظمه

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال حدّثنى علىّ ابن عبد الله بن سعد قال حدّثنى هارون بن سَعْدان مولى البَجَليين قال :

كنت مع أبى نواس قريباً من دُور بنى نِيبَخْت(٢) بنهر طابَق(٣) وعنده جماعة، فجعل يَمُرّ به القوّاد والكُتّاب و بنو هاشم فيُسلّمون عليـه وهو مُتّكِئٌ ممدودُ الرجل لا يتحرّك لأحدٍ منهم، حتى نظرنا اليه قد قبض رِجلَيْه ووثَب وقام الى شيخ قد أقبل على حمار له ، فآعتنق أبا نواس ووقف أبو نواس يحادثه ، فلم يزل واقفًا معه يُراوح بين رجليه يرفع رجلًا و يضع أخرى ، ثم مضى الشيخ ورجع الينا أبو نواس وهو يتأوّه ؛ فقال له بعضُ من حضر : والله لأنت أشـعرُ منه ؛ فقال : والله ما رأيتـه قطّ إلا ظننت أنه سَماءٌ وأنا أَرْض .

١٦٢ / ٣

(١) فى ا ، ء ، م : « ياراعى الناس » . وفى الديوان : « ياراعى النفس » .

(٢) كذا فى حـ . وقد وردت محرفة فى باقى النسخ . (٣) نهر طابق : محلة كانت ببغداد من الجانب الغربىّ .

رأى بشار فيه

قال محمد بن القاسم حدّثنى علىّ بن محمد بن عبد الله الكُوفىّ قال حدّثنى السَّرِىّ ابن الصَّبّاح مولى ثَوْبَان بن علىّ قال :

كنت عند بشّار فقلت له : من أشعرُ أهل زماننا ؟ فقال : مُخَنَّث أهل بغداد (يعنى أبا العتاهية) .

عزى المهدى فى وفاة ابنته فأجازه

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى المُنَجِّم إجازةً : قال حدّثنى علىّ بن مهدىّ قال حدّثنى الخَزْرَجِىّ الشاعر قال حدّثنى عبد الله بن أيّوب الأنصارىّ قال حدّثنى أبو العتاهية قال :

ماتت بنتُ المهدىّ فحزِن عليها حُزنًا شديدا حتى آمتنع من الطعام والشراب ، فقلت أبياتاً أُعَزِّيه بها — فوافيته وقد سَلا وضحك وأكل وهو يقول: لا بدّ من الصبر على ما لا بدّ منه ، ولئن سَلَوْنا عمن فقدنا ليَسْلُوَنَّ عنّا من يَفْقِدنا ، وما يأتى الليلُ والنهارُ على شىء إلا أَبْلَيَاه ، فلما سمعتُ هذا منه قلت : يا أمير المؤمنين ، أتأذن لى أن أُنشدك ؟ قال : هات ، فأنشدته :

ما لِلجديدَيْن لا يَبْلَى آختلافهُما * وكلُّ غَضٍّ جديدٍ فيهما بالِى
يا من سلا عن حبيبٍ بعد مِيتته * كم بعد موتِك أيضا عنك مِن سالى
كأنّ كلّ نعيمٍ أنت ذائقُه * من لذة العيش يحكى لُمْعَةَ الآلِ
لا تَلعَبَنَّ بك الدنيا وأنت ترى * ما شئتَ من عِبَرٍ فيها وأمثالِ
ما حِيلةُ الموت إلا كُلّ صالحةٍ * أوْلَا فما حِيلةٌ فيه لمحتالِ

فقال لى : أحسنتَ ويحك ! وأصبتَ ما فى نفسى ووعظتَ وأوْجزت! ثم أمر لى لكلّ بيتٍ بألف درهم .

حبسه الرشيد مع ابراهيم الموصلىّ ثم أطلقهما

أخبرنى محمد بن عِمْران الصَّيْرفىّ قال حدّثنا العَنَزىّ قال حدّثنى أحمد بن خَلّاد قال حدّثنى أبى قال :

لمّا مات موسى الهادى قال الرشيد لأبى العتاهية : قل شعرا فى الغَزَل؛ فقال : لا أقول شعرًا بعد موسى أبدًا ، فحبَسه. وأمر إبراهيمَ المَوْصِلىّ أن يغنّى ؛ فقال : لا أغنّى بعد موسى أبدًا، وكان مُحسِنًا اليهما، فحبسه . فلما شخَص الى الرَّقّة حفَر لهما حَفيرة واسعةً وقطَع بينهما بحائط، وقال : كونا بهذا المكان لا تخرُجا منه حتى تَشعُر أنت ويُغنّى هذا؛ فصبرا على ذلك بُرْهةً. وكان الرشيد يشرب ذاتَ يوم وجعفرُ ابن يحيى معه، فغنّتْ جاريةٌ صوتا فاستحسناه وطرِبا عليه طَرَبًا شديدا، وكان بيتا واحدا؛ فقال الرشيد : ما كان أَحوجَه الى بيتٍ ثانٍ ليطولَ الغِناءُ فيه فنَسْتَمتِع مدّةً طويلةً به! فقال له جعفر : قد أصبتَه؛ قال : مِن أين؟ قال : تبعَث الى أبى العتاهية فيُلحِقه به لقدرته على الشعر وسرعته؛ قال : هو أنكدُ من ذلك، لا يُجيبنا وهو محبوس ونحن فى نعيم وطربٍ؛ قال : بلى، فاكتب اليه حتى تعلَم صحّة ما قلتُ لك؛ فكتب اليه بالقِصّة وقال : ألحِقْ لنا بالبيت بيتًا ثانيا(1)؛ فكتب اليه أبو العتاهية :

شُغِل المسكينُ عن تلك المِحَنْ * فارقَ الرُّوحَ وأَخْلى من بَدَنْ

ولقد كُلِّفتُ أمرًا عَجَبًا * أُسْأَلُ التَّفريحَ(2) من بيت الحَزَنْ

١٦٣ / ٣

فلما وصلتْ قال الرشيد : قد عرّفتك أنه لا يفعل؛ قال : فتُخرِجه حتى يفعل؛ قال : لا ! حتى يشعُر، فقد حلَفت. فأقام أيامًا لا يفعل . قال : ثم قال أبو العتاهية لإبراهيم : الى كم هذا تَلاجُّ الخلفاء! هلمّ أَقُلْ شعرًا وتُغنّ فيه؛ فقال أبو العتاهية :

---

(1) فى حـ : «آخر» .

(2) كذا فى ب ، سـ : وفى سائر الأصول « التفريج » بالجيم .

بأبى من كان فى قلبى له * مَرّةً حبٌّ قليـلٌ فسُرِقْ[(١)]

يا بنى العبّاس فيكم ملكٌ * شُعَب الإحسان منه تفترقْ

إنّما هارونُ خيرٌ كلُّه * مات كلّ الشرّ مُذْ يوم خُلِقْ

وغنّى فيه إبراهيم، فدعا بهما الرشيد، فأنشده أبو العتاهية وغنّاه إبراهيم، فأعطى كلَّ واحد منهما مائةَ ألف درهم ومائةَ ثوب .

حدّثنى الصُّولىّ بهذا الحديث عن الحسن بن يحيى عن عبد الله بن العبّاس بن الفَضْل بن الرَّبيع، فقال فيه : غضِب الرشيد على جاريةٍ له فحَلَف ألّا يدخُل اليها أيامًا، ثم ندِم فقال :

صَـدَّ عنّى إذ رآنى مفتتنْ * وأطال الصدَّ لمّا أنْ فَطَنْ

كان مملوكى فأضحى مالكى * إنّ هذا من أعاجيب الزَّمنْ

وقال لجعفر بن يحيى : اطلب لى مَنْ يَزيدُ على هـذين البيتين؛ فقـال له : ليس غيرُ أبى العتاهية؛ فبعَث إليه فأجاب بالجواب المذكور، فأمر بإطلاقه وصِلته؛ فقال : الآن طاب القولُ؛ ثم قال :

عِزّةُ الحبّ أرته[(٢)] ذِلّتى * فى هواه وله وجهٌ حَسَنْ

ولهـذا صِرتُ مملوكًا له * ولهذا شَاعَ ما بى وعَلَنْ

فقال : أحسنتَ والله وأصبتَ ما فى نفسى، وأضْعَفَ صِلتَه .

شعره فى ذم الناس

نسخت من كتاب هارون بن علىّ بن يحيى : قال حدّثنى علىّ بن مهدىّ قال حدّثنى الهَيْثم بن عثمان قال حدّثنى شَبِيب بن منصور قال :

---

(١) تقدّم هذا الشعر فى ص ٦٨ من هذا الجزء مع اختلاف فى الرواية .

(٢) فى أ ، ء ، م «أرادت» .

كنتُ فى الموقف واقفًا على باب الرشيد، فإذا رجل بَشِع الهيئة على بغل قد جاء فوقف، وجعل الناسُ يُسلِّمون عليه ويسائلونه ويُضاحكونه، ثم وقف فى الموقف، فأقبل الناس يَشْكُون أحوالَهم: فواحد يقول: كنت مُنقطعًا الى فلان فلم يصنع بى خيرًا، ويقول آخر: أمّلت فلانا فخاب أملى وفعل بى، ويشكو آخرُ ٥ مِن حاله؛ فقال الرجل:

فَتَّشْتُ ذى الدنيا فليس بها * أحــدٌ أراه لآخَرٍ حامدْ

حتى كأنَّ الناسَ كلَّهم * قد أُفرِغوا فى قالَبٍ واحِدْ

فسألت عنه فقيل: هو أبو العتاهية.

هجا سلما الخاسر بالحرص

حدّثنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا ابن مَهْرُويه قال حدّثنى أحمد بن خَلّاد ١٠ عن أبيه عن عبد الله بن الحسن قال:

أُنشِد المأمونُ بيتَ أبى العتاهية يخاطب سَلْمًا الخاسر:

تَعالى الله يا سَلْمَ بنَ عمرو * أذلَّ الحِرصُ أعناقَ الرجالِ

فقال المأمون: إن الحرص لَمُفسِد للدّين والمروءة، والله ما عرفتُ من رجلٍ ١٦٤/٣ قطّ حِرْصًا ولا شَرَهًا فرأيت فيه مُصْطَنَعا. فبلغ ذلك سَلْمًا فقال: ويلى على المخنّث ١٥ الجَرّار الزنديق! جمع الأموالَ وكنزَها وعبّأ البُدورَ[(١)] فى بيته ثم تزهّد مُراءاةً ونفاقا فأخذ يهتِف بى إذا تَصَدّيتُ للطلب.

اقتص منه الجماز لخاله سلم فاعتذر له

أخبرنى أحمد بن العبّاس العسكرىّ المؤدِّب ومحمد بن عِمْران الصَّيْرفىّ قالا حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزىّ قال حدّثنى محمد بن أحمد بن سليمان العَتَكىّ قال حدّثنى العبّاس بن عبيد الله بن سِنَان بن عبد الملك بن مِسْمَع قال:

---

٢٠ (١) البدور: جمع بدرة، والبدرة: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم.

كنّا عند قُثَم بن جعفر بن سليمان وعنده أبو العتاهية يُنشد فى الزهد، فقال قُثَم : يا عبّاس، اطلبْ الساعةَ الجمّازَ حيث كان، ولك عندى سَبَقٌ[1]؛ فطلبته فوجدته عند ركن دار جعفر بن سليمان ، فقلت : أجِبِ الأمير؛ فقام معى حتى أتى قُثَم ، فجلس فى ناحية مجلسه، وأبو العتاهية يُنشده؛ فأنشأ الجمّاز يقول :

ما أقبحَ التزهيدَ من واعظٍ * يُزَهِّد النّاسَ ولا يَزْهَدُ
لو كان فى تزهيده صادقا * أضحى وأمسى بيتُه المسجدُ
يخاف أن تنفَد أرزاقُه * والرزق عند الله لا ينفَدُ
والرزق مقسومٌ على من ترى * ينالُه الأبيضُ والأسودُ

قال : فالتفت أبو العتاهية اليه فقال : من هذا؟ قالوا: [هذا][2] الجمّاز وهو ٱبن أختِ سَلْم الخاسر ٱقتصّ لخاله منك؛ فأقبل عليه وقال : يا بن أخى، إنى لم أذهب حيث ظننتَ ولا ظنّ خالُك، ولا أردتُ أن أهتِف به؛ و إنما خاطبته كما يخاطِب الرجلُ صديقَه، فالله يغفر لكما، ثم قام .

غناه مخارق بشعره

أخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثنى محمد بن أحمد بن خَلَف الشِّمْرِىّ عن أبيه قال :

كنت عند مُخارق فجاء أبو العتاهية فى يوم جمعة ، فقال : لى حاجةٌ وأُريد الصلاةَ؛ فقال مُخارق : لا أبرح حتى تعود؛ قال : فرجَع وطرح ثيابَه، وهى صوفٌ، وغسل وجهه، ثم قال له : غنِّنى :

(١) أصل السبق (بالتحريك) الخطر يوضع بين أهل السباق وهو ما يتراهنون عليه .
(٢) زيادة عن حـ .

صـــوت

قال لى أحمدٌ ولم يدر ما بى * أتُحِبّ الغداةَ عُتْبةَ حقّا

فتنفّستُ ثم قلت نعم حُبًّا جرى فى العُروق عِرْقا فعِرقَا

فجذَب مُخارق دواةً كانت بين يديه فأوْقع عليها ثم غنّاه، فآستعاده ثلاثَ مرّاتٍ فأعاده

٥ عليه، ثم قام وهو يقول: لا يَسمع والله هذا الغناءَ أحدٌ فيُفلح. وهذا الخبر رواية محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْهْ عنه.

وحدّثنا [به][1] أيضا فى كتاب هارون بن على بن يحيى عن آبن مهْرُويه عن آبن عَمّار قال حدّثنى أحمد بن يعقوب عن محمد بن حَسّان الضَّبِّىّ قال حدّثنا مخارق قال:

لقينى أبو العتاهية فقال: بلغنى أنك خرّجت قولى:

١٠ قال لى أحمدٌ ولم يَدْرِ مابى * أتُحِبُّ الغداةَ عُتْبةَ حَقّا

فقلت: نعم؛ فقال: غَنِّه، فمِلْتُ معه إلى خَرَابٍ، فيه قوم فقراء سكّان، فغَنّيتُه إياه، فقال: أحسنتَ والله! منذ ابتدأتَ حتى سكتَّ؛ ثم قال لى: أمَا ترى ما فعل الملك بأهل هذا الخراب!.

شعره فى تبخيل الناس

أخبرنى جَحْظَة قال حدّثنى مَيْمُون بن هارون قال:

١٥ قال مُخارق: لقيتُ أبا العتاهية على الجِسْر، فقلت له: يا أبا اسحاق، أَتُنشدنى قولَك فى تَبْخِيلك الناسَ كلِّهم؟ فضحك وقال لى: ها هنا؟ قلت: نعم؛ فأنشدنى:

١٦٥ / ٣

إن كنتَ مُتّخذًا خليلا * فتنَقَّ وآنتقِد الخليلاَ

من لم يكن لك مُنْصِفًا * فى الودّ فآبغِ به بديلاَ

ولربّما سُئِل البخيـ * ـلُ الشىءَ لا يَسْوَى فَتيلا

(١) هذه الكلمة ساقطة من ب، سـ.

٢٠

فيقــول لا أجد السبيـ * ـلَ إليــه يكْره أن يُنيلا
فلذاك لا جعَــل الإلـ * ـهُ له إلى خيرٍ سبيــلَا
فآضربْ بطَرْفك حيث شئـ * ـتَ فلن ترى إلا بخيــلَا

فقلتُ له : أَفْرَطْتَ يا أبا إسحاق؛ فقال : فديتُك، فأكْذِبْنى بجوادٍ واحد؛ فأحببتُ مُوَافقتَه، فآلتفتُّ يمينًا وشمالاً ثم قلت : ما أجد؛ فقبّل بين عينىّ وقال : فديتُــك ٥ يا بنىّ، لقد رَفُقْتَ حتى كِدتَ تُسْرِف .

كان بعد تنسكه يطرب لحديث هارون بن مخارق

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكِيع قال حدّثنى هارون بن مُخَارِق قال :

كان أبو العتاهية لمـا نسَك يقول لى : يا بنىّ، حدّثنى فإن ألفاظَك تُطْرِب كما يُطْرِب غِناؤُك .

جفاه أحمد بن يوسف فعاتبه بشعر

أخبرنى على بن صالح بن الهَيْثَم الأنبـارىّ قال حدّثنى أبو هَفَّان قال حدّثنى ١٠ موسى بن عبد الملك قال :

كان أحمد بن يوسف صديقًا لأبى العتاهية، فلما خدَم المأمونَ وخُصّ به رأى منه أبو العتاهية جَفْوة، فكتب اليه :

أبا جعفر إنّ الشريفَ يَشِينه * تَتَايُهُــه على الأَخِلّاء بالوَفْــرِ
ألم ترأن الفقر يُرجَى له الغِنَى * وأن الغِنى يُخشَى عليه من الفقر ١٥
فإن نِلْتَ تيهاً بالذى نِلْتَ من غِنًى * فإن غِناىَ فى التجمّل والصبر

قال : فبعث اليه بألفى درهم، وكتب اليه يعتذر مما أنكره .

طلب اليه أن يجيز شعرا فأجازه على البديهة

أخبرنى الحسن بن على قال حدّثنا آبن مَهْرُوَيه قال حدّثنى إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم الكوفىّ قال حدّثنى أبو جعفر المَعْبَدىّ قال :

قلت لأبى العتاهية : أَجِزْ لى قولَ الشاعر :

وكان المـال يأتينا فكنّا * نُبذّره وليس لنـا عقولُ
فلمّا أن تولّى المـالُ عنّا * عَقَلْنا حين ليس لنا فُضُولُ

قال : فقال أبو العتاهية على المكان :

٥ فقصِّر ما ترى بالصّبر حقًّا * فكلٌّ إن صبرتَ له زَبِيلُ

قال لابنه : أنت ثقيل الظل

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا ابن مَهْرُويه قال حدّثنى الحسن بن الفَضْل الزَّعْفَرَانىّ قال : حدّثنى من سمع أبا العتاهية يقول لابنه وقد غضب عليه : اذهبْ فإنك ثقيل الظلّ جامد الهواء .

أهدى الفضل نعلا فأهداها للخليفة

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا ابن مَهْرُويه قال حدّثنى يَحيى بن خليفة ١٠ الرَّازى قال حدّثنا حَبيب بن الجَهْم النُّمَيْرِىّ قال :

حضرت الفضلَ بن الربيع مُتنجِّزًا جائزتى وفَرْضى، فلم يدخل عليه أحدٌ قبلى ، فإذا عَوْنٌ حاجبُهُ قد جاء فقال : هـذا أبو العتاهية يُسلّم عليك وقد قدِم من مكة ؛ ١٦٦/٣ فقال : أَعْفِنى منه الساعةَ يَشغَلُنى عن ركوبى ؛ فخرج اليه عَوْنٌ فقال : إنه على الرّكوب الى أمير المؤمنين ؛ فأَخرَج من كُمّه نعلًا عليها شِراكٌ فقال : قل له إن ١٥ أبا العتاهية أهداها اليك جُعِلت فداءك . قال : فدخلت بها ؛ فقال : ما هـذه ؟ فقلت : نعل وعلى شِراكها مكتوبٌ كتاب ؛ فقال : يا حبيب، اقرأ ما عليها ؛ فقرأته فاذا هو :

نعـلٌ بعثتُ بها ليلبسَها * قَـرْمٌ[1] بها يمشى الى المجد
لو كان يَصلُح أن أُشَرِّكها[2] * خدّى جعلتُ شِراكَها خدّى

٢٠ (١) القرم (بالفتح) : السيد أو العظيم ، سمى بذلك لتشبيهه بالفحل من الإبل . وفى م ، ء : «لتلبسها قدم بها تمشى» . (٢) أشركها : أجعل لها شراكا ، والشراك : سير النعل على ظهر القدم .

فقال لحاجبه عَوْن : احملها معنا فحملها ، فلما دخل على الأمين قال له : يا عبّاسىّ ، ما هذه النّعل؟ فقال: أهداها الىّ أبو العتاهية وكتب عليها بيتين، وكان أمير المؤمنين أَوْلى بلبسها لما وُصف به لابسُها؛ فقال : وما هما ؟ فقرأهما؛ فقال: أجاد والله! وما سبَقه الى هذا المعنى أحد ، هَبُوا له عشرة آلاف درهم . فأُخرجتْ والله فى بَدْرة وهو راكب على حماره، فقبضها وٱنصرف . ٥

قيل إنه كان من أقل الناس معرفة

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال حدّثنا اسماعيل بن عبد الله الكوفىّ[1] قال حدّثنا عمروس[2] صاحب الطعام وكان جارَ أبى العتاهية قال :

كان أبو العتاهية من أقلّ الناس معرفةً ، سمعتُ بِشْرًا المِرِّيسىّ يقول له : يا أبا إسحاق، لا تُصلِّ خلفَ فلانٍ جارِك وإمامِ مسجدِكم فانه مُشَبِّه[3]؛ قال: كلا! إنه ١٠ قرأ بنا البارحةَ فى الصلاة : «قُلْ هُوَ ٱللّهُ أَحَدٌ» ؛ واذا هو يظنّ أن المشبّه لا يقرأ «قُلْ هُوَ ٱللّهُ أَحَدٌ» .

شكا اليه بكر بن المعتمر ضيق حبسه فكتب اليه شعرا

أخبرنى الحسن قال حدّثنا ٱبن مَهْرُويه قال حدّثنى أحمد بن يعقوب الهاشمىّ قال حدّثنى أبو شَيْخ منصور بن سليمان عن أبيه قال :

كتب بَكْر بن المُعْتَمِر الى أبى العتاهية يشكو اليه ضِيقَ القَيْد وغَمّ الحبس، ١٥ فكتب اليه أبو العتاهية :

(١) فى أ ، ء ، م «ابن اسماعيل بن عبد الله» . (٢) فى ء ، م : «عمرو بن صاحب الطعام» . (٣) المشبه : الذى يرى رأى المشبهة وهم فرقة من الشيعة يقولون : إن معبودهم صورة ذات أعضاء وأبعاض إما روحانية و إما جسمانية ، و يجوز عليه الانتقال والنزول والصعود والاستقرار والتمكن ؛ وقد حكى أن جماعة منهم أجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة وأن المخلصين من المسلمين ٢٠ يعانقونه فى الدنيا والآخرة اذا بلغوا فى الرياضة والاجتهاد الى حدّ الإخلاص والاتحاد المحض (انظر كتاب الملل والنحل للشهرستانىّ طبع أوربا ص ٧٥) .

هى الأيّام والعِــبرُ * وأمرُ الله يُنْتظــرُ
أتيْأس أن ترى فرجًا * فأيــن الله والقَدَرُ

ذمه الخيلاء، وشعره فى ذلك

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا ابنُ مَهْرُويه قال حدّثنا أحمــد بن عُبَيْد بن ناصح قال :

٥ كنت أمشى مع أبى العتاهيــة يدُه فى يدى وهو متكئ علىّ ينظر الى النــاس يذهبون ويجيئون، فقال: أمَا تراهم هذا يَتيه فلا يتكلم، وهذا يتكلم بصَلَفٍ؟! ثم قال لى : مَرَّ بعض أولاد المهلَّب بمالك بن دينار وهو يَخطِرُ، فقال: يا بنىّ، لو خَفَّضتَ بعضَ هذه الخيُلاء ألم يكن أحسنَ بك من هذه الشُّهرة التى قد شهَرت بها نفسك ؟! فقال له الفتى : أومَا تعرِف مَنْ أنا ! فقال له : بلى! والله أعرِفك معرفة جيدة،

١٠ أوّلُك نطفة مَذِرة[1]، وآخرك جِيفــةٌ قذِرة، وأنت بين ذينــك حامل عَذِرة؛ قال : فأرخى الفتى أُذنيه وكفّ عما كان يفعل وطأطأ رأسَه ومشى مُسترسِلًا . ثم أنشدنى أبو العتاهية :

أيا واهًا لذِكر اللــ * ـه يا واهًــا له واهَا
لقــد طَيَّب ذِكْرُ الله * ـه بالتســبيح أفواها
١٥ فيــا أنتنَ من حِشٍّ[2] * على حشّ إذا تاهــا
أرى قــومًا يتيهون * حُشوشًا رُزقوا جاهَا[3]

---

(١) مذرة : قذرة . (٢) الحش (بتثليث أوّله) : النخل المجتمع، و يكنى به عن بيت الخلاء لما كان من عادتهم التغوّط فى البساتين، والجمع : حشوش . وفى ديوان أبى العتاهيــة : « ... من زبل على زبل ... » . (٣) فى الديوان : «بها ما» .

مدح إسماعيل ابن محمد شعره واستنشده إياه

حدّثنى اليزيدىّ عن عمه إسماعيل بن محمد بن أبى محمد قال :

قلت لأبى العتاهية وقد جاءنا : يا أبا إسحاق، شعرُك كلُّه حَسَنٌ عجيب، ولقد مرّت بى منذُ أيام أبياتٌ لك آستحسنتها جدّا، وذلك أنها مقلوبةٌ أيضا، فأواخرُها كأنها رأوسُها، لو كتبها الإنسان الى صديق له كتابا والله لقد كان حسنًا أرفعَ ما يكون شعرا . قال : وما هى ؟ قلت :

١٦٧ / ٣

المــرءُ فى تأخير مُــدّته * كالثوب يَخْلُق بعــد جِدّته
وحيــاتُه نَفَسٌ يُعَــدّ له * ووفاتُه آســتكمالُ عِدّته
ومصيرُه من بعد مُدّته * لِبِلًى(١) وذا من بعـد وَحْدته
من مات مَالَ ذوو مودّته * عنه وحالوا عن مودّته
أزِفَ الرحيلُ ونحن فى لَعِبٍ * ما نســتعِدّ له بعُــدّته
ولقلّمــا تُبْقِى الخطوبُ على * أَشَرِ الشّــبابِ وحرّ وَقْدته
عَجَبًا لمنتبِــهٍ يُضَــيّع ما * يحتاج فيــه ليوم رَقْــدته

شبه أبو نواس شعره بشعره

قال اليزيدىّ : قال عمّى وحدّثنى الحسين بن الضحّاك قال :

كنت مع أبى نواس فأنشدنى أبياته التى يقول فيها :

يابــنى النقصِ والغِــيَرْ * وبنى الضعف والخَوَرْ

فلما فرَغ منها قال لى : يا أبا علىّ ، والله لكأنها من كلام صاحبك (يعنى أبا العتاهية) .

سأل أعرابيا عن معاشه ثم قال شعرا

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنى حُذَيْفَة بن محمد الطائىّ قال حدّثنى أبو دُلَف القاسم بن عيسى العِجْلىّ قال :

(١) فى ب وسـ وديوانه ص ٥٦ طبع بيروت هكذا : « بَلْيا » . وفى سائر الأصول هكذا : « باليا » وقد رجحنا ما أثبتناه .

حَجَجْت فرأيت أبا العتاهية واقفا على أعرابىّ فى ظل مِيلٍ(1) وعليه شَمْلة(2) اذا غطّى بها رأسَه بدت رِجلاه، وإذا غطّى رجليه بدا رأسُه؛ فقال له أبو العتاهية: كيف آخترت هـذا البلدَ القَفْر على البُلدان المُخْصِبة؟ فقال له: ياهذا، لولا أنّ الله أقنع بعضَ العباد بشرّ البلاد، ما وَسع خيرُ البلاد جميعَ العباد؛ فقال له: فمن أين مَعاشُكم؟ فقال: منكم معشرَ الحاجّ: تمرّون بنا فننال من فُضولكم، وتَنْصرفون فيكون ذلك؛ فقال [له](3): إنما نمرّ ونَنْصرف فى وقت من السنة، فمن أين معاشُكم؟ فأطرق الأعرابىّ ثم قال: لا والله لا أدرى ما أقول إلا أنّا نُرزق من حيث لا نحتسب أكثَرَ مما نُرزق من حيث نَحتسب؛ فولى أبو العتاهية وهو يقول:

ألَا يا طالبَ الدنيا * دع الدنيا لشانيكَا

وما تصنعُ بالدنيا * وظِلُّ المِيل يَكْفيكَا

شتمه سلم لما سمع هجوه فيه

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال:

لما قال أبو العتاهية:

تعالى اللهُ يا سَلْمُ بنَ عَمْرو * أذلّ الحرصُ أعناقَ الرجالِ

فقال سَلْم: ويلى على آبن الفاعِلة! كَنَز البُدورَ ويزعُم أنّى حريصٌ وأنا فى ثوبىّ هذين.

كان عبد الله بن عبد العزيز يتمثل كثيرا بشعره

أخبرنى محمد بن مَزْيد والحَرَمىّ بن أبى العلاء قالا حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنى عمرو بن أَدْعج قال: قلت لعبد الله بن عبد العزيز العُمَرىّ وسمعته يتمثّل كثيرا من شعر أبى العتاهية: أشهدُ أنى سمعته يُنشد لنفسه:

(1) الميل: منار يبنى للمسافر فى أنشاز الأرض وأشرافها. (2) الشملة: كساء مخمل دون القطيفة. (3) زيادة عن حـ.

١٦٨
٣

مرّت اليومَ شاطِرهْ * بَضّــة الجسْم ساحِرهْ
إنّ دُنيا هى التى * مرّت اليومَ سافرهْ
سَرقوا نصفَ إسْمها * فهى دنيــا وآخرهْ

فقال عبد الله بن عبد العزيز : وَكَلَه الله الى آخرتها . قال : ثم ما سُمِــع بعد ذلك بيت يَتمثّل به مِن شعره .

قال علىّ بن الحسين مؤلف هذا الكتاب : هذه الأبيات لأبى عُيَيْنة المُهَلّبى، وكان يُشبّب بدنيا فى شعره ، فإما أن يكون الخبرُ غلطًا وإما أن يكون الرجل أنشدها العُمَرِىَّ لأبى العتاهية وهو لا يعلم أنها ليست له .

مقارنة بينه وبين أبى نواس

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزَاعىّ قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل قال :
قال لى الحِرْمازىّ : شهِدتُ أبا العتاهية وأبا نُوَاس فى مجلس، وكان أبو العتاهية أسرعَ الرجلين جوابًا عند البديهة، وكان أبو نواس أسرعَهما فى قول الشعر، فإذا تعاطَيا جميعا السرعةَ فضَله أبو العتاهية، وإذا توقّفا وتمهّلا فَضَله أبو نواس .

رأى من صالح المسكين جفوة فعاتبه بظاهره بالعداوة

أخبرنى أحمد بن العبّاس بن عُقَيْل العَنَزِىّ قال حدّثنا أبو أَنَس كَثِيرُ بن محمد الحِزامىّ قال حدّثنى الزُّبَيْر[1] بن مَعْروف العامِلىّ قال :
قال أبو العتاهية : كنت مُنقطعًا إلى صالح المسكين، وهو ابنُ أبى جعفر المنصور، فأصبتُ فى ناحيته مائةَ ألف درهم، وكان لى وَدودًا[2] وصديقا، فجئته يومًا، وكان لى فى مجلسه مَرْتَبةٌ لا يجلس فيها غيرى، فنظرت إليه قد قصّر بى عنها، وعاودتُه ثانيةً فكانت حاله تلك، ورأيت نظرَه إلىّ ثقيلًا، فنهضت وقلت :

(١) كذا فى ح . وفى سائر الأصول : « الزبير بن بكار معروف العاملى » ولم نجد هذه الزيادة فى نسب ابن بكار فرجحنا رواية ح . (٢) فى ح ، ب : « ودّا » وهو كالودود فى المعنى .

أرانى صالحٌ بُغضًا * فأظهرتُ له بُغضا
ولا والله لا ينقُـ * ـضُ إلا زدتُه نقضا
وإلا زدتُه مقتًا * وإلا زدته رفضا
ألا يا مفسدَ الودّ * وقد كان له محضا
تغضّبتَ من الريح * فما أطلب أن ترضى ٥
لئن كان لك المالُ الـ * ـمُصفَّى إنّ لى عِرضا

قال أبو العتاهية : فنُمِى الكلامُ الى صالح فنادى بالعَداوة، فقلت فيه :

مَدَدْتُ لمُعرِضٍ حَبْلًا طويلا * كأطولِ ما يكون من الحِبَالِ
حبالٌ بالصَّريمة ليس تَفْنَى * مُوَصَّلةٌ على عَدد الرمال
فلا تنظُر إلىّ ولا تُرِدْنى * ولا تُقْرِب حبالك من حبالى ١٠
فليت الرَّدْمَ[1] من يأجوجَ بيني * وبينَك مُثبتًا أُخرَى الليالى
فكَرِّش[2] إن أردتَ لنا كلامًا * ونقطع قِحْفَ[3] رأسك بالقَذَالِ[4]

استنشده مساور الشعر فى جنازة فأبى

حدّثنى أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار قال حدّثنا علىّ بن سليمانَ النَّوْفَلىّ قال: قال مُسَاوِر السبَّاق. وأخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير عن مُسَاوِر السبَّاق قال : ١٥

شَهِدتُ جنازةً فى أيام الحاجّ وقت خروج الحسين بن على بن الحسن بن الحسن ابن الحسن المقتول بفَخّ[5]، فرأيت رجلا قد حضر الجنازةَ معنا وقد قال لآخر : هذا

(١) الردم : سدّ يأجوج ومأجوج . (٢) كرّش الرجل : قطب وجهه .
(٣) القحف : العظم فوق الدماغ، انفلق من الجمجمة فبان . (٤) كذا فى حـ ، والقذال : جماع مؤخر الرأس ما بين نقرة القفا الى الأذن، وفى باقى الأصول : «القتال» بالتاء المثناة من فوق . ٢٠
(٥) فخ : واد بمكة . وهو فيما قيل : وادى الزاهر .

١٦٩
٣

الرجل الذى صِفَتُه كذا وكذا أبو العتاهية! فالتفتُّ اليه فقلت له : أنت أبو العتاهية؟ فقال : لا، أنا أبو إسحاق، فقلت له : أنشِدْنى شيئًا من شعرك، فقال لى : ما أحمقك ! نحن على سَفرٍ وعلى شَفير قبْر، وفى أيام العشر، وببلدكم هذا تَستنشدنى الشعر! ثم أَدْبر عنّى ثم عاد إلىّ فقال: وأخرى أَزيدُكها، لاوالله ماراًيتُ فى بنى آدم قطُّ أسمجَ منك وجهًا !.

٥

قال النوفلىّ فى خبره : وصدق أبو العتاهية، كان مُساوِر هذا مُقبَّحًا طويلَ الوجه كأنه ينظُر فى سيف .

حجبه حاجب يحيى ابن خاقان فقال شعرا فاسترضاه فأبى

أخبرنى عمّى الحسن بن محمد وجَحْظَة قالا حدّثنا مَيْمونُ بن هارونَ قال : قدِم أبو العتاهية يومًا منزلَ يحيى بن خَاقَانَ، فلما قام بادر له الحاجبُ فانصرف، وأتاه يومًا آخرَ فصادفه حين نزل فسلّم عليه ودخل الى منزله ولم يأذن له ، فأخذ قِرْطاسًا وكتب إليه :

١٠

أَراكَ تُراعُ حين تَرى خَيالى * فما هذا يَرُوعك من خيالى
لعلّك خائفٌ منّى سؤالى * ألَا فلَكَ الأمانُ من السؤالِ
كَفَيتُك إنّ حالَك لم تَمِل بى * لأطلبَ مثلَها بَدَلًا بحالى
وإنّ اليُسرَ مثلُ العسر عندى * بأيّهما مُنِيتُ فلا أُبَالى

١٥

فلما قرأ الرُّقعةَ أمرَ الحاجبَ بإدخاله إليه، فطلبه فأبى أن يرجع معه ولم يَلْتقيا بعد ذلك .

كان بينه وبين أبى الشمقمق شرّ

أخبرنى عبد الله بن محمد الرّازىّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث قال حدّثنا المدائنىّ قال :

اجتمع أبو نواس وأبو الشَّمَقْمَق فى بيت ٱبن أُذَيْن، وكان بين أبى العتاهية وبين أبى الشَّمَقْمَق شرٌّ نخبّـوه من أبى العتاهية فى بيت، ودخل أبو العتاهية فنظر إلى غلام عندهم فيـه تأنيثٌ (١) فظنّ أنه جاريةٌ، فقال لآبن أُذَيْن : متى ٱستظرفتَ هذه الجاريةَ؟ فقال : قريبًا يا أبا إسحاق، فقال : قل فيها ما حضر، فمدّ أبو العتاهية يده إليه وقال :

٥

مـددتُ كَفّى نحـوكم سائلًا * ما ذا تَردّون عـلى السـائلِ

فلم يَلْبَث أبو الشمقمق حتى ناداه من البيت :

تَرُدّ فى كفّك ذا فَيْشَـةٍ * تَشفى جوًى فى ٱسْتك من داخلِ

فقال أبو العتاهية : شمقمق والله ! وقام مُغْضَبًا .

استنشد ابن أبى أمية شعره ومدحه

١٠

أخبرنى أحمد بن عُبَيد الله بن عمّار قال حدّثنا علىّ بن محمد النَّوْفَلىّ قال حدّثنى سليمانُ بن عَبّاد قال حدّثنا سليمان بن مُناذر قال :

كنّا عند جعفر بن يحيى وأبو العتاهية حاضرٌ فى وسط المجلس، فقال أبو العتاهية لجعفر : جعلنى الله فداك، معكم شاعرٌ يُعْرَف بٱبن أبى أميّة أُحبّ أن أسمعه يُنْشِد، فقال له جعفر : هو أقربُ النـاس منك، فأقبل أبو العتاهية على محمد ، وكان الى جانبه، وسأله أن يُنْشِدَه فكأنّه حَصِر ثم أنشده :

١٥

صـــوت

رُبَّ وعدٍ منك لا أَنساه لى * أَوْجَبَ الشكرَ وإن لم تَفعلِ

أَقطَعُ الدهرَ بوعدٍ حَسنٍ * وأُجلّى غَمْـرةً ما تَنْجَـلِى

كلّما أمّلتُ وعدًا صالحًا * عرض المكروهُ دونَ الامل

وأَرى الأيّامَ لا تُدْنِى الذى * أَرْتَجِى منـك وتُدْنى اجلى

٢٠

(١) فيه تأنيث : لِينٌ وتَخنُّث .

— فى هـذه الأبيات لأبى حَبَشة رَمَلٌ — قال : فأقبل أبو العتاهيـة يُرَدّد البيت الأخير ويُقَبِّل رأسَ آبن أبى أُميّة ويبكى ، وقال : وَدِدْتُ والله أنه لى بكثيرٍ من شعرى .

لم يرض بتزويج ابنته لمنصور بن المهدى

أخبرنى حَبيبُ بن نَصْر قال حدّثنا عمرُ بن شَبّة قال :

كانت لأبى العتاهية بنتان ، اسم إحداهما «لله» ، والأخرى «بالله» ؛ فخطَب منصورُ بن المهدى "لله" فلم يُزوّجه ، وقال : إنمـا طلبها لأنّها بنتُ أبى العتاهية ، وكأنّى بها قد ملّها فلم يكن لى الى الآنتصافِ منه سبيلٌ ، وما كنت لأزوّجها إلا بائعَ خَزَف وجِرَارٍ ، ولكنّى أختاره لها مُوسِراً .

كان له آبن شاعر

وكان لأبى العتاهية آبنٌ يقالُ له محمد وكان شاعرا ، وهو القائل :

قد أَفلح السّالمُ الصَّمُوتُ * كَلاَمُ راعِى الكلامِ قُوتُ
ما كلّ نُطْـقٍ له جوابٌ * جواب ما يُكْره السّكوتُ
يا عَجَبًـا لآمرئٍ ظَـلُومٍ * مُسْتَيقِنٍ أنه يمـوت

سأله عبد الله بن الحسن بن سهل أن ينشده من شعره ففعـل

نسخت من كتاب هارون بن علىّ بن يحيى : حدّثنـا زكريا بن الحُسين(١) عن عبد الله بن الحسن بن سَهْل الكاتب قال :

قلت لأبى العتاهية : أَنشِدْنى من شعرك ما تستحسن فأنشدنى :

ما أَسْرعَ الأيّام فى الشّهرِ * وأسرعَ الأَشْهُرَ فى العُمـرِ

صـــوت

ليس لمن ليستْ له حِيـلةٌ * موجودةٌ خيرٌ من الصّـبرِ
فآخْطُ مع الدهرِ إذا ما خطا * وآجرِ مـع الدهرِ كما يَجْرى
من سَابقَ الدهرَ كبا كَبْـوةً * لم يَسْـتَقِلْها آخرَ الدهرِ

لإبراهيم فى هذه الأبيات خفيفُ ثقيلٍ وثقيلٌ أوّل .

(١) فى حـ : « الحسن » .

لما جفاه الفضل وصله ابن الحسن ابن سهل

قال عبد الله بن الحسن : وسمعت أبا العتاهية يُحدّث قال : ما زال الفضل بن الربيع من أميل النّاس إلىّ ، فلما رجع من خُراسان بعد موت الرشيد دخلت اليه ، فآستنشدنى فأنشدتُه :

أفنيتَ عمرَك إدبارًا وإقبالَا * تبْغِي البنين وتبْغى الأهلَ والمالَا

٥ الموتُ هَوْلٌ فكن ما شئتَ مُلْتمِسًا * من هَوْله حِيلةً إن كنتَ مُحتالا

ألم تَرَ الملكَ الأَمْسِيَّ حين مضى * هل نال حَيٌّ من الدنيا كما نالا

أفناه من لم يَزَلْ يُفْنِي القرونَ فَقَدْ * أضحى وأصبح عنه الملكُ قد زالا

كم من ملوكٍ مضى رَيْبُ الزمان بهم * فأصبحوا عِبَرًا فينا وأمثالَا

فآستحسنها وقال : أنت تعرف شُغْلى ، فَعُدْ إلىّ فى وقت فراغى أَقْعُدْ معك

١٠ وآنَسْ بك؛ فلم أزلْ أراقِب أيّامَه حتى كان يومُ فراغه فصرتُ إليه ، فبينما هو مُقْبِلٌ علىّ يَستنشدنى ويسألنى فأُحدّثه إذْ أنشدتُه :

ولّى الشبابُ فما له من حِيلةٍ * وكَسَا ذُؤَابتِيَ المشيبُ خِمارَا

أين البرامكةُ الذين عَهِدْتُهم * بالأمس أعظمَ أهلِها أخطارا

١٧١/٣ فلما سمع ذكرى البرامكة تَغيّر لونُه ورأيتُ الكراهيةَ فى وجهه فما رأيت منه

١٥ خيرًا بعد ذلك .

قال : وكان أبو العتاهية يُحدّث هذا الحديثَ ابنَ الحسن بن سَهْل؛ فقال له : لئن كان ذلك ضَرّك عند الفَضْل بن الربيع لقد نفَعك عندنا، فأمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب وأَجْرَى له كلَّ شهر ثلاثة آلاف درهم ، فلم يزل يَقْبَلها دَارّةً إلى أن مات .

عاتب مجاشع بن مسعدة فرد عليه من شعره

٢٠ قال عبد الله بن الحسن بن سهل ، وسمعت عمرو بن مَسْعَدة يقول : قال لى أخى مُجاشِع : بينا أنا فى بيتى إذ جاءتنى رُقعةٌ من أبى العتاهية فيها :

خَليــلٌ لى أُكَاتِمُه * أَرانى لا أُلائِمُــهُ
خليلٌ لا تهبّ الريـ * حُ إلا هبّ لائمــهُ
كذا من نال سلطاناً * ومن كثُرت دراهمهُ

قال : فبَعثتُ إليــه فأتانى فقلت له : أما رَعَيْتَ حقًّا ولا ذِماماً ولا مَوَدّة ! فقال لى : ما قلت سوءا، قلت : فمـا حَمَلك على هــذا ؟ قال : أَغِيبُ عنك عشرةَ أيّام فلا تسألُ عنى ولا تبعثُ إلىّ رسولًا فقلت : يا أبا إسحاق، أَنسيتَ قولك :

يأْبَى المُعَــلَّق بالمُــنَى * إلّا رَواحًا وٱدّلاجَا
أُرْفُقْ فعُمرك عُودُذى * أَوَدٍ رأيتُ به ٱعوجَاجا
مَنْ عَاجَ من شيءٍ الى * شيءٍ أصاب له مَعَاجا

فقال : حسبُك ! حسبُك ! أوسَعْتَنى عذرا .

عاب شعر ابن مناذر فلم يجبه

أخبرنى محمد بن عِمْران الصَّيْرفىّ الزّارع قال حدّثنـا الحسن بن عُلَيل العنَزِىّ قال حدّثنى محمد بن عِمْران بن عبد الصّمد الزّارع قال حدّثنا ٱبن عائشة قال :

قال أبو العتاهية لٱبن مُناذر[1] : شِـعرك مُهَجَّن لا يَلْحَق بالفحول وأنت خارجٌ عن طبقــة المُحْدَثين، فإن كنت تَشبّهت بالعجّاج ورُؤْبة فمـا لحقتهما ولا أنت

(١) فى شرح القاموس مادة « نذر » مانصه : «وابن مناذر بالفتح ممنوع من الصرف و يضم فيصرف قال الجوهرىّ : هو محمد بن مناذر شاعر بصرى فمن فتح الميم منه لم يصرفه و يقول إنه جمع منذر لأنه محمد بن المنذر بن المنذر بن المنذر ومن ضمه صرفه» اهـ . وقد ورد فى معجم البلدان لياقوت (ج ٤ ص ٦٤٤ طبع مدينة ليدن») ما يؤكد أنه بالضم لاغير قال : «ذكر المبرد أن محمد بن مناذر الشاعر كان اذا قيل ابن مناذر بفتح الميم يغضب و يقول : أمناذر الكبرى أم مناذر الصـغرى وهما كورتان من كور الأهواز، انما هو مناذر على و زن مفاعل من ناذر يناذر فهو مناذر مثل ضارب فهو مضارب » وقد و رد فى المشتبه فى أسماء الرجال للذهبىّ (ص ٤٥٧ طبع مدينة ليدن) بالضم أيضا .

فى طريقهما ، وإن كنتَ تذهب مَذْهبَ المُحْدَثين فما صنعتَ شيئاً ، أَخْبِرْنى عن قولك :

* ومن عاداك لاقى المرمريسا[1] *

أَخْبِرْنى عن المرمريس ماهو ؟ قال : فخجل ابن مناذر وما راجعه حرفاً . قال : وكان بينهما تَنَاغُر[2] .

عرف عبيد الله ابن اسحاق بمكة وسأله أن يجيز شعره

٥ نسختُ من كتاب هارون بن علىّ بن يحيى قال حدّثنى الحُسَين بن إسماعيل المَهْدىّ قال حدّثنى رَجَاء بن سَلَمة قال :

وَجَد المأمونُ علىّ فى شىء ، فاستأذنتُه فى الحجّ فأذن لى ، فقدمتُ البصرةَ وعُبيد الله بن إسحاق بن الفضل الهاشمىّ[3] عليها و إليه أمرُ الحجّ ، فزاملتُه إلى مكة ، فبينا نحن فى الطواف رأيت أبا العتاهية ، فقلت لعُبيد الله : جُعِلْتُ فِداك ! أَتُحِبّ

١٠ أن ترى أبا العتاهية ؟ فقال : والله إنى لأُحِبّ أن أراه وأُعاشِرَه ؛ قلت : فافرُغ من طوافك واخرجْ ، ففعل . فأخذت بيد أبى العتاهية فقلت له : يا أبا إسحاق ، هل لك فى رجلٍ من أهل البصرة شاعرٍ أديب ظريف ، قال : وكيف لى بذلك ! فأخذت بيده فجئت به الى عُبيد الله ، وكان لا يعرفه ، فتحدّثنا ساعةً ، ثم قال له أبو العتاهية : هل لك فى بيتين تُجيزهما ؟ فقال له عُبيد الله : إنه لا رَفَثَ ولا فُسوقَ

١٥ ولا جِدالَ فى الحجّ ، فقال له : لَا نرفُث ولا نفسُق ولا نُجادِل ؛ فقال : هاتِ إذاً ؛ فقال أبو العتاهية :

١٧٢/٣

إنّ المَنــون غدوَّها ورَواحَها * فى الناس دائبة تُجيل قِداحَها

يا ساكنَ الدنيـا لقد أَوطِنتَها * ولَتَنْزِحنّ و إن كرهتَ نِزَاحَها

(١) المرمريس : الداهية . (٢) التناغر : التناكر . وفى حـ : « تباعد » .

٢٠ (٣) كذا فى حـ ، ء وهو الصواب . وفى باقى النسخ : « الهشامى » وهو تحريف .

فأطرق عبيد الله ينظر الى الأرض ساعةً، ثم رفع رأسه فقال :

خذ لا أبالك للمنيـة عدّةً * واحتل لنفسك إن أردت صلاحها

لا تغتـرر فكأنني بعقـاب ريـ * ـب الموت قد نشرت عليك جناحها

قال : ثم سمعت النـاس ينحلون أبا العتاهية هذه الأربعـة الأبيات كلها، وليس له

إلا البيتان الأولان . ٥

قصته في السجن مع داعية عيسى بن زيد

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال حدّثنا ميمون بن هارون قال حدّثني إبراهيم ابن رباح قال أخبرني إبراهيم بن عبد الله . وأخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدّثنا هارون بن مخارق قال حدّثني إبراهيم بن دسكرة . وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدّثني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ قال :

١٠ قال أبو العتاهية : حبسني الرشيد[1] لما تركت قول الشعر، فأدخلت السجن وأغلق البـاب علي ، فدهشت كما يدهش مثلي لتلك الحال ، واذا أنا برجل جالس في جانب الحبس مقيد، فجعلت أنظر اليه ساعةً، ثم تمثل :

صـوت

تعـودت مرّ الصبر حتى ألفتـه * وأسلمني حسن العـزاء إلى الصبر

١٥ وصيّرني يأسي من الناس راجيـاً * لحسن صنيع الله من حيث لا أدري

فقلت له : أعد، يرحمك الله، هذين البيتين؛ فقال لي: ويلك أبا العتاهية! ما أسوأ أدبك وأقل عقـلك ! دخلت علي الحبس فما سلمت تسليم المسلم على المسلم ، ولا سألت مسألة الحر للحر، ولا توجعت توجع المبتلى للمبتلى، حتى اذا سمعت بيتين

(١) في وفيات الأعيان لابن خلكان (ج ١ ص ١٠٢) : « أمر المهدي بحبسي ... » .

من الشعر — الذى لا فضلَ فيك غيرُه — لم تصبِر عن آستعادتهما . ولم تُقَدِّم قبلَ مسألتك عنهما عُذرًا لنفسك فى طلبهما ! فقلتُ : يا أخى إنّى دَهِشتُ لهذه الحال، فلا تَعذُلْنى وآعذِرنى مُتفضِّلا بذلك؛ فقال : أنا والله أولى بالدَّهَش والحَيرة منك، لأنك حُبِست فى أن تقول شعرًا به آرتفعتَ وبلَغت، فاذا قُلتَ أُمِّنت، وأنا مأخوذٌ بأن أَدُلّ على آبن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليُقتل أو أُقتَل دونه، ووالله لا أدُلّ عليه أبدا، والساعةَ يُدعى بى فأُقتل، فأيّنا أحقُّ بالدَّهَش؟ فقلت له : أنت والله أولى، سَلَّمك الله وكفاك، ولو علمتُ أنّ هذه حالُك ما سألتُك؛ قال: فلا نَبخل عليك إذًا، ثم أعاد البيتين حتى حفِظتُهما . قال : فسألته من هو؟ فقـال : أنا حاضِر[(1)] داعيـةُ عيسَى بن زيد وآبنِه أحمد ؛ ولم نَلْبَث أن سمعنا صوتَ الأقفال، فقام فسكَب عليه ماء كان عنده فى جَرّة، ولبِس ثوبًا نظيفا كان عنده، ودخل الحَرَسُ والجنـد معهم الشمع فأخرجونا جميعا، وقُدِّم قبلى الى الرشيد، فسأله عن أحمد بن عيسى؛ فقال : لا تسألْنى عنه وآصنَعْ ما أنت صانع، فلو أنه تحت ثوبى هذا ما كشفتُه عنه؛ وأمر بضَرْب عنقه فضُرِب؛ ثم قال لى : أظنّك قد آرتعتَ يا إسماعيـل؛ فقلت : دون ما رأيته تَسيل منه النفوس؛ فقال : رُدّوه الى مَحبِسـه فرُدِدْتُ ، وآنتحلت هذين البيتين وزِدْتُ فيهما :

إذا أنا لم أقبل من الدّهر كلَّ ما * تكَرَّهتُ منه طال عَتْبى على الدهر

١٧٣ / ٣

لِزُرْزُور غلامِ المـارِقىّ فى هذين البيتين المذكورين خفيفُ رَمَل . وفيهما لعَريبَ خفيفُ ثَقيل .

كان خلفا فى شعره له منـه الجيـد والردىء

نسخت من كتاب هارونَ بن علىّ بن يحيى: حدّثنى علىّ بن مَهْدىّ قال حدّثنى ناجيةُ بن عبد الواحد قال :

(١) فى وفيات الأعيان : « حاضر » .

قال لى أبو العبّاس الخُزَيْمىّ :

كان أبو العتاهية خِلْفًا فى الشعر، بينما هو يقول فى موسى الهادى :

لَهْفِى على الزمنِ القصيرِ * بين الخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ

إذ قال :

أيا ذَوِى الوَخامهْ * أكثرتمُ المَلامهْ

فليس لى على ذا * صبرٌ ولا قُلامهْ

نعم عَشِقتُ مُوقًا * هل قامتِ القيامهْ

لأَرْكَبنّ فيمن * هَوِيتُه الصَّرامهْ

عرض شعرا له على سلم الخاسر فذمه فأجابه

ونسختُ من كتابه[1] : حدّثنى علىّ بن مَهدىّ قال حدّثنى أحمد بن عيسى قال حدّثنى الجمّاز قال :

قال سَلْمٌ الخاسر : صار إلىّ أبو العتاهية فقال : جئتك زائرًا؛ فقلت : مقبولٌ منك ومشكورٌ أنت عليه، فأَقِمْ؛ فقال : إنّ هذا مما يَشْتدّ علىّ؛ قلت : ولِمَ يشتدّ عليك ما يَسهُل على أهل الأدب ! فقال : لِمَعرفتى بضيق صدرك؛ فقلت له وأنا أضحك وأعجب من مُكابرته : «رَمَتْنى بدائها وانسلّتْ»[2]؛ فقال: دَعْنى من هذا وٱسمعْ منّى أبياتًا؛ فقلت : هاتِ، فأنشدنى :

نغّص الموتُ كلَّ لذّة عيشٍ * ياٱلقومى لِلْموت ما أَوْحاهُ[3]

عجبًا أنّه إذا مات ميْتٌ * صَدّ عنه حبيبُه وجَفاهُ

حيثما وُجّه ٱمرؤٌ ليفوتَ ال * موتَ فالموتُ واقفٌ بِحذاهُ

إنّما الشَّيْبُ لابن آدمَ ناعٍ * قام فى عارِضَيْه ثم نَعاهُ

---

(١) يريد كتاب هارون بن على الوارد فى الصفحة السابقة . (٢) هذا مثل يضرب لمن يعيّر آخر بعيب هو فيه . (٣) ما أوحاه : ما أسرعه .

مَنْ تَمَنَّى المُنَى فأَغْرق فيها * مات من قبل أن ينالَ مُناهُ
ما أَذَلَّ المُقِلَّ فى أَعْيُنِ النا * س لإقلاله وما أَقْمَاهُ[1]
إنما تنظر العيونُ من النا * سِ الى من تَرْجوه أو تَخْشاهُ

ثم قال لى : كيف رأيتَها ؟ فقلت له : لقد جوَّدتَها لو لم تكن ألفاظُها سُوقيَّةً ؛ فقال : والله ما يُرَغِّبنى فيها إلّا الذى زهّدك فيها . ٥

مر به حميد الطوسى متكبرا فقال شعرا

ونسخت من كتابه عن علىّ بن مهدىّ قال حدّثنى عبد الله بن عطيّة عن محمد آبن عيسى الحربىّ قال :

كنت جالسًا مع أبى العتاهيــة، إذ مرّ بنا حُمَيْدٌ الطُّوسىّ فى موكبه و بين يديه الفُرسانُ والرَّجَّالَةُ، وكان بِقُرْب أبى العتاهية سَوادِىٌّ[2] على أتان، فضربوا وجه الأتان ونَحَّوْه عن الطريق، وحُميد واضعٌ طَرْفَه على مَعْرَفَة فرسه والناس ينظرون اليــه ١٠ يعجَبون منه وهو لا يلتفت تِيهًا ؛ فقال أبو العتاهية :

للمــوت أبنــاءٌ بهــم * ماشِئْتَ من صَلَفٍ وتيهِ
وكأنّنى بالمــوت قــد * دَارَتْ رَحَاه على بَنِيــهِ

١٧٤ / ٣

قال : فلما جاز حميد مع صاحب الأتان قال أبو العتاهية :

ما أذلّ المُقِلَّ فى أعين النا * س لإقــلاله وما أَقْمَاهُ ١٥
إنما تنظر العيونُ من النا * س الى من تَرْجوه أو تَخْشاهُ

اعترض عليه فى بخله فأجاب

قال علىّ بن مهدىّ وحدثنى الحسين بن أبى السَّرِىّ قال :

قيل لأبى العتاهية : مالك تَبخَل بما رزقك الله؟ قال : والله مابخِلتُ بما رزقنى الله قطّ . قيــل له : وكيف ذاك وفى بيتك من المــال ما لا يُحصَى ! قال : ليس ذلك رِزْقى، ولو كان رزقى لأنفقتُه . ٢٠

(١) ما أقماه : ما أذله . (٢) السوادىّ : القروىّ ، من سواد البلدة وهو ما حولها من القرى ، أو هو الرجل من عامة الناس .

طلب من صالح الشهرزورى حاجة فلم يقضها فعاتبه حتى استرضاه فمدحه

قال علىّ بن مهدىّ وحدّثنى محمد بن جعفر الشَّهْرَزُورِىّ قال حدّثنى رَجَاء مولى صالح الشَّهْرَزُورِىّ قال :

كان أبو العتاهية صديقا لصالح الشهرزورىّ وآنَس الناسِ به، فسأله أن يُكلّم الفضلَ بن يحيى فى حاجة له ؛ فقال له صالح : لست أُكلّمه فى أشباه هذا، ولكن حَمِّلْنى ما شئت فى مالى، فانصرف عنه أبو العتاهية وأقام أيّامًا لا يأتيه؛ فكتب اليه أبو العتاهية :

أَقْلِلْ زيارتَك الصديقَ ولا تُطِلْ * إتيانَه فتَلِجّ فى هِجْرانه
إنّ الصديقَ يلِجّ فى غِشْيانِه * لصديقه فيمَلّ من غِشيانه
حتى تراه بعد طول مَسَرّةٍ * بمكانه مُتَبَرِّمًا بمكانه
وأقلّ ما يُلْفَى الفتى ثِقَلًا على * إخوانه ماكَفّ عن إخوانه
وإذا توانَى عن صِيانة نفسه * رجلٌ تَنَقّص واستُخِفّ بشانه

فلما قرأ الأبياتَ قال : سبحان الله ! أَتهجرُنى لمنعى إيّاك شيئًا تعلم أنى ما ابتذلتُ نفسى له قطّ، وتَنْسى مودّتى وأُخوّتى، ومن دون ما بينى وبينك ما أَوجب عليك أن تَعذِرنى ؟ ! فكتب اليه :

أهلَ التخَلُّقِ او يَدوم تَخلّقٌ * لسكنتُ ظِلّ جَناح من يتخلّقُ
ما الناس فى الإمساك إلا واحدٌ * فبأيّهم إن حُصِّلوا[(١)] أتعلّقُ
هذا زمانٌ قد تعوّد أهلُه * تِيهَ الملوك وفعلَ من يتصدّقُ

فلما أصبح صالحٌ غدا بالأبيات على الفضل بن يحيى وحدّثه بالحديث ؛ فقال له : لا والله ما على الأرض أَبغضُ إلىّ من إسداء عارفةٍ الى أبى العتاهية ، لأنه ممن ليس

(١) حصلوا : خبروا وميّزوا .

يظهر عليه أثرُ صنيعةٍ، وقد قضيتُ حاجتَه لك ، فرجَع وأرسلنى اليه بقضاء حاجته ؛ فقال أبو العتاهية :

جزى اللهُ عنّى صالحًا بوفائه * وأَضْعفَ أضعافًا له فى جَزائه
بلوتُ رجالًا بعده فى إخائهم * فما ٱزْددتُ إلّا رَغْبَةً فى إخائه
٥ صديقٌ إذا ماجئتُ أبغيه حاجةً * رجَعتُ بما أبغى ووجهى بمائه

أخبرنى الصُّولىّ قال حدّثنى محمد بن موسى قال حدّثنى أحمد بن حَرْب قال : أنشدنى محمد بن أبى العتاهية لأبيه يُعاتب صالحًا هذا فى تأخيره قضاءَ حاجته :

صوت

أَعينىّ جُودَا وٱبكِيَا وُدَّ صالحٍ * وهِيجَا عليه مُعْوِلاتِ النَّوائحِ
١٠ فما زال سلطانًا أخٌ لى أوَدّه * فيقطعُنى جُرْمًا(١) قطيعةَ صالحِ

١٧٥ / ٣ الغناء فى هذين البيتين لإبراهيمَ ثقيلٌ أوّل بإطلاق الوتر فى مَجرى البِنْصر .

أمر الرشيد مؤدّب ولده أن يرويهم شعره

أخبرنى محمد بن أبى الأزهر قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن جدّه قال :

كان الرشيد مُعجَبًا بشعر أبى العتاهية ، فخرج إلينا يومًا وفى يده رُقعتان على ١٥ نسخة واحدة، فبعث بإحداهما الى مُؤدِّبٍ لولده وقال: لِيُرَوِّهم مافيها، ودفع الأخرى إلىّ وقال : غَنّ فى هذه الأبيات، ففتحتها فاذا فيها :

صوت

قُل لمن ضَنّ بوُدّهْ * وكَوَى القلبَ بصَدّهْ
ما ٱبتلى اللهُ فؤادى * بك إلّا شُؤْمَ جَدّهْ

٢٠ (١) فى ى : « زما » . وفى باقى النسخ : « حزما » . بالحاء المهملة . ويظهر أن كليهما محرف عما أثبتناه .

أيّها السارق عقلى * لا تَضَنَّنْ برَدِّهْ
ما أرى حُبَّك إلّا * بالغًا بى فوق حدِّهْ

تمثل المعتصم عند موته بشعره

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزاعىّ قال حدّثنى عبد الله بن محمد الأُمَوىّ العُتْبىّ قال قال لى محمد بن عبد الملك الزيّات :

لما أحسّ المُعتصم بالموت قال لابنه الواثق : ذهب والله أبوك يا هارون ! ٥ لله درّ أبى العتاهية حيث يقول :

الموتُ بين الخلق مُشتَرَكُ * لاسُوقةٌ يبقَى ولا ملِكُ
ما ضرَّ أصحابَ القليل وما * أَغنَى عن الأملاكِ ما ملَكوا

عدّ أبو تمام خمسة أبيات من شعره وقال لم يشركه فيها غيره

أخبرنى حَبيب بن نصر المُهَلّبى وعمّى الحسن والكَوكَبىّ قالوا حدّثنا عبد الله ١٠ ابن أبى سَعْد قال :

قال لى أبو تمّام الطائىّ : لأبى العتاهية خمسةُ أبيات ما شرِكه فيها أحدٌ، ولا قدَر على مثلها مُتقدّم ولا متأخّر، وهو قوله :

النّاس فى غَفَلاتهم * ورحَى المنيّة تَطْحَنُ

وقوله لأحمد بن يوسف :

١٥ ألم تَرَ أنّ الفقر يُرْجَى له الغِنَى * وأنّ الغنى يُخشى عليه من الفقرِ

وقوله فى موسى الهادى :

ولما آستقلّوا بأثقالهم * وقد أَزْمَعوا للذى أَزْمَعوا
قَرَنتُ آلتفاتى بآثارهم * وأتبعتُهم مُقلةً تَدْمَعُ

وقوله :

٢٠ هَبِ الدنيا تصير إليك عَفواً * أليس مصيرُ ذاك إلى زَوالِ

عزاؤه صديقا له

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَه قال حدّثنى محمد بن سعيد المَهْدىّ عن يَحيى بن سَعيد الأنصارىّ قال :

مات شيخ لنا ببغداد، فلما دفنّاه أقبل الناسُ على أخيه يُعزُّونه، فجاء أبو العتاهية إليه وبه جَزَعٌ شديد، فعزّاه ثم أنشده :

٥ لا تأمَنِ الدّهرَ والْبَسْ * لكلّ حين لباسَا
لَيَدْفِنَنَّا أُناسٌ * كما دفنّا أُناسَا

١٧٦ / ٣ قال : فانصرف الناس، وما حفِظوا غيرَ قول أبى العتاهية .

أرسل لخزيمة من شعره فى الزهد فغضب وذمه

نسختُ من كتاب هارون بن علىّ : حدّثنى علىّ بن مَهدىّ قال حدّثنى حَبيب ابن عبد الرحمن عن بعض أصحابه :

١٠ قال : كنت فى مجلس خُزَيمة[1]، فجرى حديثُ ما يُسْفَكُ من الدماء، فقال : والله مالنا عند الله عذرٌ ولا حجةٌ إلا رجاء عفوه ومغفرته ؛ ولولا عزّ السلطان وكراهةُ الذلّة، وأن أصيرَ بعد الرياسة سُوقةً وتابعًا بعد ما كنتُ متبوعًا ، ما كان فى الأرض أزهدُ ولا أعبدُ منّى؛ فإذا هو بالحاجب قد دخل عليه برُقعة من أبى العتاهية فيها مكتوبٌ :

١٥ أراكَ آمرأً ترجو من الله عَفْوَه * وأنت على ما لا يُحِبّ مُقيمُ
تَدُلّ على التقوى وأنت مُقَصّرٌ * أيا من يُداوِى الناسَ وهو سَقيمُ
وإنّ آمرأً لم يُلْهِه اليومُ عن غدٍ * تَخَوُّفَ ما يأتى به لحكيمُ
وإن آمرأً لم يجعلِ البِرّ كنزَه * وإن كانت الدنيا له لعَديمُ

(١) هو خزيمة بن خازم أحد قواد الرشيد .

فغضب خُزَيمة، وقال : والله ما المعروفُ عند هـذا المعتوه المُلْحِف من كنوز البِرّ فيرغبَ فيه حرٌّ؛ فقيل له : وكيف ذاك ؟ فقال : لأنه من الذين يكنِزون الذهب والفضّة ولا يُنفقونها فى سبيل الله .

مدح يزيد بن مزيد فوصـــله

ونسخت من كتابه : عن علىّ بن مهـدىّ قال حدّثنى الحُسَين بن أبى السَّرِىّ قال قال لى الفضلُ بن العبّاس قال :

قال لى أبو العتاهية : دخلت على يزيدَ بن مَزْيَد، فأنشدته قصيدتى التى أقول فيها :

وما ذاك إلا أنّـنى وَاثِقٌ بمـا * لديـك وأنّى عالمٌ بوفائِـكَا

كأنّك فى صدرى اذا جئتُ زائرًا * تُقَـدِّر فيـه حاجتى بآبتدائكَا

وإنّ أمـيرَ المؤمنين وغيرَه * ليَعْلَمُ فى الهيجاء فضـلَ غَنائِكَا

كأنك عند الكَرّ فى الحرب إنما * تَفِرّ من السِّلم الذى من ورائِكَا

فما آفةُ الأملاكِ غيرُك فى الوَغَى * ولا آفةُ الأموال غـيرِ حِبائكَا

قال : فأعطانى عشرةَ آلاف درهم، ودابّةً بسَرْجها ولِجامها .

وعظ راهب رجلا عابدا بشعره

وأخبرنى عيسى بن الحسين الوَرّاق وعمّى الحسن بن محمـد وحَبيب بن نصر المهلّبى قالوا : حدّثنا عُمَر بن شَبّة قال :

مرّ عابدٌ براهبٍ فى صَـوْمعة؛ فقال له : عِظْنى؛ فقال : أَعِظُك وعليكم نَزَل القرآن، ونبيّكم محمد صلّى الله عليه وسلم قريبُ العهـد بكم[1] ! قلت نعم؛ قال : فآتّعظْ ببيتٍ من شعر شاعرِكم أبى العتاهية حين يقول :

تَجَرّدْ من الدنيا فإنك إنّمـا * وقعتَ إلى الدنيا وأنت مُجرّدُ

فضـله العتابى على أبى نواس

أخبرنى محمد بن عِمْران الصَّيْرفىّ قال حدّثنـا العَنَزىّ قال حدّثنى الفَضْل بن محمد الزّارِع قال حدّثنى جعفر بن جَميل قال :

(١) فى جميع الأصول : «ونبيكم محمد صلى الله عليه وسلم قريب العهد بكم صلى الله عليه وسلم وعلى آله» ويظهر أن هذا تكرار من النساخ .

قدم العَتّابى الشاعر على المأمون، فأَنْزله على إسحاق بن إبراهيم، فأنزله على كاتبه ثَوَابَةَ بن يونس، وكنّا نختلف إليه نكتب عنه، فجرى ذاتَ يوم ذِكْرُ الشعراء؛ فقال : لكم يأهلَ العراق شاعر منوَّه الكُنْيَة، ما فعل؟ فذكر القوم أبا نواس؛ فانتهرهم ونفَض يده وقال : ليس ذلك، حتى طال الكلامُ؛ فقلت : لعلّك تريد أبا العتاهية؛ فقال : نعم، ذاك أشعرُ الأوّلين والآخرين فى وقته .

١٧٧ / ٣

لام أبا نواس فى استماع الغناء

أخبرنى محمد بن عِمْران قال حدّثنى العَنَزِىّ قال حدّثنى محمد بن إسحاق عن علىّ بن عبد الله الكِنْدىّ قال :

جلس أبو العتاهية يوما يعـذُلُ أبا نواس ويلومه فى آستماع الغِناء ومجالسته لأصحابه؛ فقال له أبو نواس :

أتُرانِى يا عَتَاهى * تاركًا تلك الملاهى

أتُرانى مُفسِدًا بالنُّسْك عند القوم جاهى

قال : فوثَب أبو العتاهية وقال : لا بارك الله عليك! وجعل أبو نواس يضحك .

بلغه أن إبراهيم ابن المهدى رماه بالزندقة فبعث اليه يعاتبه فردّ عليه إبراهيم

أخبرنى جَحْظَة قال حدّثنى بَقِيّة الله بن إبراهيم بن المهدىّ قال :

بلَغ أبا العتاهية أنّ أبى رماه فى مجلسه بالزندقة وذكَره بها، فبعث اليه يعاتبه على لسان إسحاق الموصلى، فأدّى اليه إسحاق الرسالة، فكتب اليه أبى :

إنّ المنيّة أَمْهلتْك عَتَاهِى * والموتُ لا يَسهو وقلبُك ساهِى

ياويحَ ذى السنّ الضعيف أمَا لَهُ * عن غَيِّه قبل المَمات تَنَاهِى

وُكِّلتَ بالدنيا تُبَكِّيها وتَنْـ * ـدُبها وأنت عن القيامة لاهِى

والعيشُ حلوٌ والمَنُون مَرِيرةٌ * والدار دارُ تَفَاخُر وتباهِى

فَاخْتَرْ(١) لنفسك دونها سُبُلًا ولا * تَتَحامَقَنْ لها فإنك لاهى

لا يُعْجِبَنَّك أن يُقالَ مُفَوَّهٌ * حَسَنُ البلاغة أو عريضُ الجاه

أَصْلِحْ جَهُولًا من سَرِيرتك التى * تخلو بها وٱرْهَبْ مَقام الله

إنى رأيتك مُظْهِرًا لزَهَادةٍ * تحتاجُ منك لها إلى أشْباه

كان عبد الله بن العباس بن الفضل مشغوفا بالغناء فى شعره

٥ أخبرنى محمد بن يحيى الصُّولِىّ قال حدّثنى الحُسَين بن يحيى الصُّولِىّ قال حدّثنى عبد الله بن العبّاس بن الفضل بن الرّبيع قال :

رآنى الرشيد مشغوفا بالغناء فى شعر أبى العتاهية :

صوت

أحمدُ قال لى ولم يَدْرِ ما بى * أَتُحِبّ الغَداةَ عُتْبةَ حقّا

١٠ فتنفّستُ ثم قلت نعم حُبًّا جرى فى العروق عِرْقًا فعرقا

لو تَجُسِّين يا عتيبةُ قلبى * لوجدتِ الفؤادَ قَرْحًا تَفَقَّا

قد لعمرى ملّ الطبيب وملّ الأهلُ منّى مما أُقاسى وأَلْقَى

ليتنى مُتُّ فٱسترحتُ فإنى * أبدًا ما حَيِيتُ منها مُلَقًّى(٢)

ولا سيّما من مُخَارِق، وكان يُغَنّى فيه رَمَلًا لإبراهيم أخذه عنه . وفيه لحنٌ لفَرِيدَة

١٥ رَمَلٌ . هكذا قال الصُّولِىّ : "فريدة" بالياء، وغيره يقول : "فِرِنْدة" بالنون .

أمره الرشيد أن يقول شعرا يغنى فيه الملاحون فلما سمعه بكى

حدّثنى الصُّولِى قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا محمد بن صالح العَدَوِىّ قال أخبرنى أبو العتاهية قال :

كان الرشيد مما يُعجبه غِناءُ المَلّاحين فى الزَّلّالات(٣) إذا ركبها، وكان يتأذّى بفساد كلامهم ولحنهم، فقال : قولوا لمن معنا من الشعراء يعملوا لهؤلاء شعرا يغنّون فيه ؛

٢٠ (١) فى حـ : «فٱحتل» . (٢) الملقى : الممتحن الذى لا يزال يلقاه مكروه . (٣) لم يوجد هذا الاسم فى كتب اللغة التى بين أيدينا بالمعنى المراد منه هنا . وظاهر أن المراد به نوع من السفن .

١٧٨ / ٣

فقيل له : ليس أحد أَقدرَ على هذا من أبى العتاهية، وهو فى الحَبْس . قال : فوجّه إلىّ الرشيدُ : قل شعرًا حتى أسمعه منهم، ولم يأمر بإطلاقى، فغاظنى ذلك، فقلت : والله لأقولن شعرا يُحزنه ولا يُسَرّ به، فعملتُ شعرا ودفعته إلى من حَفَّظه الملّاحين. فلما ركب الحَرّاقة (١) سمعه، وهو :

خانك الطَّرْفُ الطَّمُوحُ * أيها القلبُ الجَمُوحُ
لِدَواعى الخيرِ والشـ * ـرِّ دُنُوٌّ ونُزُوح
هل لمطلوبٍ بذنب * توبةٌ منه نَصُوح
كيف إصلاحُ قلوبٍ * إنّما هنّ قُروح
أَحْسَنَ اللهُ بنا أنّـ * ـنَ الخطايا لا تَفُوح
فإذا المَسْتُور منّا * بين ثَوْبَيْه فُضُوح (٢)
كم رأينا من عزيزٍ * طُوِيتْ عنه الكُشُوحُ
صاح منه برَحِيلٍ * صائحُ الدهر الصَّدُوح
موتُ بعضِ الناس فى الأر * ض على قومٍ فُتُوح
سيصير المرءُ يومًا * جسدًا ما فيه رُوح
بين عَيْنَىْ كلِّ حىٍّ * عَلَمُ الموت يَلُوح
كلّنا فى غفلةٍ والـ * ـموتُ يغدو ويَرُوح
لِبَنِى الدنيا من الدنـ * ـيا غَبُوقٌ (٣) وصَبُوح
رُحْنَ فى الوَشْى وأصبحـ * ـنَ عليهنّ المُسُوح

(١) الحرّاقة : ضرب من السفن الحربية الكبيرة فيها مرامى نيران يرمى بها العدوّ فى البحر . وكان منها أنواع تستعمل للنزهة والرياضة والتنقل عند الخلفاء والملوك والأمراء فى أوّل العصر العباسى (مثل الذهبية عندنا) وهى المرادة هنا . (٢) هذه رواية الديوان . وفى الأصول : نضوح « بالنون » .
(٣) الغبوق : ما شرب أو أكل آخر النهار، و يقابله الصبوح وهو ما أكل أو شرب أوّل النهار .

كلّ نَطّاحٍ من الدهـ * ـرِ له يومٌ نَطُوح
نُحْ على نفسك يا مِسْكينُ إن كنتَ تَنوح
لَتموتَنّ وإن عُمِّرتَ ما عُمِّر نُوح

قال : فلما سمع ذلك الرشيد جعل يبكى وينتحب ، وكان الرشيد من أغزر الناس دموعاً فى وقت الموعظة ، وأشدّهم عَسْفاً فى وقت الغضب والغلظة . فلما رأى الفضلُ بن الربيع كثرةَ بكائه ، أومأ إلى الملاّحين أن يسكتوا .

هجا منجابا الذى كان موكلا بحبسه

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى الحسن بن جابر كاتب الحسين بن رَجاء قال : لما حبَس الرشيد أبا العتاهية دفعه الى مِنْجاب ، فكان يَعْنُف به ، فقال أبو العتاهية :

مِنْجابُ مات بدائه * فاْعجَلْ له بدوائه
إنّ الإمام أعلّه * ظُلْماً بحدّ شقائه
لا تُعْنِفَنّ سِياقَه (١) * ما كلُّ ذاك برائه
ما شِمتُ هذا فى مَخا * يِلِ بارقاتِ سَمائه

مدح الرشيد حين عقد ولاية العهد لبنيه

أخبرنى محمد بن عِمْران الصَّيْرفىّ قال حدّثنا العَنَزىّ قال حدّثنى أحمد بن معاوية القُرَشىّ قال :

لمّا عقَد الرشيدُ ولايةَ العهد لبنيه الثلاثة : الأمين، والمأمون، والمؤتمن ، قال أبو العتاهية :

رَحلتُ عن الرَّبْع المُحيل قَعُودى * إلى ذى زُحوفٍ (٢) جَمّةٍ وجُنودِ
وراعٍ يُراعِى الليلَ فى حِفظ أُمّة * يُدافِع عنها الشرَّ غيرِ رَقودِ
بألْويةٍ جبريلُ يقْدُم أهلَها * وراياتِ نصرٍ حولَه وبُنودِ

(١) يريد : «برأيه» . (٢) الزحوف : جمع زحف وهو الجيش .

تَجافى عن الدنيا وأَيقن أنّها * مفارقةٌ ليست بدارِ خُلودِ
وشدّ عُرى الإسلام منه بِفتْيةٍ * ثلاثةِ أملاكٍ وُلاةِ عُهودِ
هُمُ خيرُ أولادٍ لهم خيرُ والدٍ * له خيرُ آباءٍ مَضَت وجُدودِ
بنو المصطفَى هارونَ حول سريره * فخيرُ قيامٍ حولَه وقعُودِ
٥ تُقلِّب ألحاظَ المَهابةِ بينهم * عيونُ ظباءٍ فى قُلوب أُسودِ
جُدودهم(١) شمسٌ أتتْ فى أَهِلَّةٍ * تَبدَّتْ لراءٍ فى نجُوم سعودِ

قال : فوصَله الرشيدُ بصلةٍ ما وصل مثلَها شاعرًا قطّ .

ذكر لملك الروم فالتمسه من الرشيد فاستعفى هو ، فكتب من شعره فى مجلسه وعلى باب مدينته

أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد الأَسَدِيّ إجازةً قال حدثنى الرِّياشيّ قال : قدِم رسولٌ لملك الروم الى الرشيد، فسأل عن أبى العتاهية وأنشده شيئًا من ١٠ شعره، وكان يُحسن العربيةَ، فمضى الى ملك الروم وذكَره له ، فكتب ملك الروم اليه، وردّ رسولَه يسأل الرشيدَ أنْ يُوجّه بأبى العتاهية ويأخذَ فيه رهائنَ من أراد، وألَحّ فى ذلك، فكلّم الرشيدُ أبا العتاهية فى ذلك فٱستعفى منه وأباه . وٱتصل بالرشيد أنّ ملك الروم أمر أن يُكتب بيتان من شعر أبى العتاهية على أبواب مجالسه وبابِ مدينته، وهما :

١٥ صوت

ما ٱختلف الليلُ والنهار ولا * دارَتْ نجومُ السماء فى الفَلَكِ
إلا لنَقْل السُّلطان عن مَلِكٍ * قَدِ ٱنقضى ملكُه إلى مَلِكِ

انقطع بعد خروجه من الحبس فلامه الرشيد فكتب له شعرا معتذرا ومادحا

أخبرنى عمّى قال حدّثنا عُبيد الله بن أبى سَعد قال حدّثنا الرَّبيع بن محمد الخُتَّلىّ الورّاق قال أخبرنى ٱبنُ أبى العتاهية :

٢٠ (١) كذا فى الديوان . وفى الأصول : «خدودهم» بالخاء .

أنّ الرشيد لما أطلق أباه من الحبس ، لزم بيته وقطع الناس، فذكره الرشيد فعُرِّف خبره، فقال : قولوا له : صِرْتَ زِيرَ نساء وحِلْسَ بيت[1]، فكتب اليه أبو العتاهية :

بَرِمْتُ بالنّاسِ وأخلاقِهم * فصِرْتُ أستأنِسُ بالوَحْدهْ
ما أكثرَ الناسَ لعَمْرِى وما * أقلَّهم فى مُنتهى العِدَّهْ ٥

ثم قال : لا ينبغى أن يَمْضِىَ شعرٌ الى أمير المؤمنين ليس فيه مدحٌ له ، فقَرَن هذين البيتين بأربعة أبيات مدَحه فيها وهى :

صوت

عادَ لى من ذكرها نَصَبُ * فدموع العين تنسكبُ
وكذاك الحبُّ صاحبُه * يَعتريه الهمُّ والوَصَبُ ١٠
خيرُ من يُرجَى ومن يَهَبُ * مَلِكٌ دانت له العربُ ١٨٠/٣
وحقيقٌ أن يُدانَ له * من أبوه للنبىّ أَبُ

أمره الرشيد أن يعظه فقال شعرا فبكى

حدّثنا الصُّولىّ قال حدّثنا عَوْن بن محمد قال حدّثنا محمد بن أبى العتاهية قال : قال الرشيد لأبى : عِظْنى ؛ فقال له : أخافك ! فقال له : أنت آمن ؛ فأنشده :

لا تأمَنِ الموتَ فى طَرْفٍ ولا نَفَسٍ * اذا تَسَتَّرْتَ بالأبواب والحَرَسِ ١٥
واعلم بأنّ سِهام الموت قاصدةٌ * لكلِّ مُدَّرِعٍ منّا ومُتَّرِسِ
ترجو النجاةَ ولم تَسلُك طريقَتَها * إنّ السفينةَ لا تَجْرى على اليَبَسِ

قال : فبكى الرشيد حتى بَلّ كُمّه .

(١) حلس بيت : ملازمه لا يبرحه ، وهو مما يذم به الرجل .

ناظر ابن أبى فنن ابن خاقان فيه وفى أبى نواس ، ثم حكما ابن الضحاك ففضله

حدّثنى عمّى قال حدّثنى أحمد بن أبى طاهر قال :

قال لى أحمد بن أبى فَنَن: تناظرت أنا والفَتْح بن خاقانَ فى منزله : أيُّما [الرجلين] أشعر: أبو نُوَاس أم أبوالعتاهية ؟ فقال الفَتْح : أبو نواس ، وقلت : أبو العتاهية، ثم قلت : لو وُضِعتْ أشعار العرب كلُّها بإزاء شعر أبى العتاهية لفضَلَها، وليس بيننا خلافٌ فى أنّ له فى كل قصيدة جيدًا و وَسطًا وضَعيفًا. فاذا جُمع جيّده كان أكثرَ من جيّـد كل مُجَوِّد، [ثم] قلت له : بمن ترضى ؟ قال : بالحسين بن الضحّاك؛ فما آنقطع كلامنا حتى دخل الحسين بن الضحاك؛ فقلت : ما تقول فى رجلين تشاجرا، فضّل أحدُهما أبا نواس وفضّل الآخَرُ أبا العتاهية ؟ فقال الحسين : أُمُّ مَن فَضَّـل أبا نواس على أبى العتاهية زانية؛ فخَجِل الفَتْح حتى تبيّن ذلك فيـه ، ثم لم يعاوِدْنى فى شىء من ذكرهما حتى آفترقنا .

اجتمع مع مخارق فما زال يغنيه وهو يشرب و يبكى ثم كسر الآنية وتزهد

وقد حدّثنى الحسن بن محمد بهذا الخبر على خلاف ما ذكره إبراهيم بن المهدىّ فيما تقدّم، فقال : حدّثنى هارونُ بن مُخَارِق قال حدّثنى أبى قال :

جاءنى أبو العتاهية فقال : قـد عزمتُ على أن أتزوّد منك يوما تَهَبه لى، فتى تنشَط؟ فقلتُ : متى شِئتَ؛ فقال : أخاف أن تقطع بى؛ فقلت : والله لا فعلتُ وإن طلبنى الخليفة؛ فقال : يكون ذلك فى غدٍ؛ فقلت : أفعلُ . فلما كان من غد باكرنى رسولُه فجئته، فأدخلنى بيتا له نظيفًا فيه فرش نظيف، ثم دعا بمائدة عليها خبز سَمِيذ[1] وخلّ و بَقْلٌ[2] وملح وجَدْىٌ مَشْوِىّ فأكلنا منه، ثم دعا بسمك مشوىّ فأصبنا منه حتى آكتفينا، ثم دعا بحَلْواءَ فأصبنا منها وغسلنا أيدينا، وجاءونا بفاكهة ورَيْحان وألوان

(١) السميذ : الدقيق الأبيض وهو لباب الدقيق . (٢) كذا بالأصول ، ويحتمل أيضا أن يكون «نقل» اذ هو المناسب للمقام .

من الأنبذة، فقال: ٱختر ما يصلُح لك منها، فٱخترتُ وشربت؛ وصبّ قدحا ثم قال: غنّنى فى قولى:

أحمـدٌ قال لى ولم يَدْرِ مابى * أتحبُّ الغـداةَ عُتبةَ حقًّا

فغنّيته، فشرب قدحًا وهو يبكى أحَرّ بكاء؛ ثم قال: غنّنى فى قولى:

ليس لمن ليستْ له حيـلةٌ * موجودةٌ خيرٌ من الصّبرِ

فغنّيته وهو يبكى ويَنْشِج(١)، ثم شرب قدحًا آخر ثم قال: غنّنى، فديتُك، فى قولى:

خليـلىَّ مالى لا تزالُ مَضَرّتى * تكون مع الأَقْدار حتمًا من الحتم

فغنّيته إياه، وما زال يقترح علىّ كلّ صوت غُنِّىَ به فى شعره فأُغنّيه ويشرب ويبكى حتى صار العَتَمة؛ فقال: أُحبّ أن تصبر حتى ترى ما أصنعُ فجلست، فأمر ٱبنَه وغلامَه فكسّرا كلّ ما بين أيدينا من النّبيـذ وآلته والملاهى، ثم أمر بإخراج كلّ ما فى بيته من النّبيذ وآلته، فأُخرج جميعه، فما زال يكسره ويصبّ النبيذ وهو يبكى حتى لم يَبْق من ذلك شىء، ثم نزع ثيابَه وٱغتسل، ثم لبس ثيابًا بيضًا من صوف، ثم عانقنى وبكى، ثم قال: السلام عليك يا حبيبى وفرحى من النـاس كلّهم سـلامَ الفِراق الذى لا لِقاءَ بعدَه؛ وجعل يَبْكى، وقال: هذا آخرُ عهدى بك فى حال تعاشِر أهل الدنيا، فظننتُ أنّها بعضُ حماقاته، فٱنصرفتُ وما لقيته زمانًا، ثم تشوّقته(٢) فأتيته فٱستأذنتُ عليه فأذن لى فدخلت، فاذا هو قد أخذ قَوْصَرّتين(٣) وثقب إحداهما وأدخل رأسَه ويديه فيها وأقامها مقامَ القميص، وثقبَ الأُخرى(٤) وأخرج رجليه منها وأقامها مقام السراويل، فلما رأيتُه نَسيت كلّ ما كان عندى من الغمّ عليه والوحشة لعِشْرته،

(١) نشج الباكى: غصّ بالبكاء فى حلقه من غير انتحاب. (٢) فى معاجم اللغة التى بين أيدينا أن «تشوّق» يتعدّى بالحرف، فلعل ما هاهنا من باب الحذف والإيصال، والأصل: «وتشوّقت اليه». (٣) القوصرة (بتشديد الراء وتخفيفها): وعاء من قصب يرفع فيه التمر من البوارى. (٤) فى الأصول: «أخرى».

وضحكت والله ضحكًا ما ضحكت مثله قطّ؛ فقال : من أيّ شيء تضحك؟ فقلت : أسخن الله عينَك[1] ! هذا أيّ شيء هو ؟ مَنْ بلَغك عنه أنه فعل مثلَ هذا من الأنبياء والزُّهّاد والصحابة والمجانين ، انزِعْ عنك هذا يا سَخين العين ! فكأنه آستحيا منّي؛ ثم بلغني أنه جلس حجّاما، فجهِدْتُ أن أراه بتلك الحال فلم أره ، ثم مرِض، فبلغني أنه آشتهى أن أُغنّيَه ،فأتيته عائدًا،فخرج اليّ رسوله يقول: إن دخلتَ إليّ جدّدتَ لى حُزنا وتاقت نفسى من سماعك الى ما قد غلبتها عليه، وأنا أستودعك الله وأعتذر اليك من ترك الآلتقاء، ثم كان آخر عهدى به .

تمنى عند موته أن يجيء مخارق فيغنيه فى شعره

حدّثنى جَحْظَة قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

قيل لأبي العتاهية عند الموت: ما تشتهى؟ فقال: أشتهى أن يجيءَ مُخارِقٌ فيضع فمَه على أُذنى ثم يغنّيني :

سيُعرَض عن ذكرى وتُنْسَى مودّتى * ويحدُث بعدى للخليل خليلُ
اذا ما انقضتْ عنّى من الدهر مُدّتى[2] * فإن غَنَاءَ الباكيات قليلُ

وأخبرنى به أبو الحسن الأَسَديّ قال حدّثنا محمد بن صالح [بن] النطّاح قال : قال بِشْر بن الوليد لأبي العتاهية عند الموت : ماتشتهى؟ فذكر مثلَ الأول .

وأخبرنى به ابن عَمّار أبو العبّاس عن ابن أبي سَعْد عن محمد بن صالح: أنّ بِشْرا قال ذلك لأبي العتاهية عند الموت، فأجابه بهذا الجواب .

آخر شعر قاله فى مرضه الذى مات فيه

نسخت من كتاب هارون بن عليّ: حدّثنى عليُّ بن مَهْديّ قال حدّثنى عبد الله بن عطيّة قال حدّثنى محمد بن أبي العتاهية قال: آخِرُ شعر قاله أبى فى مرضه الذى مات فيه:

إلٰهى[3] لا تُعــذّبْنى فإنّى * مُقِرٌّ بالذى قد كان منّى
فمالى حيلةٌ إلا رجائى * لعفوك إن عفوتَ وحسنُ ظنّى

(١) أسخن الله عينه : أبكاه وأحزنه . (٢) كذا فى وفيات الأعيان لابن خلكان وديوانه طبع بيروت (ص ٢٢١)، ومدته : أجله . وفى الأصول : « ليلة » . (٣) ورد هذا الشعر فى ديوانه ص ٢٦٣ باختلاف يسير فى الرواية عما هنا .

وكم من زَلَّة لى فى الخطايا * وأنت علىّ ذو فَضْـل ومَنّ
إذا فكرت فى نَدمى عليهـا * عضِضْتُ أناملى وقَرَعْتُ سِنّى
أُجَنُّ بزهرة الدنيـا جُنونًا * وأَقطـع طولَ عُمْرى بالتمنّى
ولو أنّى صدقت الزهد عنها * قلبتُ لأهلها ظَهْـرَ المِجَنّ
يظنّ الناسُ بى خيرًا وإنّى * لشرُّ الخلق إن لم تعفُ عنّى ٥

أمر بنتـه فى علته التى مات فيها أن تندبه بشعره

أخبرنى محمد بن عِمْرانَ الصَّيْرفىّ قال حدّثنا الحَسَنُ بن عُلَيل قال حدّثنى أحمد ابن حمزة الضُّبَعىّ قال أخبرنى أبو محمد المُؤدِّب قال : ١٨٢ / ٣

قال أبو العتاهية لابنته رُقيّة فى علّته التى مات فيها : قومى يا بُنية فأَندُبى أباك بهذه الأبيات؛ فقامت فندبتْه بقوله :

لعِبَ البِلَى بمَعَالِمى ورُسُومى * وقُبِرتُ حيًّا تحت رَدْم همُومى ١٠
لزِم البِلَى جِسْمى فأَوْهن قُوّتى * إنّ البِـلى لَمُوَكَّلٌ بلُزُومى

تاريخ وفاته ومدفنه

أخبرنى أحمد بن عُبَيْـد الله بن عَمّار قال حدّثنا محمد بن داود بن الجَرّاح قال حدّثنى علىّ بن محمد قال حدّثنى مُخارِق المغنِّى قال :

تُوفّى أبو العتاهية، وإبراهيم الموصلى، وأبو عمرو الشَّيبانى عبد السّلام[1] فى يوم واحد فى خلافة المأمون، وذلك فى سنة ثلاثَ عشرةَ ومائتين . ١٥

(١) كذا فى أكثر الأصول، وظاهر الكلام أن عبد السلام اسم لأبى عمرو الشيبانى وهو غير صحيح. فان أبا عمرو الشيبانى الذى توفى فى اليوم الذى توفى فيه أبو العتاهية اسمه اسحاق بن مرار (وزان كتّاب) وهو من رمادة الكوفة ونزل الى بغـداد وجاور شيبان للتأدب فيها فنسب اليها ، وكان من الأئمة الأعلام فى اللغة والشعر . وفى ء « وعبد السـلام » بزيادة واو العطف وهو ما يفيد أنه اسم لشخص آخر ذكر فى وفيات هـذه السنة ، وقد بحثنا فى كتب التاريخ والتراجم عمن توفوا فى سنة ٢١٣ فلم نعثر فيهم على من تسمى بعبد السلام . وفى نسخة أ « أبو عمر الشيبانى ... السلام» . والظاهر أن البياض فى « أ » وكلمة « عبد » فى باقى الأصول أصله « بمدينة » ، ومدينة السلام هى بغداد، ويؤيد هـذا ما ورد فى وفيات الأعيان فى ترجمة أبى عمرو الشـيبانى من قوله : « ... مات إسحاق بن مرار فى اليوم الذى مات فيـه أبو العتاهية وابراهيم النديم الموصلىّ سنة ثلاث عشرة ومائتين ببغداد » . ٢٠

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهْرَوَيْهِ عن أحمد بن يوسف عن أحمد ابن الخليل عن إسماعيل بن أبي قُتَيبة قال :

مات أبو العتاهية، وراشد الخَنّاق، وهشيمة الخَمّارة في يوم واحد سنة تسع ومائتين .

وذكر الحارث بن أبي أُسَامة عن محمد بن سعد كاتب الوَاقديّ : أن أبا العتاهية مات في يوم الاثنين لثمانٍ خَلَوْن من جمادَى الأولى سنة إحدى عشرة ومائتين، ودُفن حِيالَ قنطرة الزيّاتين في الجانب الغربيّ ببغداد .

٥

أخبرني الصُّوليّ عن محمد بن موسى عن أبي محمد الشَّيْباني عن محمد بن أبي العتاهية : أنّ أباه توفي سنة عَشْر ومائتين .

الشعر الذي أمر أن يكتب على قبره

أخبرني الصُّوليّ قال حدّثني محمد بن موسى عن محمد بن القاسم عن إبراهيم ابن عبد الله بن الجُنَيْد عن إسحاق بن عبد الله بن شُعَيْب قال :

١٠

أمر أبو العتاهية أن يُكتبَ على قبره :

أُذْنَ حيٍّ تَسَمَّعِي * اِسمعي ثم عِي وعِي

أنا رهنٌ بمَضْجَعِي * فاحذَرِي مثلَ مَصْرَعِي

عشتُ تسعين حِجّةً[(١)] * في ديار التَّزَعْزُعِ

ليس زادٌ سوى التُّقى * فخذِي منه أَوْ دَعِي

١٥

رثاه ابنه بشعر

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن أبي خَيْثَمَة قال :

لمّا مات أبو العتاهية رثاه ابنه محمد بن أبي العتاهية فقال :

(١) كذا في الديوان . وفي الأصول :

عشت تسعين حجة * أسلمتني لمضجعي

كم ترى الحي ثابتا * في ديار التزعزع

٢٠

ولعل صوابه : كم يرى الحيّ ثابتا الخ .

يا أبى ضمّك الــثّرى * وطوى الموتُ أجمعَكْ
ليتنى يــومَ مُتَّ صِر * تُ إلى حُفرةٍ معــكْ
رحــم الله مصرعك * بــرّد الله مضجعكْ

أنكر ابنه أنه أوصى أن يكتب شعر على قبره

أخبرنى الحسن قال حدّثنى أحمد بن زُهَير قال :

قال محمد بن أبى العتاهية : لقيَنى محمد بن أبى محمد اليَزِيدىّ (١) فقال : أنشِدْنى الأبياتَ التى أوصى أبوك أن تُكتب على قبره؛ فأنشأت أقول له : ٥

كذَبتَ على أخٍ لك فى مماتِهْ * وكم كذِب فشا لك فى حياتِهْ
وأكذَبُ ما تكون على صديقٍ * كذبتَ عليــه حيًّا فى مماتِهْ

١٨٣ / ٣

فخجل وآنصرف . قال : والنــاس يقولون : إنه أَوْصى أن يُكتب على قبره شعرٌ له ، وكان آبنه يُنكِر ذلك . ١٠

وذكر هارون بن علىّ بن مَهْدِىّ عن عبد الرحمن بن الفَضْل أنه قرأ الأبيات العَيْنيّة التى أوّلها :

* أُذنَ حىّ تَسمَّعى *

على حَجرٍ عند قبر أبى العتاهية .

ولم أذكر هاهنا مع أخبار أبى العتاهية أخبارَه مع عُتْبة ، وهى من أعظم أخباره ١٥ لأنها طويلة ، وفيها أغانٍ كثيرة ، وقد طالت أخباره هاهنا فأفردتها .

(١) فى الأصول : «الزيدى» والتصويب عن كتاب الأنساب للسمعانى .

أخبار فَرِيدة

أخبار فريدة الكبرى ونشأتها ومصيرها

قال مؤلف هذا الكتاب : هما آثنتان مُحسِنتان لهما صَنعة تُسمَّيان بفريدة . فأمّا إحداهما، وهى الكبرى ، فكانت مُوَلَّدة نشأت بالحجاز، ثم وقعت إلى آل الرَّبيع، فعُلِّمتِ الغناءَ فى دُورهم، ثم صارت إلى البرامكة، فلما قُتِل جعفر بن يحيى ونُكِبوا هربت وطلَبها الرشيدُ فلم يجدها، ثم صارت إلى الأمين، فلما قُتل خرجتْ، فتزوّجها الهَيْثم بن مُسلِم[1] فولَدت له آبنَه عبدَ الله، ثم مات عنها فتزوّجها السِّنْدىّ بن الحَرِشىّ[2] وماتت عنده . ولها صَنْعة جيّدة، منها فى شعر الوليد بن يزيد :

بعض الشعر الذى لها فيه صنعة

صــوت

وَيْحَ سَلْمَى لو ترانى * لعناها ما عَنَانى

واقفًا فى الدار أَبكى * عاشقًا حُورَ الغَوانى

ولحنُها فيه خفيف رَمَلٍ .

ومن صنعتها :

صــوت

أَلَا أيّها الركبُ النّيامُ أَلَا هُبُّوا[3] * نُسائلْكُمُ هل يقتلُ الرجلَ الحبُّ

أَلا رُبَّ ركبٍ قد وقَفتُ مطيَّهم * عليكِ ولولا أنتِ لَمْ يقِفِ الركبُ

لحنها فيه ثانى ثقيل . وفيه لآبن جامع خفيفُ رَمَل بالسَّبّابة فى مجرى الوُسْطى .

---

(١) كذا فى ب و س . وفى باقى النسخ : « سلم » . (٢) كذا فى الطبرى (ص ٦٨٠ و ٧٣٤ و ٨٥٥ و ٨٥٦ من القسم الثالث) وهو أحد رجالات الرشيد والمأمون . وفى الأصول : « الجرشى » بالجيم . (٣) الرواية المشهورة لهذين البيتين :

ألا أيها النوّام ويحكمُ هبّوا * نسائلكم هل يقتل الرجل الحبُّ

ألا رب ركب قد دفعت وجيفهم * اليك ولولا أنت لم يوجف الركبُ

سأل صالح بن حسان الهيثم بن عدى عن بيت نصفه بدوى والآخر حضرى ثم ذكره

فحدّثنى محمد بن العبّاس اليَزِيدىّ قال حدّثنا الخليل بن أَسَد قال حدّثنى العُمَرِىّ قال حدّثنى الهَيْثَم بن عدىّ قال :

قال لى صالح بن حسّان يومًا : ما نِصْفُ بيتٍ كأنه أعرابىّ فى شَمْلة، والنصف الآخر كأنه مُخَنَّثٌ مُفَكَّك ؟ قلت : لا أدرى؛ فقال : قد أَجّلتُك حولًا؛ فقلت : لو أجّلتنى عشرةَ أحوال ما عرفتُه؛ فقال : أَوَّهْ ! أفّ لك ! قد كنت أحسبك أجودَ ذِهنًا ممـا أرى؛ فقلت : فمـا هو الآن ؟ قال : قول جميل :

* ألا أيّها الركب النّيام ألا هُبُّوا *

هذا كلام أعرابى، ثم قال :

* أُسائلُكُم هل يقتلُ الرجلَ الحبُّ *

كأنه والله من مُخَنَّثِى العَقِيق .

أخبار فريدة وهى المحسنة دون فريدة الكبرى

وأما فريدة الأخرى فهى التى أرى بل لا أشك فى أنّ اللحن المختار لها، لأنّ إسحاق آختار هذه المـائة الصوت للواثق، فاختار فيها لمُتَيَّمَ لحنًا، ولأبى دُلَف لحنًا، ولسُلَيْم بن سَلّام لحنًا، ولرِيَاضَ جارية أبى حَمّـاد لحنًا؛ وكانت فريدةُ أَثِيرةً عند الواثق وحَظِيّة لديه جدا، فآختار لها هذا الصوتَ، لمكانها من الواثق ولأنّهـا ليست دون من آختار له من نُظَرائها .

قدّمت هى وشارية فى إحكام الغناء

أخبرنى الصُّولىّ قال حدّثنـا الحسين بن يحيى عن رَيِّق : أنها آجتمعت هى وخِشْف الوَاضِحيّـة يومًا فتذاكرتا أحسنَ ما سمعتاه من المغنّيـات؛ فقالت رَيِّق : شَارِيَةُ أحسنهنّ غنـاءً ومُتَيَّم، وقالت خِشْف : عَرِيبُ وفَرِيدة؛ ثم آجتمعتـا على تساويهنّ وتقـديم مُتَيَّمَ فى الصـنعة، وعَرِيبَ فى الغَزارة والكَثْرة، وشاريةَ وفريدةَ فى الطِّيب وإحكام الغناء .

أهداها ابن بانة للواثق

حدّثنى جَحْظَة قال حدّثنى أبو عبد الله الهِشَامىّ قال :

كانت فَرِيدة جاريةُ الواثق لعمرو بن بانة ، وهو أهداها إلى الواثق ، وكانت من الموصوفات المُحسِنات ، ورُبِّيت عند عمرو بن بانة مع صاحبة لها اسمها «خِلّ» ، وكانت حسنةَ الوجه، حسنةَ الغناء، حادّةَ الفِطْنة والفَهْم .

سألت ابن بانة عن صاحبة لها بالإشارة

٥ قال الهشامىّ فحدّثنى عمرو بن بانة قال : غَنيتُ الواثقَ :

قلتُ حِلًّا[1] فاْقبَلى مَعذِرتى * ما كذا يَجزى مُحِبٌّ من أَحبّ

فقال لى : تقدّم إلى الستارة فألْقِه على فريدة ، فألقيتُه عليها، فقالت : هو حِلّ[2] أو خِلّ كيف هو ؟ فعلمت أنها سألتنى عن صاحبتها فى خفاء من الواثق .

تزوّجها المتوكل ثم ضربها حتى غنت

ولما تزوّجها المتوكّل أرادها على الغناء ، فأبت أن تغنِّىَ وَفاءً للواثق، فأقام على ١٠ رأسها خادمًا وأمره أن يضرب رأسَها أبدًا أو تُغنّى ؛ فاْندفعتْ وغنّت :

فلا تَبْعَد[3] فكلّ فتًى سيأتى * عليه الموتُ يَطرُق أو يُغادِى

نقل ابن بسخنر قصة لها مع الواثق وغيرته من جعفر المتوكل

أخبرنى جعفر بن قُدامة قال حدّثنى علىّ بن يحيى المُنَجِّم قال حدّثنى محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر قال :

كانت لى نَوْبة فى خدمة الواثق فى كل جمعة، إذا حَضَرتُ ركبتُ إلى الدار، ١٥ فإن نَشِط إلى الشرب أَقمتُ عنده ، وإن لم ينشَط آنصرفت، وكان رسمنا ألّا يحضُر أحد منّا إلّا فى يوم نَوْبته ؛ فإنّى لفى منزلى فى غير يوم نَوْبتى إذا رسلُ الخليفة قد هجموا علىّ وقالوا لى : آحضُر؛ فقلت : ألخير؟ قالوا : خير؛ فقلت : إن هذا يوم لم يُحضِرنى فيه أميرُ المؤمنين قطّ ولعلّكم غَلِطْتم؛ فقالوا : الله المُستعان لا تُطِل

(١) كذا فى ترجمة عمر بن أبى ربيعة الواردة فى هذا الكتاب (ج ١ ص ١٣٤ طبع دار الكتب المصرية)
٢٠ وفى الأصول هنا : «خلا» بالخاء المعجمة . (٢) فى الأصول : «خل» بالخاء المعجمة والياء فى آخره . (٣) تبعد : تهلك .

وبادِر فقد أَمَرنا ألّا ندعك تستقرّ على الأرض ؛ فداخلنى فَزَعٌ شديد وخفت أن يكون ساعٍ قد سعَى بى، أو بَليّةٌ قد حَدَثتْ فى رأى الخليفة علىّ؛ فتقدّمتُ بما أردت وركبت حتى وافيت الدار ، فذهبت لأدخل على رَسْمى من حيث كنت أدخل ، فمُنعت، وأخذ بيدى الخدمُ فأدخلونى وعَدَلوا بى إلى ممَرّات(١) لا أعرفها، فزاد ذلك فى جزعى وغمّى، ثم لم يزل الخدم يُسْلِموننى من خدمٍ الى خدم حتى أَفْضيتُ إلى دار مفروشة الصَّحن، مُلْبَسة الحيطان بالوَشْى المنسوج بالذهب، ثم أَفْضيتُ الى رِواقٍ أرضُه وحيطانه مُلْبَسة بمثل ذلك، وإذا الواثق فى صدره على سريرٍ مُرَصّع بالجوهر وعليه ثيابٌ منسوجة بالذهب، وإلى جانبه فَريدة جاريته، عليها مثلُ ثيابه وفى حِجْرها عُودٌ ، فلما رآنى قال : جَوّدتَ(٢) والله يا محمد إلينا؛ فقبّلت الأرضَ ثم قلت : ياأمير المؤمنين خيراً! قال : خيرا، أما ترانا(٣)! طلبتُ والله ثالثًا يُؤنسنا فلم أَرَ أحقّ بذلك منك، فبحياتى بادِرْ فكُلْ شيئًا وبادر إلينا؛ فقلت : قد والله ياسيّدى أكلت وشربت أيضا؛ قال: فٱجلس فجلست، وقال: هاتوا لمحمد رَطْلا فى قدح فأُحضِرتْ ذلك، وٱندفعتْ فريدة تُغنّى :

أَهابُكِ إجلالًا وما بك قدرةٌ * علىّ ولكن ملءُ عينٍ حبيبُها
وما هجرتْكِ النفسُ يا ليل أنها * قَلَتْك ولا أن قلّ منك نَصيبها(٤)

فجاءتْ والله بالسِّحر ، وجعل الواثق يُجاذبُها ، وفى خلال ذلك تُغنّى الصوتَ بعد الصوت، وأُغنّى أنا فى خلال غنائها، فمرّ لنا أحسنُ ما مرّ لأحد؛ فإنّا لكذلك إذ رَفع

(١) فى جميع الأصول: «مبرات» بالباء، وهو تحريف . (٢) جوّدت : أسرعت، قال فى اللسان : « يقال : جوّد فى عدوه تجويدا » . (٣) فى ب ، سـ : «ترى أنا» .
(٤) ورد هذا البيت فى شرح ديوان حماسة أبى تمام (ص ٥٩٨ طبع أوربا) هكذا :

وما هجرتك النفس أنك عندها * قليل ولكن قلّ منك نصيبها

رجله فضرب بها صدرَ فريدة ضربةً تدحرجت منها من أعلى السرير إلى الأرض وتفتّت عودُها ومرّت تعدو وتصيح، وبقيتُ أنا كالمَنْزُوع الروح، ولم أشكّ فى أنّ عينَه وقعت علىّ[1] وقد نظرتُ إليها ونظرتْ إلىّ، فأطرق ساعةً إلى الأرض متحيّرا وأطرقتُ أتوقّع ضربَ العنق، فإنّى لكذلك إذ قال لى: يا محمد، فوثبتُ، فقال: ويحك! أرأيتَ أغربَ مما تهيّأ علينا! فقلت: يا سيّدى، الساعةَ والله تخرج روحى، فعلى من أصابنا بالعين لعنةُ الله! فما كان السبب؟ ألِذَنْبٍ؟ قال: لا والله، ولكن فكّرت أنّ جعفرا يقعُد هذا المقعدَ ويقعد معها كما هى قاعدةٌ معى، فلم أُطِق الصبرَ وخامرنى ما أخرجنى إلى ما رأيت؛ فسُرِّىَ عنّى وقلت: بل يقتل الله جعفرًا، ويحيا أميرُ المؤمنين أبدًا، وقبّلت الأرضَ، وقلت: يا سيدى اللهَ اللهَ! ارحمْها ومُرْ بردّها؛ فقال لبعض الخدم الوقوفِ: من يجىء بها؟ فلم يكن بأسرع من أن خرجتْ وفى يدها عودُها وعليها غيرُ الثياب التى كانت عليها، فلما رآها جذبها وعانقها، فبكتْ وجعل هو يبكى، واندفعتُ أنا فى البكاء، فقالت: ما ذنبى يا مولاى ويا سيدى! وبأى شىء استوجبتُ هذا! فأعاد عليها ما قاله لى وهو يبكى وهى تبكى؛ فقالت: سألتُكَ بالله يا أمير المؤمنين إلّا ضربتَ عنقى الساعةَ وأرحْتَنى من الفكر فى هذا وأرحتَ قلبك من الهمّ بى؛ وجعلت تبكى ويبكى، ثم مسحا أعينَهما ورجعتْ إلى مكانها؛ وأومأ إلى خدم وقوفٍ بشىء لا أعرفه، فمضَوْا وأحضروا أكياسا فيها عينٌ[2] ووَرِقٌ، ورُزَمًا فيها ثياب كثيرة، وجاء خادم بدُرْج ففتحه وأخرج منه عِقْدا ما رأيت قطّ مثلَ جوهر كان فيه، فألبسها إيّاه، وأُحضرتْ بَدْرةٌ فيها عشرةُ آلافِ درهم فجُعلتْ بين يدىّ وخمسة تُخُوتٍ فيها ثيابٌ، وعُدْنا إلى أمرنا وإلى أحسن مما كنّا، فلم نزل كذلك

---

(١) فى الأصول: «وقعت الىّ»، على أنه يجوز أن يكون التحريف فى الفعل وأن أصله: «رفعت الىّ». (٢) العين: الذهب المضروب وهو الدنانير. والورق: الدراهم المضروبة من الفضة.

قصتها مع المتوكل بعد الواثق

إلى الليـل، ثم تفرّقنا . وضَرَب الدهرُ ضربه[(1)] وتقلّد المتوكّل، فوالله إنى لفى منزلى بعد يوم نوبتى إذ هجم علىّ رُسُلُ الخليفة فمـا أمهلونى حتى ركبت وصرت إلى الدار، فأُدخلت والله الحجرةَ بعينها، وإذا المتوكل فى الموضع الذى كان فيه الواثق على السرير بعينه وإلى جانبه فَريدة؛ فلما رآنى قال : ويحك! أما ترى ما أنا فيـه من هذه ! أنا منذُ غُدْوةٍ أُطالبها بأن تُغنّينى فتأبى ذلك ! . فقلت لها : يا سبحان الله، أتُخالفين ٥ سيّدَك وسيّدنا وسيّد البشر؟ بحياته غنّى؛ فعرفتْ والله ثم آندفعت تغنّى :

مُقيمٌ بالمجَـازة[(2)] من قَنَـونَا[(3)] * وأهلُك بالأُجَيفـر[(4)] فالثّمـادِ[(5)]

فلا تبعَـدْ فكلّ فتى سيأتى * عليه الموت يَطْرُق أو يُغادى

ثم ضربتْ بالعود الأرضَ، ثم رمتْ بنفسها عن السرير ومرّت تعدو وهى تصيح : وسيّداه ! فقال لى : ويحك ! ما هذا؟ فقلتُ : لا أدرى والله يا سيّدى؛ فقال: ١٠ فمـا ترى ؟ فقلت : أرى أن أنصرف أنا وتحضُر هـذه ومعها غيرُها ، فإنّ الأمرَ ١٨٦/٣ يؤول الى ما يُريد أميرُ المؤمنين ؛ قال : فآنصرفْ فى حفظ الله ! فآنصرفتُ ولم أَدْرِ ما كانت القصّة .

مدح محمد بن عبد الملك غناءها

أخبرنى جعفر بن قُدَامة قال حدّثنى محمد بن عبد الملك قال :

سمعتُ فريدةَ تغنّى : ١٥

أَخِلّاىَ بى شَجْـوٌ وليس بكم شَجْوُ * وكلّ آمرئٍ ممـا بصاحبـه خِلْوُ

اذاب الهوى لحمى وجسمى ومَفْصِلى * فلم يَبقَ إلّا الروحُ والجسـد النِّضْوُ

فمـا سمعتُ قبلَه ولا بعده غناءً أحسن منه .

---

(1) يقال : ضرب الدهر ضربانه ومن ضربانه وضرب الدهر من ضربه أى مرّ من مروره وذهب بعضه . (2) المجازة : منزل من منازل طريق مكة بين ماوية وينبوعة . (3) قنونا : واد من أودية السراة يصب الى البحر فى أوائل أرض اليمن من جهة مكة . (4) الأجيفر : موضع فى أسفل السبعان من بلاد قيس . (5) الثماد : موضع فى ديار بنى تميم قرب المروت . ٢٠

الشعر لأبي العتاهية ، والغناء لإبراهيم ثقيل أوّل مطلق فى مجرى الوُسْطى عن الهِشَامىّ ، وله أيضا فيه خفيفُ ثقيلٍ بالسبابة والبِنصر عن آبن المكىّ . وفيه لعَمْرو بن بانة رَمَلٌ بالوُسْطى من مجموع أغانيه . وفيه لعَرِيبَ خفيفُ ثقيلٍ آخر صحيحٌ فى غنائها من جَمْع آبنِ المُعْتزّ وعلىّ بن يحيى . وتمام هذه الأبيات :

وما من مُحِبٍّ نال ممّن يُحِبُّه * هوًى صادقًا إلا سيَدخُله زَهْوُ ٥

وفيها كلِّها غناءٌ مفترِقُ الألحان فى أبياته[1] .

بُلِيت وكان المَـزْح بَدْءَ بليّتى * فأَحببتُ جَهْلًا والبلايا لها بَدْوُ

وعُلِّقْتُ من يَزْهُو علىّ تَجَبُّراً * وإنّى فى كلّ الخصال له كُفْوُ

صوت

من المائة المختارة من رواية جحظة عن أصحابه : ١٠

باتت هُمُومِى تَسْرِى طوارقُها * أكُفُّ عينى والدمعُ سابِقُها

لِمَا أتاها من اليقين ولم * تَكُنْ تَراه يُلِمُّ طارقُها

الشعر لأُمَيّة بن أبى الصَّلْت ، والغِناءُ للهُذَلىّ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى . وفيه لآبن مُحْرِز لحنان : هَزَجٌ وثقيلٌ أوّل بالوُسْطى عن الهِشَامىّ وحَبَش . وذكر يونس : أنّ فيه لآبن مُحْرِز لحنًا واحدا مُجَنَّسًا . ١٥

---

(١) وردت هذه الجملة فى الأصول هكذا : «وفيها كلها غناء مفترق فى أبياته الألحان» . وكان ينبغى أن تكون هذه الجملة عقب الأبيات .

ذكر أُمية بن أبى الصلت ونَسبه وخَبره

نسبه من قبل أبويه

وآسم أبى الصَّلت عبدُ الله بن أبى رَبيعة بن عَوْف بن عُقْدة بن عَنَزة[1] بن قَسِيّ[2]، وهو ثَقِيف بن مُنَبِّه بن بَكْر بن هَوَازِن، هكذا يقول من نَسبهم إلى قَيْس[3]، وقد شُرِح ذلك فى خبر طُرَيْح[4]. وأمّ أميّة بن أبى الصَّلْت رُقَيّـة بنت عبد شمس بن عبد مناف.

وكان أبو الصَّلْت شاعرًا، وهو الذى يقول فى مدح سَيْف بن ذى يَزَن :

لِيَطْلُبِ الثأرَ أمثالُ آبن ذِى يَزَنٍ[5] * إذْ صار فى البحر للأعداء أحوالا

وقد كُتِب خبرُ ذلك فى موضعه.

أولاد أمية

وكان له أربعةُ بنين: عمرو ورَبيعة ووَهْب والقاسم؛ وكان القاسم شاعرًا، وهو الذى يقول — أنشَدنيه الأَخْفَش وغيرُه عن ثعلب، وذكر الزبير أنها لأمية — :

١٨٧ / ٣

صـــوت

قومٌ إذا نَزَل الغـريبُ[6] بدارِهم * رَدُّوه ربَّ صَوَاهِـلٍ وقِيَـانِ

لا يَنْكُتون الأرضَ عند سؤالهم * لِتَلَمُّسِ العِـلّاتِ بالعيـدان

يمدح عبدَ الله بنَ جُدْعَانَ بها؛ وأوّلها :

قومى ثَقِيفٌ إن سألتَ وأُسرتى * وبهـمْ أُدَافِـع رُكْنَ من عادانى

غنّاه الغَرِيض، ولحنُه ثقيـلٌ أوّلُ بالبِنْصر. ولآبن مُحْرِز فيه خفيفُ ثقيل أوّل بالوسطى، عن الهشاميّ جميعًا.

(١) فى كتاب الشعر والشعراء : «غيرة». وغيرة (وزان عنبة) : اسم قبيلة أيضا. (٢) يعنى قسيا. (٣) يريد قيس عيلان وهو الجد الأعلى لهوازن لأن هوازن هو ابن منصور بن عكرمة بن خصفة ابن قيس عيلان. (٤) ستأتى أخبار طريح فى هذا الجزء. (٥) فى الشعر والشعراء :

لن يطلب الوترَ أمثال ابن ذى يزن * لجّج فى البحـر للأعداء أحـوالا

وفى شعراء النصرانية : * فى البحر خيّم للأعداء أحوالا *

وفى سيرة ابن هشام : * فى البحر ريّم للأعداء أحوالا *

(٦) فى الشعر والشعراء : «الحريب» بالحاء المهملة وهو الذى سلب ماله.

وكان ربيعة ٱبنه شاعرا، وهو الذى يقول :

وإنْ تَكُ حَيًّا من إِيَادٍ فإنّنا * وقيسًا سواءٌ ما بَقِينا وما بَقُوا (١)

ونحن خيارُ الناس طُرًّا بِطَانةً * لقَيْس وهم خيرٌ لنا إن هُمُ بقُوا (٢)

كان يستعمل فى شعره كلمات غريبة

أخبرنى إبراهيم بن أيّوب قال حدّثنا عبد الله بن مُسْلِم قال :

٥ كان أُميّة بن أبى الصّلت قد قرأ كتابَ الله عزّ وجلّ الأوّل، فكان يأتى فى شعره بأشياء لا تعرفها العرب؛ فمنها قوله :

* قمرٌ وساهورٌ يُسَلّ ويُغمَدُ (٣) *

وكان يُسَمّى الله عزّ وجلّ فى شعره السّلْطِيط فقال :

* والسّلْطِيط فوق الأرض مُقْتَدِر (٤) *

١٠ وسمّاه فى موضع آخر التغرور فقال : وأيّده التغرور (٥) . وقال ٱبن قتيبة : وعلماؤنا لا يحتجون بشىء من شعره لهذه العلّة .

هو أشعر ثقيف أو أشعر الناس

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال :

---

(١) فى الأصول وشعراء النصرانية : « وان يك... » بالياء المثناة من تحت . (٢) كذا فى الأصول، وفيه الإيطاء، وهو تكرار القافية لفظا ومعنى، وهو عيب . (٣) هذا عجز بيت وصدره :

١٥ * لا نقص فيه غير أن خبيئه *

والساهور فيما يذكر أهل الكتاب : غلاف القمر يدخل فيه اذا كسف . (٤) هكذا بالأصول وهذه الصيغة لا يتزن بها البيت . وقد ورد البيت كاملا فى اللسان (مادة سلط) هكذا :

إن الأنام رعايا الله كلهم * هو السَّلِيطَطُ فوق الأرض مستطر

قال ابن جنى : هو القاهر، من السلاطة . قال : ويروى السليطط (بكسر السين) وكلاهما شاذ .

٢٠ قال صاحب التهذيب : سليطط جاء فى شعر أمية بمعنى المسلط . قال : ولا أدرى ما حقيقته . ورواه فى الشعر والشعراء : «السلطليط» . وفى القاموس : «والسلطليط بالكسر : المسلَّط» ثم قال شارحه : «هكذا فى سائر أصول القاموس والصواب السلطليط كما فى العباب» . (٥) عبارة ابن قتيبة فى الشعر والشعراء : «وأيدت التغرورا، يريد التغر؛ وهذه أشياء منكرة، وعلماؤنا لا يرون شعره حجة فى اللغة» اه .

قال أبو عُبيدة : اتّفقت العربُ على أنّ أشعر أهل المدن أهل يثرب ثم عبد القَيْس ثم ثَقِيف، وأن أشعر ثقيف أُمَيّة بن أبى الصَّلْت .

أخبرنا الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال :

قال يحيى بن محمد قال الكُمَيت : أُميّة أشعر الناس ، قال كما قلنا ولم نقل كما قال .

تعبد والتمس الدين وطمع فى النبوّة

قال الزبير وحدّثنى عمّى مُصْعَب عن مُصْعَب بن عثمان قال :

كان أُمَيّة بن أبى الصَّلْت قد نظر فى الكتب وقرأها، ولبس المُسُوح تَعَبُّدًا ، وكان ممن ذكر إبراهيمَ وإسماعيلَ والحَنِيفيّة، وحَرّم الخمرَ وشكّ فى الأوثان [1]، وكان مُحققا ،والتمس الدِّين وطمِع فى النبوّة؛ لأنه قرأ فى الكتب أن نبيًّا يُبعَث من العرب، فكان يرجو أن يكونه [2] . قال : فلما بُعث النبىّ صلى الله عليه وسلم قيل له : هذا الذى كنت تَسْتَرِيث [3] وتقول فيه؛ فحسده عدوُّ الله وقال : إنما كنت أرجو أن أكونَه؛ فأنزل الله فيه عزّ وجلّ ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِى آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَٱنْسَلَخَ مِنْهَا﴾ .

قال : وهو الذى يقول :

كلّ دين يومَ القيامة عند الله إلّا دينَ الحَنِيفة زُورُ

كان يحرّض قريشا بعد بدر

قال الزبير وحدّثنى يحيى بن محمد قال : كان أُمَيّة يُحرّض قريشًا بعد وَقْعة بدر، وكان يَرْثِى من قُتِل من قريش فى وقعة بدر؛ فمن ذلك قوله :

ماذا ببَدْرٍ والعَقَنْـ [4] * قَلِ من مَرَازِبةٍ [5] جَحاجِحْ [6]

(١) فى حـ : «وصام محققا» . (٢) فى جميع الأصول : «يكون هو» .

(٣) تستريث : تستبطئ . (٤) العقنقل : كثيب رمل ببدر . (٥) مرازبة : جمع مرزبان ، وهو الفارس الشجاع المقدم على القوم دون الملك ، وهو معرّب وأصله فارسى .

(٦) جحاجح : جمع جحجح وهو السيد المسارع فى المكارم .

وقال : وهى قصيدة نهى رسول الله صلّى الله عليه وسلم عن روايتها . ويقال: إن أُميّة قَدِم على أهل مكة : بآسمك اللّهم ، فجعلوها فى أوّل كتبهم مكان (بسم الله الرحمن الرحيم) .

يأسف الحجاج على ضياع شعره
١٨٨ / ٣

قال الزبير وحدّثنى علىّ بن محمد المَدَائنىّ قال :

٥ قال الحجّاج على المِنْبَر : ذهب قوم يعرفون شعرَ أُمية ، وكذلك آندراسُ الكلام .

كان يتحسس أخبار نبىّ العرب فلما أخبر ببعثه تكدّر

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير عن عمَرَ بنِ أبى بَكْر المُؤَمّلى[1] وغيره قال :

كان أميّـةُ بن أبى الصَّلْت يلتمس الدِّين ويطمَع فى النبوّة ، فخرج الى الشأم فمرّ بكنيسة ، وكان معه جماعة من العرب وقريش ، فقال أُميّة : إن لى حاجةً فى هذه الكنيسة فآنتظرونى ، فدخل الكنيسةَ وأبطأ ، ثم خرج إليهم كاسِفًا مُتغيِّر اللون ، ١٠ فرمى بنفسه ، وأقاموا حتى سُرِّىَ عنه ، ثم مضَوْا فقضَوْا حوائجَهم ثم رجَعوا ، فلمّا صاروا إلى الكنيسة قال لهم : آنتظرونى ، ودخل إلى الكنيسة وأبطأ ، ثم خرج إليهم أسوأَ من حاله الأولى ؛ فقال أبو سُفيان بن حرب : قد شَقَقتَ على رفقائك ؛ فقال : خلّونى فإنى أرتاد لنفسى[2] لمعادى ، إنّ هاهنا راهبًا عالمًا أخبرنى أنه تكون بعد عيسى عليه السلام ست رجعات ، وقد مضت منها خمس وبقيت واحدة ، وأنا ١٥ أطمع فى النبوّة وأخاف أن تُخطئنى ، فأصابنى ما رأيت ؛ فلما رجَعتُ ثانيةً أتيته فقال : قد كانت الرجعةُ وقد بُعث نبىٌّ من العرب ؛ فيئست من النبوّة ، فأصابنى ما رأيت ، إذ فاتنى ما كنت أطمع فيه .

---

(١) كذا ورد هذا الاسم هنا فى أكثر الاصول وهو الموافق لما فى الطبرى (ص ١١١٦ قسم أوّل طبعة أوربا) وأشير بهامشه الى أن فى بعض النسخ : «الموصلى» . وفى م ، ء هنا وفى جميع الأصول ٢٠ فيا يأتى (ص ١٢٥) : «عمرو بن أبى بكر الموصلى» . (٢) كذا فى حـ . وفى باقى الأصول : «على نفسى» .

أخبره شيخ راهب أن ليست فيه أوصاف النبىّ

قال : وقال الزُّهْرِىّ : خرج أُمَيّة فى سفر فنزلوا منزلًا، فأَمَّ أُمية وجهًا وصعِد فى كَثِيب، فرُفِعت له كنيسة فانتهى إليها، فإذا شيخٌ جالس؛ فقال لأُميّة حين رآه: إنك لَمَتبوعٌ، فمن أين يأتيك رَئِيُّك[1] ؟ قال : من شِقّى الأيسر؛ قال : فأىّ الثياب أحبّ إليك أن يلقاك فيها ؟ قال : السّواد؛ قال : كِدتَ تكون نبىَّ العرب ولست به، هذا خاطر من الجنّ وليس بملَك، وإنّ نبىّ العرب صاحبَ هـذا الأمر يأتيه من شِقّه الأيمن، وأحبّ الثياب اليه أن يلقاه فيها البياض .

حديثه مع أبى بكر

قال الزُّهْرِىّ : وأتى أميّةُ أبا بكر فقال : يا أبا بكر، عَمِىَ الخبرُ فهل أحسست شيئا ؟ قال : لا والله ! قال : قد وجدته يَخرُج العامَ .

سأل أبا سفيان عن عتبة بن ربيعة

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال :

سمعت خالد بن يزيد يقول : إنّ أُمَيّة وأبا سفيان اصطحبا فى تجارة إلى الشأم؛ ثم ذكر نحوَه؛ وزاد فيه : فخرج من عند الراهب وهو ثقيل؛ فقال له أبو سفيان : إنّ بك لشرًّا، فما قِصّتك ؟ قال : خيرٌ، أخبِرنى عن عُتْبَةَ بنِ رَبيعة كم سِنّه ؟ فذكر سِنًّا؛ وقال : أخبرنى عن ماله فذكر مالًا؛ فقال له : وضعتَه؛ فقال أبو سفيان : بل رفعتُه؛ فقال له : إنّ صاحب هذا الأمر ليس بشـيخ ولا ذى مال . قال : وكان الراهب أشيبَ، وأخبره أن الأمر لرجل من قريش .

زعم أنه فهم ثغاء شاة

أخبرنى الحَرَمِىّ قال حدّثنى الزُّبَير قال حُدّثت عن عبد الرحمن بن أبى حَمّاد المِنْقَرِىّ قال :

كان أُمَيّة جالسًا معه قومٌ ، فمرّتْ بهم غنمٌ فثغتْ[2] منها شاة، فقال للقوم : هل تدرون ما قالت الشاة؟ قالوا : لا؛ قال : إنها قالت لسَخْلَتها : مُرِّى لا يجىء الذئب

(١) رئىّ (بفتح الراء وقد تكسر) : جنىّ يرى مصاحبه كهانة وطبا و يلق على لسانه شعرا .
(٢) ثغت الشاة : صاحت وصوّتت .

فيأكلك كما أكل أختَك عامَ أوّلَ فى هذا الموضع ، فقام بعض القوم إلى الراعى فقال له : أخبِرْنى عن هذه الشاة التى تَغَتْ ألها سَخْلة؟ فقال : نعم ، هذه سَخْلتها ، قال : أكانت لها عام أول سَخْلة ؟ قال : نعم ، وأكلها الذئب فى هذا الموضع .

قال الأصمعىّ : كل شعره فى بحث الآخرة

قال الزُّبَير وحدّثنى يحيى بن محمد عن الأصمعىّ قال : ذهب أُمَيّة فى شعره بعامّة ذكر الآخرة ، وذهب عنترة بعامّة ذكر الحرب ، وذهب عمر بن أبى ربيعة بعامّة ذكر الشباب .

جاءه طائران وهو نائم فشق أحدهما عن قلبه

قال الزبير حدّثنى عمرو بن أبى بكر المَوْصِلىّ(١) قال حدّثنى رجل من أهل الكوفة قال :

١٨٩ / ٣

كان أُمَيّة نائما فجاء طائران فوقع أحدهما على باب البيت ، ودخل الآخرُ فشَقّ عن قلبه ثم ردّه الطائر ، فقال له الطائر الآخر : أَوَعَى ؟ قال : نعم ؛ قال : زَكَا ؟ قال : أَبَى(٢) .

خرج مع ركب الى الشام فعرضت لهم جنية فاسترشد راهبا للوقاية منها

أخبرنى عمّى قال حدّثنى أحمد بن الحارث عن ٱبن الأعرابىّ عن ٱبن دُأْب قال :

خرج ركبٌ من ثَقِيف إلى الشأم ، وفيهم أُمَيّةُ بن أبى الصَّلْت ، فلما قَفَلوا راجعين نزلوا منزلا ليتعشَّوْا بعَشَاء ، إذ أقبلت عَظَايةٌ(٣) حتى دنتْ منهم ، فحصبها بعضُهم بشىء فى وجهها فرجعت ، وكَفَتوا(٤) سُفَرتهم ثم قاموا يرحَلون مُمْسِين ، فطلعتْ عليهم

(١) انظر الحاشية رقم ١ فى الصفحة ١٢٣ (٢) ورد هذا الخبر فى طبقات الشعراء لمحمد بن سلّام الجمحى (ص ٦٧ طبع أوربا) مع زيادة فى العبارة واختلاف فى بعض الكلمات . وسيعيده المؤلف بتفصيل أوفى فى ص ١٢٧ (٣) العظاية : دويبة ملساء تشبه سامّ أبرص وتسمى شحمة الأرض وشحمة الرمل ، وهى أنواع كثيرة وكلها منقطة بالسواد ، ومن طبعها أنها تمشى مشيا سريعا ثم تقف . (٤) كذا فى أ ، ء ، م . وكفت الشىء : ضم بعضه الى بعض . وفى باقى الأصول : « وكفّوا » . والسفرة : ما يبسط تحت الخوان من جلد أو غيره .

عجوزٌ من وراء كَثيب مقابِلٍ لهم تتوكّأ على عصا ، فقالت : ما منعكم أن تُطعِموا رَجيمةَ[1] الجارية اليتيمة التى جاءتكم عَشيّة ! قالوا : ومن أنت؟ قالت : أنا أمّ العَوّام إمْتُ[2] منذ أعوام؛ أمَا وربّ العباد، لتفترقُنّ فى البلاد؛ وضربتْ بعصاها الأرضَ ثم قالت : بَطِّئى إيَابَهم، ونَفِّرى رِكابَهم؛ فوثبت الإبلُ كأنّ على ذِرْوَة كلّ بعير منها شيطانا ما يُملك منها شىءٌ، حتى ٱفترقت فى الوادى، فجمعناها فى آخر النهار من الغد ولم نَكَدْ[3]؛ فلما أَنخناها لنُرحِلَها طلعت علينا العجوزُ فضربت الأرضَ بعصاها ثم قالت كقولها الأوّل، ففعلت الإبل كفعلها بالأمس، فلم نجمعها إلّا[4] الغَدَ عشيّة؛ فلما أنخناها لنُرحِلَها أقبلت العجوز ففعلت كفعلها فى اليومين ونفَرت الإبل؛ فقلنا لأُميّة : أين ما كنت تُخبرنا به عن نفسك ؟ فقال : اذهبوا أنتم فى طلب الإبل ودعونى، فتوجّهَ إلى ذلك الكثيب الذى كانت العجوز تأتى منه حتى علاه وهبط منه إلى وادٍ فإذا فيه كنيسةٌ وقناديلُ، وإذا رجل مُضطجع مُعترض على بابها، وإذا رجل أبيض الرأس واللحية؛ فلمّا رأى أُميّةَ قال : إنّك لَمتبوع، فمن أين يأتيك صاحبك؟ قال : من أذنى اليسرى؛ قال فبأىّ الثياب يأمرك ؟ قال : بالسواد؛ قال : هذا خطيب الجنّ؛ كدتَ والله أن تكونه ولم تفعل؛ إنّ صاحب النبوّة يأتيه صاحبه من قِبل أذنه اليمنى، ويأمره بلباس البياض؛ فما حاجتك ؟ فحدّثه حديثَ العجوز؛ فقال : صدقتْ، وليست بصادقة ! ! هى ٱمرأة يهودية من الجنّ هلك زوجُها منذ أعوام، وإنها لن تزال تصنع ذلك بكم حتى تُهلككم إن ٱستطاعت؛ فقال أميّة : وما الحيلة؟ فقال : جَمّعوا ظُهركم[5] فإذا جاءتكم ففعلت كما كانت تفعل فقولوا لها : سبعٌ من فوق وسبع من

(١) فى حـ : « رحيمة » بالحاء المهملة . (٢) يقال : آمت المرأة (من باب ضرب) اذا فقدت زوجها . (٣) فى الأصول : « تكد » بالتاء المثناة من فوق . (٤) فى الأصول : « إلى » . (٥) الظهر : الركاب التى تحمل عليها الأثقال فى السفر لحملها إياها على ظهورها ؛ يقال : عند فلان ظهر أى إبل .

أسفل، بآسمك اللّهم؛ فلن تضرّكم؛ فرجع أُميّة إليهم وقد جمّعوا الظهر؛ فلمّا أقبلت قال لها ما أمره به الشيخ، فلم تضرّهم؛ فلما رأت الإبلَ لم تُحرّك قالت: قد عرفت صاحبَكم، وليَبْيَضَّنّ أعلاه وليَسْوَدَّنّ أسفلُه، فأَصبح أُميّة وقد برِص فى عِذَارَيْه وآسودّ أسفله؛ فلمّا قدِموا مكة ذكروا لهم هذا الحديثَ؛ فكان ذلك أوّلَ ما كتب ٥ أهلُ مكة "بآسمك اللهم" فى كتبهم .

خبر الطائرين اللذين شق أحدهما صدره ومحاورتهما

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا أبو غَسّان محمد ابن يحيى قال حدّثنا عبد العزيز بن عِمْران عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر بن مَسْعود عن الزُّهْرِىّ قال :

دخل يوماً أُمية بن أبى الصَّلْت على أخته وهى تهيّئ[1] أَدَمًا لها، فأدركه النومُ فنام ١٠ على سرير فى ناحية البيت. قالت[2]: فآنشقّ جانب من السقف فى البيت، وإذا بطائرين ١٩٠/٣ قد وقع أحدهما على صدره ووقف الآخر مكانَه، فشقّ الواقعُ صدرَه فأخرج قلبَه فشقّه؛ فقال الطائرُ الواقفُ للطائر الذى على صدره: أَوَعَى؟ قال: وَعَى؛ قال: أَقَبِل؟ قال: أبى، قال: فردّ قلبَه فى موضعه، فنهض فأتبعهما أُميّةُ طرفَه فقال:

لَبَّيكما لَبَّيكما * هأنذا لديكما

١٥ لا برىءٌ فأَعتذر، ولا ذو عشيرة فأَنتصر. فرجَع الطائر فوقع على صدره فشقّه ثم أخرج قلبه فشقّه، فقال الطائر الأعلى: أَوَعَى؟ قال: وَعَى؛ قال: أقبِل؟ قال: أبى، ونهض فأَتبعهما بصرَه وقال:

لبيكما لبيكما * هأنذا لديكما

(١) فى حـ: «تهيأ». وفى اللسان (مادة خلق): «قالت فدخل علىّ وأنا أخلق أديما لى» ٢٠ والخلق: التقدير، يقال: خلق الأديم يخلقه خلقا اذا قدره قبل القطع وقاسه ليقطع منه مزادة أو قربة أو خفا. (٢) فى ب، سـ، حـ: «قال».

لا مالٌ يُغنينى، ولا عشيرة تَحمينى . فرجَع الطائر فوقَع على صــدره فشقّه ، ثم أخرج قلبه فشقه؛ فقال الطائر الأعلى : أوَعَى ؟ قال : وعى؛ قال : أقَبِل ؟ قال : أبى، ونهض فأتبعهما بصَره وقال :

لبيكما لبيكما * هأنذا لديكما

محفوف بالنعم ، مَحوطٌ من الرِّيَب . قال : فرجَع الطائر فوقع على صــدره فشقّه وأخرج قلبه فشقّه؛ فقال الأعلى: أوَعَى ؟ فقال : وَعَى؛ قال : أقَبِل؟ قال : أبَى، قال : ونهض فأتبعهما بصَره وقال :

لبيكما لبيكما * هأنذا لديكما

انْ تَغفِرِ اللّهم تَغفِرْ جَمًّا * وأىُّ عبدٍ لك لا ألَمَّا[1]

قالت أخته : ثم آنطبق السقف وجلس أُميّة يمسَح صدرَه؛ فقلتُ : ياأخى، هل تجد شيئا؟ قال : لا، ولكنى أجد حَرًّا فى صدرى؛ ثم أنشأ يقول :

ليتنى كنتُ قبــل ما قــد بدالى * فى قِنَـانِ[2] الجبـال أرْعى الوُعولَا

اجعَلِ الموتَ نُصْبَ عينك وآحذَرْ * غَــولَةَ الدّهرِ إنّ للدّهرِ غُــولَا

تصــديق النبىّ له فى شعره

حدّثنى محمد بن جرير الطبرىّ قال حدّثنا ابن حُمَيد قال حدّثنى سَــلَمَة عن ابن إسحاق عن يعقوب بن عُتْبــة عن عِكْرِمة عن آبن عباس :

أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم صدّق أُميّةَ فى قوله :

رجلٌ وثورٌ تحت رجلِ يَمينــه * والنَّسر للأُخرى وليثٌ مُرْصَدُ[3]

(١) ألم : ارتكب اللم وهو صغار الذنوب . (٢) القنان : أعالى الجبال، واحدها قنة .

(٣) قال الجاحظ فى كتاب الحيوان (ج ٦ ص ٦٨) طبع مصر : «وقد جاء فى الخبر أن من الملائكة من هو فى صورة الرجال، ومنهم من هو فى صورة الثيران، ومنهــم من هو فى صورة النسور، و يدل على ذلك تصديق النبىّ صلى الله عليه وسلم لأمية بن أبى الصلت ... » وذكر هذا البيت .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «صدق»[١] .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عُمر بن شَبّة قال حدّثنى حمّاد بن عبد الرحمن بن الفَضْل الحَرّانىّ قال حدّثنا أبو يوسف — وليس بالقاضى — عن الزُّهْرِىّ عن عُرْوة عن عائشة عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم بمثل هذا .

أنشد النبىّ بعض شعره فقال : «إن كاد أمية ليسلم»

٥ أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنى الزُّبَير قال حدّثنا جعفر بن الحسين اللِّهبىّ قال حدّثنى إبراهيم بن إبراهيم بن أحمد عن عِكْرِمة قال : أُنْشِدَ[٢] النبىُّ صلّى الله عليه وسلّم قولَ أُميّة :

الحمــدُ لله مُمْسانا ومُصْبَحَنا * بالخــير صبّحَنا ربّى ومَسّانا

ربُّ الحنيفة لم تَنفَــدْ خزائنُها * مملوءة طبّق الآفاقَ سُلطانَا

١٠ ألَا نبىٌّ لنَــا منّــا فيُخبــرَنا * ما بعدَ غايتِنا من رأس مَحْيانا

بينــا يُرَبِّينا آباؤنا هلَكــوا * وبينما نَقْتَنِــى الأولادَ أَفنانا

وقد علِمنا لَوَ انّ العلمَ ينفعنا * أنْ سوف يَلْحَقُ أُخرانا بأُولانا

فقال النبىّ صلّى الله عليه وسلّم : "إنْ كاد أُميّةُ لَيُسْلِمُ" .

شعره فى عتاب ابنه وتوبيخه

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنى أحمد بن

١٥ معاوية قال حدّثنا عبد الله بن أبى بكر، وحدّثنا خالدُ بن عُمارة :

١٩١
―
٣

---

(١) هـذه الجملة نابية ، وتكون متفقة مع سياق الكلام لو أنه كان : وأنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم قول أمية كذا فقال صلى الله عليه وسلم : « صدق » . (٢) فى س : «استنشدنى» ، وفى ب : «أنشدنى» .

أنّ أُميّة عتَب على آبن له فأنشأ يقول :

غَذوتُك مولودًا ومُنْتُك يافعًا * تُعَلّ بما أَجْنِى(١) عليك وتُنْهَل(٢)

إذا ليلةٌ آبتْكَ بالشَّجْو(٣) لم أَبِتْ * لشكواك إلّا ساهرًا أتَمَلْمَلُ

كأنى أنا المطروق دونَك بالذى * طُرِقْتَ به دونى فعينى تَهْمُلُ

تخاف الرّدى نفسى عليك وإننى * لأَعْلَمُ أنّ الموتَ حتمٌ مؤجَّلُ

فلمّا بلغتَ السنّ والغايةَ التى * اليها مَدَى ما كنتُ فيك أُؤمِّلُ

جعلتَ جزائى غِلْظةً وفظاظةً * كأنّك أنت المُنْعِم المتفضِّلُ

محاورة بين أبى بكر الهذلىّ وعكرمة فى شعرله

قال الزبير قال أبو عمرو الشَّيْبانىّ قال أبو بكر الهُذَلىّ قال(٤) : قلت لعِكْرِمة : ما رأيتُ من يُبلّغنا عن النبىّ صلّى الله عليه وسلم أنه قال لأميّة : "آمَن شِعرُه وكفَر قلبُه"، فقال : هو حقّ، وما الذى أنكرتم من ذلك! فقلت له : أنكرنا قولَه :

والشمس تطلُع كلَّ آخر ليلةٍ * حمراءَ مَطلَعُ لونِها متورِّدُ

تأبَى فلا تبدو لنا فى رِسْلِها(٥) * إلّا معذَّبةً وإلّا تُجْلَدُ

فما شأن الشمس تُجْلَدُ ! قال : والذى نفسى بيده ما طلعت قطّ حتى يَنْخُسَها سبعون ألفَ ملَكٍ يقولون لها : آطلُعى؛ فتقول : أأطلع على قوم يعبدوننى من دون الله ! قال : فيأتيها شيطانٌ حين(٦) تستقبلُ الضياءَ يريد أن يصُدَّها عن الطلوع فتطلُع على قَرْنيه، فيُحرِقه الله تحتها، وما غرَبت قطّ إلا خرّت لله ساجدةً، فيأتيها شيطان

(١) فى شرح ديوان الحماسة للتبريزى (ص ٣٥٤ طبع أوربا) : «وعُلْتك» . (٢) أجنى عليك : أكسب، ويجوز أن يكون من جنيت الثمرة جنيا وجناية . (عن شرح الحماسة للتبريزى) . وفيه رواية أخرى : «بما أدنى إليك» . (٣) فى شرح ديوان الحماسة : «نابتك بالشكو» .
(٤) كذا ثبت فى جميع النسخ لفظ «قال»، ولا لزوم له . (٥) الرسل : الرفق والتؤدة .
(٦) فى ب : «حتى يستقبل» .

يريد أن يصدّها عن السجود، فتغرُب على قَرْنَيْه فيُحْرِقه الله تحتها، وذلك قول النبيّ صلى الله عليه وسلم : "تطلُع بين قَرْنَىْ شيطان وتغرُب بين قرنَىْ شيطان" .

تمثل ابن عباس بشعره عند معاوية

حدّثنى أحمد بن محمد بن الجَعْد[1] قال حدّثنا محمد بن عَبّاد قال حدّثنا سُفْيان ابن عُيَينة عن زِياد بن سَعْد أنه سمع آبنَ حَاضِر[2] يقول :

٥ اختلف ابنُ عبّاس وعمرو بن العاصى عند معاوية، فقال ابنُ عبّاس : ألَا أغنيك ؟ قال : بلى ! فأنشده :

والشمسُ تغرُب كلَّ آخرِ ليلةٍ * فى عين ذى خُلُبٍ[3] وثَأْطٍ حَرْمَدِ

أحاديثه وأحواله فى مرض موته

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا عمّى عن مُصْعَب بن عثمان عن ثابت بن الزُّبَير قال : لمـا مرِض أُميّة مرَضه الذى مات فيه جعل يقول : قد دنا أجلى وهذه ١٠ المَرْضةُ مَنيّتى، وأنا أعلم أنّ الحنيفيّة حقٌّ ، ولكن الشك يُداخِلُنى فى محمد . قال : ولمـا دنتْ وفاتُه أُغْمى عليه قليلا ثم أفاق وهو يقول :

لَبّيكما لَبّيكما * هأنذا لديكما

---

(١) كذا فى حـ . وفى باقى الأصول : «أحمد بن محمد الجعد» وهو من شيوخ أبى الفرج الذين يروى عنهم كثيرا فى هذا الكتاب . (٢) اسمه عثمان بن حاضر الحميرى و يقال : الأزدى أبو حاضر ١٥ القاصّ، وقال عبد الرزاق : عثمان بن أبى حاضر (انظر تهذيب التهذيب فى آسم عثمان) .

(٣) الخلب : الطين بلغة حمير، والثأط : الطين الحمأة (أى الأسود) وقيل : الطين حمأة كان أوغير حمأة. والحرمد : الأسود من الطين . و رواية هذا الشعر فى اللسان مادة (ثأط) :

بلغ المشارق والمغارب يبتغى * أسباب أمر عن حكيم مرشد

فأتى مغيب الشمس عند مآبها * فى عين ذى خلب وثأط حرمد

٢٠ وقد رواه صاحب اللسان لأمية ثم قال : وأورد الأزهرى هذا البيت مستشهدا به على الثأطة الحمأة، وكذلك أورده ابن برّى وقال : إنه لتبّع يصف ذا القرنين .

لا مالٌ يَفْـديني ، ولا عشيرةٌ تُنْجِيني . ثم أُغمى عليـه أيضا بعد ساعة حتى ظنّ من حضره من أهلِه أنه قد قضَى، ثم أفاق وهو يقول :

لَبَّيـكما لَبَّيكما * هأنذا لديكما

لا برىءٌ فأعتـذر، ولا قوىٌّ فأنتصر . ثم إنه بقى يحـدِّث من حضره ساعةً ثم أُغمِى عليه مثلَ المرّتين الأُولَيَيْن حتى يئسوا من حياته؛ وأفاق وهو يقول :

لبيـكما لبيكما * هأنذا لديكما

محفوف بالنعم ،

إن تغفرِ اللهــمّ تغفرْ جمّـا * وأىّ عبـــدٍ لك لا أَلَمّا

ثم أقبـل على القوم فقال : قـد جاء وقتى ، فكونوا فى اهْبَتى ؛ وحدّثهم قليلا حتى يئس القوم من مرضه، وأنشأ يقول :

كلُّ عيش وإنْ تطاول دهرًا * مُنتهَى أمرِه إلى أنْ يَزُولَا

ليتنى كنتُ قبـل ما قد بَدَا لى * فى رُءوس الجبـال أَرْعَى الوُعولَا

اِجعلِ الموتَ نُصْبَ عينيك[1] وٱحذَرْ * غَوْلَةَ الدّهرِ إنّ للدّهرِ غُولا

ثم قضى نَحْبَـه ، ولم يؤمن بالنبىّ صلّى الله عليه وسلّم . وقد قيل فى وفاة أُمَيّة غيرُ هذا .

لما بُعث النبى هرب بٱبنتيه الى اليمن ثم مات بالطائف

أخبرنى عبد العزيز بن أحمد عمّ أبى قال حدّثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال : سمعت فى خبر أميّة بن أبى الصّلْت، حين بُعث النبىّ صلّى الله عليه وسلّم، أنه أخذ بِنْتَيْه وهرَب بهما الى أقصى اليمن ، ثم عاد إلى الطائف ؛ فبينما هو يشرب مع

---

(١) كذا فى سـ ، وفى باقى الأصول : «عينك» .

إخوانٍ له فى قصر غَيْلان[1] بالطائف، وقد أودع ٱبنتيه اليمنَ ورجَع إلى بلاد الطائف، إذ سقط غرابٌ على شُرْفةٍ فى القصر فنعَب نَعْبَةً؛ فقال أمية: بفيك الكَثْكَثُ! — وهو التراب — فقال أصحابه: ما يقول؟ قال: يقول إنك اذا شربتَ الكأسَ التى[2] بيدك متّ، فقلت: بفيك الكَثْكَث. ثم نعَب نعبةً أخرى، فقال أمية نحوَ ذلك؛ فقال أصحابه: ما يقول؟ قال: زعم أنه يقَع على هذه المَزْبلة أسفلَ القصر، فيستثير عظمًا فيبتلعه فيَشْجَى به فيموت؛ فقلت نحو ذلك فوقع الغراب على المَزْبلة، فأثار العظمَ فشَجِىَ به فمات؛ فانكسر أُميّة، ووضع الكأس من يده، وتغيّر لونُه؛ فقال له أصحابه: ما أكثر ما سمعنا بمثل هذا وكان باطلا! فألحّوا عليه حتى شرب الكأس، فمال فى شِقّ وأُغمِىَ عليه ثم أفاق، ثم قال: لا برىءٌ فأعتذر، ولا قوىّ فأنتصر، ثم خرجتْ نفسُه.

صـــوت

من المـائة المختـارة

تَبَلَتْ[3] فؤادَك فى المنام خَريدةٌ * تَشْـفِى[4] الضَّجيعَ ببارِدٍ بسّامِ

كالمِسْك تخلِطُه بمـاء سحابةٍ * أو عاتق[5] كدَمِ الذَّبيح مُـدامِ

عروضُه من الكامل. الشعر لحسّان بن ثابت والغِناء لموسى بن خارِجة الكوفىّ ثقيـلٌ أوّل بإطلاق الوتر فى مجرى البِنصر. وذكر حمّـاد عن أبيه أن فيه لحنا لعَزّة المَيْلاء. وليس موسى بكثير الصنعة ولا مشهور، ولا ممّن خدم الخلفاءَ.

(١) هو غيلان بن سـلمة بن معتّب، وكان وفد على كسرى وحاوره فأعجب به واشترى منه التجارة بأضعاف ثمنها وكساه وبعث معه من الفرس من بنى له هـذا القصر بالطائف، فكان أوّل قصر بنى بهـا (راجع الأغانى ج ١٢ ص ٤٨، ٤٩ طبع بولاق).

(٢) فى جميع الأصول: «الذى».

(٣) تبلت فؤادك: أسقمته. والخريدة: الحيِيّة.

(٤) فى ديوان حسان: «تسق» وعلى هذه الرواية تكون الباء فى «ببارد» زائدة.

(٥) العاتق: الخمر القديمة التى حبست زمانا حتى عتقت وجادت، وقيل: هى التى لم يفض أحد ختامها كالجارية العاتق التى قد أدركت ولما تتزوج.

أخبار حسّان بن ثابت ونسبه

نسبه من قبل أبويه وكنيته

هو حسّان[1] بن ثابت بن المُنْذِر بن حَرام بن عمرو بن زَيْد مَنَاة بن عَدِىّ بن عمرو ابن مالك بن النّجّار، واسمه تَيْمُ[2] الله بن ثَعْلَبة بن عمرو بن الخَزْرج بن حارثة بن ثعلبة، وهو العَنْقَاء بن عمرو، وإنما سمّى العَنْقاء لطول عُنُقه، وعمرو هو مُزَيْقِياءُ بن عامر ابن ماء السماء بن حارثة الغِطْرِيف بن آمرئ القيس البِطْريق بن ثَعْلَبة البُهْلولُ بن مازن بن الأَزْد، وهو ذرى[3] — وقيل : ذِراء ممدود — بن الغَوْث بن نَبْت بن مالك ابن زَيْد بن كَهْلان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان .

قال مُصْعَب الزُّبَيرىّ فيما أخبرنا [به] الحسن بن علىّ عن أحمد بن زُهَير عمّه، قال: بنو عدِىّ بن عمرو بن مالك [بن] النّجّار يُسمَّوْن بنى مَعالة؛ ومَعالة أُمّه[4]، وهى آمرأة من القَيْن وإليها كانوا يُنْسَبون . وأُمّ حسّان بن ثابت بن المُنْذِر، الفُرَيعة ابنة خالد ابن قيس بن لَوْذَان[5] بن عبد وُدّ بن زيد بن ثعلبة بن الخَزْرَج بن ساعدة بن كَعْب بن الخَزْرَج . وقيل : إنّ آسم النجار تَيْمُ اللات ؛ وفى ذلك يقول حسان بن ثابت :

وأُمّ ضِرارٍ تَنْشُد الناسَ وَالِهًا * أَمَا لآبن تَيْم الله ماذا أَضَلّتِ

(١) هذا الاسم ان جعلته فعّالا من الحسن أجريته وان جعلته فعلان من الحَسّ (بالفتح) وهو القتل أو الحِسّ بالشىء لم تجره . قال ابن سيده : وقد ذكرنا أنه من الحَسّ أو الحِسّ، وقال : ذكر بعض النحويين أنه فعال من الحسن وليس بشىء (انظر اللسان مادة حسن) . (٢) كذا فى أسد الغابة فى ترجمة حسان . وفى سائر الأصول : «وهم تيم الله» وبنو النجار هم تيم الله بن ثعلبة (٣) نقل صاحب شرح القاموس مادة أزد عن الشيخ عبد القادر البغدادى أن اسمه «درء» بكسر الدال فسكون وآخره همزة وعن أبى القاسم الوزير أنه دراء ككتّاب . (٤) كذا فى أكثر الأصول . وفى حـ : «أمة» . (٥) فى الأصل : «الفريعة بنت خالد بن قيس» . وفى تهذيب التهذيب طبع الهند : «الفريعة بنت خالد بن حبيش» . وفى أسد الغابة طبع بولاق : «الفريعة بنت خالد بن خنيس» . وفى خزانة الأدب للبغدادى (ج ١ ص ١١١ طبع بولاق) : «الفريعة بنت خنس» .

يعنى ضِرَارَ بنَ عبد المُطّلب، وكان ضَلّ فنَشَدتْه أمُّه . و إنما سمّاه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم تَيْمَ الله ، لأن الأنصار كانت تُنْسَب إليـه ، فكَرِه أن يكون فى أنسابها ذِكْرُ اللّات .

ويُكنَى حسانُ بن ثابت أبا الوليد(١) ، وهو فَحْل من فحول الشعراء ؛ وقد قيل : إنه أشعرُ أهل المَدَر(٢) . وكان أحدَ المُعَمَّرين من المُخَضْرَمين، عُمِّر مائةً وعشرين سنة : ستّينَ فى الجاهلية وستّينَ فى الإسلام .

عاش حسان مائة وعشرين سنة

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبى عُبَيدة قال : عاش ثابت ابن المنذر مائة وخمسين سنة، وعاش حسّان مائةً وعشرين سنة(٣) . ومما يحقّق ذلك ما أخبرنى به الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال حدّثنى الزُّبَير بن بكّار قال حدّثنى محمد بن حُسين(٤) عن إبراهيم بن محمد عن صالح بن إبراهيم عن يحيى بن عبد الرحمن بن سعيد بن زُرَارة عن حسان بن ثابت قال : إنى لغلامٌ يَفَعةٌ ابنُ سبع سنين أو ثمانٍ إذا بيهودىّ بيَثْرِبَ يصرُخ ذاتَ غَدَاةٍ : يا معشرَ يَهُودَ؛ فلما اجتمعوا إليه قالوا : وَيْلَكَ! مالك ؟ قال : طلَع نجمُ أحمدَ الذى يُولد به فى هذه الليلة؛ قال : ثم أدركه اليهودىّ ولم يُؤْمن به . فهذا يَدُلّ على مدّة عمره فى الجاهلية، لأنه ذكر أنه أدرك ليلةَ وُلِد النبىُّ صلّى الله عليه وسلّم، وله يومئذ ثمانُ سنين، والنبىّ

(١) ويكنى أيضا أبا الحسام، كما فى خزانة الأدب للبغدادى وأسد الغابة، لمناضلته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانقطيعه أعراض المشركين ، ويكنى أيضا أبا عبد الرحمن ، ويلقب بذى الأكلة (بالضم) كما فى القاموس مادة أكل . (٢) المدر (بالتحريك) : المدن والحضر . وفى ء ، أ ، م : «المدن» . (٣) فى أسد الغابة وتهذيب التهذيب والنجوم الزاهرة : أن عمر حسان مائة وعشرون سنة وكذلك عاش أبوه ثابت وجدّه المنذر وأبو جدّه حرام، ولا يعرف فى العرب أربعة تناسلوا من صلب واحد وعاش كل منهم مائة وعشرين سنة غيرهم . (٤) فى حـ : «محمد بن الحسن» .

صلّى الله عليه وسلّم بُعث وله أربعون سنة، وأقام بمكة ثلاثَ عشرةَ سنة، فقدِم المدينةَ ولحسّان يومئذ، على ماذكره، ستون سنة أو إحدى وستون سنة، وحينئذ أسلم.

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار عن عبد الرحمن بن عبد الله قال حدّثنى ٱبنُ أبى الزِّناد قال:

٥ عُمِّر حسّانُ بن ثابت عشرين ومائة سنة: ستّين فى الجاهلية، وستّين فى الإسلام.

قال أخبرنى الحسين قال أخبرنى أحمد بن زُهَير قال حدّث سليمان بن حَرْب عن حمّاد بن زيد عن يَزيد بن حازم عن سليمان بن يَسَار قال:

رأيتُ حسّان بن ثابت وله ناصيةٌ قد سَدَلها بين عينيه.

كان يخضب شاربه وعنفقته بالحناء

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنى على بن محمد النَّوْفَلِى عن ١٠ أبيه قال:

كان حسان بن ثابت يَخْضِب شاربَه وعَنْفَقَته[1] بالحِنّاء، ولا يَخْضِب سائرَ لحيته؛ فقال له ٱبنُه عبد الرحمن: يا أبتِ، لِمَ تفعلُ هذا؟ قال: لأكون كأنّى أسدٌ والغٌ فى دَمٍ.

فضل الشعراء بثلاث

أخبرنا محمد بن الحسين بن دُرَيد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبى عُبَيدة قال:

١٥ فضَل حسّانُ الشعراءَ بثلاث: كان شاعرَ الأنصار فى الجاهلية، وشاعرَ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فى النبوّة، وشاعرَ اليمن كلِّها فى الإسلام.

أجمعت العرب على أنه أشعر أهل المدر

قال أبو عبيدة: وأجمعت[2] العرب على أن حسّانَ أشعرُ أهل المَدَر. أخبرنا بذلك أيضا أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن أبى عُبَيدة قال:

---

(١) العنفقة: شعرات بين الشفة السفلى والذقن. (٢) كذا فى أسد الغابة. وفى جميع الأصول: «اجتمعت». ٢٠

اتّفقت العربُ على أن أشعَر أهل المَدَر أهلُ يَثْرب، ثم عبدُ القيس ثم ثَقِيفٌ، وعلى أنّ أشعر أهلِ يثرب حسّانُ بن ثابت .

سأل أبا هريرة عن حديث فى شأنه فأجابه

أخبرنى حبيب بن نصر المهلّبىّ، وأحمد بن عبد العزيز الجَوْهرىّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا عَفّان قال حدّثنا عبد الواحد بن زِيَاد قال حدّثنا مَعْمَر عن الزُّهْرىّ عن سعيد بن المُسَيّب قال :

٤/٤

٥

جاء حسّانُ إلى نَفَرٍ فيهم أبو هُرَيرة، فقال : أَنْشُدُك اللهَ، أسمعتَ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم يقول : "أَجِبْ عنّى" ثم قال : "اللّهم أيّده بروح القُدس"؟ قال أبو هريرة : اللّهم نعم .

كان أحد الأنصار الثلاثة الذين عارضوا شعراء قريش

أخبرنى حبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا وَهْب بن جَرير قال حدّثنا أبى قال سمعت محمدَ بن سِيرِينَ، قال أبو زيد وحدّثناه هَوْذَةُ بن خَلِيفة قال حدّثنا عوف عن محمد بن سيرين، قال :

١٠

كان يهجو رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ثلاثةُ رَهْطٍ[1] من قريش : عبدُ الله بن الزِّبَعْرَى، وأبو سُفْيانَ بن الحارث بن عبد المطّلب، وعمرو بن العاصى؛ فقال قائل لعلىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه : اهْجُ عنّا القومَ الذين قد هَجَوْنا؛ فقال علىّ رضى الله عنه : إن أَذِنَ لى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فعلتُ؛ فقال رجل : يا رسول الله، ائذن لعلىّ كى يهجوَ عنّا هؤلاء القومَ الذين قد هَجَوْنا ؛ قال : "ليس هناك" أو "ليس عنده ذلك"؛ ثم قال للأنصار : "ما يَمنع القومَ الذين نَصَروا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بسلاحهم أن يَنصروه بألسنتهم؟"؛ فقال حسّان بن ثابت : أنا لها، وأخذ بطَرَف لسانه، وقال : والله ما يَسُرّنى به مِقْوَلٌ[2] بين بُصْرَى وصَنْعاء؛ فقال : "كيف

١٥

(١) زاد فى أسد الغابة رابعا هو ضرار بن الخطاب .   (٢) المقول : اللسان .

٢٠

تهجوهم وأنا منهم"؟ فقال: إنى أسلك منهم كما تُسَلّ الشَّعرةُ من العجين. قال: فكان يهجوهم ثلاثةٌ من الأنصار: حسّانُ بن ثابت، وكعبُ بن مالك، وعبدُ الله بن رَوَاحة. فكان حسّانُ وكعبٌ يُعارِضانهم بمثل قولهم بالوقائع والأيّام والمآثر ويُعيِّرانهم بالمثالب، وكان عبدُ الله بن رَوَاحة يُعيِّرهم بالكفر. قال: فكان فى ذلك الزمان أشدُّ القول عليهم قولَ حسّان وكعب، وأهونُ القول عليهم قولَ ابن رواحة. فلما أسلموا وفَقِهوا الإسلامَ، كان أشدُّ القول عليهم قولَ ابن رواحة.

استأذن النبيّ فى هجو قريش فأمره أن يأخذ أنسابهم عن أبى بكر

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر المهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا عبد الله بن بكر بن حبيب السَّهْمىّ قال حدّثنا أبو يونس القُشَيْرىّ وهو حاتم بن أبى صَغِيرَة(1) قال حدّثنا سِمَاكُ بن حَرْب قال:

قام حسّان أبو الحُسَام، فقال: يا رسول الله، ائْذَن لى فيه، وأخرج لسانًا له أسودَ، فقال: يا رسولَ الله، لو شئت لفَرَيْتُ به المَزَادَ(2)، ائذن لى فيه؛ فقال: "اذهب إلى أبى بكر فلْيُحدِّثك حديثَ القوم وأيامِهم وأحسابِهم ثم اهْجُهم وجبريلُ معك". قال أبو زيد قال ابنُ وَهْب وحدّثنا بهذا الحديث حاتمٌ عن السُّدّىّ عن البَرَاء بن عازب وعن سِمَاك بن حَرْب - فأنا أشُكّ: أهو عن أحدهما أم عنهما جميعا - قال أبو زيد: وحدّثنا علىّ بن عاصم قال حدّثنا حاتم بن أبى صَغِيرة(1) عن سِمَاك بن حَرْب

(1) كذا فى طبقات ابن سعد (ج ٧ قسم ٢ ص ٣١ طبع أوربا) وتهذيب التهذيب (ج ٢ ص ١٣٠ طبع الهند) والخلاصة طبع مصر؛ وهو مولى بنى قشير واسم أبيه مسلم، وأبو صغيرة أبو أمه وهو يروى عن عمرو بن دينار وسماك بن حرب (انظر الأنساب للسمعانى). وقد ورد هذا الاسم مضطربا فى جميع الأصول. (2) المزاد جمع مزادة والمزادة هى التى يحمل فيها الماء، وهى ما فئم بجلد ثالث بين الجلدين ليتسع، سميت بذلك لمكان الزيادة.

بنحوه، وزاد فيه: فأخرج لسانَه أسودَ، فوضَعه على طَرَف أَرْنَبَته، وقال: يا رسولَ الله، لو شئت لفريتُ به المزاد؛ فقال: "يا حسّان وكيف وهو منّي وأنا منه"، قال: والله لأسُلّنّه منك كما يُسَلّ الشعرُ من العجين !، قال: "يا حسّان فأْتِ أبا بكر فإنه أعلمُ بأنساب القوم منك". فأتى أبا بكر فأعلمه ما قال رسول الله صلّى الله عليه ٥ وسلّم؛ فقال: كُفّ عن فلانةَ وآذكر فلانةَ؛ فقال:

هجوتَ(١) محمدا فأجبتُ عنه * وعند الله فى ذاك الجَزَاءُ

فإنّ أبى ووالدَه وعِرْضى * لِعرض محمد منكم وِقاء

أتهجوه ولستَ له بكُفءٍ * فشرُّكما لخيركما الفِداء

٥/٤

لما بلغ قريشا شعر حسان اتهموا فيه أبا بكر

أخبرنى الحسن بن علىّ قال(٢) حدّثنا أحمد بن زُهَير قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار ١٠ قال حدّثنا أحمد بن سليمان عن الأصمعىّ عن عبد الرحمن بن أبى الزِّناد قال:

لما أُنْشِدتْ قريشٌ شعرَ حسّان قالت: إن هذا الشتم ما غاب عنه آبنُ(٣) أبى قُحَافة.

قال الزُّبير: وحدّثنى محمد بن يحيى عن يعقوب(٤) بن إسحاق بن مُجَمِّع عن رجل من بنى العَجْلان قال:

١٥ (١) وردت هذه الأبيات فى السيرة لابن هشام (ص ٨٣٠ طبع أوربا) ضمن قصيدة مطلعها:

عفت ذات الأصابع فالجواء * الى عذراء منزلها خلاء

على غير ترتيب الأغانى بذكر البيت الثالث بعد الأول و بزيادة بيتين بعده هما:

هجوت مباركا برّا حنيفا * أمين الله شيمته الوفاء

أمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء

٢٠ ويليهما البيت «فان أبى الخ». وانظر هذا الشعر أيضا فى صحيح مسلم (ج ٢ ص ٢٦٠ — ٢٦١ طبع بولاق). (٢) كذا فى حـ. وفى باقى الأصول: «أخبرنى الحسن بن على قال قال ...» بتكرير كلمة «قال». (٣) هو أبو بكر الصديق رضى الله عنه. (٤) لم نعثر على هذا الاسم فى كتب التراجم التى بين أيدينا والذى بها هو: «يعقوب بن مجمع» أو «يعقوب بن اسحاق بن زيد» كما فى تهذيب التهذيب والخلاصة فى أسماء الرجال. وفى لسان الميزان (ج ٦ ص ٣٠٢): «يعقوب ٢٥ ابن اسحاق بن ابراهيم بن مجمع» ولعله هذا.

لما بلغ أهلَ مكة شعرُ حسّانَ ولم يكونوا علموا أنه قولُه ، جعلوا يقولون : لقد قال أبو بكر الشعرَ بعدنا .

أسمعه ابن الزبعرى وضرار من هجوهما وفرّا فاستعدى عمر فردّهما فأنشدهما مما قال فيهما

قال الزُّبير : وحدّثنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال حدّثنا الزُّبير ابن بَكّار قال حدّثنى محمد بن فَضَالة عن أبيه عن خالد بن محمد بن فَضَالة عن أبيه عن خالد بن محمد بن ثابت بن قَيْس بن شَمّاس قال[1] :

نهى عمرُ بن الخطاب الناسَ أن يُنشِدوا شيئًا من مُناقضة الأنصار ومُشرِكى قريش، وقال : فى ذلك شَتْمُ الحىّ[2] بالميت وتجديدُ الضغائن ، وقد هدَم الله أمرَ الجاهليّة بما جاء من الإسلام . فقدِم المدينةَ عبد الله بن الزِّبَعْرَى السَّهْمِىّ وضِرَارُ ابن الخَطّاب الفِهْرى ثم المُحَارِبىّ، فنزَلا على أبى أحمد بن جَحْش، وقالا له : نُحبّ أن تُرسِل إلى حسّان بن ثابت حتى يأتيك، فنُنشِدَه ويُنشِدَنا مما قلنا له وقال لنا ؛ فأرسل إليه فجاءه، فقال له : يا أبا الوليد، هذان أخواك ابنُ الزِّبَعْرَى وضِرارٌ قد جاءا أن يُسمِعاك وتُسمِعَهما ما قالا لك وقلتَ لهما ؛ فقال ابن الزِّبَعْرَى وضِرارٌ : نعم يا أبا الوليد ، إن شعرَك كان يُحتمل فى الإسلام ولا يُحتمل شعرُنا ، وقد أحْبَبْنا أن نُسمعك وتُسمعنا ؛ فقال حسان : أفتَبْدأان أم أبْدأ ؟ قالا : نَبْدأ نحن ؛ قال : ابتَدِئا ؛ فأنشَداه حتى فار فصار كالمِرْجَل غضبًا ثم استَوَيا على راحلتيهما يُريدان مكّة ؛ فخرج حسّان حتى دخل على عمر بن الخطاب فقصّ عليه قِصّتهما وقِصّته ؛ فقال له عمر : لن يَذْهبا عنك بشىء إن شاء الله، وأرسل من يَرُدّهما، وقال له عمر : لو لم تُدْرِكهما إلا بمكة فارْدُدْهما علىّ ؛ وخرجا فلما كانا بالرَّوْحاء[3] رجع ضِرارٌ إلى صاحبه بكُرْه، فقال له يابن الزِّبَعْرَى : أنا أعرِف عمرَ وذَبّه عن الإسلام وأهلِه ،

(١) لم نعثر على خالد هذا فى كتب التراجم ، وليس فى ولد محمد بن ثابت بن قيس بن شماس من يسمى خالدا وقد أحصاهم ابن سعد فى الطبقات (ج ٥ ص ٥٨ — ٥٩ طبع أوربا) . على أن السند كله مضطرب ولم نوفق الى تحقيقه . (٢) فى أسد الغابة : « وقال فى ذلك شتم الحىّ والميت » الخ .
(٣) الروحاء : موضع بين مكة والمدينة على نحو ثلاثين ميلا من المدينة .

وأعرف حسّانَ وقلّةَ صبره على ما فعلنا به ، وكأنى به قد جاء وشكا إليه ما فعلنا ، فأرسَل فى آثارنا وقال لرسوله : إن لم تلحقهما إلا بمكّة فأرْدُدْهما علىّ ، فأرِحْ بنا تَرْكَ العناء وأقِمْ بنا مكانَنا ، فإن كان الذى ظننتُ فالرجوع من الرَّوْحاء أسهلُ منه من أبعدَ منها ، وإن أخطأ ظنّى فذلك الذى نُحبّ ونحن من وراء المُضِىّ ؛ فقال ابنُ الزِّبَعْرَى : نِعْمَ ما رأيتَ . قال : فأقاما بالرَّوْحاء ، فما كان إلا كمَرّ الطائر حتى وافاهما رسولُ عمر فردّهما إليه ، فدعا لهما بحسّان ، وعمرُ فى جماعةٍ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فقال لحسّان : أنْشِدهما مما قلتَ لهما ؛ فأنشدهما حتى فرَغ مما قال لهما فوقف ؛ فقال له عمر : أفرغتَ ؟ قال : نعم ؛ فقال له : أنْشَداكَ فى الخَلاء وأنْشَدْتَهما فى المَلأ . وقال لهما عمر : إن شئتما فأقيما وإن شئتما فانْصرفا ؛ وقال لمن حضَره : إنى قد كنتُ نَهَيْتُكم أن تذكروا مما كان بين المسلمين والمشركين شيئا دَفْعاً للتَّضاغُن عنكم وبثِّ القبيح فيما بينكم ، فأما إذ أبَوْا فاكتبوه واحتفظوا به ؛ فدوّنوا ذلك عندهم . قال خَلّاد[1] بن محمد : فأدركتُه والله وإنّ الأنصار لتُجدِّده عندها إذا خافت بِلاه .

شعرله فى هجو أبي سفيان بن الحارث

أخبرنا أحمد[2] بن عبد العزيز قال حدّثنا عمرُ بن شَبّة قال حدّثنا عَفّان بن مُسْلِم قال حدّثنا عِمْرانُ بن زيد قال : سمعت أبا إسحاق قال فى قصّة حسّان وأبى سفيان ابن الحارث نحو ما ذكره مما قدّمنا ذكرَه ، وزاد فيه : فقال حسّان فيه :

وإن سَنَام المجد من آل هاشمٍ * بنو بنتِ مَخْزومٍ[3] ووالدُك العبدُ

(١) لم نجد هذا الاسم فى كتب التراجم التى بين أيدينا . وقد تقدم فى سند هذا الخبر رجلان كل منهما يسمى خالد بن محمد فلعله أحدهما . (٢) فى الأصول : «محمد بن عبدالعزيز» وظاهر جدا أنه أحمد ابن عبد العزيز الجوهرى الذى يروى عن عمر بن شبة ، ويروى عنه كثيرا أبو الفرج . (٣) بنت مخزوم : يريد بها فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم وهى أم عبدالله (أبى النبى صلى الله عليه وسلم) والزبير وأبى طالب أبناء عبد المطلب . ووالدك العبد : يريد به الحارث بن عبد المطلب وهو أبو أبى سفيان المهجو وكانت أمه أمّ ولد .

ومن ولدتْ أبناءُ زُهْرةَ منكمُ[١] * كِرامٌ ولم يَلْحق عجائزَك المجدُ
وإنّ آمرأً كانت سُمَيّةُ[٢] أُمَّه * وسَمْراءُ[٣] مغلوبٌ إذا بلَغ الجَهْدُ
وأنت هَجينٌ[٤] نِيطَ فى آل هاشم * كما نِيطَ خَلْفَ الراكبِ القدحُ الفَرْدُ

فقال العبّاس : ومالى وما لحسّان ! يعنى فى ذكره نُتَيْلة[٥]، فقال فيها :

ولستَ كعبّاسٍ ولا كآبن أُمّه[٦] * ولكن هجينٌ ليس يُورَى له زَنْدُ

أعانه جبريل فى مديح النبىّ

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا القَعْنبىّ قال حدّثنا مروان بن معاوية قال حدّثنا إيَاس السُّلَمِىّ عن آبن بُرَيدة قال :

أعان جبريلُ عليه السلام حسّانَ بن ثابت فى مديح النبىّ صلّى الله عليه وسلّم بسبعين بيتا .

مدحه النبى ومدح كعبا وعبدالله ابن رواحة

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا محمد بن منصور قال حدّثنا سعيدُ بن عامر قال حدّثنى جُوَيْرِيةُ بنُ أسماء قال :

---

(١) يريد فى هذا البيت مدح آمنة أم النبىّ صلى الله عليه وسلم وهالة أم حمزة وصفية ، وكلتاهما زهرية اذ هما ابنتا وهب بن عبد مناف بن زهرة . وقوله : « ولم يلحق عجائزك المجد » يهجو أبا سفيان بأن أمهاته لسن بأحرار اذ كانت أم أبى سفيان نفسه أم ولد وأم أبيه كذلك أم ولد . ورواية الديوان فى هذا البيت (ص ٩١ طبع ليدن) :

وما ولدت أفناء زهرة منكم * كريما ولم يقرب عجائزك المجد

(٢) كذا فى الديوان وسمية : هى أم الحارث بن عبد المطلب، وأبوها موهب غلام لبنى عبد مناف . وفى الأصول : « ثتيلة » بالثاء المثلثة وهو تحريف (انظر شرح النووى على صحيح مسلم ج ٥ ص ٢٠٠ طبع بولاق) . (٣) سمراء : هى أم أبى سفيان المهجوّ . (٤) الهجين : من أبوه عربىّ وأمه ليست بعربية . ونيط فى آل هاشم : نسب اليهم وليس منهم ، يريد أنه ليس من خالصهم .

(٥) كذا فى المعارف لابن قتيبة وشرح القاموس (مادة نتل)، وهى نتيلة بنت كليب بن مالك بن جناب أم العباس وضرار ابنى عبد المطلب ،وهى إحدى نساء بنى النمر بن قاسط . وفى الأصول « ثتيلة » بالثاء المثلثة وهو تحريف . (٦) هو ضرار بن عبد المطلب .

بلغني أن رسول الله صلّى الله عليه وسلم قال : "أمَرتُ عبدَ الله بن رَوَاحة فقال وأحسن وأمرتُ كعبَ بن مالك فقال وأحسن وأمرت حسّانَ بن ثابت فشفَى وآشتفى" .

أخبره النبيّ أن روح القدس يؤيده

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا أحمد بن عيسى قال حدّثنا آبنُ وَهْب قال أخبرنا عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن مروان بن عثمان ويَعْلَى بن شَدّاد بن أَوْس عن عائشة قالت :

سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسّان بن ثابت الشاعر: "إن رُوحَ القدس لا يزال يؤيّدك ما كافحتَ عن الله عز وجلّ وعن رسول الله" صلى الله عليه وسلم .

استنشده النبيّ وجعل يصغى اليه

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا هَوْذَة بن خَليفة قال حدّثنا عوف آبن محمد قال :

قال النبيّ صلى الله عليه وسلم ليلةً وهو في سفر : "أين حسّانُ بن ثابت" ؛ فقال حسّان : لبَّيْك يارسول الله وسَعْدَيْك ؛ قال : "آحْدُ" ، فجعل يُنْشِد ويُصغِي إليه النبيُّ صلّى الله عليه وسلم ويَسْتمع ، فما زال يَسْتمع إليه وهو سائقٌ راحلتَه حتى كان رأسُ الراحلة يَمَسُّ الوَرِك حتى فرَغ من نَشيده ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : "لَهذا أشدُّ عليهم من وَقْع النَّبْل" .

انتهره عمر لإنشاده في مسجد الرسول فردّ عليه

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا أبو عاصم النَّبيل قال أخبرنا آبن جُرَيْج قال أخبرنا زِياد بن أبي سَهْل قال حدّثني سعيد بن المسيّب :

أن عمر مرّ بحسّان بن ثابت وهو يُنشد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فآنتهره عمر ؛ فقال حسّان : قد أَنشدتُ[1] فيه مَنْ هو خيرٌ منك ؛ فآنطلق عمر .

(١) رواية صحيح مسلم (ج ٢ ص ٢٥٩ طبع بولاق) : «قد كنت أنشد وفيه من هو خير منك» .

أخبرنا أحمد قال حدّثنا أبو داود الطَّيالسىّ قال حدّثنا إبراهيم بن سعد عن الزُّهْرىّ عن سعيد بن المسيّب :

أن عمر مرّ على حسان وهو يُنشد فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكر مثله وزاد فيه : وعلمتُ أنه يريد النبىّ صلى الله عليه وسلم .

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا محمد بن حاتم قال حدّثنا شُجَاع بن الوليد عن الإفريقىّ عن مُسْلِم بن يَسار :

٧/٤

أن عمر مرّ بحسّان وهو ينشد الشعرَ فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذ بأُذُنه وقال : أرُغَاءٌ كرُغاءِ البعير! فقال حسّان : دعنا عنك يا عمر، فوالله لَتَعْلَمُ أنى كنتُ أُنْشِد فى هذا المسجد مَنْ هُوَ خيرٌ منك فلا يُغيِّر علىّ؛ فصدّقه عمر .

مدح الزبير بن العوام للومه قوما لم يحسنوا الاستماع له

حدّثنا محمد بن جرير الطبرىّ والحَرَمىّ بن أبى العلاء وعبد العزيز بن أحمد عمّ أبى وجماعةٌ غيرهم قالوا حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثنا أبو غَزِيّة محمد بن موسى قال حدّثنى عبد الله بن مُصْعَب عن هشام بن عُرْوة عن فاطمة بنت المُنْذر عن جَدّتها أسماء بنت أبى بكر قالت :

مرّ الزُّبير بن العوّام بمجلس من أصحابِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحسّان بن ثابت يُنشِدهم من شعره وهم غير نِشَاطٍ لِما يَسْمعون منه، فجلس معهم الزبير فقال : مالى أراكم غيرَ آذنين لما تسمعون من شعر ٱبن الفريْعة ! فلقد كان يَعرِض لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيُحسِن ٱستماعَه ويُجْزِل عليه ثوابَه ولا يَشتغل عنه بشىء؛ فقال حسان :

أقام على عهد النبىّ وهَدْيه * حَوارِيُّه[1] والقولُ بالفعل يُعدَلُ

(١) حوارىّ النبىّ صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوّام، لقوله عليه الصلاة والسلام : «ان لكل نبىّ حواريا وان حوارىّ الزبير» . وفى رواية : «الزبير ابن عمّتى وحوارىٌّ من أمتى» أى خاصتى من أصحابى وناصرى .

أقام على مِنهاجه وطريقه * يوالى ولىَّ الحق والحقُّ أعدلُ

هو الفارس المشهور والبطلُ الذى * يَصُول إذا ما كان يومٌ مُحجَّلُ

إذا كشفَتْ عن ساقها الحربُ حَشَّها(١) * بأبيضَ سَبّاق إلى الموت يُرقِلُ(٢)

وإنّ آمرأً كانت صفيةُ أُمَّه * ومن أسد فى بيتها لمُرفَّلُ(٣)

٥ له من رسول الله قُرْبَى قريبة * ومن نُصرة الإسلام مجدٌ مؤثَّلُ

فكم كُرْبةٍ ذبَّ الزبيرُ بسيفه * عن المصطفى والله يُعطى فيُجزِلُ

فما مثلُه فيهم ولا كان قَبْلَه * وليس يكون الدهرَ ما دام يَذْبُلُ(٤)

ثناؤك خيرٌ من فِعال مَعاشرٍ * وفعلك يا بْنَ الهاشميّة أفضلُ

تقدم هو وكعب وابن رواحة لحماية أعراض المسلمين فآختاره النبىّ دونهما

أخبرنى أحمد بن عيسى العِجْلىّ قال حدّثنا واصلُ بن عبد الأعلى قال حدّثنا

١٠ آبنُ فُضَيْل عن مُجالد عن الشَّعْبىّ قال :

لما كان عامُ الأحزاب(٥) وردّهم الله بغيظهم لم ينالوا خيرًا، قال النبىّ صلى الله عليه وسلّم : "من يَحمى أعراضَ المسلمين"؟ فقال كعب : أنا يا رسول الله، وقال عبد الله ابن رَوَاحة : أنا يا رسول الله، وقال حسّان بن ثابت : أنا يا رسول الله ؛ فقال : "نعم اُهْجُهم أنتَ فإنه سيُعينُك عليهم رُوحُ القُدُس" .

سبّه قوم فى مجلس ابن عباس فدافع عنه

١٥ أخبرنى أحمد بن عبد الرحمن(٦) قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو داود قال حدّثنا حُدَيْج بن معاوية عن أبى إسحاق عن سعيد بن جُبَيْر قال :

---

(١) حش الحرب : أسعرها وهيجها . (٢) أرقل : أسرع ، والإرقال ضرب من السير السريع ؛ قال النابغة : إذا استنزلوا للطعن عنهنّ أرقلوا * إلى الموت إرقال الجمال المصاعب

(٣) المرفل : المعظم المسوّد . (٤) يذبل : اسم جبل فى بلاد نجد . (٥) الأحزاب : ٢٠ قريش وغطفان وبنو قريظة تألبوا على حرب النبىّ صلى الله عليه وسلم . (٦) كذا فى جميع الأصول . والذى يروى عن عمر بن شبة كثيرا فى كتاب الأغانى هو أحمد بن عبد العزيز الجوهرى فلعله هذا .

كنّا عند ابن عباس لجاء حسّان، فقالوا : قد جاء اللعين؛ فقال ابنُ عباس : ما هو بلعين، لقد نصر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بلسانه ويده .

حدّثنيه أحمد بن الجَعْد قال حدّثنا محمد بن بكّار قال حدّثنا حُدَيْج بن معاوية قال حدّثنا أبو إسحاق عن سَعِيد بن جُبَيْر قال :

٥ جاء رجلٌ إلى ابن عباس فقال : قد جاء اللعينُ حسّان من الشأم، فقال ابن عباس : ما هو بلعين، لقد جاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانه ونفسه .

قدم وفد تميم على النبيّ مفتخرين فأمره أن يجيب شاعرهم

٨/٤ أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا عبد الله بن عمرو وشُرَيْح بن النُّعْمان قالا حدّثنا عبد الرحمن بن أبي الزِّناد عن هشام بن عُرْوَةَ عن أبيه عن عائشة قالت :

لما قدم وفدُ بنى تميم وضع النبيّ صلى الله عليه وسلم لحسّان مِنْبرا وأجلسه عليه،

١٠ وقال : "إن الله ليؤيّد حسّانَ بروح القدس ما كافَحَ[1] عن نبيّه" صلى الله عليه وسلم. هكذا روى أبو زيد هذا الخبر مُخْتَصرا، وأتينا به على تمامه هاهنا لأنّ ذلك حسن فيه .

أخبرنا به الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال حدّثنا الزُّبَيْر قال حدّثنا محمد بن الضحّاك عن أبيه قال :

١٥ قدم على النبيّ صلى الله عليه وسلم وفدُ بنى تميم وهم سبعون أو ثمانون رجلا، فيهم الأقرعُ بن حابِس، والزِّبْرِقان بن بَدْر، وعُطارِدُ بن حاجب، وقيس بن عاصم، وعمرو بن الأَهْتَم، وانطلق معهم عُيَيْنة بن حِصْن، فقدِموا المدينةَ، فدخلوا المسجدَ، فوقفوا عند الحُجُرات، فنادَوْا بصوت عالٍ جافٍ : أُخرج إلينا يا محمد، فقد جئنا لنُفَاخِرَك، وقد جئنا بشاعرنا وخطيبنا؛ فخرج إليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم

٢٠ (١) فى حـ : « ما نافح » بالحاء المهملة، وهما بمعنى واحد .

فجلس، فقام الأَقْرعُ بن حابِس فقال : والله إنّ مدحى لزَيْن، وإنّ ذمّى لشَيْن؛ فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : "ذلكَ اللهُ". فقالوا : إنّا أكرمُ العرب؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أكرمُ منكم يوسفُ بنُ يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام". فقالوا : ائذَنْ لشاعرنا وخطيبنا ؛ فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس وجلس معه الناس . فقام عُطَارِدُ بن حاجِب فقال :

الحمد لله الذى له الفضلُ علينا وهو أهلُه، الذى جعلنا ملوكًا وجعلنا أعزّ أهل المَشْرق[1]، وآتانا أموالًا عِظاما نفعل فيها المعروف، ليس فى الناس مثلُنا، ألَسْنا برءوس الناس وذوى فضلهم ! فمن فاخَرنا فليُعَدِّد مثل ما عدّدْنا، ولو نشاء لأكثرْنا ، ولكنّا نَسْتحى من الإكثار فيما خوّلَنا اللهُ وأعطانا ، أقول هذا فأْتوا بقولٍ أفضل من قولنا أو أمرٍ أبينَ من أمرنا، ثم جلس .

فقام ثابت بن قيس بن شَمّاس فقال : الحمد لله الذى السمواتُ والأرضُ خَلْقُه، قضى فيهنّ أمرَه ووسِع كرسيّه وعلمه[2]، ولم يَقْضِ شيئا إلا من فضله وقدرته، فكان من قدرته أن اصطفى من خلقه لنا رسولا أكرمَهم حسبا وأصدقَهم حديثا وأحسنَهم رأيا، فأنزل عليه كتابا وائتمنه على خلقه، وكان خِيرَةَ الله من العالمين، ثم دعا[3] رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان، فأجابه من قومه وذوى رَحِمه المهاجرون أكرمُ الناس أنسابًا، وأصبحُ الناس وجوها، وأفضلُ الناس فِعالا ؛ ثم كان أوّل من اتبع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من العرب واستجاب له نحن مَعْشَرَ الأنصار،

---

(١) فى الطبرى (ص ١٧١١ من القسم الأوّل طبع أوربا) : «وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثره عددا وأيسره عدّة ... الخ» .

(٢) فى سيرة ابن هشام (ص ٩٣٥ طبع أوربا) والطبرى : «ووسع كرسيه علمه» من غير واو العطف، وقد وردت هاتان الخطبتان فى السيرة والطبرى باختلاف يسير عما هنا .

(٣) فى سيرة ابن هشام والطبرى : «ثم دعا الناس الى ... الخ» .

فنحن أنصارُ الله ووزراءُ رسوله، نقاتِل الناسَ حتى يؤمنوا ويقولوا: لا إله إلا الله، فمن آمن بالله ورسولِه مَنَع منّا مالَه ودَمَه، ومن كفر بالله ورسوله جاهَدْناه فى الله، وكان جهادُه علينا يسيرا، أقول قولى هذا وأستغفر الله للؤمنين والمؤمنات .

فقام الزِّبْرِقان فقال :

نحن (١) الملوك فلا حَىٌّ يُقارِبنا * منّا الملوكُ وفينا يؤخَذُ الرُّبُعُ (٢)

تلك المكارمُ حُزْناها مُقَارَعَةً * إذا الكرامُ على أمثالها اقترعوا

كم قد نَشَدْنَا من الأحياء كلِّهم * عند النِّهاب وفضلُ العزّ يُتَّبَع

وننحر الكُومَ (٣) عُبُطًا (٤) فى منازلنا * للنازلين اذا ما آستَطْعَموا شَبِعوا

ونحن نُطعم عند المَحْل ما أكلوا * من العَبِيط إذا لم يظهر القَزَع (٥)

وننصُر الناسَ تأتينا سَرَاتُهُمُ * من كل أَوْب فتَمْضى ثم تُتَّبع

فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حسان بن ثابت فجاء، فأمره أن يُجيبه؛ فقال حسّان :

إنّ الذوائبَ من فِهرٍ وإخوتهم (٦) * قد بيّنوا سُنّةً للناس تُتَّبعُ

(١) ورد هذا الشعر فى ديوانه وسيرة ابن هشام (ص ٩٣٥ طبع أوربا) والطبرى (قسم ١ ص ١٧١٢ طبع أوربا) باختلاف عما هنا . (٢) كان من عادة العرب فى الجاهلية اذا غزا بعضهم بعضا وغنموا أخذ الرئيس ربع الغنيمة خالصا دون أصحابه، وذلك الربع يسمى المرباع، ورواية البيت فى السيرة والطبرى :

نحن الكرام فلا حىّ يعادلنا * منا الملوك وفينا تنصب البيع

(٣) الكوم : جمع أكوم وهو البعير الضخم السنام والأنثى كوماء . (٤) عبط الذبيحة عبطا : نحرها من غير داء ولا كسر وهى سمينة فتية، ويقال للناقة : عبيطة والجمع : عبط (بضمتين) وقد تسكن عينه . (٥) ورد هذا البيت فى نهاية ابن الأثير واللسان (مادة سدف) هكذا :

ونطعم الناس عند القحط كلهم * من السديف اذا لم يؤنس القزع

والسديف : شحم السنام . والقزع : السحاب . أى نطعم الشحم فى المحل . وفى الأصول : «الفرع» بالفاء والراء، وهو تحريف . (٦) ورد هذا الشعر أيضا فى السيرة (ص ٩٣٦ طبع أوربا) والطبرى (قسم ١ ص ١٧١٤ طبع أوربا) والديوان باختلاف يسير عما هنا .

يَرضى بها كلُّ من كانت سريرتُه * تقوى الإلٰه وبالأمر الذى شَرَعوا

قـومٌ إذا حاربوا ضرّوا عـدوَّهمُ * أو حاولوا النفعَ فى أشياعهم نَفَعوا

سجيّـــةٌ تلك منهـم غير مُحْـدَثة * إنّ الخلائقَ فاْعلمْ شرُّها البِـدَع

لا يَرقَع[1] الناسُ ما أَوهتْ أكُفُّهم * عند الدِّفاع[2] ولا يُوهُون ما رَقَعوا

إن كان فى الناس سبّاقونَ بعدهمُ * فكلُّ سَـبْقٍ لأدنى سَبْقِهم تَبَعُ

أعِفّـةٌ ذُكرتْ فى الوَحْىِ عِفّتُهم * لا يَطْبَعونَ[3] ولا يُرْدِيهم الطمعُ

ولا يَضَنّون عن جارٍ بفضلهم * ولا يَمَسّهمُ من مطمعٍ طَبَعُ[4]

يَسْمُون للحرب تبدو وهى كالحةٌ * إذا الزَّعانِفُ[5] من أظفارها خَشَعوا

لا يفرحون إذا نالوا عدوَّهم * وإن أُصيبوا فلا خُورٌ ولا جُزُعُ

كأنهم فى الوغى والموت مُكْتَنِـعٌ[6] * أُسودُ بِيشَـةَ[7] فى أرساغها فَـدَعُ[8]

خُذْ منهمُ ما أتى[9] عفوًا وإن مَنعوا * فلا يكن همَّك الأمرَ الذى مَنَعوا

فإن فى حربهـم فاْتركْ عداوتَهم * سُمًّا يُخَاضُ[10] عليه الصّابُ والسَّلَعُ

أكْرِمْ بقـومٍ رسـولُ الله قائدُهم * إذا تفـرّقت الأهواءُ والشِّـيَعُ

---

(١) كذا فى أ ، ء ، وديوانه (ص ٢٣ طبع أوربا) . وفى باقى الأصول : «يرفع» بالفاء .

(٢) كذا فى ديوانه . وفى الأصول : « الرقاع » . (٣) كذا فى الديوان . وفى الأصول : « لا يطمعون ولا يزرى بهم طمع » . (٤) ورد هـذا البيت فى أ ، ء وذكر محرّفا فى م ، وسـقط فى باقى النسخ . (٥) الزعانف : أرذال النـاس . (٦) المكتنع : الدانى القريب . (٧) بيشة : من عمل مكة مما يلى اليمن ، على خمس مراحل من مكة ، وفى وادى بيشة موضع مشجر كثير الأسد . وفى السيرة : « أسد بحلية ... الخ » وحلية : مأسدة بناحية اليمن .

(٨) الفدع : اعوجاج فى الرسغ . (٩) كذا فى ديوانه والسيرة . وفى الأصول : « ... ما أتوا عفوا ... الخ » . (١٠) يخاض : يخلط . والصاب والسلع : ضربان من الشجر مرّان .

أهدى لهم مِدَحِى قلبٌ يؤازره * فيما أراد لسانٌ حائكٌ صَنَعُ
فإنهم[1] أفضل الأحياء كلّهم * إنْ جدّ بالناس جِدُّ القول أو شَمَعوا[2]

فقام عُطَارِدُ[3] بن حاجب فقال :

أتيناك كيما يعلَمَ الناسُ فضلَنا * اذا ٱجتمعوا وقت ٱحتضارِ المواسمِ
بأنّا فروعُ الناس فى كلّ موطنٍ * وأن ليس فى أرض الحجاز كَدَارِمِ[4]

فقام حسانُ بن ثابت فقال :

منعنا[5] رسولَ الله من غَضَبٍ له * على رَغْم أنفٍ من مَعَدٍّ وراغمِ
هل المجدُ إلا السؤددُ العَوْدُ[6] والنَّدَى * وجاهُ الملوك وٱحتمالُ العظائمِ

قال : فقال الأقرعُ بن حابس : والله إن هذا الرجل لمُؤَتًّى[7] له ! والله لشاعرُه أشعرُ من شاعرنا ، ولخطيبُه أخطبُ [من خطيبنا][8] ، ولأصواتهم أرفعُ من أصواتنا ! أَعْطِنى يا محمد، فأعطاه ؛ فقال : زِدْنى فزاده ؛ فقال : اللهم إنه سيّد

---

(١) هذه رواية السيرة والديوان . وفى الأصول : «وأنهم» بالواو . (٢) كذا فى ديوانه طبع أوربا وسيرة ٱبن هشام والطبرى ، ومعناه : مزحوا ، وهو أنسب للقام ، لمقابلته لقوله : إن جدّ بالناس الخ ، قال أبو ذؤيب يصف حمرا :

فلبثن حينا يعتلجن بروضة * فيجدّ حينا فى العلاج ويشمع

وفى الأصول وديوانه طبع مصر : « سمعوا » بالسين المهملة . (٣) الذى فى سيرة ٱبن هشام (ص ٩٣٧ طبع أوربا) أن هذا الشعر من قول الزبرقان بن بدر . (٤) دارم : أبو حىّ من تميم .
(٥) رواية الديوان وسيرة ٱبن هشام :

نصرنا وآوينا النبىّ محمدا * على أنف راضٍ من معدّ وراغم

ورواية الطبرى :

منعنا رسول الله اذ حل وسطنا * على كل باغ من معدّ وراغم

(٦) العود : القديم . (٧) كذا فى الطبرى وسيرة ابن هشام . ومؤتّى له : مسهّل وميسّر له . وفى الأصول : «لمؤثر له» . (٨) التكلة عن سيرة ٱبن هشام والطبرى .

العرب؛ فنزلت فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ ٱلْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

إسلام وفد تميم وإكرام النبيّ لهم

ثم إن القوم أسْلَموا، وأقاموا عند النبيّ صلى الله عليه وسلم يتعلّمون القرآن، ويتفقّهون في الدّين؛ ثم أرادوا الخروجَ إلى قومهم، فأعطاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم وكساهم، وقال: «أَمَا بَقِيَ منكم أحدٌ؟»، وكان عمرو بن الأَهْتَم في ركابهم، فقال ٥ قيس بن عاصم، وهو من رَهْطِه وكان مُشاحِنًا له: لم يَبْق منا أحدٌ إلا غلامٌ حديثُ السنّ في رِكابنا؛ فأعطاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مِثْلَ ما أعطاهم. فبلغ عَمْرًا ما قال قيس؛ فقال عمرو بن الأَهْتَم لقَيْس:

١٠/٤

مناقضة عمرو بن الأهتم وقيس بن عاصم

ظَلِلْتَ مُفْتَرِشَ الهَلْباء[1] تَشْتُمني * عند الرسول فلم تَصْدُق ولم تُصِبِ

إن تُبْغِضونا فإن الرومَ أصلُكمُ * والرومُ لا تَمْلِكُ البغضاءَ للعرب

١٠ فإن[2] سُؤْدَدَنا عَوْدٌ وسؤددكم * مؤخَّرٌ عند أصل العَجْب والذَّنَب

فقال له قَيْس:

لولا دفاعي كنتمُ أعْبُدًا * دارُكمُ الحِيرةُ والسَّيْلَحُونْ[3]

شعر حسان الذي يقرر به إيمانه بالرسل

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحَبيب بن نصر قالا حدّثنا عمرُ بن شبّة قال حدّثني عمر بن عليّ بن مُقَدَّم عن يحيي بن سَعيد عن أبي حَيّان التَّيْمي عن حَبيب ١٥ ابن أبي ثابت، قال أبو زيد وحدّثنا محمد بن عبد الله بن الزُّبَير قال حدّثنا مِسْعَرٌ عن سعد بن إبراهيم، قالوا:

---

(١) الهلباء: الأست. (٢) رواية هذا البيت في سيرة ابن هشام:

سدنا كم سؤددا رَهْوًا وسؤددكم * بادٍ نواجذه مُقْعٍ على الذنب

والعجب من كل دابة: ما انضم عليه الوركان من أصل الذنب المغروز في مؤخر العجز.

٢٠ (٣) السيلحون: موضع قرب الحيرة، وقيل: هو بين الكوفة والقادسية.

قال حسّان[1] بن ثابت للنبيّ صلّى الله عليه وسلم :

صــــوت

شَهِـــدتُ بإذْن الله أنّ محمدًا * رسولُ الذى فوقَ السمواتِ من عَلُ

وأن أخا الأحقـاف[2] إذ يَعْـذُلونه * يقوم بديـن الله فيهم فَيعْـدِلُ

وأن أبا يحيى[3] ويحيى كلاهمـا * له عمـلٌ فى دينـه مُتَقَبَّـلُ

وأن الذى عادى اليهود ٱبنَ مَريم * رسولٌ أتى من عندذى العرش مُرْسَلُ

وأن الذى بالجِزْع[4] من بطن نَخْـلةٍ * ومَنْ دونَهـا فَـلٌّ[5] من الخير مَعْزِلُ

— غنّى فى هــذه الأبيات معبدٌ خفيفَ ثَقيل أوّل بالبنصر من رواية يونس وغيره — فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : "أنا أشهد معك" .

---

(١) نسب هذا الشعر فى اللسان (مادة فلل) الى عبد الله بن رواحة يصف العُزّى ، وهى شجرة كانت تعبد ، وذكر بيتين من هذا الشعر نذكرهما لاختلافهما فى بعض الألفاظ عما هنا وهما :

شهدت ولم أكذب بأن محمدا * رسول الذى فوق السموات من عل

وأن التى بالجزع من بطن نخـلة * ومن دانهـا فل من الخـير معزل

ثم أعقبهما بالجملة التفسيرية الآتية : « أى خال من الخير ، ويروى : ومن دونها ، أى الصنم المنصوب حول العزى » . (٢) هو هود عليه السلام وهو المشار اليه فى قوله تعالى : (واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالأحقاف) والأحقاف : جمع حقف ، وهو جبل مستطيل مرتفع فيه انحناء . (٣) يعنى بأبى يحيى زكريا عليـه السلام . (٤) الجزع : قرية عن يمين الطائف وأخرى عن شماله . ورواية الديوان فى هذا البيت :

وأن التى بالسدّ من بطن نخلة * ومن دانها فل من الخير معزل

(٥) الفل : الذى لا خير عنده كالأرض الفل وهى التى لا نبت فيها ولا خير . (انظر التعليقات التى على ديوان حسان المطبوع بأوربا الذى أشرف على طبعه المستشرق الانجليزى جيب) . وبطن نخلة : موضع بين مكة والطائف .

أنكرت عليه عائشة شعرا له فى مدحها

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا زُهَيْر بن حَرْب قال حدّثنى جَرِير عن الأعْمَش عن أبى الضُّحَى عن مسروق، وأخبرنى بها أحمد بن عيسى العِجْلىّ قال حدّثنا سُفْيان بن وَكيع قال حدّثنا جَرِير عن الأَعْمَش عن أبى الضُّحَى عن مَسْروق قال:

دخلتُ على عائشة وعندها حسّان وهو يرثى بنتا له(1) وهو يقول:

٥ رَزَانٌ(2) حَصَانٌ ما تُزَنُّ بريبــةٍ * وتُصبح غَرْثَى(3) من لحوم الغَوَافِلِ

فقالت عائشة: لكن أنت لستَ كذلك؛ فقلت لها: أيَدْخُل عليك هذا وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾! فقالت: أمّا تراه فى عذاب عظيم قد ذهب بصره!.

أخبر بوقعة صفين قبل وقوعها

أخبرنا محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثنا إسماعيلُ بنُ إسحاق القاضى قال حدّثنا ١٠ آبنُ أبى أُوَيْس قال حدّثنى أبى ومالك بن الرَّبيع بن مالك حدّثانى جميعا عن الرَّبيع آبن مالك بن أبى عامر عن أبيه أنه قال:

بينا نحن جلوسٌ عند حَسَّان بن ثابت، وحسّان مضطجعٌ مُسْنِدٌ رجليه الى فارِع(4) قد رفعهما عليه، إذ قال: مَهْ! أمَا رأيتم ما مَرّ بكم الساعةَ! قال مالك: قلنا: لا والله، وما هو؟ فقال حسان: فاختةٌ(5) مرّت الساعةَ بينى وبين فارع فصدمتْنى! أوْ قال: ١٥ فزحمتْنى؛ قال: قلنا: وما هى؟ قال:

---

(1) رجعنا الى هذه القصيدة فى ديوانه فلم نجد فيها شيئا من الرثاء وكلها فى مدح عائشة والاعتذار عما رماها به هو وغيره من الإفك (راجع ديوانه صفحة ١٦٢ من هذا الجزء) وهى غير القصيدة التى رثى بها ابنته وان كانت على قافيتها. (2) رواية الديوان: «حصان رزان الخ». وامرأة رزان اذا كانت ذات ثبات ووقار وعفاف وكانت رزينة فى مجلسها، وامرأة حصان بفتح الحاء: عفيفة بينة الحصانة.

٢٠ (3) الغرثى: الجائعة، أى أنها تصبح جائعة من لحوم الناس والمراد أنها لاتغتابهم. (4) فارع: اسم أطم، وهو حصن بالمدينة كان لحسان بن ثابت. (5) الفاختة: واحدة الفواخت، وهى ذوات الأطواق من الحمام، قيل لها ذلك للونها لأنه يشبه الفخت الذى هو ضوء القمر.

١١/٤

ستأتيكمُ غدوًا أحاديثُ جمّةٌ * فأَصْغُوا لها آذانَكم وتسمَّعُوا

قال مالك بن أبى عمرو : فصبّحنا من الغد حديثُ صِفّين .

سمعه المغيرة بن شعبة ينشد شعرا فبعث اليه بمال

أخبرنا وكيع قال حدّثنا الليثُ بن محمد عن الحَنْظَلىّ عن أبى عَبْدة عن العَلَاء ابن جَزْء العَنْبَرِىّ قال :

بَيْنَا حسّانُ بن ثابت بالخَيْف وهو مكفوف، إذ زفَر زفرةً ثم قال :

وكأنّ حافرَها بكلّ خَمِيلةٍ[1] * صاعٌ يَكِيل به شحيحٌ مُعْدِمُ

عارِى الأَشَاجِع[2] من ثَقِيف أصلُه * عبدٌ ويزعُم أنه مِن يَقْدُمِ[3]

قال : والمُغيرة بن شُعْبة جالس قريبًا منه يسمع ما يقول، فبعث اليه بخمسة آلاف درهم؛ فقال : من بعث بهذا ؟ قال[4] : المغيرة بن شعبة سمع ما قلتَ؛ قال : وا سوءتاه ! وقَبِلها .

استجار الحارث ابن عوف من شعره بالنبى

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمرُ بنُ شَبّة قال حدّثنى الأصمعىّ قال :

جاء الحارث بن عوْف بن أبى حارِثة الى النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال : أَجِرْنى من شعر حسّان ، فلو مُزِج البحرُ بشعره لَمَزَجَه . قال : وكان السببُ فى ذلك — فيما أخبرنى به أحمد بن عبد العزيز عن عمرَ بن شَبّة عن الأصمعىّ وأخبرنى به الحسن ابن علىّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى عمّى مُصْعَب — أن الحارث بن عوف أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : ابعث معى

(١) الخميلة : الأرض السهلة التى تنبت، شبه نبتها بخمل القطيفة . (٢) الأشاجع : أصول الأصابع التى تتصل بعصب ظاهر الكف، وقيل : هى عروق ظاهر الكف، واحدها : أشجع .
(٣) يقدم : أبو قبيلة وهو يقدم بن عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار، والبيت فيه إقواء وهو اختلاف حركة الروىّ . (٤) كذا فى جميع الأصول، وكان الأولى أن يكون «قيل» أو «قالوا» .

من يدعو إلى دينك وأنا له جارٌ، فأرسل معه رجلا من الأنصار، فغدرتْ بالحارث عشيرتُه فقتلوا الأنصاريّ، فقَدِم الحارثُ على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وكان عليه الصلاة والسلام لا يؤنّب أحدا فى وجهه، فقال: "ادعوا لى حسّان"، فدُعِى له، فلمّا رأى الحارثَ أنشده:

٥ يا حارِ مَنْ يَغْدُرْ بذمّة جارِه * منكم فإنّ محمّدًا لم يَغْدُرِ
إن تغدُروا فالغدرُ منكم شيمةٌ * والغدر ينبُت فى أصول السَّخْبَرِ (١)

فقال الحارث: اكفُفْه عنّى يا محمد، وأؤدّى إليك ديَةَ الخُفَارة (٢)، فأدّى إلى النبيّ صلى الله عليه وسلّم سبعين عُشَرَاءَ (٣) وكذلك دِيَةُ الخفارة، وقال: يا محمد، أنا عائذٌ بك من شرّه، فلو مُزِج البحر بشعره مَزَجه.

١٠ أنشد شعرا بلغ النبي فآلمه فضربه ابن المعطل وعوّضه النبي

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى إبراهيم بن المُنْذر قال حدّثنا عبد الله بن وَهْب قال أخبرنا العَطّاف بن خالد قال:

كان حسّان بن ثابت يجلس إلى أُطُمه فارِع، ويجلس معه أصحابٌ له ويضع لهم بِساطا يجلسون عليه، فقال يوما، وهو يرى كَثْرَةَ من يأتى إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم من العرب فيُسْلمون:

---

(١) السخبر: شجر إذا طال تدلّت رءوسه وانحنت، وقيل: شجر من شجر الثمام له قضب مجتمعة وجرثومة. وفى اللسان يقال: ركب فلان السخبر إذا غدر، وذكر البيت.

(٢) الخفارة: الذمام.

(٣) العشراء من النوق: التى مضى على حملها عشرة أشهر، وقيل: ثمانية.

١٥

أَرى الجَلابيبَ[1] قد عزّوا وقد كَثُروا * وٱبن الفُرَيْعة أمسى بَيْضَةَ[2] البَلَدِ

فبلغ ذلك رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم ، فقال : "مَنْ لى بأصحاب البِسَاطِ بفارع؟"، فقال صفوانُ بن المُعطَّل : أنا لك يا رسول الله منهم ، فخرج إليهم فٱخترط سيفَه ، فلما رأَوْه عرَفوا الشرَّ فى وجهه ففرّوا وتبدّدوا ، وأدرك حسّانَ داخلاً بيتَه ، فضربه وفلَق أَلْيتَه . قال : فبلغنا أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم عَوّضه وأعطاه حائطا[3] ، فباعه من معاوية بعد ذلك بمال كثير ، فبناه معاويةُ قصرا ، وهو الذى يقال له : «قَصرُ الدّارين» . وقد قيل : إن صفوانَ بنَ المُعطَّل إنما ضَرَب حسّانَ لما قاله فيه وفى عائشة زوجِ النبيّ صلى الله عليه وسلم من الإفك[4] ، لأن صفوانَ هو الذى رمى أهلُ الإفك عائشةَ به .

(١) كذا فى أكثر الأصول وهو الموافق لما فى الطبرى (ص ١٥٢٦ من القسم الأوّل) واللسان مادة «بيض» والتنبيه (ص ٧٦ طبع دار الكتب المصرية) والأضداد فى اللغة (ص ١١٨ طبع بيروت). وقال البكرى فى التنبيه : «وكان المنافقون يسمون المهاجرين رضى الله عنهم الجلابيب» . وفى اللسان : «أراد بالجلابيب سفلة الناس وغثْراءهم» . وفى سـ وتاج العروس شرح القاموس (ج ٥ ص ١٢) والديوان : «الخلابيس» وقال فى الشرح «الخلابيس : الأخلاط من كل وجه» (انظر ديوانه المطبوع فى لندن سنة ١٩١٠ ص ٩١) . (٢) العرب تقول للرجل : هو بيضة البلد ، يمدحونه بذلك ، وتقول للآخر : هو بيضة البلد ، يذمونه بذلك . والممدوح يراد به البيضة التى يحضنها الظليم ويقيها ، لأن فيها فرخه . والمذموم يراد به البيضة المنبوذة بالعراء المَذِرة التى لا حافظ لها ولا يدرى لها أب وهى تَرِيكة الظليم . قال الرمّانى : إذا كانت النسبة إلى مثل المدينة ومكة والبصرة فبيضة البلد مدح ، وإذا نسب إلى البلاد التى أهلها أهل ضعة فبيضة البلد ذم . (٣) الحائط : البستان . وفى كتاب التنبيه للبكرى : «فأعطاه النبى صلى الله عليه وسلم عوضا : بيرحاء ، وهى قصر بنى حُدَيْلة اليوم بالمدينة ، وسيرين (أمة قبطية وهى أم عبد الرحمن بن حسان رضى الله عنهما)» . وسيذكر المؤلف نص هذه الرواية فى ص ١٦٢ من هذا الجزء . (٤) يعنى أبو الفرج بالإفك هنا الحديث الذى تخرّصه قوم على عائشة رضى الله عنها ، وكان ذلك عقب غزوة غزاها النبى صلى الله عليه وسلم كان يصطحب فيها عائشة ؛ فحدث أنه أمر بالرحيل ؛ وكانت عائشة منطلقة لبعض شأنها ؛ فأمر بهودجها فحمل على بعيره ، وظن القوم أنها فيه ولم تكن هناك ، فلما رجعت عائشة الى الهودج ألفت النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد ارتحلوا ؛ فمكثت مكانها حتى عثر بها صفوان بن المعطل ؛ فأرجعها الى المدينة ؛ فأرجف بها أناس ورموها بالإفك ، وكان منهم حسان بن ثابت رضى الله عنه .

وأخبرنا محمد بن جرير قال حدّثنا محمد بن حُمَيد قال حدّثنا سَلَمة عن محمد بن إسحاق عن يعقوب بن عُتْبة قال :

اعترض صفوانُ بن المعطّل حسانَ بن ثابت بالسيف لما قَذَفه به من الإفك حين بلغه ما قاله . وقد كان حسّانُ قال شعرا يُعرِّض بآبن المعطّل وبمن أسلم من العرب من مُضَرَ فقال :

أمسى الجَلَابيبُ قد عَزُّوا وقد كثُروا * وآبنُ الفُرَيعة أمسى بيضةَ البَلدِ

قد ثَكِلتْ أُمُّه من كنتُ صاحبَه * أو كان مُنتَشِباً فى بُرْثُنِ الأسدِ

ما للقتيل الذى أَعْدو فآخُذُه * من دِيَةٍ فيه أُعطيها ولا قَوَدِ (1)

ما البحرُ حين تَهُبّ الريحُ شاميةً * فيَغْطئلّ (2) ويَرمِى العِبْرَ (3) بالزَّبَدِ

يوماً بأغلبَ منّى حين تُبصرنى * بالسّيف أَفرِى كفَرْى العارضِ (4) البَرِدِ

فآعترضه صفوانُ بن المعطّل بالسيف فضربه وقال :

تلَقّ ذُبَابَ السيفِ عنِّى فإننى * غلامٌ إذا هُوجِيتُ لستُ بشاعرِ

قبض ثابت بن قيس على ابن المعطل لضربه له، ثم انتهى الأمر الى النبى فآسترضاه

وحدّثنا محمد بن جرير قال حدّثنا [آبن] حُمَيد قال حدّثنا سَلَمة عن محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْمى :

أن ثابت بن قيس بن الشّمّاس أخا بَلْحارث بن الخَزْرج وثَب على صفوان بن المعطّل فى ضَرْبه حسّانَ فجمَع يديه على عُنقه ، فآنطلق به إلى دار بنى الحارث بن الخَزْرج ، فلقِيه عبدُ الله بن رَوَاحة ؛ فقال : ما هذا ؟ فقال : ألَا أُعَجِّبُكَ (5) ! ضَرَبَ

(١) القود : القصاص . (٢) فى ديوانه ص ٦٢ : « شاملة » . (٣) كذا فى ديوانه ، واغطألّ الشىء : ركب بعضه بعضا . وفى حـ : «فيغضئل» بالغين والضاد المعجمتين . وفى باقى الأصول : «فيعضئل» بالعين المهملة والضاد المعجمة ، وكلاهما تحريف . والعبر : جانب النهر ، وعبر الوادى : شاطئه وناحيته . (٤) العارض : السحاب المعترض فى الأفق . وسحاب برد (بكسر الراء) : فيه قرّ وبرد .

(٥) يقال : عجّبه بالشىء اذا نبّهه على التعجب منه (انظر اللسان مادة عجب) .

حسّانَ بالسيف ! والله ما أُراه إلا قد قتله ؛ فقال له عبد الله بن رَوَاحة : هل علِم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشىء من هذا ؟ قال : لا والله ؛ قال : لقد آجترأتَ ! أطلقِ الرجلَ ، فأطلقَه . ثم أتَوْا رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم فذُكِر ذلك له ، فدعا حسّانَ وصفوانَ بنَ المعطّل ، فقال ابنُ المعطل : يا رسول الله ، آذانى وهجانى فضربتُه ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسّان : "يا حسّان أتَعيبُ على قومى أنْ هداهم الله عزّ وجلّ للإسلام ! " ؛ ثم قال : "أَحسِنْ يا حَسّان فى الذى أصابك" ؛ قال : هى لك يا رسول الله .

إيراد ما تقدم برواية أخرى مفصلة

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى المدائنىّ قال حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم قال حدّثنا محمد بن إسحاق عن أبيه إسحاقَ بن يَسار[1] عن بعض رجال بنى النّجار بمثل ذلك ، و زاد فى الشعر الذى قاله حسان زيادةً ، ووافقه عليها مُصعَب الزُّبَيرىّ ، فيما أخبرنا به الحسن بن علىّ ، قال قال حدّثنا أحمد آبن زُهَير قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنى عمّى مصعَب فى القصّة ، فذكر أنّ فِتْيةً من المهاجرين والأنصار تنازعوا على الماء وهم يسقون خيولَهم ، فغضِب من ذلك حسّان فقال هذا الشعر .

وذكر الزُّهرىُّ ، فيما أخبرنا أحمد بن يحيى بن الجَعْد ، قال حدّثنا محمد بن إسحاق المسيَّبى قال حدّثنا محمد بن فُلَيح عن موسى بن عُقْبة عن آبن شِهَاب الزُّهرىّ أن هذا الخبر كان بعد غزوة النبىّ صلى الله عليه وسلم بنى المُصْطَلِق[2] . قال :

(١) كذا فى م وهو الموافق لما فى الطبرى (قسم أول ص ١٥٢٥ طبع أوربا) وهو الصواب لأنه يعنى محمد بن اسحاق بن يسار صاحب السيرة وقد اضطربت بقية الأصول فى هذا السند ففى سـ : «محمد بن اسحاق عن أبيه اسحاق عن ابن يسار» . وفى غيرها : «محمد بن اسحاق عن أبيه اسحاق عن يسار» وكلاهما تحريف . (٢) بنو المصطلق : بطن من خزاعة ، والمصطلق : لقب جذيمة بن سعد بن عمرو بن ربيعة ، وسمى بالمصطلق لحسن صوته ، وهو أوّل من غنى من خزاعة .

وكان فى أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم رجلٌ يقال له : سِنَان [(١)]، ورجل من بنى غِفَار يقال له : جَهْجاه [(٢)]، فخرج جهجاه بفرس لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم وفرسٍ له يومئذ يسقيهما ، فأَوْردهما المــاءَ، فوجد على المــاء فِتْيةً من الأنصار ، فتنازعوا فاقتتلوا ، فقال عبــد الله بن أُبَىّ بن سَلُول : هذا ما جَزَوْنا به ، آويناهم ثم هم يقاتلوننا ! وبلغ حسانَ بن ثابت الذى بين جَهْجاه وبين الفِتْيــة الأنصار ، فقال وهو يريد المهاجرين من القبــائل الذين قدِموا على رسول الله صــلّى الله عليه وســلّم فى الإسلام، وهذا الشعر من رواية مُصْعب دون الزُهْرىّ :

أمسى الجَلَابِيبُ [(٣)] قد عَزُّوا وقد كثُروا * وآبن الفُرَيْعةِ أمسى بَيْضــةَ البَــلَدِ

يمشــون بالقَوْل ســرًّا فى مُهادَنةٍ * تَهــدُّدًا لى كأنى لستُ من أحدِ

قــد ثكِلتْ أمُّه من كنتُ صاحبَــه * أو كان مُنتَشِبًا فى بُرْثُن الأســـدِ

ما للقتيــل الذى أسمـــو فأقتـــلُه * من ديَةٍ فيــه أُعْطِيهــا ولا قَــوَدِ

ما البحــرُ حين تهبّ الريح شاميــة * فيَغْطَئــلُّ ويَرْمى العَــبْرَ بالزَّبدِ

يومًا بأغلبَ منّى حين تُبصرنى * أَفْرِى من الغيظ فَرْىَ العارِض البَرِدِ

أمّا قريشٌ فإنى لســـت تاركَهم * حتى يُنِيبوا من الغَيّــات بالرَّشَدِ

---

(١) كذا فى سيرة آبن هشام (ص ٧٢٦ طبع أوربا) والطبرى (ص ١٥١١ من القسم الأول طبع أوربا). وفى الأصول : «جعال» . وقد ساق آبن هشام والطبرى هذه القصة هكذا : فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهنى حليف بنى عوف بن الخزرج على المــاء فاقتتلا ، فصرخ الجهنى : يا معشر الأنصار ، وصرخ جهجاه : يا معشر المهاجرين ؛ فغضب عبد الله بن أبىّ الخ . (٢) هو جهجاه بن سعيد الغفارى كما فى الطبرى والمعارف لآبن قتيبة (ص ١٦٥) . وفى سيرة آبن هشام (ص ٧٢٦ طبع أوربا) : «جهجاه بن مسعود» . وفى أسد الغابة : «هو جهجاه بن قيس وقيل ابن سعيد بن سعد بن حرام بن غفار الغفارى من أهل المدينة» .

(٣) انظر الحاشية رقم ١ ص ١٥٦ من هذا الجزء . وانظر هــذا الشعر فى الديوان وسيرة آبن هشام (ص ٧٣٨) وفيما تقدم من هذا الجزء (ص ١٥٧) تجده مختلفا عما هنا فى بعض ألفاظه .

ويتركوا اللاتَ والعُــزَّى بمَعْــزِلةٍ * ويســجُدوا كلُّهم للواحد الصَّــمد
ويشهدوا أنّ ما قال الرســولُ لهم * حقٌّ ويُوفوا بعهــد الله فى سَــدَدِ (١)
أبلغ نَبِىّ بأنّى قــد تركتُ لهــم * من خير ما تَرَكَ الآباءُ للوَلَدِ
الدارُ واســطةٌ والنخلُ شارعةٌ * والبِيضُ يَرفُلْنَ فى القَسِىّ (٢) كالبَرَدِ

قال : فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : "يا حسانُ نَفِسْتَ (٣) علىّ إسلامَ قومى" وأغضبه كلامُه ؛ فغدا صَفوان بن المعطَّل السُّلَمىّ على حسّان فضربه بالسيف . وقال صفوان :

تَلَقَّ ذُبَابَ الســيف عنّى فإننى * غلامٌ إذا هُوجِيتُ لستُ بشاعرِ

فوثَب قومُه على صــفوان فحبسوه ، ثم جاءوا سـعدَ بنَ عُبَادة بن دُلَيم بن حارثة بن أبى حَزِيمــة (٤) بن ثَعْلبــة بن طَرِيف (٥) بن الخَزْرج بن ساعدة بن كَعْب بن الخَزْرج بن حارِثة بن ثَعْلبة بن عمرو بن عامر ، وهو مقبلٌ على نَاضِحه بين القَرْيتين ، فذكروا له ما فعل حسان وما فعلوا ؛ فقال : أشاوَرتم فى ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم؟ قالوا : لا ، فقعد الى الأرض ، وقال : واانقطاعَ ظَهْراه ! أتأخذون بأيديكم ورســولُ الله صلى الله عليه وســلم بين ظَهْرانَيْكم ! ودعا بصــفوان فأُتى به ، فكساه وخَلّاه ، فجاء إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ؛ فقال له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : "من كساك كساه الله" . وقال حسان لأصحابه : احملونى إلى رسول الله صلى الله عليه وسـلم

(١) السدد : القصد . (٢) القسىّ : ثياب من كتّان مخلوط بحرير يؤتى بها من مصر ، نسبت إلى قرية على ساحل البحر قريبا من تنيس يقال لها القس (بفتح القاف وكسرها) .
(٣) نفس عليه الشىء : حسده عليه ولم يره أهلا له . (٤) كذا فى حـ وهو الموافق لما فى القاموس (مادة حزم) وطبقات ابن سـعد (ج ٥ قسم ٢ ص ١١٥) . وفى سائر الأصـول : « خزيمة » بالخاء المعجمة وهو تحريف . (٥) كذا فى الطبقات . وفى الأصول : « ظريف » بالظاء المعجمة .

أترضّاه، ففعلوا؛ فأعرض عنه رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم ، فردّوه؛ ثم سألهم
حملوه إليه الثانيةَ، فأعرض عنه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فانصرفوا به؛ ثم
قال لهم : عُودوا بى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقالوا له : قد جئنا بك
مرّتين كلّ ذلك يُعرِض فلا نُبرِمُه[1] بك؛ فقال : احملونى إليه هذه المرّة وحدَها ،
٥ ففعلوا ؛ فقال : يا رسول الله، بأبى أنت وأمّى، احفظ قولى :

هجوتَ محمدًا فأجبتُ عنه * وعند الله فى ذاك الجزاءُ
فإنّ أبى ووالدَه وعِرْضى * لِعرْضِ محمدٍ منكم وِقاءُ

١٤/٤ فرضى عنه رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم ووهب له سيرِينَ[2] أختَ ماريةَ أمّ ولد
رسول الله صلى الله عليه وسلم إبراهيم . هذه روايةُ مُصعَب[3] . وأما الزُّهْرىُّ فإنه
١٠ ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه ضربُ السُّلَمىّ حسّانَ قال لهم :
"خذوه فإن هلَك حسّان فاقتلوه"؛ فأخذوه فأسَروه وأَوْثقوه؛ فبلغ ذلك سعدَ بنَ عُبادة،
فخرج فى قومه إليهم، فقال : أرْسِلوا الرجلَ، فأبَوْا عليه، فقال : أعَمَدتم إلى قوم
رسول الله صلى الله عليه وسلم تُؤذونهم وتشتمونهم وقد زعمتم أنكم نصرتموهم !
أرسِلوا الرجل؛ فأبَوْا عليه حتى كاد يكون قتال؛ ثم أرسلوه؛ فخرج به سعدٌ إلى أهله
١٥ فكساه حُلّةً، ثم أرسله سعد إلى أهله ؛ فبلغنا أن النبىّ صلى الله عليه وسلم دخل المسجد
ليُصلّى فيه، فقال : "من كساك كساه الله من ثياب الجنة"؛ فقال : كسانى سعدُ
ابن عُبادة . وذكر باقىَ الخبر نحوَه .

---

(١) أبرمه : أضجره وأملّه . (٢) كذا فى الأصول وسيرة ابن هشام (ص ٧٣٩ طبع أوروبا) والطبرى (ص ١٥٢٨، ١٥٩١، ١٧٨١ قسم أوّل) والاصابة لابن حجر العسقلانى (ج ٨ ص ١١٨) والتنبيه للبكرى (ص ٧٦ طبع دار الكتب المصرية) ، وضبطها الزرقانى أيضا فى شرحه على ٢٠ المواهب (ج ٣ ص ٣٢٥ طبع بولاق) بقوله : « سيرين بكسر السين المهملة وسكون المثناة التحتية وكسر الراء » . وفى تاريخ ابن الأثير (ج ٢ ص ١٥٢) ومعجم البلدان لياقوت (ج ١ ص ٧٨٤) : « شيرين » بالشين المعجمة . (٣) فى الأصول : « أبى مصعب » وهو تحريف .

وحدّثنى محمد بن جرير الطبرىّ قال حدّثنى آبن حُمَيد قال حدثنا سلَمة عن ابن إسحاق عن محمد بن إبراهيم بن الحارث :

أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاه عِوَضًا منها بيرحاء[(١)]، وهى قصر بنى حُدَيلة[(٢)] اليومَ بالمدينة، كانت مالا لأبى طَلْحة[(٣)] بن سهل تصدّق بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأعطاه حسّانَ فى ضربته، وأعطاه سِيرِينَ (أمة قبطية) فولدت له عبدَ الرحمن بن حسان. قال: وكانت عائشة تقول: لقد سُئل عن صَفْوان ابن المعطَّل، فإذا هو حَصُور (لا يأتى النساء)؛ قتل بعد ذلك شهيدا. قال آبن إسحاق فى روايته عن يعقوب بن عُتْبة: فقال حسان يعتذر من الذى قال فى عائشة :

شعره فى مدح عائشة والاعتذار عما رماها به

حَصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَنُّ بريبةٍ * وتُصبِح غَرْثَى من لحوم الغَوَافِلِ
فإن كنتُ قد قلتُ الذى قد زعمتمُ * فلا رفعتْ سَوْطى إلىّ أناملى
وكيف ووُدّى من قديم ونُصْرتى * لآل رسول الله زَيْنِ المحافل
فإنّ الذى قد قيل ليس بلائطٍ[(٤)] * ولكنه قولُ آمرئٍ[(٥)] بى ما حِلِ[(٦)]

(١) فى اللسان: مادة برح نقلا عن ابن الأثير: «هذه اللفظة كثيرا ما تختلف ألفاظ المحدّثين فيها فيقولون: بيرحاء بفتح الباء وكسرها وبفتح الراء وضمها والمدّ فيهما وبفتحهما والقصر، وهو اسم مال وموضع بالمدينة». (٢) كذا فى اللسان: مادة حدل، ومعجم البلدان لياقوت (ج ١ ص ٧٨٤ طبع أوربا) وتاريخ ابن الأثير (ج ٢ ص ١٥٢ طبع أوربا) وسيرة ابن هشام (ص ٧٣٩ طبع أوربا). وقد جاء فى اللسان: «حديلة بضم الحاء وفتح الدال هى محلة بالمدينة نسبت الى بنى حديلة بطن من الأنصار». وفى الأصول وكتاب التنبيه للبكرى (ص ٧٦): «جديلة» بالجيم المعجمة وهو تحريف. (٣) كذا فى اللسان: مادة برح، ومعجم البلدان (ج ١ ص ٧٨٤ طبع أوربا) وسيرة ابن هشام. وفى الأصول «طلحة» بدون «أبى» وهو تحريف. (٤) كتب فى حد بين السطور بخط رفيع فوق هذه الكلمة تفسيرا لها: «لائق». وفى اللسان: مادة ليط: «... أبو زيد: يقال: ما يليط به النعيم ولا يليق به، معناه واحد». (٥) رواية الديوان: * بك الدهر بل سعى آمرئ بك عاجل * (٦) محل به الى السلطان محلا ومحالا: كاده بسعاية إليه.

هجاء رجل بما فعل به ابن المعطل

قال الزُّبَير وحدّثنى محمد بن الضَّحاك : أن رجلًا هجا حسّانَ بنَ ثابت بما فعل به ابن المُعَطَّل، فقال :

وإنّ ٱبنَ المعطَّل من سُلَيْمٍ * أَذَلَّ قِيادَ رأسِك بالخِطَامِ(١)

سبه أناس فدافعت عنه عائشة

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجَوْهرىّ قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال أخبرنا أبو عاصم قال أخبرنا ٱبن جُرَيج قال أخبرنى محمد بن السائب عن أُمّه : أنها طافت مع عائشة ومعها أمّ حكيم وعاتكة : (ٱمرأتان من بنى مخزوم). قالت : فٱبتدَرْنا حسانَ نشتمُه وهو يطوف، فقالت : أبنَ الفُرَيعة تَسْبُبْن ! قُلْنَ : قد قال فيك فبرّأك اللهُ؛ قالت : فأين قولُه :

هجوتَ محمّدًا فأجبتُ عنه * وعند الله فى ذاك الجزاءُ

فإنّ أبى ووالدَه وعِرْضى * لعرض محمد منكم وِقاءُ

أخبرنى الحسنُ بن علىّ قال حدّثنا أحمدُ بن زُهير قال حدّثنى إبراهيم بنُ المُنذر عن سُفيان بن عُيَيْنة عن محمد بن السائب بن بَرَكة عن أُمّه بنحو ذلك، وزاد فيه : إنّى لأَرْجو أن يُدخِلَه اللهُ الجنة بقوله .

أخبرنى الحسن قال حدّثنا الزُّبير عن عبد العزيز بن عِمْران عن سفيان بن عُيَيْنة وسَلْم بن خالد عن يوسف بن ماهَك عن أمّه قالت :

كنتُ أطوف مع عائشةَ بالبيت، فذكرتُ حسّان فسَبَبْتُه، فقالت : بِئس ماقلتِ! أتَسُبِّينه وهو الذى يقول :

فإنّ أبى ووالدَه وعِرْضى * لعرض محمد منكم وِقاء

---

(١) الخطام : الحبل الذى يقاد به البعير .

فقلت : أليس ممّن لعن الله فى الدنيا والآخرة بما قال فيك ؟ قالت : لم يقل شيئا ، ولكنه الذى يقول :

حَصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَنّ بريبةٍ * وتُصبِح غَرْثَى من لحوم الغَوَافِلِ

فإن كان ما قد جاء عنّى قلتُه * فلا رفعتْ سَوْطى إلىّ أناملى

أخبرنى الحسن قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى مُصعَب عمّى قال حدّثنى بعض أصحابنا عن هشام بن عُرْوة عن أبيه قال : ٥

كنت قاعدًا عند عائشة ، فمُرَّ بجنازة حسّان بن ثابت فنِلْتُ منه ؛ فقالت : مهلًا ! فقلت : أليس الذى يقول ! قالت : فكيف بقوله :

فإن أبى ووالدَه وعرضى * لِعرْض محمد منكم وِقَاءُ

افتخاره بلسانه

أخبرنى الحسن قال حدّثنا أحمد قال حدّثنى أحمد بن سَلْمان عن سُليمان بن حَرْب قال حدّثنا حمّاد بن زيد عن أيوب[1] عن محمد بن سيرين : ١٠

أن حسان أخذ يوما بطرف لسانه وقال : يا رسول الله ، ما يسرنى أنّ لى به مِقْوَلًا[2] بين صَنْعاء وبُصْرى[3] ، ثم قال :

لسانى مِقْوَلٌ لاعيبَ فيه * وبَحْرى ما تُكَدِّره الدِّلاءُ

جبنه عن مناصرة صفية بنت عبد المطلب يوم الخندق

أخبرنا محمد بن جَرير قال حدّثنا محمد بن حُمَيد قال حدّثنا سَلَمة قال حدّثنى محمد بن إسحاق عن يحيى بن عَبّاد بن عبد الله بن الزُّبَير عن أبيه قال : ١٥

---

(١) يريد أيوب بن أبى تميمة السختيانى كما فى الخلاصة للخزرجى . (٢) فى ب ، حـ : « مفول » بالفين المعجمة . والمفول : سيف دقيق له حد ماض . وفى الديوان ص ٢ : « لسانى صارم ... الخ » . (٣) بصرى : اسم لموضعين : بصرى الشام من أعمال دمشق وهى قصبة كورة حوران ، و بصرى بغداد وهى إحدى قراها قرب عكبراء . ٢٠

كانت صفيّةُ بنت عبد المطلب فى فارِع (حصنِ حسان بن ثابت) ، يعنى يوم الخندق . قالت : وكان حسان معنا فيــه والنساء والصبيان . قالت : فمرّ بنا رجل من يَهُودَ فجعل يُطيف بالحصن، وقد حاربت بنو قُرَيظة وقطعتْ ما بينها و بين رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ليس بيننا و بينهــم أحد يدفع عنّا، ورسولُ الله والمسلمون فى نُحور عدوّهم لا يستطيعون أن ينصرفوا الينا عنهم، إذ أتانا آتٍ؛ قالت : فقلت : يا حسان، إن هذا اليهودىّ كما ترى يُطيف بالحصن، وإنى والله ما آمنــه أن يَدُلّ على عَوْراتنا مَنْ وراءنا مِن يَهود، وقد شُغِل عنا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم وأصحابُه، فٱنزِلْ اليــه فٱقتلهُ ؛ فقال : يغفر الله لكِ يا بنــةَ عبد المطلب، لقــد عرفتِ ما أنا بصاحب هــذا . قالت : فلمّــا قال ذلك ولم أر عنده شيئا ٱحتَجَزْتُ[1] ثم أخذت عمــودا ثم نزلت اليــه من الحصن فضربته بالعمود حتى قتلته ، فلمــا فرَغتُ منه رجَعت الى الحصن ؛ فقلت : يا حسان ، ٱنزل إليه فٱسلُبه فإنه لم يمنعنى من سَلْبه إلا أنه رجل؛ قال : مالى بسَلْبه من حاجة يابنت عبد المطّلب .

حديث ابن الزبير عن يوم الخنــدق وفى حديثه مايؤكد جبن حسان

وأخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنا علىّ بن صالح عن جَدّى عبد الله بن مُصْعَب عن أبيه قال :

كان ابن الزُّبَير يُحدِّث أنه كان فى فارِع، (أُطُمِ حسّانَ بن ثابت) مع النساء يومَ الخندق ومعهم عمر بن أبى سَلَمة . قال ٱبن الزبير : ومعنــا حسان بن ثابت ضاربا وَتِدًا فى آخر الأُطُم ، فإذا حمل أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشركين حمــل على الوَتِد فضربه بالسيف؛ وإذا أقبــل المشركون ٱنحاز عن الوتد حتى كأنه يقاتل قِرْنا ، يتشبّه بهم كأنه يُرى أنه مُجاهِدٌ حين جَبن، وإنى لأظلم ٱبنَ أبى سَلَمة

(١) يقال : احتجز بردائه اذا شدّه على وسطه .

١٦/٤ وهو أكبر منّى بسنتين فأقول له : تحملنى على عنقك حتى أنظر فإنى أحملك إذا نزلتُ؛ قال : فإذا حملنى ثم سألنى أن يركب قلت له : هذه المرّة أيضا. قال : وإنى لأنظر إلى أبى مُعْلَمًا بصُفْرة، فأخبرتُها أبى بعدُ، فقال: [أين كنتَ حينئذ؟ فقلت: على عُنق ابن أبى سَلَمَةَ يحملنى ؛ فقال[١]] : أمَا والذى نفسى بيده إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لَيَجْمَعُ لى أبويْه[٢] . ٥

قال ٱبن الزبير : وجاء يهودىّ يرتقى إلى الحصن ، فقالت صفيّة له : أعطنى السيفَ ،فأعطاها . فلما ٱرتقى اليهودىّ ضربتْه حتى قتلتْه، ثم ٱحتزّتْ[٣] رأسَه فأعطته حسانَ وقالت : طَوّحْ به ، فإن الرجل أقوى وأشدُّ رَمْيةً من المرأة . تريد أن تُرعِب به أصحابَه .

كان حسان مقطوع الأكحل

قال الزُّبَير : وحدّثنى عمّى عن الواقدىّ قال : كان أكْحَلُ[٤] حسّان قد قُطِع فلم يكن يضرب بيده . ١٠

أنشد النبىّ شعرا فى شجاعته فضحك

قال الزبير وحدّثنى علىّ بن صالح عن جدّى أنه سمع أن حسان بن ثابت أنشد رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم :

لقد غدوتُ أمام القوم مُنتطقا * بصارمٍ مثلِ لون الملح قَطّاعِ
يَحْفِزُ[٥] عنّى نِجادَ السيف سابغةٌ[٦] * فَضْفاضةٌ[٧] مثل لون النِّهْى بالقاعِ ١٥

(١) هذه العبارة موجودة فى س وساقطة من باقى الأصول . (٢) يعنى أن النبىّ صلوات الله عليه كان يقول له : فداك أبى وأمى . (٣) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب، س : «اجتزت» بالجيم المعجمة وما اخترناه أصوب فى هذا المقام، لأن الحز قطع العنق ونحوه والجز للشعر والحشيش ونحوهما . (٤) الأكحل : عرق فى وسط الذراع، قال ابن سيده : يقال له عرق النسا فى الفخذ وفى الظهر الأبهر، ويسمى : عرق الحياة ونهر البدن . (٥) يحفز : يدفع . (٦) يقال : درع سابغة اذا كانت طويلة تامة. (٧) فضفاضة : واسعة . والنهى : الغدير . وفى الديوان (ص ٦٦ طبع أوروبا) ورد هذا الشطر هكذا : ٢٠
* تغشى الأنامل مثل النهى بالقاع *
وفسره فى (ص ٩٥) بقوله : «شبه الدرع فى بياضها وٱطرادها بالغدير» .

قال : فضَحِك رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم، فظنّ حسّان أنه ضحك من صفته نفسَه مع جُبْنه .

قال النابغة : إنه شاعر والخنساء بكّاءة

قال الزُّبير وحدّثنى محمد بن الحسن قال :

قال حسّان بن ثابت : جئتُ نابغةَ بنى ذُبْيان، فوجدت الخنساءَ بنت عمرو حين قامتْ من عنده، فأنشدتُه؛ فقال : إنك لشاعرٌ و إن أخت بنى سُلَيم لبكّاءة .

سمعه الحطيئة ينشد فسأله وهو لا يعرفه فأجابه الحطيئة بمالم يرضه

قال الزُّبير وحدّثنى يحيى بن محمد بن طَلْحة بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصِّدّيق قال أخبرنى غيرُ واحدٍ من مشايخه :

أن الحُطَيئة وقف على حسّانَ بن ثابت وحسّان يُنشد من شعره؛ فقال له حسّان وهو لا يعرفه : كيف تسمع هذا الشعرَ يا أعرابىّ؟ قال الحُطَيْئة : لا أرى به بأسًا؛ فغضب حسّان وقال : اسمعوا إلى كلام هذا الأعرابىّ؛ ما كُنْيَتك؟ قال : أبو مُلَيْكة؛ قال : ما كنتَ قطُّ أهونَ علىّ منك حين كُنِّيتَ بآمرأة، فما آسمُك ؟ قال : الحُطَيئة فقال حسّان : امضِ بسَلَام .

اتهمه أعشى بكر عند خمار بالبخل فاشترى كل الخمر وأراقها

أخبرنى محمد بن العبّاس اليَزيدىّ قال حدّثنى محمد بن الحسن بن مسعود الزُّرَقىّ(١) قال حدّثنا عبد الله بن شَبيب قال حدّثنى الزُّبَير، وأخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال حدّثنى الزُّبَير قال حدّثنى بعض القُرَشيين، قال :

دخل حسّان بن ثابت فى الجاهلية بيتَ خمّار بالشأم ومعه أعشى بكر بن وائل، فاشتريا خمرًا وشربا، فنام حسان ثم آنتبه، فسمِع الأعشى يقول للخمّار : كَرِه الشيخُ

(١) الزرقىّ : نسبة الى بنى زريق ، بطن من الأنصار وهم بنو زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم الخزرجى (راجع أنساب السمعانى) .

الغُرَمَ؛ فتركه حسّانُ حتى نام ثم اشترى خمرَ الخمّار كلَّها، ثم سكبها فى البيت حتى سالت تحت الأعشى، فعلِم أنه سمع كلامَهُ فاعتذر إليه؛ فقال حسّان:

وَلَسْنا بشَرْبٍ فوقَهم ظِلُّ بُرْدةٍ * يُعِدُّون للخَمّار تَيْسًا ومِفْصَدَا(١)

ولكننا شَرْبٌ كِرامٌ إذا آنتشَوْا * أهانوا الصَّرِيحَ(٢) والسَّدِيفَ المُسَرْهَدَا

كأنهمو ماتوا زمانَ حَلِيمةٍ(٣) * فإن تأتِهم تَحْمَدْ نِدامَتَهم(٤) غدَا

وإن جِئْتَهم ألفيتَ حولَ بيوتهم * من المسكِ والجادِى(٥) فَتِيتًا مُبَدَّدَا

ترى حولَ أثناء الزَّرَابِىّ(٦) ساقطًا * نِعالًا وقَسُّوبًا(٧) ورَيْطًا(٨) مُنَضَّدَا

وذا نُمْرُقٍ(٩) يَسْعَى ومُلْصِقَ خَدِّه * بديباجة تَكْفافُها قد تَقَدَّدَا

---

(١) كذا فى أكثر من خمس نسخ مختلفة من ديوانه . والمفصد : آلة الفصد . يريد أنهم ملوك لا يفصدون التيس ويأكلون دمه . وفى الأصول : «ومقصدا» بالقاف وهو تحريف . وفى أكثر نسخ الديوان : «للحانوت» بدل «للخمار» . (٢) رواية الديوان :

ملوك وأبناء الملوك اذا انتشوا * أهانوا الصبوح والسديف المسرهدا

والصريح : اللبن ذهبت رغوته . والسديف : لحم السنام، وقيل شحمه، والمسرهد : السمين من الأسنمة .

(٣) فى ديوانه : * وتحسبهم ماتوا زمين حليمة * يقول : تراهم من سكرهم كأنهم موتى . وزمان حليمة يشير به الى أحد أيام العرب المعروفة وهو يوم التقى المنذر الأكبر والحارث الأكبر الغسانى، والعرب تضرب به المثل فى كل أمر متعالم مشهور وللشريف النابه الذكر، فتقول : «ما يوم حليمة بسرّ» . وحليمة هذه هى بنت الحارث بن أبى شمر، وسبب إضافة اليوم اليها أنها أخرجت طيبا فى مِركن فطيبت به جيش أبيها الذى وجه به الى المنذر . قال النابغة يصف سيوفا :

تورّثن من أزمان يوم حليمة * الى اليوم قد جربن كل التجارب

(انظر : لسان العرب مادة حلم ونهاية الأرب ج٣ ص٥١ طبع دار الكتب المصرية) . (٤) ندامتهم : منادمتهم ومجالستهم . (٥) الجادى : الزعفران . (٦) الزرابى : الطنافس . وفى الصحاح : النمارق، الواحد من كل ذلك زربية (بفتح الزاى وسكون الراء) وقد ورد هذا البيت فى اللسان مادة قسب وبعض نسخ الديوان هكذا :

ترى فوق أذناب الروابى سواقطا * نعالا وقسوبا وريطا معضدا

(٧) كذا فى ديوانه ولسان العرب؛ والقسوب : خفاف لا واحد له، وفى الأصول : «قسيا» .

(٨) الريط : جمع ريطة . وهى الملاءة اذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لِفْقَيْن . أوهى كل ثوب لين رقيق . (٩) النمرق والنمرقة : وسادة صغيرة يتكأ عليها، وما يفترشه الراكب فوق الرحل وهو المراد هنا . وفى بعض نسخ الديوان : * وذو نَطَفٍ يسعى ملصّق خده * والنَّطَفُ : القرط . والتكفاف : لعله يريد به الخياطة الثانية بعد الأولى التى هى الشلّ . وتقدد : تقطع وبلى .

تعييره الحارث بن هشام بفراره عن أخيه وردّ الحارث عليه

وهذه القصيدة يقولها حسّان بن ثابت فى وقعة بَدْر يفخر بها و يعيّر الحارث ابن هشام بِفراره عن أخيه أبى جهل بن هشام . وفيها يقول :

صـــوت

إن كنتِ كاذبةَ الذى حدّثْتِنى * فنجوتِ مَنْجَى الحارث بن هشامِ

٥ تَرَكَ الأحبّـةَ أن يقاتِلَ دونَهم * ونجـا برأس طِمِـرّةٍ[1] ولِجَـامِ

— غنّاه يحيى المكىّ خفيفَ ثقيلٍ أوّل بالوسطى . ولعَزّةَ المَيْلاءِ فيه خَفيفُ رَمَلٍ بالبِنصر . وفيه خفيف ثقيل بالبِنصر لموسى بن خارجة الكوفىّ — فأجاب الحارث ابن هشام، وهو مشرك يومئذ، فقال :

صـــوت

١٠ اللهُ[2] يعـلم ما تركـتُ قتالَهم * حتّى رمَوْا فرسى بأشـقرَ[3] مُزْبِدِ

وعلمتُ أنّى إنْ أُقاتِلْ واحدًا * أُقْتَلْ ولا يَضْرُرْ عدوّىَ مَشْهدى

فصَدَدْتُ عنهـم والأحبّةُ فيهـمُ * طمعًا لهم بعقاب يوم مُرْصِدِ

غنّى فيه إبراهيمُ المَوْصلىّ خفيفَ ثقيلٍ أوّل بالبِنْصر، وقيل : بل هو لفُلَيْح .

تمثل وتبيل بشعر حسان فأنشده الأشعث ردّ الحارث فأعجب به

أخبرنا محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثنى سُلَيمان بن أيّوب قال حدّثنا محمد بن ١٥ سَلّام عن يونس قال :

---

(١) الطمرة : الأنثى من الجياد . وهى المستفزة للوثب والعدو، وقيل : الطويلة القوائم الخفيفة .

(٢) انظر هذه الأبيات فى أشعار الحماسة وسيرة ابن هشام (ص ٢٥٢ طبع أوربا) . (٣) الأشقر من الدم : الذى صار علقا ولم يعله غبار، وزبده : البياض الذى يعلوه .

لما صار ابنُ الأشعث إلى رُتْبِيل(١)، تمثّل رُتْبِيل بقول حسّان بن ثابت فى الحارث ابن هشام :

ترك الأحبّةَ أن يقاتلَ دونهم * ونجا برأس طِمِرّةٍ ولجامِ

فقال له ابن الأشعث : أوَ ماسمعت ماردّ عليه الحارث بن هشام ؟ قال : وما هو؟ فقال قال :

الله يعلم ما تركتُ قتالَهم * حتى رمَوْا فرسى بأشقرَ مُزْبِدِ
وعلمتُ أنى إن أُقاتِلْ واحدًا * أُقتَلْ ولا يَضرُرْ عدوّىَ مَشْهدى
فصددتُ عنهم والأحبّةُ فيهمُ * طمعًا لهم بعقاب يومٍ مُرْصَد

فقال رُتْبِيل : يامعشرَ العرب، حسَّنتُم كلَّ شىء حتى حسّنتم الفِرار .

ذكر الخبر عن غَزَاة بدر

أخبار غزاة بدر

حدّثنى بخبرها محمد بن جَرير الطبرى فى المَغَازى قال حدّثنا محمد بن حُمَيد قال حدّثنا سَلَمة قال حدّثنى محمد بن إسحاق قال حدّثنى محمد بن مُسْلِم الزُّهْرىّ وعاصم بن عمر بن قَتَادة وعبد الله بن أبى بكر و يزيد بن رُومَان عن غزوةِ بدر وغيرهُم من علمائنا عن عبد الله بن عباس، كلّ قد حدّثنى بعضَ هذا الحديث ، فآجتمع حديثُهم فيما سمعتُ من حديث بدر، قالوا :

(١) رتبيل (و يقال فيه زنبيل كما فى الطبرى وابن الأثير) : صاحب الترك، كان بنواحى سجستان وقد غزاه فى سنة ٧٩ هـ عبيدالله بن أبى بكرة ، وكان واليا بسجستان ، وتوغل فى بلاده وأصاب منه غنائم وأموالا وهدم قلاعا وحصونا . وغزاه فى سنة ٨٠ هجرية عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث من قبل الحجاج فدخل بلاده وأخذ منها الغنائم واستولى على الحصون . وكتب الى الحجاج بذلك يشير عليه ألّا يتوغل فى البلاد، فأبى الحجاج ذلك وكتب له ثلاثة كتب يأمره فيها بمحاربته والتوغل فى بلاده ؛ وكان من جرّاء ذلك أن خرج عبد الرحمن بن الأشعث على الحجاج و بايعه الناس ، وكان من أمرهما ما كان مما تراه مفصلا فى كتب التاريخ.

ندب النبي المسلمين للعير واستنفار أبي سفيان لقريش

لمّا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلّم بأبي سفيان مُقبِلًا من الشام ندَب المسلمين إليهم ، وقال : "هـذه عِيرُ قريش فيها أموالُهم فاخرجوا إليها فلعلّ الله أن يُنفِّلَكُموها"[1]، فانتدَب الناسُ، فخفّ بعضُهم وثقُل بعضُهم، وذلك أنهم لم يظنّوا أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يَلْقَى حربا . وكان أبو سفيان استقدم حين دنا من

٥ الحجاز وجعل يتجسّسُ[2] الأخبارَ، ويسأل من لَقِيَ من الركبان، تخوّفا على أموال الناس، حتى أصاب خبرًا من بعض الركبان أنّ محمدا آستنفر أصحابَه لكَ ولعيرك ، فحَذِر[3] عند ذلك فآستأجر ضَمْضَمَ بن عَمْرو الغِفَاريّ فبعثَـه إلى مكّة وأمَره أن يأتي قريشًا يَسْتنفِرهم إلى أموالهم ويُخبِرُهم أن محمدا قد عرَض لهـا في أصحابه؛ فخرج ضَمْضَمُ بن عمرو سريعًا إلى مكّة .

١٨/٤

رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب

١٠ قال ابنُ إسحاق : وحدّثني من لا أتّهِم عن عِكْرِمة عن ابن[4] عباس ويزيدَ بن رُومَان عن عُرْوَةَ بنِ الزُّبَير قالا[5] : وقـد رأت عاتكةُ بنت عبد المطّلب قبل قدوم ضَمْضَم [مكّة][6] بثلاثِ [ليالٍ][6] رؤيا أفزعتْها ، فبعثتْ إلى أخيها العبّاس بن عبد المطلب ، فقالت : يا أخي ، والله لقد رأيتُ الليلةَ رُؤْيَا أفظعتْني وتخوّفتُ أن يدخل على قومك [منها][6] شرٌّ أو مُصيبة ، فآكتُمْ عنّي[7] ما أحدّثك ؛ قال لهـا : وما رأيتِ ؟ قالت :

١٥ رأيت راكبًا أقبل على بعيرٍ له حتى وقَف بالأَبْطح ، ثم صرَخ بأعلى صوته : أن آنفِروا

---

(١) نَفَله النفل ونفّله (بالتضعيف) وأنفَـله : أعطاه الغنيمة أو الهبة . (٢) في ح والسـيرة : « يتحسس » (بالحاء المهملة) . والتجسس والتحسس كلاهما بمعنى واحد وهو تطلب الأخبار والبحث عنها . (٣) هذه رواية السيرة (ص ٤٢٨ طبع أوربا)، وفي الأصول : « بجد » . (٤) كذا في السيرة . وفي الأصول : «عن عكرمة مولى ابن عباس» . وعكرمة هذا

٢٠ هو عكرمة أبو عبد الله البربري مولى ابن عباس وروى عنه . (٥) كذا في السيرة . وفي الأصول : « قال » بالإفراد . (٦) الزيادة عن سـيرة ابن هشام . (٧) كذا في السيرة . وفي الأصول : «عليّ» .

يا آل غُدَرُ[1] لمصارعكم فى ثلاث ، فأرى[2] الناسَ قد ٱجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجدَ والناس يتبعونه ، فبينا هم حولَه مثَل به بعيرُه على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بأعلى صوته : انفِروا يا آل غُدَرَ لمصارعكم فى ثلاث ، ثم مثَل به بعيره على رأس أبى قُبَيْس فصَرخ بمثلها ، ثم أخذ صخرةً فأرسلها فأقبلتْ تَهْوِى ، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ٱرفَضّتْ[3] ، فما بقى بيت من بيوت مكة ولا دار من دورها إلا دخلتْها منها فِلْقة . قال العباس : إن هذه لرؤيا ، وأنتِ فاكتُميها ولا تذكريها لأحد . ثم خرج العبّاس فلقى الوليدَ بن عُتْبة ابن ربيعة ، وكان له صديقا ، فذكرها [له][4] وٱستكتمه إياها ، فذكرها الوليد لأبيه عُتبة ، ففشا الحديثُ [بمكة][4] حتى تحدّثت به قريش . قال العباس : فغدوتُ أطوف بالبيت ، وأبو جهل بنُ هشام ورهطٌ من قريش قُعُودٌ يتحدّثون برؤيا عاتكة . فلما رآنى أبو جهل قال : يا أبا الفضل ، إذا فرَغت من طَوافك فَأَقبِل إلينا ، فلما فرغتُ أقبلتُ إليه حتى جلست معهم ؛ فقال لى أبو جهل : يا بنى عبد المطلب[5] ، متى حَدَثَتْ فيكم هذه النبيّة ! قال : قلت : وما ذاك ؟ قال : الرؤيا التى رأت عاتكةُ ؛ قلت : وما رأتْ ؟ قال : يا بنى عبد المطلب ، أما رَضِيتُم أن تتنبأ رجالُكم حتى تتنبأ نساؤكم ! قد زعمتْ عاتكة فى رؤياها أنها[6] قالت : انفِروا فى ثلاث ؛ فسنتربّص بكم هذه الثلاثَ ، فإن يكن ما قالتْ حقًّا فسيكون ، وإن تمض الثلاثُ ولم يكن من ذلك شىء نكتبْ كتابًا عليكم أنكم أكذبُ أهل بيتٍ فى العرب . قال العباس :

---

(١) غدر : كصرد ، وأكثر ما يستعمل فى النداء فى الشتم ، فيقال للفرد يا غدر ، وللجمع يا آل غدر . وقال ابن الأثير : غدر معدول عن غادر للمبالغة . ويقال للذكر : غدر ، والأنثى غدار (كقطام) ، وهما مختصان بالنداء فى الغالب . (٢) كذا فى السيرة . وفى الأصول : « وأرى » . (٣) ارفضت : تفرقت . (٤) الزيادة عن سيرة ابن هشام . (٥) كذا فى السيرة . وفى الأصول : « يا بنى عبد مناف » . ولا يخفى أن عبد مناف جد عبد المطلب . (٦) فى سيرة ابن هشام : « أنه قال انفروا الخ » ويكون المراد بضمير المذكر الهاتف الذى رأته .

فوالله ما كان إليه منّى كبيرٌ إلا أن جحدتُ ذلك وأنكرتُ أن تكون رأتْ شيئا؛ قال: ثم تفرّقنا؛ فلما أمسيتُ[(١)] لم تبقَ امرأةٌ من بنى عبد المطلب إلا أتتنى، فقالت: أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع فى رجالكم، ويتناولَ النساءَ وأنت تسمع، ولم يكن عندك غيرٌ[(٢)] لشىء مما سمعتَ؟! قلت: قد والله فعلتُ، ما كان منّى إليه من كبير، وايمُ الله لأتعرضنّ له، فإن عاد لأكفينّكُنّه[(٣)]. قال: فغدوتُ فى اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديدٌ مُغضَب أُرى [أنى][(٤)] قد فاتنى منه أمرٌ أُحبّ أن أُدركه منه. قال: فدخلتُ المسجدَ فرأيته، فوالله إنى لأمشى نحوه العِرَضْنة[(٥)] ليعودَ لبعض ما كان؛ فأُوقعَ به، وكان رجلا خفيفًا حديدَ الوجه حديدَ اللسان حديدَ النظر، إذ خرج نحوَ باب المسجد يشتدّ[(٦)]؛ قال: قلت فى نفسى: ماله لعنه الله! أكلّ هذا فَرَقًا أن أشاتمه! فإذا هو قد سمع ما لم أسمع، صوتَ ضمضم بن عمرو الغِفارى وهو يصرخ ببطن الوادى [واقفًا على بعيره قد جدّع بعيرَه وحوّل رحلَه وشقّ قميصَه وهو يقول][(٤)]: يا معشر قريش اللَّطيمةَ اللَّطيمة[(٧)]! أموالُكم مع أبى سفيان بن حرب قد عرَض لها محمد فى أصحابه، لا أُرى أن تُدركوها! الغوثَ الغوثَ! قال: فشغلَنى عنه وشغله عنّى ما جاء من الأمر. قال: فتجهّز الناس سِراعًا، وقالوا: لا يظنّ محمدٌ وأصحابُه أن تكون كَعِيرِ ابن الحَضْرَمى[(٨)]! كلّا والله ليعلمُنّ غيرَ ذلك! فكانوا بين رجلين: إمّا خارج وإما باعث مكانَه رجلًا. وأوعبتْ قريشٌ فلم يتخلف من

١٩/٤

خروج قريش وإرسال أبى لهب العاصى بن هشام مكانه

(١) كذا فى السيرة. وفى الأصول: «أمسينا». (٢) مصدر قولك غار الرجل على امرأته غَيرةً وغَيرًا بدون تاء. (٣) كذا فى السيرة. وفى الأصول: «لأكفينكموه» وهو تحريف اذ الخطاب لجماعة الإناث. (٤) زيادة عن السيرة. (٥) يقال: فلانٌ يمشى العرضنة والعرضنى أى فى مشيته بنى من نشاطه. وفى السيرة لابن هشام: «إنى لأمشى نحوه أتعرّضه». (٦) يشتدّ: يعدو. (٧) كذا فى ابن هشام، واللطيمة: العير تحمل الطيب وبز التجار. وفى الأصول: «اللطيمة» بدون تكرار. (٨) هو عمرو بن الحضرمى. وقد روى ابن هشام فى السيرة (ص ٤٣٠) خبر هذه العير.

أشرافها أحدٌ إلا أبو لهب بن عبد المطلب تخلّف فبعَث مكانَه العاصىَ بن هشام ابن المغيرة ، وكان لَطَّ[1] له بأربعة آلاف درهم كانت له عليه، أفلس[2] بها، فاستأجره بها على أن يُجْزِئَ عنه بَعْثَه ، فخرج عنه وتخلّف أبو لهب . هكذا فى الحديث . فذكر أبو عُبَيدة وابنُ الكلبىّ : أن أبا لَهَب قامر العاصىَ بن هشام فى مائة من الإبل، فقمَره[3] أبو لهب، ثم عاد فقمَره أيضًا، ثم عاد فقمَره أيضًا الثالثةَ، فذهب بكلّ ما كان ٥ يملكه ؛ فقال له العاصى: أرى القِداحَ قد حالفتْك يابنَ عبد المطلب، هلمّ نجعلْها على أيّنا يكون عبدًا لصاحبه ؛ قال : ذلك لك، فدحاها[4] فقمَره أبو لهب، فأسْلَمه قيْنًا، وكان يأخذ منه ضريبةً، فلما كان يومُ بدر وأخذتْ قريش كلَّ من لم يخرج بإخراج رجل مكانَه أخرجه أبولهب عنه وشرَط له العِتْق، فخرج فقتله علىّ بن أبى طالب ١٠ رضى الله عنه .

رجع الحديث إلى وقعة بدر

وبّخ ابنُ أبى معيط أميةَ بن خلف لإجماعه القعود فخرج

قال محمد بن إسحاق : وحدّثنى عبدُ الله بن أبى نَجِيح :

أنّ أُمَيّة بن خَلَف كان قد أجمع القُعودَ ، وكان شيخا [جليلا جسيما][5] ثقيلًا، فجاءه عُقْبة بن أبى مُعَيْط وهو جالس فى المسجد بين ظَهْرَانَىْ قومه بِمجْمَرة يحملها، فيها نارٌ ومِجْمَرٌ[6]، حتى وضعها بين يديه، ثم قال: يا أبا علىّ، استجمِرْ فإنّما أنت ١٥

---

(١) كذا فى هامش تاريخ الطبرى (ص ١٢٩٥ من القسم الأوّل) . ولط الغريم بالحق : ماطل فيه ومنعه . ولط حقه : جحده . وفى حديث طهفة : "لا تلطط فى الزكاة" أى لا تمنعها . وفى الأصول : «لاط» وهو تحريف . (٢) كذا فى السيرة . وفى الأصول : «فأفلس» . (٣) قمره : غلبه فى المقامرة . (٤) دحاها : رماها . والدحو : رمى اللاعب بالحجر أو الجوز وغيره . وذلك أنهم كانوا يحفرون حفرة بمقدار الحجر الذى يريدون رميه ، ثم يتنحون عنها قليلا ٢٠ ويرمون بالأحجار اليها، فإن وقعت الأحجار فى الحفرة غلب صاحبها وإن لم تقع فيها غُلب . وتسمى تلك الأحجار المداحى، واحدها : مِدْحاة . (٥) الزيادة عن السيرة . (٦) المجمر: العود يُتَبخَّر به

من النساء ! قال : قبّحك الله وقبّح ما جئتَ به ! ثم تجهّز وخرج مع الناس . فلما فرغوا من جَهَازهم وأجمعوا السيرَ ذكروا ما [كان][1] بينهم وبين بنى بكر بن عبد مَنَاة بن كِنَانة[2] من الحرب، فقالوا : إنا نخشى أن يأتوا من خَلْفنا .

تخوف قريش من كنانة وتأمين إبليس لهم

قال محمد بن إسحاق : فحدّثنى يزيد بن رُومَان عن عُرْوة بن الزُّبير قال : لما أجمعتْ قريشٌ المسيرَ ذكرت الذى بينها وبين بنى بكر بن عبد مَنَاة،[3] فكاد ذلك أن يُثَبِّطَهم ، فتبدّى لهم إبليسُ فى صورة سُرَاقة بن جُعْشُم المُدْلجىّ، وكان من أشراف بنى كِنَانة ، فقال : إنى جارٌ لكم مِن أن تأتيكم كنانةُ [من خَلْفِكم][1] بشىء تكرهونه، فخرجوا سِرَاعا .

خروج النبىّ وعدد جيشه والطريق التى سلكها

وخرج رسول الله صلّى الله عليه وسلم — فيما بلغنى عن غير آبن إسحاق — لثلاث ليالٍ خَلَوْن من شهر رمضان المعظّم فى ثلثمائة وبضعةَ عشرَ رجلا من أصحابه ؛ فآختُلِف فى مبلغ الزيادة على العشرة، فقال بعضهم : كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا، وكان المهاجرون يومَ بدر سبعةً وسبعين رجلا ، وكان الأنصارُ مائتين وستةً وثلاثين رجلا، وكان صاحبُ رايةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم علىُّ بن أبى طالب رضى الله عنه، وكان صاحبُ رايةِ الأنصار سَعْدَ بن عُبَادة .

---

(١) الزيادة عن السيرة . (٢) كذا فى السيرة . وفى الأصول : «كنانة بن الحارث» وهو تحريف . (٣) كانت الحرب التى بين قريش وبين بنى بكر فى ابن لحفص بن الأخيف أحد بنى معيص بن عامر بن لؤى، قتله بنو بكر بضَجْنان، وكان خرج يبتغى بها ضالة له، بإيعاز من سيدهم عامر ابن يزيد بن عامر بن الملوح، فثأر للغلام أخوه مكرز من عامر بن يزيد بأن قتله وخاض بطنه بسيفه، ثم أتى به الكعبة ليلا فعلقه بأستارها ، فلما أصبحت قريش رأوا سيف عامر بن يزيد معلقا بأستار الكعبة فعرفوه، فقالوا إن هذا لسيف عامر بن يزيد عدا عليه مكرز بن حفص فقتله . (انظر السيرة لابن هشام ج ١ ص ٤٣١ طبع أوربا) .

حدّثنا محمد قال حدّثنا هارون بن إسحاق قال حدّثنا مُصْعَب بن المِقْدام، قال أبو جعفر وحدّثنى محمد بن إسحاق الأَهْوازىّ قال حدّثنا أبو أحمد الزُّبَيرىّ قال حدّثنا إسرائيلُ قال حدّثنا أبو إسحاق عن البَرَاء قال[1] :

كنا نتحدّث أنّ عِدّة أصحاب بَدْر على عِدّة أصحاب طَالُوتَ الذين جازوا معه النهرَ — ولم يَجُزْ معه إلا مؤمن — ثلثمائة و بضعةَ عشرَ .

قال ابن إسحاق فى حديثه عمن روى عنه : وخرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى أصحابه، وجعل على الساقة[2] قيسَ بن أبى صَعْصَعة أخا بنى مازن بن النجّار، فى ليالٍ مضت من رمضان؛ فسار حتى إذا كان قريبا من الصَّفْراء بعث بَسْبَسَ بنَ عمرو الجُهَنِىّ حليفَ بنى ساعِدة وعدىَّ بن أبى الزَّغْباء حليفَ بنى النجّار إلى بدر يتجسّسان[3] له الخبرَ عن أبى سفيان بن حرب وغيره، ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدّمهما، فلما استقبل الصَّفْرَاءَ، وهى قرية بين جبلين، سأل عن جبلَيْها ما أسماهما؟ فقيل : يقال لأحدهما هذا مُسْلِح ، وللآخر هذا مُخْرِئ؛ وسأل عن أهلها فقالوا : بنو النّار، وبنو حُرَاق (بطنان من غِفَار)؛ فكرِههما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمرورَ بينهما، وتفاءل[4] بآسميهما وأسماء أهاليهما، فتركهما والصفراءَ يسارًا وسلك ذاتَ اليمين على وادٍ يقال له ذَفِران فخرج منه، حتى إذا كان ببعضه نزل وأتاه الخبرُ عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عِيرَهم، فآستشار النبىّ صلّى الله عليه وسلّم الناسَ وأخبرهم

استشارة النبىّ لأصحابه وتأييد الأنصار له .

(١) كذا فى الأصول ولعله : « قالا » . (٢) ساقة الجيش : مؤخرته .

(٣) فى حـ : « يحسسان » . (انظر الحاشية رقم ٢ ص ١٧١ من هذا الجزء) .

(٤) تفاءل هنا بمعنى تطير . والفأل يكون فيما يحسن و يسوء ، والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء . وفى الحديث عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : "لاعدوى ولا طيرة و يعجبنى الفأل الصالح" والفأل الصالح : الكلمة الحسنة . وهذا يدل على أن من الفأل ما يكون صالحا ومنه ما يكون غير صالح .

عن قريش ، فقام أبو بكر فقال فأحسن ، ثم قام عمر فقال فأحسن ، ثم قام المِقْدادُ بن عمرو فقال : يارسولَ الله ، امضِ لما أمرك الله فنحن معك ، والله لانقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهبْ أنتَ وربك فقاتَلا إنَّا هَاهُنَا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربُّك فقاتلا إنا معكما مُقاتلون مُعْلَمون[1] ، فو الذى بعَثك بالحقّ لو سرتَ بنا إلى بِرْكِ الغِمَاد[2] — يعنى مدينة الحبشة — لجالدنا معك حتى تبلُغَه ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخير .

حدّثنا محمد قال حدّثنا محمد بن عُبَيد المُحَارِبىّ قال حدّثنى إسماعيلُ بن إبراهيم أبو يحيى قال حدّثنا المُخَارِق عن طارق عن عبد الله بن مسعود قال :

شهِدتُ من المِقداد مَشْهدا لَأَنْ أكون صاحبَه أحبُّ إلىّ مما فى الأرض من كلّ شىء ، كان رجلا فارسا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غضِب احمارّتْ وَجْنتاه ، فأتاه المِقداد على تلك الحال ، فقال : أَبْشِر يارسول الله ، فو الله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهَبْ أنتَ وربُّكَ فقَاتِلَا إنا هَاهُنَا قَاعِدُون ، ولكن والذى بعثك بالحق لنكونَنّ بين يديك ومن خَلْفك وعن يمينك وشِمالك أو يَفْتحَ اللهُ تبارك وتعالى .

---

(١) أعلم نفسه : وسمها بسيا الحرب كعلّمها . (٢) برك الغماد (بفتح الباء وكسرها ، وبكسر الغين وضمها وقيل مثلث الغين) : اختلف فيه فقيل : موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلى البحر ، وقيل : موضع فى أقصى أرض هجر ، وقيل : بلد باليمن ، وقيل غير ذلك . وورد فى تاريخ الطبرى (ص ١٣٠٠ من القسم الأول طبع أوربا) ما يؤيد التفسير الذى ذكره أبو الفرج . وورد أيضا فى معجم ما استعجم للبكرىّ (ص ١٤٧) ما نصه : « ... وفى حديث هجرة النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجرا الى الحبشة حتى اذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنّة ... الخ »

رجع الحديث إلى حديث آبن إسحاق

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أشيروا علىّ أيها الناس" وإنما يريد الأنصار، وذلك أنهم كانوا عددَ الناس وأنهم حين بايعوا بالعَقَبة قالوا: يا رسول الله، إنا بُرَآء من ذِمامك حتى تصيرَ إلى دارنا، فإذا وصلتَ فأنتَ فى ذِمامنا، نمنعُك مما نمنع منه أنفسَنا وأبناءَنا ونساءَنا؛ فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوّف ألّا تكونَ الأنصارُ ترى عليها نُصرتَه إلا ممن دَهِمَه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسيرَ بهم إلى عدوّ فى غير بلادهم؛ فلما قال ذلك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال له سعد بن مُعَاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسولَ الله؛ قال: "أجَلْ"؛ قال: فقد آمنّا بك يا رسول الله وصدّقناك وشهدنا أنّ ما جئتَ به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودَنا ومواثيقَنا على السمع والطاعة، فآمض بنا يا رسول الله لما أردتَ [فنحن معك](١)، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضتَ(٢) بنا هذا البحرَ وخُضتَه لخُضْناه معك ما يتخلّف منّا رجلٌ واحد، وما نكره أن تَلْقَى بنا عدوًّا غدًا، إنا لصُبُرٌ عند الحرب، صُدُقٌ(٣) عند اللقاء، لعلّ الله تعالى أن يُرِيَكَ [منّا](١) ما تَقَرّ به عينُك، فسِرْ بنا على بركة الله؛ فسُرّ(٤) رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم [بقول سعد](١) ونشّطه ذلك؛ ثم قال: "سيروا على بركة الله وأبشِروا فإنّ الله قد وعَدنى إحدى الطائفتين(٥) والله لكأنّى أنظُر إلى مَصارع القوم".

ثم آرتحل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من ذَفِرانَ(٦)، وسلَك على ثنايا يُقال لها

---

(١) زيادة عن السيرة. (٢) استعرض البحر: أتاه من جانبه عرضا. (٣) يقال: رجل صَدْق اللقاء وقوم صُدُق (بالضم) ومثاله فرس وَرْد وأفراس وُرْد. (انظر اللسان مادة صدق).

(٤) فى الأصول: «فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشطه ذلك» وما أثبتناه عن السيرة والكشاف للزمخشرى فى تفسير سورة الأنفال. (٥) يشير الى قوله تعالى فى سورة الأنفال: (وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الكَافِرِينَ) والطائفتان هما العير وهم ركب أبى سفيان، والنفير وهم أهل مكة الذين نفروا لمساعدته.

(٦) ذفران: واد قرب وادى الصفراء.

الأَصافِر[1]، ثم انحطّ منها على بلد يقال له الدّبّة[2]، ثم ترك الحَنّانَ[3] بيمين، وهو كثيب عظيم كالجبل، ثم نزل قريبا من بدر فركب هو ورجل من أصحابه — قال الطبرىّ[4] قال محمد بن إسحاق : حدّثنى محمد بن يحيى بن حَبّان — حتى وقف على شيخ من العرب، فسأله عن قريش وعن محمّد وأصحابه وما بلغه عنهم؛ فقال الشيخ : لا أُخبركما حتى تُخبرانى ممن[5] أنتما؛ فقال له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : "إذا أخبرتنا أخبرناك"؛ فقال : أَوَ ذاك بذاك؟ فقال : "نعم"؛ قال الشيخ : فإنه بلغنى أن محمدا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدقنى الذى أخبرنى، فهم اليوم بمكان كذا وكذا (للمكان الذى به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم)، وبلغنى أنّ قريشا خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذى حدّثنى صدقنى فهم اليوم بمكان كذا وكذا (للمكان الذى به قريش). فلما فرغ من خبره قال : ممن أنتما؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : "نحن من ماء" ثم انصرف الشيخ عنه، قال يقول الشيخ : ما من ماء! أمن ماء العراق؟. ثم رجع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى أصحابه. فلما أمسى بعث علىَّ بنَ أبى طالب، رضى الله عنه، والزبيرَ بن العوّام، وسعدَ بن أبى وقّاص فى نفر من أصحابه إلى بَدْر يلتمسون له الخبرَ عليه — قال محمد بن إسحاق : حدّثنى يزيد ابن رُومانَ عن عُرْوةَ بن الزُّبَير : — فأصابوا راوِيَةً[6] لقريش فيها أَسْلَمُ غُلام

نزول النبىّ قريبا من بدر وسؤاله شيخا عن قريش

أرسل النبى نفرا من أصحابه الى بدر يلتمسون له الخبر

قبض هؤلاء النفر على غلامين لقريش ومعرفة أخبارهم منهما

(١) الأصافر : جبال قريبة من الجحفة عن يمين الطريق من المدينة إلى مكة، سميت بذلك لأنها هضبات صفر. (٢) الدبة : موضع قرب بدر. (٣) كذا فى السيرة ومعجم البلدان لياقوت. وفى جميع الأصول : «ثم نزل الحيان» وهو تحريف. (٤) كذا فى الطبرى والسيرة. وفى جميع الأصول وردت هذه العبارة هكذا : «قال الطبرى : قال محمد بن إسحاق حدّثنى محمد بن إسحاق حدّثنى محمد بن يحيى ابن حيان ... الخ». ومحمد بن إسحاق المكرر هنا شخص واحد. وهو محمد بن إسحاق بن يسار صاحب السيرة الذى ينقل عنه الطبرى والذى يروى عن محمد بن يحيى بن حبان (راجع تهذيب التهذيب وتراجم من روى عنهم محمد بن إسحاق المطبوع بليدن). (٥) كذا فى السيرة والطبرى. وفى الأصول : «من».
(٦) يراد بالراوية هنا القوم يستقون الماء على الدواب.

بنى الحجّاج ، وعَرِيضٌ[1] أبو يَسَار غلام بنى العاصى بن سَعيد ، فأتَوْا بهما رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم وهو يصلّى ؛ فسألوهما ، فقالا[2] : نحن سُقَاةٌ لقُرَيش بعثونا نَسْقِيهم من الماء ؛ فكره القومُ خبَرَهما ورجَوْا أن يكونا لأبى سفيان فضربوهما ، فلما أذْلَقوهما[3] قالا : نحن لأبى سفيان ، فتركوهما . وركع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وسجد سجدتين ثم سلّم ، ثم قال : " إذا صَدَقا كم ضربتُموهما فإذا كَذَبا كم تركتُموهما صَدَقَا والله إنهما لقريش أخبرانى أينَ قريشٌ " ؟ قالا : هم وراء [هذا الكثيب الذى ترى بالعُدْوة القُصْوى[4] — و] الكثيب : العَقَنْقَل — فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كم القومُ " ؟ قالا : لا ندرى ؛ قال : " كَمْ يَنْحَرون كلّ يوم " ؟ قالا : يومًا تِسْعًا ويومًا عَشْرا ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " القومُ ما بين التسعمائة والألف " ثم قال لهما رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : " فمَنْ فيهم من أشراف قريش " ؟ قالا : عُتبة بن ربيعة ، وشَيْبة بن رَبيعة ، وأبو البَخْتَرىّ بن هشام ، وحَكيم بن حِزَام ، ونَوْفل بن خُوَيْلِد ، والحارث بن عامر بن نَوْفل ، وطُعَيْمة بن عَدِىّ ، والنَّضْر بن الحارث ، وزَمْعَة[5] بن الأسود ، وأبو جهل بن هشام ، وأُمَيّة بن

(١) كذا فى السيرة لابن هشام (ج ١ ص ٤٣٦) والطبرى (ص ١٣٠٣ من القسم الأول) . وفى الأصول : «غريض بن يسار» بالغين المعجمة . (٢) كذا فى الطبرى والسيرة . وفى الأصول : «فقالوا» . (٣) أذلقه : أضعفه وأقلقه . وفى حديث عائشة أنها كانت تصوم فى السفر حتى أذلقها الصوم أى أجهدها وأذابها وأقلقها . (٤) التكملة عن الطبرى والسيرة . (٥) ضبطه صاحب المغنى فى أسماء رجال الحديث المطبوع بهامش تقريب التهذيب (ص ١٠١ طبع الهند) بالعبارة هكذا : «زمعة بزاى وميم مفتوحتين وعين مهملة وأكثر الفقهاء والمحدّثين يسكنون الميم والد سودة ... الخ» . وضبط فى السيرة بالقلم بفتح الميم وفى الطبرى كذلك أحيانا بسكون الميم وأحيانا بفتحها وفى الاشتقاق أيضا بسكون الميم وفتحها . وقال صاحب القاموس : «وزمعة بالفتح ويحرّك» . وضبطه الفيومىّ فى المصباح بفتح الميم ، ثم قال : «والمحدّثون يقولون : زمعة بالسكون ، ولم أظفر به فى كتب اللغة» . وفى شعر أمية بن أبى الصلت يبكى زمعة ابن الأسود وقتلى بنى أسد ما يؤيد فتح الميم وهو قوله : عينِ بكّى بالمسبلات أبا الحا * رث لاتذخرى على زَمَعه
وفى شرح المواهب اللدنية (ج ٣ ص ٢٧١) قال : «زمعة بزاى فميم فعين مهملة مفتوحات» . وقال ابن الأثير : «وأكثر ما سمعنا أهل الحديث والفقهاء يقولونه بسكون الميم ، وقول المصباح : لم أظفر بالسكون فى كتب اللغة قصور فقد قدّمه القاموس ثم حكى الفتح ، فظاهره أن السكون أكثر لغة» .

خَلَف، ونُبَيه ومُنَبِّه ابنا الحجّاج، وسُهَيل بن عمرو، وعمرو بن وُدّ؛ فأقبل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على الناس فقال : "هذه مكة قد رمَتْ إليكم أفلاذَ كبدها".

٢٢/٤

قال ابن إسحاق : وقد كان بَسْبَس بن عمرو وعدىّ بن أبى الزّغباء مضيَا حتى نزلا بدرًا فأناخا إلى تلٍّ قريب من الماء، ثم أخذا شَنًّا يستقيان فيه، ومَجْدِىُّ بن عمرو الجُهَنىّ على الماء، فسمع عدىٌّ وبَسْبَس جاريتين من جوارى الحاضر وهما تتلازمان على الماء، والمَلْزومة تقول لصاحبتها : إنما تأتى العيرُ غدًا أو بعد غد فأعمل لهم ثم أقضيك الذى لكِ؛ قال مَجْدِىٌّ : صدقتِ، ثم خلّص بينهما. وسمع ذلك عدىٌّ وبَسْبَس فجلسا على بعيريهما ثم انطلقا حتى أتيَا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم فأخبراه بما سمعا. وأقبل أبو سفيانَ قد تقدّم العيرَ حَذِرًا حتى وَرَد الماءَ، فقال لمجدىّ بن عمرو : هل أحسستَ أحدًا؟ قال : ما رأيتُ أحدا أُنكره، إلا أنّى رأيتُ راكبين أناخا إلى هذا التلّ ثم استقيا فى شَنّ لهما ثم انطلقا. فأتى أبو سفيانَ مُناخَهما فأخذ من أبعار بعيريهما ففتّه فإذا فيه النّوى، فقال : هذه والله علائفُ يَثْرِب! فرجع إلى أصحابه سريعًا فصرف وجهَ عيره عن الطريق [فساحل بها] وترك بدرًا يسارًا، ثم انطلق حتى أسرع.

قدم أبو سفيان الى بدر متجسسا ثم اتجه بالعير نحو الساحل

وأقبلت قريش، فلما نزلوا الجُحْفة رأى جُهَيم بن أبى الصَّلْت بن مَخْرَمة بن عبد المطلب بن عبد مناف رُؤيا، فقال : إنى رأيتُ فيما يرى النائم، وإنى

رؤيا جهيم بن أبى الصلت

(١) فى الأصل : «قالوا وقد كان بسبس الخ»، والتصويب عن السيرة. (٢) الشنّ : القربة الخَلَق الصغيرة. (٣) يقال : لزم فلان غريمه اذا تعلّق به. (٤) كذا فى صلب الطبرى (ص ١٣٠٥ قسم أوّل طبع أوربا). وفى الأصول : «حين». وفى سيرة ابن هشام : «حتى» وكلتا الروايتين أشير اليها فى هامش الطبرى. (٥) فى الطبرى والسيرة : «فضرب». (٦) زيادة عن السيرة؛ وساحل بها : اتجه بها نحو الساحل. (٧) الجحفة (بالضم) : ميقات أهل الشأم، وكانت قرية جامعة، على اثنين وثمانين ميلا من مكة، وكانت تسمى مَهْيعة فنزل بها بنو عَبيل وهم إخوة عاد، وكان أخرجهم العماليق من يثرب، فجاءهم سيل الجُحاف فأجحفهم، فسميت الجحفة.

لبَيْن النائم واليَقْظان إذ نظرتُ إلى رجل أقبل على فرس ومعه بعير له ثم قال : قُتِل عُتْبة بن رَبيعة، وشَيْبة بن رَبيعة، وأبو الحكم بن هِشَام، وأُميّة بن خَلَف، وفلان وفلان — فعدّد رجالا ممن قُتل يومئذ من أشراف قريش — ورأيته ضرب فى لَبّة[1] بعيره ثم أرسله فى العسكر ، فما بقى خِباءٌ من أخبية العسكر إلا أصابه نَضْحٌ من دمه . قال : فبلغتْ أبا جهل فقال : وهذا أيضا نبىٌّ آخَرُ من بنى عبد المطلب ! سيَعْلَم غدًا من المقتولُ إن نحن التقينا. ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عِيرَه ، أرسل إلى قريش : إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عِيرَكم ورِحَالَكم[2] وأموالَكم فقد نجّاها الله فارجِعوا . فقال أبو جهل : والله لا نرجع حتى نَرِدَ بدرا — وكان بدرٌ مَوْسِمًا من مواسم العرب تجتمع به ، لهم بها سوقٌ كلّ عام — فنُقيمَ عليه ثلاثا ، وننحرَ الجُزُرَ ونُطعمَ الطعامَ ونسقىَ الخمورَ ، وتعزفَ علينا القِيَانُ ، وتسمعَ بنا العربُ [بمسيرنا وجَمْعنا][3] ، فلا يزالون يهابوننا أبدًا ، فآمضوا . فقال الأَخْنَس بن شَرِيق ابن عمرو بن وَهْب الثَّقَفِىّ ، وكان حليفًا لبنى زُهْرة، وهم بالجُحْفة : يا بنى زُهْرة قد نجّى الله لكم عِيرَكم وخلّص لكم صاحبَكم مَخْرمةَ بن نَوْفل، وإنما نفَرتم لتمنعوه ومالَه، فاجعلوا بى جُبْنَها[4] وآرجعوا ، فإنه لا حاجة بكم فى أن تخرُجوا فى غير ضَيْعة لما يقول هذا (يعنى أبا جهل)؛ فلم يَشْهدها زُهْرِىّ، وكان فيهم مُطاعًا . ولم يكن بقِىَ من قريش بطنٌ إلا نفَر منهم ناسٌ، إلا بنى عَدِىّ بن كَعب لم يخرُج منهم رجل واحد؛ فرجعَت بنو زُهْرةَ مع الأَخْنس بن شَرِيق، فلم يشهد بدرًا من هاتين القبيلتين أحدٌ؛ ومضى القوم . وقد كان بين طالب بن أبى طالب — وكان فى القوم — وبين بعض قريش محاورة، فقالوا: والله لقد عرَفْنا يابنى هاشم وإن خرَجتم معنا أنّ هواكم

نصح أبو سفيان الى قريش أن يرجعوا فأبى أبو جهل

رجوع بنى زهرة

اتهام قريش لبنى هاشم

(١) اللبة : المنحر وموضع القلادة من الصدر كاللب . (٢) فى السيرة لابن هشام : «رجالكم» بالجيم المعجمة . (٣) زيادة عن السيرة . (٤) كذا فى السيرة لابن هشام (ج ١ ص ٤٣٨) وتاريخ الطبرى (ص ١٣٠٧ من القسم الأول) . وفى الأصول : « فاجعلوا جنبها » وهو تحريف .

[مع] محمد؛ فرجع طالب إلى مكة فيمن رجع . وأما ابنُ الكلبي[1] فإنه قال فيما حُدّثت عنه : شخص طالبُ بن أبي طالب إلى بدر مع المشركين — أُخرِجَ كَرْهًا — فلم يُوجد في الأَسْرى ولا في القَتْلَى ولم يرجع إلى أهله ، وكان شاعرا ، وهو الذي يقول:

٢٣/٤ يارَبِّ إما يَغْـزُوَنّ طـالِبْ * في مِقْنَبٍ[2] من هـذه المَقانِبْ

٥ فليكن المسلوبَ غيرَ السالِبْ * وليكن المغـلوبَ غيرَ الغالِبْ

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق

نزول قريش بالعدوة القصوى من الوادي

قال : ومضت قريشٌ حتى نزلوا بالعُدْوَة القُصْوَى من الوادي خَلْفَ العَقَنْقَل . وبطن الوادي، وهو يَلْيَل[3]، بين بدر وبين العَقَنْقَل : الكثيب الذي خَلْفَه قريشٌ . والقَليب ببدر من العُدْوة الدنيـا من بطن يَلْيَل إلى المدينة . وبعث الله عزّ وجلّ السماءَ، وكان الوادي دَهْسًا[4]، فأصاب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم [وأصحابَه منها][5]

١٠ ما لبّد لهم الأرضَ ولم يمنعهم المسيرَ، وأصاب قريشًا منها ما لم يقدروا على أن يرتحلوا معه؛ فخرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يُبادِرهم إلى المـاء حتى حاذَى ماءً من مياه بدر فنزل به .

أشار الحباب بن المنذر على النبيّ برأي فاتبعه

قال ابن إسحـاق : فحُدِّثتُ[6] عن رجالٍ من بني سَلِمَة أنهم ذكروا أن الحُبَاب بن

١٥ المُنْذِر بن الجَمُوح قال: يا رسول الله، أرأيت هذا المنزلَ، أمنزلٌ أنزلَكَه الله ليس لنـا

(١) الزيادة عن السيرة لابن هشام (ج ١ ص ٤٣٨ طبع أوربا) . (٢) المقنب بالكسر: جماعة الخيل والفرسان . وقيل : هي دون المائة . (٣) يليل (بتكرير الياء المفتوحة) : اسم واد يدفع في بدر . وفي معجم ما استعجم (في الكلام على رضوى) : « ووادي يَنْبُع يليـل يصب في غَيْقَة » . وفي الأصول : « تليل » بالتاء المثناة من فوق في أوله ، وهو تحريف . (٤) الدهس .

٢٠ هو كل لين سهل لا يبلغ أن يكون رملا وليس بتراب ولا طين كالدَّهاس، وقيل أيضا : الأرض السهلة يثقل فيها المشي . (٥) التكملة عن السيرة لابن هشام . (٦) كذا في السيرة . والذي في الأصول: «قال ابن إسحاق : فحدّثني عشرة رجال من بني سلمة ذكروا الخ » .

أن نتقدّمه ولا نتأخّر عنه، أم هو الرأى والحربُ والمَكِيدة ؟ قال : "بل هو الرأى والحرب والمكيدة" ؛ فقال : يا رسولَ الله ، إن هــذا ليس لك بمنزل ، فانهَض بالناس حتى تأتىَ أدنى ماء من مياه القوم فتنزلَه ، ثم تُعوِّرَ(١) ما سواه من القُلُب ثم تبنىَ عليه حوضًا فتملأه ماء، ثم نقاتلَ القومَ فنشربَ ولا يشربوا ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : "لقد أشرتَ بالرأى". فنهض رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومن معه من النــاس حتى أتى أدنى ماء من القوم فنزل عليه، ثم أمَر بالقُلُب فعُوِّرتْ(٢) و بنَوْا حوضا على القَليب الذى نزل عليه فمُلِئ ماء ثم قذَفوا فيه الآنية .

بناء عريش من جريد للنبىّ

قال محمد بن إسحاق : فحدّثنى محمد بن أبى بكر أن سعد بن مُعَاذ قال : يا رسول الله، نَبْنِى لك عَرِيشًا من جَريد فتكون فيه ونُعِدّ عندك ركائبَك، ثم نلقى عدوّنا، فإن نحن أعزّنا الله وأظهرَنا على عدوّنا كان ذلك ما(٣) أحبَبْنا، و إن كانت الأخرى جلستَ على ركائبك فلحِقتَ بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلّف عنك أقوامٌ يا نبىّ الله ما نحن بأشدَّ حبًّا لك منهم، [ولو ظنوا(٤) أنك تلْقَى حَربا ما تخلّفوا عنك، يمنعك الله بهم، يناصحونك و يجاهدون معك] ؛ فأثنى [عليه](٥) رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خيرا، ودعا له بخير، ثم بُنِى لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم عَرِيشٌ فكان فيه . وقد آرتحلت قريشٌ حين أصبحتْ وأقبلتْ . فلما رآها رســول الله صلّى الله عليه وســلّم تَصَوَّبُ(٦) من العَقَنْقَل — وهو الكثيب الذى منه جاءوا — إلى الوادى قال : "اللهمّ هذى قريش قد أقبلت بخُيَلائهــا وفخرها تُحَادُّك وتكذّب رسولَك اللهم فنَصْرَك الذى وعدتَنى اللهمّ فأَحِنْهم(٧)

إقبال قريش ودعاء النبىّ عليها

(١) كذا فى الطبرى والسيرة . وعوّر العين أو القليب : طمّه وردمه . وفى الأصول : « تغوّر » بالغين المعجمة ، وهو تحريف . (٢) كذا فى السيرة والطبرى . وفى الأصول : « فغوّرت » بالغين المعجمة ، وهو تحريف . (٣) كذا فى السيرة . وفى الأصول : « بما » . (٤) هذه الزيادة عن السيرة وتاريخ الطبرى . (٥) الزيادة عن السيرة (ج ١ ص ٤٤٠ طبع أوروبا) . (٦) التصوّب : الانحدار من عُلْو . (٧) الحين بالفتح : الهلاك . وحان الرجل : هلك . وأحانه الله : أهلكه .

الغـداةَ ". وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ورأى عُتْبَةَ بنَ ربيعة فى القوم على جمل له أحمر، : " إن يكن عند أحدٍ من القوم خيرٌ فعند صاحب الجمل الأحمر إن يُطيعوه يَرْشُدوا". وقد كان خُفَاف [بن إيماء][(١)] بن رَحَضَة الغِفَارىّ، أو أبوه[(٢)] أيْمَا ابن رَحَضَةَ بعث إلى قريش حين مرّوا به ابنًا له بجزائر أهداها لهم وقال لهم : إن أحببتم أن نُمِدّكم[(٣)] بسلاح ورجالٍ فعلْنا ؛ فأرسلوا [إليه][(١)] مع ابنه : أنْ وَصَلَتْكَ رَحِمٌ! فقد قضيتَ الذى عليك، فلَعَمْرِى لئن كنّا إنما نقاتل الناسَ فما بنا ضَعْف [عنهم][(١)]، ولئن كنا نقاتل الله كما يزعُم محمد فما لأحد بالله من طاقةٍ. فلما نزل الناسُ أقبلَ نفرٌ من قريش حتى وردوا الحوضَ حوضَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "دعوهم". فما شرِب منهم رجل إلا قُتل يومئذ، إلا ما كان من حَكيم ابن حِزَام فإنه لم يُقتل، نجا على فرس له يقال له الوَجيه، وأسلم بعـد ذلك فحَسُن إسلامُه، فكان إذا اجتهد [فى][(١)] يمينه قال : والذى نجّانى من يوم بدر.

عرض خفاف بن إيماء معونته على قريش

٢٤ / ٤

قال محمـد بن إسحاق : وحدّثنى أبى إسحاقُ بن يَسَار وغيرُه من أهل العـلم عن أشياخ من الأنصار قالوا :

بعثت قريش عمير ابن وهب متجسسا فأخبرهم بما روّعهم

لمـا اطمأنّ القوم بعثوا عُمَير بن وَهْب الجُمَحِىّ فقالوا : احْزُرْ[(٤)] لنا أصحابَ محمد؛ فاستجال بفرسـه حولَ العسكر ثم رجَع إليهم، فقال : ثلثمائة رجل يزيدون قليـلا أو ينقصونه، ولكن أمْهِلُونى حتى أنظر : ألِلْقوم كَمِين أو مَدَدٌ. قال : فضرب فى الوادى حتى أمْعَن، فلم ير شيئا، فرجَع فقال : لم أرَ شيئا، ولكن قد رأيتُ

---

(١) هذه الزيادة عن السيرة وتاريخ الطبرى. (٢) فى الأصول : «أخوه». والتصويب عن السيرة وتاريخ الطبرى. وإيماء بكسر الهمزة مع المد أو بفتحها مع القصر. ورحضة بالتحريك أو بالفتح، أو بالضم أقوال فيه. (انظر شرح القاموس مادة رحض). (٣) كذا فى السيرة. وفى الأصول والطبرى : «أمدّكم». (٤) الحزر : التخمين والتقدير.

يا معشر قريش الوَلايَا(١) تحمل المَنَايَا ! نَوَاضِحُ(٢) يَثْرِب تحمل الموتَ الناقع ! قوم ليس لهم مَنَعَةٌ ولا ملجأٌ إلا سيوفُهم، والله ما أُرَى أن يُقتَل رجل منهم حتى يَقتُل رجلًا منكم ! فإذا أصابوا منكم أعدادَهم، فماخيرُ العيش بعد ذلك ! فرَوْا رأيَكم . فلما سمع حَكِيم بن حِزَام ذلك مشى فى الناس فأتى عُتْبَةَ بن ربيعة وقال : يا أبا الوليد، إنك كبيرُ قريش الليلةَ وسيِّدُها والمطاعُ فيها، هل لك إلى أمر لا تزال تُذْكَر منه بخير إلى آخر الدهر؟ ٥ قال: وما ذاك يا حكيم؟ قال : ترجع بالناس وتحمل دمَ حليفك عمرو بن الحَضْرمىّ؛ قال : قد فعلت، أنت على ذلك شهيد، إنما هو حليفى فعلىَّ عَقْلُهُ(٣) وما أُصيب من ماله، فأْتِ ابنَ الحَنْظَلِيّة(٤) فإنى لاأخشى أن يسحَر الناسَ غيرُه (يعنى أبا جهل بن هشام).

يقصّ حكيم بن حزام حديث بدر لمروان بن الحكم

حدّثنا محمد قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنا غمامةُ(٥) بن عمرو السَّهْمِىّ قال حدّثنا مُسَوَّر بن عبد الملك اليَرْبُوعىّ عن أبيه عن سعيد بن المُسَيِّب قال : ١٠

بينا نحن عند مروانَ بنِ الحَكَم إذ دخل عليه حاجبه فقال : هذا أبو خالد حَكِيم ابن حِزَام؛ قال : ٱئْذَن له؛ فلما دخل حَكِيم بن حِزَام، قال: مرحبًا بك يا أبا خالد، أُدْنُ؛ فحال له مَرْوانُ عن صَدْرِ المجلس حتى كان بينه وبين الوسادة، ثم ٱستقبله مروان فقال : حدِّثنا حديثَ بدر؛ قال : خرجنا حتى إذا نزلنا الجُحْفة رجعتْ قبيلةٌ من قبائل قريش بأسرها، فلم يشهد أحد من مُشركيهم بدرًا؛ ثم خرجنا حتى نزلنا العُدْوَةَ التى ١٥

(١) الولايا : جمع ولية وهى البرذعة أو ما تحتها . (٢) النواضح : جمع ناضح، والناضح : البعير يستقى عليه، ثم استعمل فى كل بعير وإن لم يحمل الماء . (٣) العقل : الدية .
(٤) قال ابن هشام : الحنظلية أم أبى جهل، وهى أسماء بنت مُخَرِّبة أحد بنى نهشل بن دارم بن مالك ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . (٥) كذا فى الأصول بالغين المعجمة . وقد ذكر الطبرى (قسم أوّل ص ١٣١٣) هذه القصة بهذا الاسناد وفيه : «عِمَامة بن عمرو السهمى» بالعين المهملة . ٢٠ وفى هامشه فى الصفحة نفسها نقلا عن نسخة أخرى : «غمامة» بالغين المعجمة كما فى الأصول . وفى القسم الثالث من الطبرى (ص ٢٦٨) : «عُثامة بن عمرو السهمى» . وفى هامشه فى الصفحة نفسها نقلا عن نسختين أخريين : «غمانة» بالغين و «عتّامة» بالعين والتاء، ولم نعثر على هذا الاسم فى كتب التراجم حتى نستطيع ترجيح إحدى هذه الروايات .

قال الله عزّ وجل، جئتُ عُتْبةَ بن ربيعة، فقلت: يا أبا الوليد، هل لك أن تذهب بشَرَف هذا اليوم ما بقيتَ؟ قال: أفعلُ ماذا؟ قال: قلت: إنكم لا تطلبون من محمد إلا دَمَ واحدٍ: — ابنِ الحَضْرميّ — وهو حليفُك، فتحمَّلْ دِيَتَه فيرجعَ الناسُ؛ قال: أنت وذاك، وأنا أتحمل دِيَتَه، فاْذهبْ إلى ابن الحَنْظلية (يعنى أبا جهل) فقل له: ٥ هل لك أن ترجِع اليومَ بمن معك عن ابن عمك؟ فجئتُه فإذا هو فى جماعة من بين يديه ومن ورائه، فإذا آبن الحضرميّ واقف على رأسه وهو يقول: قد فسختُ عَقْدى من بنى عبد شمس، وعَقْدى إلى بنى مخزوم؛ فقلت له: يقول لك عُتْبة بن رَبيعة: هل لك أن ترجع اليومَ عن آبن عمك بمن معك؟ قال: أمَا وجد رسولًا غيرَك؟ قلتُ: لا، ولم أكن لأكونَ رسولًا لغيره. قال حَكيم: فخرج مُبَادِرًا إلى عتبة ١٠ وخرجتُ معه لئلا يفوتَنى من الخبر شىء، وعُتبة يتّكئ على إيماء بن رَحَضة الغفَارىّ، وقد أهدى إلى المشركين عشرَ جزائرَ، فطلَع أبو جهل والشرّ فى وجهه، فقال لعُتْبة: انتفخ سَحْرُك[1]؛ فقال عُتْبة: فستعلم؛ فسَلّ أبو جهل سيفَه فضرب به متنَ فرسه؛ فقال إيماءُ بن رَحَضة: بئس المَقام هذا! فعند ذلك قامت الحرب. ٢٥/٤

رجع الحديث إلى آبن إسحاق

نصح عتبة بن ربيعة قريشا بالرجوع فأبى أبو جهل

١٥ ثم قام عُتْبة بن رَبيعة خطيبًا، فقال: يا معشر قريش، والله ما تصنعون بأن تَلْقَوْا محمدا وأصحابَه شيئًا! والله لئن أصبتُموه، لا يزال الرجل منكم ينظر فى وجه رجل يكره النظرَ إليه، رجلٍ قتل ابنَ عمّه أو ابنَ خاله أو رجلًا من عشيرته، فآرجعوا وخلُّوا بين محمد وبين سائر العرب، فإن أصابوه فذلك الذى أردتم، وإن كان غير ذلك ألفاكم[2]

(١) يكنى بانتفاخ السحر عن الجبن، وذلك أن الجبان يملأ الخوف جوفه فينتفخ سحره. والسحر: ٢٠ الرئة وما حولها مما يعلق به الحلقوم فوق السرة. (٢) فى: حـ: «ألفاكم ولم تعرضوا منه لما تريدون».

ولم تعـدَموا منه ما تريدون . قال حَكيم : فانطلقتُ حتى جئتُ أبا جهل فوجدته قد نثَل[1] دِرْعا له من جِرابها[2] وهو يُهيِّئها ، فقلت له : يا أبا الحَكَم ، إنّ عُتبة أرسلنى إليك بكذا وكذا (الذى قال) ؛ فقال : انتفَخ والله سَحْرُه حين رأى محمدا وأصحابه ، كلا والله ! لا مرجعَ حتى يحكم الله بيننا وبين محمد وأصحابه ؛ وما بعُتبة ما قال ، ولكنه قد رأى أن محمدا وأصحابه أَكَلَةُ جَزُور[3] ، وفيهم ابنُه قد تخوّفكم عليه ! ثم بَعث إلى عامر بن الحضْرمىّ فقال له : هذا حليفُك يريد أن يرجع بالناس وقد رأيتَ ثأرَك بعينك ، فقم فانشُد خُفْرتَك[4] ومقتلَ أخيك . فقام عامر بن الحَضْرمىّ فاكتشف[5] ثم صرخ : وا عَمْراه! واعَمْراه ! فحَمِيَت الحربُ ، وحَقِب[6] أمرُ الناس ، واستوسَقوا[7] على ماهم عليه من الشرّ ، وأُفسِد على الناس الرأىُ الذى دعاهم إليه عُتبة بن ربيعة . ولما بلغ عُتبةَ قولُ أبى جهل : «انتفخ سَحْرُه» قال : سيعلم مُصَفِّر الآستِ من انتفخ سحرُه : أنا أم هو ! ثم التمس عُتبةُ بيضةً ليُدخلها فى رأسه فلم يجد فى الجيش بيضةً تَسَعُه من عِظَم هامته ، فلما رأى ذلك اعتجر[8] على رأسه ببُرْد له . وقد خرج الأَسْودُ بن عبد الأسد المخزومىّ ، وكان رجلا شرِسًا سيِّئَ الخُلُق ، فقال : أُعاهد الله لأشربنّ من حوضهم أو لأهدِمنّه أو لأموتنّ دونَه ؛ فلما خرج خرج له حمزة بن عبد المطلب ، فلما التقيا ضربه حمزة فأبان قدمَه بنصف ساقه وهو دون الحوض ، فوقع على ظهره

أقسم الأسود بن عبد الأسد ليشربن من حوض المسلمين فقتل

(١) نثل : أخرج . (٢) كذا فى م ، وهو الموافق لما فى السيرة والطبرى . وفى باقى الأصول : «عن جرابها» . (٣) يريد أنهم قلة تكفيهم جزور واحدة لطعامهم .
(٤) كذا فى السيرة وتاريخ الطبرى . والخفرة : الذمة والعهد . وفى الأصول : « حقوقك » .
(٥) كذا فى م والسيرة والطبرى ، وفى القاموس « واكتشفت المرأة لزوجها : بالغت فى التكشف له عند الجماع » ، فلعله يريد أنه أشرف على شىء عال أو نحو ذلك حتى انكشف للناس ثم صرخ فيهم . وفى باقى الأصول : «فاكتنف» ، وهو تحريف . (٦) حقب أمر الناس : فسد . (٧) استوسقوا : اجتمعوا . (٨) الاعتجار : لف العمامة على الرأس .

طلب عتبة بن ربيعة وابنه وأخوه المبارزة فندب لهم النبيّ من قتلهم

تشخّب رجلُه دمًا نحوَ أصحابه، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه يريد أن يُبرّ يمينَه، وأتبعَه حمزةُ فضربه حتى قتله فى الحوض. ثم خرج بعده عُتْبة بن رَبيعة بين أخيه شَيْبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عُتْبة، حتى إذا نَصل(1) من الصفّ دعا إلى المبارزة، فخرج إليه فِتيةٌ من الأنصار ثلاثةُ نفر، وهم: عوف ومُعَوِّذ(2) ابنا الحارث، وأمهما عَفْراء، ورجل آخر يقال: هو عبد الله بن رَوَاحة(3)، فقالوا: من أنتم؟ قالوا: رَهْطٌ من الأنصار، قالوا: مالنا بكم حاجة. ثم نادى مُناديهم: يامحمد، أخْرِج إلينا أكفاءنا من قومنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قُمْ ياحَمْزة بنَ عبد المطّلب قم ياعُبَيدة ابنَ الحارث قُمْ يا علىّ بن أبى طالب". فلما قاموا ودَنَوْا منهم، قالوا: من أنتم؟ فقال عُبيدة: عبيدة، وقال حمزة: حمزةُ، وقال علىّ: علىّ؛ قالوا(4): نعم أكفاءٌ كِرَام، فبارز عُبَيدةُ بن الحارث، وكان أسنّ القوم، عتبةَ بن ربيعة؛ وبارز حمزةُ شيبةَ بن ربيعة؛ وبارز علىٌّ الوليدَ بن عتبة. فأما حمزة فلم يُمْهِل شيبةَ أنْ قتله. و[أمّا](5) علىّ فلم يُمْهِل الوليدَ بنَ عتبة أن قتله. واختلف عُبَيدة وعُتْبةُ بينهما بضربتين كلاهما أثبت صاحبَه(6)، فكَرّ حَمْزةُ وعلىّ على عُتْبة بأسيافهما فذَفّفا(7) عليه فقتلاه، واحتملا صاحبَهما عبيدةَ، فجاءا به إلى أصحابه وقد قُطعتْ رجلُه ومخّه يَسيل. فلما أتَوْا بعُبيدة إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: ألستُ شهيدًا يا رسول الله؟

٥ ١٠ ٢٦/٤ ١٥

(1) كذا فى سيرة ابن هشام، ونصل: خرج. وفى الأصول والطبرى: «فصل» بالفاء.

(2) كذا فى م، وهو الموافق لما فى سيرة ابن هشام (ص ٤٤٣ طبع أوربا) وتاريخ الطبرى (ص ١٢١٠، ١٢١٢، ١٣١٧، ١٣٢٢، ١٣٣٦ من القسم الأوّل طبع أوربا) وطبقات ابن سعد. وفى الأصول: «عوذ» بالذال المعجمة فى آخره، وهو قول لبعضهم فى اسمه حكاه ابن عبد البر فى الاستيعاب وابن حجر فى الاصابة. (3) كذا فى السيرة. وفى الأصول والطبرى: «يقال له عبدالله بن رواحة». ولا يخفى ما بين التعبيرين من خلاف. (4) فى ح، ب: «نحن». (5) زيادة عن م والسيرة والطبرى. (6) أثبت صاحبه: أثخنه بالجراح. (7) ذفف على الجريح: أجهز عليه.

٢٠

قال : "بلى" ؛ فقال عُبيدة : لو كان أبو طالب حيًّا لعلم أنى بما قال أحقُّ منه حيث يقول :

ونُسْلِمُه[1] حتى نُصَرَّعَ حولَهُ * ونَذْهَلَ عن أبنائنا والحلائلِ

قال محمد بن إسحاق : وحدّثنى عاصِم بن عمر بن قتَادة : أنّ عُتْبة بن رَبيعة قال للفِتْية من الأنصار حين انتسبوا له : أكفاء كرام، إنّما نريد قومَنا . ثم تزاحف الناسُ ودنا بعضُهم من بعض . وقد أمر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم [أصحابَه[2]] ألّا يحمِلوا حتى يأمرَهم، وقال : "إن اكتنفكم القومُ فانْضَحُوهم بالنَّبْل" ؛ ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى العَريش معه أبو بكر .

وكانت وَقْعة بدر يومَ الجمعة صبيحةَ سبعَ عشرةَ من شهر رمضان . قال ابن إسحاق : كما[3] حدّثنى أبو جعفر محمد بن علىّ بن الحسين .

تعديل النبىّ لصفوف أصحابه وقصة سواد بن غزية

قال محمد بن جرير وحدّثنا ابن حُمَيد[4] قال حدّثنا سَلَمَة قال قال لى محمد بن إسحاق حدّثنى حَبّان[5] بن واسِع بن حَبّان عن أشياخ من قومه :

(١) هذا البيت من قصيدة أبى طالب التى مطلعها :

خليلىّ ماأذنى لأول عاذل * بصغواء فى حق ولا عند باطل

وقبل هذا البيت :

كذبتم وبيت الله نُبزى محمدا * ولما نطاعن دونه ونناضل

ونبزى : نغلب ونقهر ، وهو على تقدير النفى ، ومحمد نصب على نزع الخافض ، أى لا نغلب عليه . ونسلمه (بالرفع) معطوف على نبزى أى لا نسلمه . وقد ورد هذا البيت فى اللسان مادة (بزا) هكذا :

كذبتم وحق الله يُبزى محمد * ... ... الخ

ومعناه ، كما فى اللسان ، يقهر ويستذل . وهو على تقدير النفى أيضا . (٢) زيادة عن السيرة والطبرى .

(٣) كذا فى سيرة ابن هشام وتاريخ الطبرى . وفى الأصول : « قال ابن إسحاق فحدّثنى الخ » وهو خطأ .

(٤) كذا فى الطبرى وتهذيب التهذيب وهو محمد بن حميد بن حيان التيمى أبو عبد الله الرازى أحد شيوخ ابن جرير الطبرى وممن رووا عن سلمة بن الفضل . وفى الأصول : « أبو أحمد » وهو خطأ .

(٥) كذا فى السيرة (ص ٤٤٤ طبع أوربا) ، وهو حبان بن واسع بن حبان بن منقذ أحد شيوخ محمد ابن إسحاق (راجع تهذيب التهذيب حـ ٢ ص ١٧٠ ، وكتاب من روى عنهم محمد بن إسحاق ص ٩ طبع ليدن) . وفى الطبرى : « حبان بن واسع بن حبان بن واسع » . وفى جميع الأصول : « واسع حيان ابن واسع » .

أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عدّل صفوفَ أصحابه يومَ بدر، وفى يده قِدْح[1] يُعَدِّل به القومَ ، فمرّ بسَوَاد بن غَزِيّة[2] حليف بنى عَدِىّ بن النجّار وهو مُسْتَنْتِل[3] من الصفّ ، فطعن رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى بطنه بالقِدْح، ثم قال: "اسْتَوِ ياسواد بن غزية"؛ فقال: يارسول الله، أوْجَعْتَنى! وقد بعثك الله بالحق، فأَقِدْنى.

٥ قال: فكشَف رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عن بطنه، وقال: "اسْتَقِدْ"؛ فاعتنقه وقبّل بطنَه؛ فقال: "ماحملك على هذا ياسَوادُ"؟ فقال: يارسول الله، حضر ماترى، فلم آمن الموتَ ، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمسّ جلدى جلدَك ؛ فدعا له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بخير وقال له خيراً . ثم عدّل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الصفوفَ، ورجَع إلى العَريش ودخله ومعه أبو بكر ليس معه غيرُه، ورسول الله

١٠ صلّى الله عليه وسلّم يناشد ربَّه ماوعده من النصر، و يقول فيمايقول: "اللهمّ إن تَهْلِكْ هذه العصابةُ اليومَ — يعنى المسلمين — لا تُعْبَدْ بعد اليوم"، وأبو بكر يقول : يا نبىَّ الله خلِّ بعضَ مُناشدتك ربَّك، فإن الله مُنْجِزٌ لك ما وعدك .

دعاء النبىّ يوم بدر

حدّثنا محمد بن جَرير قال حدّثنا محمد بن عُبَيد المُحَارِبىّ قال حدّثنا عبد الله بن المُبَارَك عن عِكْرِمة بن عمّار قال حدّثنى سِمَاكٌ الحنفىّ قال سمعت ابنَ عباس يقول :

١٥ حدّثنى عمر بن الخطاب قال :

لمّا كان يومُ بدر ونظر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى المشركين وعِدّتهم وإلى أصحابه وهم نَيِّفٌ على ثلثمائة، آستقبل الكعبةَ وجعل يدعو ويقول : "اللهمّ

(١) القدح (بالكسر): السهم قبل أن ينصل و يراش . (٢) ذكر هذا الاسم فى تاريخ الطبرى (ص ١٣١٩ قسم أول) وأسد الغابة (ج ٢ ص ٣٧٤) وطبقات ابن سعد (ج ٣ ص ٧٢ من القسم

٢٠ الثانى) . وفى سيرة ابن هشام (ص ٤٤٤، ٥٠٤ طبع أوربا) قال ابن هشام فى الموضعين : «و يقال سَوَّاد بن غزية» . وفى الإصابة (ج ٣ ص ١٤٨ طبع مصر) فى الكلام على سواد بن غزية : «المشهور أنه بتخفيف الواو وحكى السهيلى تشديدها» . (٣) كذا فى مـ والطبرى والسيرة . ونتل من بين الصف وآستنتل : تقدّم . وفى باقى الأصول : « استنثل » بالثاء المثلثة .

أنجز لى ما وعدتنى اللهم إن تَهْلِكْ هذه العصابةُ من أهل الإسلام لا تُعْبَدْ فى الأرض" فلم يزل كذلك حتى سقط رداؤه ، فأخذ أبو بكر فوضع رداءه عليه ، ثم التزمه من ورائه فقال : كفاك يانبىّ الله ، بأبى أنت وأمّى ، مناشدتك لربك ، سيُنجِز لك ما وعدك . فأنزل الله تعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ[1] ﴾ .

حدّثنا محمد قال حدّثنا ابنُ وَكِيع قال حدّثنا الثَّقَفِىّ (يعنى عبدَ الوهاب) عن خالد عن عِكْرِمة عن ابنِ عبّاس :

أن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم قال وهو فى قُبَّتِه[2] يومَ بدر " اللهمّ أسألك عهدَك ووعدَك اللهمّ إن شئتَ لم تُعبد بعد اليوم" . قال : فأخذ أبو بكر بيده فقال : حَسْبُك يا نبىّ الله ، فقد أَلْحَحْتَ على ربك — وهو فى الدِّرع — فخرج وهو يقول : ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ﴾ .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق

أخذت النبىّ سِنة ثم انتبه مبشرا بالنصر ومحرّضا على القتال

قال : وقد خَفَق رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خَفْقةً وهو فى العَرِيش ، ثم انتبه فقال : " يا أبا بكر أتاك نصرُ الله هذا جبريلُ آخذٌ بعنانِ فرسه يقوده وعلى ثناياه النَّقْع[3] " . قال : وقد رُمِى مِهْجَعٌ مولى عمر بن الخطّاب بسهم فقُتل ، فكان أوّلَ قتيلٍ من المسلمين ؛ ثم رُمِى حارثةُ بن سُرَاقة أحد بنى عدىّ بن النجار وهو يشرب من الحوض [بسهم فأصاب نحره[4]] فقُتل . ثم خرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى الناس فحرّضهم ونفّل كلّ امرئٍ ما أصاب ، وقال : "والذى نفسى بيده لا يقاتلهم

(١) مردفين : متتابعين بعضهم فى إثر بعض . (٢) كذا فى تاريخ الطبرى ، والمراد بالقبة العريش الذى نصب له . وفى الأصول : «فى فتية» وهو تحريف . (٣) النقع : الغبار .
(٤) زيادة عن السيرة .

استهانة أصحاب النبي بالموت في سبيل حسن الثواب

اليومَ رجلٌ فيُقتَل صابراً محتسِباً مُقبِلًا غيرَ مُدْبِر إلّا أدخله الله الجنة "؛ فقال عُمَير ابن الحُمَام أخو بنى سَلِمة وفى يده تَمرات يأكلها : بَخٍ بَخٍ ! أمَا بينى وبين أن أدخل الجنةَ إلا أن يقتلنى هؤلاء ! قال: ثم قذَف التمراتِ من يده وأخذ سيفَه فقاتل القوم حتى قُتل، وهو يقول :

٥ رَكْضًا إلى الله بغيرِ زادِ * إلا التُّقَى وعَمَلَ المَعَادِ
والصبرَ فى الله على الجهادِ * وكلُّ زادٍ عُرْضَةُ النَّفَادِ
* غيرَ التقى والبرِّ والرَّشادِ *

حدثنا محمد بن جَرير قال حدثنا ٱبن حُمَيد قال حدثنا سَلَمة قال حدثنا محمد ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قَتَادة :

١٠ أن عَوْفَ بنَ الحارث، وهو ابنُ عَفْراء، قال : يارسول الله، ما يُضحِكُ الربَّ من عبده ؟ قال : " غَمْسُه يدَه فى العدوّ حاسرًا "؛ فنزع دِرْعا كانت عليه فقذَفها، ثم أخذ سيفَه فقاتل القومَ حتى قُتل .

التقاء الفريقين وهزيمة المشركين

حدثنا محمد قال حدثنا ٱبن حُمَيد قال حدثنا سَلَمة عن ابن إسحاق قال وحدثنى محمد بن مُسْلِم الزُّهرِى عن عبد الله بن ثَعْلبةَ بن صُعَيْر العُذْرِى حليف بنى زُهْرة قال:

١٥ لما ٱلتقى الناسُ ودنا بعضُهم من بعض(١)، قال أبو جهل : اللهمّ أقْطَعُنا للرَّحِم وآتانا بما لا يُعرَف فَأَحِنْه الغداة؛ فكان هو المُسْتفتِحَ على نفسه . ثم إن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أخذ حَفْنة من الحَصْباء وٱستقبل بها قريشًا، ثم قال : " شاهتِ الوجوهُ " ثم نفَحهم(٢) بها ؛ وقال لأصحابه : " شُدُّوا " فكانت الهزيمةُ . فقتَل الله مَنْ قتل من صناديد قريش، وأسر من أسر منهم . فلما وضع القومُ أيديَهم

٢٠ (١) كذا فى م والسيرة . وفى باقى الأصول : «ودنا بعضهم من بعضهم» . (٢) نفحهم : ضربهم .

يأسرون — ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى العَريش، وسعد بن مُعَاذ قائم على باب العريش الذى فيه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مُتوشّحًا بالسيف فى نفر من الأنصار، يحرُسون رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، يخافون عليه كَرّة العدو — رأى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم — فيما ذُكِرَ لى — فى وجه سعد بن مُعَاذ الكَرَاهَةَ فيما يصنع الناس؛ فقال له : "كأنك كرِهتَ ما يصنَع الناس"! قال : أجلْ والله يا رسول الله! كانت أوّلَ وَقْعة أوقعها الله عزّ وجل بأهل الشّرك فكان الإثخانُ فى القتل أعجبَ إلىّ من آستبقاءِ الرجال .

نهى النبىّ عن قتل جماعة خرجوا مستكرهين مع قريش

حدّثنا محمد قال حدّثنا ابنُ حُمَيد قال حدّثنا سَلَمة عن محمد بن إسحاق قال وحدّثنى العباس بن عبدالله بن مَعْبَد(١) عن بعض أهله عن ابن عباس :

أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال لأصحابه يومئذ : "إنى قد عرفتُ أن رجالا من بنى هاشم [وغيرهم](٢) قد أُخرِجوا كَرْهًا لاحاجة لهم بقتالنا، فمن لقى منكم أحدًا من بنى هاشم فلا يقتُلْه، ومن لقىَ أبا البَخْتَرِىّ [بن هشام](٢) بن الحارث فلا يقتُلْه، ومن لقى العبّاسَ بنَ عبد المطلب — عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم — فلا يقتُلْه، فإنما خرج مُسْتَكرَها". قال : فقال أبو حُذَيفة بنُ عُتْبة بن ربيعة : أيُقتل آباؤنا وأبناؤنا وإخوتنا(٣) وعشيرتُنا ونترك العبّاسَ! والله لئن لقيتُه لأُلْجِمَنَّه السيفَ! فبلغتْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم؛ فجعل يقول لعمر بن الخطاب : "يا أبا حَفص أمَا تسمع إلى قول أبى حُذيفة يقول أضربُ وجهَ عمّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالسيف". فقال عمر : يا رسولَ الله، دَعْنى فلأضربنّ عُنُقَه بالسيف، فوالله لقد نافق . قال

(١) كذا فى تاريخ الطبرى (ص ١٣٢٣ من القسم الأوّل طبع أوربا) وسيرة ابن هشام (ص ٤٤٦ طبع أوربا) وتهذيب التهذيب (ج ٥ ص ١٢٠ طبع الهند). وفى الأصول : «مصعب» وهو تحريف.
(٢) زيادة عن م والسيرة والطبرى. (٣) كذا فى السيرة. وفى جميع الأصول والطبرى : «إخواننا».

عمر : والله إنه لأوّل يوم كَنّانى فيه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بأبى حَفْص.

قال: فكان أبو حُذَيفة يقول : ما أنا بآمنٍ من تلك الكلمة التى قلتُ يومئذ ولا أزال منها خائفًا إلا أن تُكَفِّرها عنّى الشهادةُ ؛ فقُتل يومَ اليمَامة [شهيدًا] (١) . قال : وإنما نَهى رسول الله صلّى الله عليه وسلم عن قَتل أبى البَخْتَرىّ ، لأنه كان أكفّ القوم عن رسول الله صلّى الله عليه وسلم وهو بمكة ، كان لا يؤذيه ولا يَبْلُغه عنه بمكة شىءٌ يكرَهُه ، وكان ممن قام فى نَقْض الصحيفة التى كتبتْ قريشٌ على بنى هاشم و بنى المطّلب . فلقِيَه المُجَذَّر بن ذِياد (٢) البَلَوِىّ حليفُ الأنصار من بنى عَدىّ ، فقال المُجَذَّر ابن ذِياد لأبى البَخْتَرِىّ : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهى عن قتلك ، ومع أبى البخترىّ زميلٌ له خرج معه من مكة ، وهو جُنَادَةُ بنُ مُلَيْحَةَ بنِ زُهَير ابن الحارث بن أَسَد — وجُنادة رجل من بنى لَيْث ، واسم أبى البَخْتَرِىّ العاصى ابن هشام بن الحارث بن أسد — قال : وزميلى ؟ فقال المُجَذَّر : لا والله ما نحن بتاركى زميلك ؛ ما أمرنا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلا بك وحدَك ؛ قال : والله إذًا لأموتنّ [أنا] (١) وهو جميعا ! لا تتحدّث عنّى نساءُ قريش بين أهل مكة أنى تركتُ زميلى حرصًا على الحياة . فقال أبو البَخْتَرىّ حين نازله المجذَّر وأبى إلا القتال (٣) وهو يرتجز :

لن يُسْلِم ابنُ حُرَّةٍ أكِيلَه (٤) * حتى يموتَ أو يرى سبيلَه

(سبب نهى النبىّ عن قتل أبى البخترى وقصة قتله)

---

(١) زيادة عن م والسيرة والطبرى . (٢) كذا فى الطبرى وسيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد (ج ٣ ص ٩٨ من القسم الثانى طبع أوربا) وأسد الغابة (ج ٤ ص ٣٠٢) والمشتبه فى أسماء الرجال للذهبى (ص ٤٦٤) وشرح القاموس مادة ذود . وورد فيه : « والمجذر بن ذياد بالكسر و يقال ذياد ككتان والأول أكثر » . وفى الأصول : «زياد» بالزاى . وفى سيرة ابن هشام (ص ٤٤٧) : « و يقال المجذر بن ذئاب » . (٣) كذا فى م والسيرة . وفى سائر الأصول : «القتل» . (٤) فى سيرة ابن هشام : « زميله » .

فاقتتلا ، فقتله المجذّر بن ذِياد. ثم أتى المجذَّرُ بن ذِياد رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فقال : والذى بعثك بالحق ، لقد جَهِدتُ عليه أن يستأسِرَ فآتيكَ به ، فأبى إلا القتالَ ، فقاتلتُه فقتلتُه .

عبد الرحمن بن عوف وأمية بن خلف

قال محمد بن إسحاق : وحدّثنى يحيى بن عَبّاد بن عبدالله بن الزُّبير عن أبيه ، قال : وحدّثنيه[1] أيضا عبدالله بن أبى بكر وغيرُهما عن عبد الرحمن بن عَوْف قال :

كان أُمَيّة بن خَلَف لى صديقًا بمكة ؛ قال : وكان اسمى عبدَ عَمْرو ، فسُمّيتُ حين أسلمتُ عبدَ الرحمن ونحن بمكة ؛ قال : وكان يلقانى بمكة فيقول : ياعبد عمرو ، أرَغِبتَ عن اسم سمّاك به أبواك ؟ فأقول : نعم ؛ فيقول : فإنى لا أعرف الرحمن ، فاجعل بينى و بينك شيئًا أدعوك به ، أمّا أنت فلا تجيبنى باسمك الأوّل ، وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف . قال : فكان إذا دعانى : يا عبد عمرو ، لم أجبه ، فقلت : اجعلْ بينى و بينك يا أبا علىّ ما شئتَ ؛ قال : فأنت عبدُ الإله ؛ فقلت : نعم . قال : فكنت إذا مررتُ به قال : ياعبد الإله فأجيبه فأتحدّث معه ؛ حتى إذا كان يومُ بدر ، مررت به وهو واقف مع علىّ ابنه آخذًا بيده ، ومعى أدراع قد سلبتها وأنا أحملها ؛ فلما رآنى قال : يا عبدَ عمرو ، فلم أجبه ؛ فقال : يا عبد الإله ، قلت : نعم ؛ قال : هل لك فىّ فأنا خيرٌ لك من هذه الأدراع ؟ قال قلت : نعم ، هلمّ إذًا ؛ فطرحتُ الأدراعَ من يدى وأخذت بيده و بيد ابنه علىٍّ ، وهو يقول : ما رأيتُ كاليوم قطّ ، أمَا لكم حاجةٌ فى اللبن[2] ؟ ثم خرجت أمشى بينهما .

(١) كذا فى السيرة . وفى الأصول : « حدّثنى » . (٢) قال ابن هشام : «يريد باللبن أن من أسرنى افتديت منه بإبل كثيرة اللبن»

مقتل أمية بن خلف وابنه

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الواحد بن أبي عون[1] عن سعد بن إبراهيم ابن عبدالرحمن عن أبيه[2] عن عبد الرحمن بن عوف قال :

قال لي أمية بن خلف وأنا بينه وبين ابنه آخذ بأيديهما : يا عبد الإله ، من الرجل المُعْلَم[3] منكم بريش نعامة في صدره ؟ قال قلت : ذلك حمزة بن عبد المطلب ، قال : ذلك الذي فعل بنا الأفاعيل . قال عبدالرحمن : فوالله إني لأقودهما إذ رآه بلالٌ معي — وكان هو الذي يُعذّب بلالًا بمكة على أن يترك الإسلام ، فيخرجه إلى رَمْضاء مكة[4] إذا حميت فيُضجعه على ظهره ، ثم يأمر[5] بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول : لا تزال هكذا حتى تفارقَ دينَ محمد ، فيقول بلال : أحدٌ أحدٌ — فقال بلال حين رآه : رأسُ الكفر أُميةُ بن خلف ، لا نجوتُ إن نجوا ! قال : قلتُ : أيْ بلالُ ، أبأسيري ؟ قال : لا نجوتُ إن نجوا ! قلت : أيْ بلالُ ، أبأسيري تَسمع[6] يا ابنَ السوداء ؟ قال : لا نجوتُ إن نجوا ! ثم صرخ بأعلى صوته : يا أنصارَ الله ، رأسُ الكفر أُميةُ بن خلف ، لا نجوت إن نجوا . قال : فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المَسَكة[7] ! وأنا أذُبّ عنه . قال : فأخلف رجلٌ السيفَ فضرب رِجْلَ ابنه[8] فوقع ، وصاح أميةُ

(١) كذا في الطبري . وفي تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني أن عبدالواحد بن أبي عون يروى عن سعد ابن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف . وقد ورد في الأصول : « ... أبي عون بن سعيد بن إبراهيم الخ » وهو خطأ . (٢) كذا في م وسيرة ابن هشام والطبري . وفي باقي الأصول : « عن أبيه عبد الرحمن » وهو خطأ . (٣) كذا في م والسيرة والطبري . وفي سائر الأصول : « المتعلم » . (٤) كذا في م والسيرة والطبري . وفي سائر الأصول : « رمضاء بمكة » . (٥) كذا في م والسيرة . وفي سائر الأصول : « يأتي » . (٦) كذا في م والتسميع : التشهير ، يقال : سمع بالرجل : أذاع عنه عيبا وندد به وشهره وفضحه . وفي حـ والطبري : « أي بلال تسمع يابن السوداء » . وفي باقي الأصول : « أي بلال أتسمع يابن السوداء » . (٧) كذا في م والسيرة والطبري ، والمسكة (بالتحريك) : السوار . وفي باقي الأصول : « السكة » وهو تحريف . (٨) كذا في السيرة . وفي الأصول : « قال : فضرب رجل أمية فوقع الخ » .

صيحةً ما سمعتُ بمثلها قطُّ ؛ قال قلت : انجُ بنفسك ولا نَجَاءَ (١) ! فوالله ما أُغْنِى عنك شيئا . قال : فهَبَرُوهما (٢) بأسيافهم حتى فرغوا منهما . قال : فكان عبد الرحمن يقول : رحِم الله بلالًا ، ذهب بأَدْراعِى وفَجَعَنى بأسيرىّ .

قتال الملائكة فى غزوة بدر

قال ابن إسحاق حدّثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حُدّث عن ابن عباس قال حدّثنى رجل من بنى غِفَار (٣) قال :

أقبلتُ أنا وابنُ عمّ لى حتى أَصْعَدْنا فى جبلٍ يُشْرِف بنا على بدر، ونحن مشركان ننتظر الوَقْعَةَ على من تكون الدَّبْرة (٤) ، فننهب مع من ينهب ؛ فبينا نحن فى الجبل إذ دنت منّا سحابة ، فسمعنا فيها حَمْحَمَةَ الخيل ، وسمعتُ قائلا يقول : أَقْدِمْ (٥) حَيْزُومُ . قال : فأما ابنُ عمّى فانكشف قِنَاعُ (٦) قلبه فمات مكانَه ! وأما أنا فكدت أهلِك ، ثم تماسكتُ .

قال محمد بن إسحاق حدّثنى أبى إسحاقُ بن يَسَار عن رجال من بنى مازِن بن النجّار عن أبى داود المازنىّ ، وكان شهِد بدرا ، قال :

إنى لأتبع رجلا من المشركين يومَ بدر لأضربَه ، إذ وقع رأسُه قبل أن يصل إليه سيفى ، فعلمت أنه قد قتله غيرى .

---

(١) رواية السيرة : «انج بنفسك ولا نجاء به» . (٢) هبروهما : قطّعوهما . (٣) كذا فى سيرة ابن هشام وتاريخ الطبرى . وفى الأصول : « بنى عفان » . (٤) الدبرة (بالفتح) : العاقبة ؛ يقال : لمن الدبرة أى الدولة والنصر والظفر ، وعلى من الدبرة أى الهزيمة . (٥) أقدم حيزوم : هو أمر بالإقدام ، وهو التقدم فى الحرب ، والإقدام : الشجاعة . وقد تكسر همزة «اقدم» و يكون أمرا بالتقدم لا غير ، والصحيح الفتح من أقدم . وحيزوم : اسم فرس جبريل عليه السلام . (انظر ابن الأثير واللسان مادتى قدم وحزم) . (٦) قناع القلب : غشاؤه ، تشبيها بقناع المرأة .

حدّثنا محمد بن جرير قال حدّثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن الحَكَم المِصْرىّ قال حدّثنا يحيى بن بُكَير قال حدّثنى محمد بن إسحاق عن العَلَاء بن كَثِير عن أبى بكر ابن عبد الرحمن بن المِسْوَر بن مَخْرَمة عن أبى أُمامة بن سَهْل بن حُنَيف قال :

قال لى أبى : يا بُنىّ، لقد رأيتُنا يوم بدر، وإن أحدَنا ليُشير إلى المشرك بسيفه ٥ فيقع رأسُه عن جسده قبل أن يصلَ إليه السيفُ .

لباس الملائكة يوم بدر وحنين

حدّثنا محمد قال حدّثنا ابنُ حُمَيد قال حدّثنا سَلَمةُ عن محمد قال وحدّثنى الحسن بن عمارة قال أخبرنا سَلَمة عن الحَكَم بن عُتَيبة[1] عن مِقْسَم مولى عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن عباس قال :

٣٠/٤

كانت سِيما الملائكة يومَ بدر عمائمَ بِيضًا قد أرسلوها على ظهورهم[2]، ويومَ حُنين ١٠ عمائمَ حُمْرا ، ولم تقاتل الملائكةُ فى يومٍ من الأيام سِوَى يومِ بدر ، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام مَدَدًا وعددا ولا يضرِبون .

مقتل أبى جهل ابن هشام

حدّثنا محمد قال حدّثنا ابنُ حُمَيد قال حدّثنا سَلَمةُ قال : قال محمد وحدّثنى ثور بن زيد[3] مولى بنى الدِّيل[4] عن عِكْرِمة مولى ابنِ عباس عن ابن عباس، قال وحدّثنى عبد الله بن أبى بكر، قالا : كان مُعاذ بن عمرو بن الجَمُوح أخو بنى سَلَمة يقول :

١٥ لما فرغ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم من غزوة بدر أمر بأبى جهل أن يُلْتمَس فى القَتْلَى، وقال : "اللهمّ لا يُعْجِزنّك"، وكان أوّل من لقِى أبا جهل مُعاذ بن عمرو بن الجَمُوح، قال: سمعت القومَ، وأبو جهل فى مثل الحَرَجَة[5]، وهم يقولون : أبو الحكم

(١) كذا فى المشتبه وفى أسماء الرجال للذهبى وتهذيب التهذيب . وفى الأصول : «عيينة» وهو تحريف .
(٢) كذا فى السيرة . وفى الأصول : «فى» . (٣) فى الأصول : «يزيد» والتصويب عن تهذيب التهذيب والطبرى . (٤) كذا فى م . وفى باقى الأصول : «ابن الديل» . (٥) الحرجة ٢٠ بالتحريك : مجتمع شجر ملتف كالغيضة ، والجمع : حرج وحراج .

لا يُخلَص إليه ؛ فلما سمعتُها جعلتها من شأنى، فعمَدت نحوه، فلما أمكننى حملت عليه، فضربتُه ضربة أطَنَّتْ[1] قدمَه بنصف ساقه ، فوالله ما شبّهتُها حين طاحتْ إلا كالنواة تَطيح من تحت مِرْضَخة النوى حين يُضرب بها، قال : وضربنى ابنُه عِكْرِمةُ على عاتِقى فطرَح يدى، فتعلّقتْ بجلدةٍ من جَنْبى، وأَجْهضنى القتالُ عنها ، فلقد قاتلتُ عامّةَ يومى وإنى لأَسحبُها خَلْفى، فلما آذتْنى جعلتُ عليها رجلى ثم تمطَّيْتُ بها حتّى طرحتُها. قال : ثم عاش مُعاذ بعد ذلك حتى كان فى زمن عثمان بن عفّان.

قال: ثم مرّ بأبى جهل، وهو عقِيرٌ[2]، مُعوِّذُ[3] بن عَفْراء، فضربه حتى أَثْبته[4]، فتركه وبه رَمَق، وقاتل معوِّذٌ حتى قُتِل. فمرّ عبد الله بن مسعود بأبى جهل حين أمَر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أن يُلتَمَس فى القَتْلى، وقال لهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فيما بلغنى، : "انظُروا إن خفِىَ عليكم فى القتلى إلى أثرِ جُرْحٍ برُكْبته فإنى آزدحمتُ أنا وهو يومًا على مأْدُبة لعبد الله بن جُدْعان [ونحن غلامان][5] وكنتُ أَشَبَّ — أو أَشَفَّ — منه بيسير فدفعتُه فوقع على ركبتيه فخُدِش [فى][5] إحداهما خَدْشًا لم يَزَلْ أثرُه فيها بعدُ[6]". فقال عبد الله بن مسعود : فوجدتُه بآخر رَمَقٍ فعرَفتُه، فوضعتُ رجلى على عنقه ؛ قال : وقد كان ضَبَث[7] بى مرّةً بمكة فآذانى ولَكَزنى ، ثم قلت : هل أخزاك الله

---

(١) أطنت : قطعت . (٢) كذا فى الطبرى . وورواية النهاية لابن الأثير : «شبهتها النواة تنزو من تحت المراضخ» جمع مرضخة ، وهى حجر يرضخ به النوى ، والرضخ : الكسر . وفى الأصول : «مرضة النوى» ورضّ الشىء : دقه وجرشه . (٣) كذا فى م والسيرة والطبرى، والعقير : المجروح . وفى باقى الأصول : «عفير» بالفاء، وهو تحريف . (٤) أى جرحه جراحة لا يتحرك منها ولا يقوم . (٥) زيادة عن م والسيرة . (٦) كذا فى م . وفى باقى الأصول : «بعده» . (٧) ضبث بالشىء ضبثا : قبض عليه بكفه .

يا عدوّ الله؟ قال : وبماذا أخزانى! أَعْمَدُ[1] من رجل قتلتموه! لمن الدَّبْرةُ اليوم؟ قال: قلت : لله ولرسوله صلّى الله عليه وسلّم .

حدّثنا محمد بن جرير قال حدّثنا ابنُ حُمَيد قال حدّثنا سَلَمة عن محمد قال :

زَعَم رجالٌ من بنى مخزومٍ أن ابن مسعود كان يقول : قال لى أبو جهل : لقد ارتقيتَ يا رُوَيْعِىَ الغنم مُرْتَقًى صعبا؛ ثم احتززتُ رأسه ، ثم جئت به رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقلت : يا رسولَ الله ، هذا رأسُ عدوّ الله أبى جهل؛ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : "آلله الذى لا إله غيره"! ـ وكانت يمينَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ـ قلت : نعم والله الذى لا إله غيره ، ثم ألقيتُ رأسه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : فحمِد اللهَ .

تكليم النبى أصحاب القليب بعد موتهم

قال محمد بن إسحاق وحدّثنى يزيدُ بن رُومَانَ عن عُرْوة بن الزُّبَيْر عن عائشة قالت : لمـا أمَر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بالقَتْلَى أن يُطْرَحوا فى القَليب طُرِحوا فيها إلا ما كان من أُمَيَّة بنِ خَلَف ، فإنه انتفخ فى درعه فملأها ؛ فذهبوا به ليُخرجوه ، فتزايَلَ فأقرّوه[2] وألقَوا عليه ما غيّبه من التراب والحجارة . فلما ألْقَوْهُم فى القَليب ، وقف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : "يأهلَ القَليب هل وجدتُم ما وعَدَكم ربُّكُم حقًّا فإنى وجدتُ ما وعدنى ربّى حقا"؛ فقال له أصحابه : يا رسولَ الله ، أتُكَلِّمُ قومًا

---

(١) أعمد : أى أعجب ، قال أبو عبيد : معناه هل زاد على سيد قتله قومه ! هل كان الا هذا ! أى أن هذا ليس بعار ، يريد أن يهوّن على نفسه ما حلّ به من الهلاك وأنه ليس بعار عليه أن يقتله قومه . وقال شمر : هذا استفهام أى أأعجب من رجل قتله قومه ! قال الأزهرى : كان الأصل أأعمد الخ تخففت إحدى الهمزتين . والمراد بالدبرة : الدولة والظفر كما مرّ فى الحاشية رقم ٤ ص ١٩٨ من هذا الجزء .

(٢) كذا فى السيرة . وفى الأصول : « فأفروه » بالفاء ، وهو تحريف .

موتى؟ قال : "لقد علموا أن ما وعدهم ربُّهم حقّ". قالت عائشة : والناس يقولون : لقد سمعوا ما قلتُ لهم، وإنما قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : "لقد علموا" .

قال ٱبن إسحاق وحدّثنى حُمَيْدٌ الطويل عن أنس بن مالك قال :

لمـا سمع أصحابُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم رسولَ الله صلّى الله عليـه وسلّم وهو يقول من جَوْف الليل : " يأهلَ القَليب يا عُتْبة بنَ ربيعة ويا شَيْبة بنَ ربيعـة ويا أبا جهل بن هشام — فعدّد من كان منهم فى القَليب — هل وجدتم ماوعَدكم ربُّكم حقًّا فإنى قد وجدت ما وعَدنى ربّى حقا" قال المسلمون : يا رسول الله ، أتنادى قومًا قد جَيَّفُوا ! فقال : " ما أنتم بأسمعَ لمـا أقول منهم ولكنهم لا يستطيعون أن يُجيبونى " .

قال محمد بن إسحاق وحدّثنى بعض أهل العلم : أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يومَ قال هـذه المقالةَ قال : " يأهلَ القَليب بئس عشيرةُ النبىّ كنتم لنبيّكم كذّبتمونى وصدّقنى النـاسُ وأخرجتُمونى وآوانى الناسُ وقاتلتُمونى ونصَرنى الناس"؛ ثم قال : "هل وجدتم ما وعَدكم ربّكم حقًّا" للمقالة التى قالها . ولمـا أمر بهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أن يُلْقَوْا فى القَليب ، أُخِذ عُتْبة فسُحِب إلى القليب ، فنظر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فيما بلغنى ، إلى وجه أبى حُذَيفة بن عُتبة ، فإذا هو كئيبٌ قد تغيّر ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : "يا أبا حُذَيفة لعلّك قد دخلَك من شأن أبيك شىء" أوكما قال ؛ قال فقال : لا والله يا رسـول الله ما شككتُ فى أبى ولا فى مَصْرَعه ، ولكنّنى كنت أعرِف من أبى رأيًا وفضلا وحلمـا ، فكنتُ أرجو أن يَهْـدِيَه اللهُ إلى الإسلام ، فلما رأيت ما أصابه وذكرتُ ما مات عليه من الكفر بعد الذى كنتُ أرجو له ، أحزننى ذلك[1] . قال : فدعا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم له بخير وقال له خيرًا .

(١) كذا فى السيرة . وفى الأصول : « فلما رأيت ما أصابه ذكرت ...... فحزننى ذلك » .

اختلاف المسلمين على الفىء

ثم إن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أمر بما فى العسكر مما جَمع الناس فجُمع، وآختلف المسلمون فيه : فقال من جمعه : هو لنا، وقد كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم نَفَّل كلَّ آمرئٍ ما أصاب . فقال الذين كانوا يقاتلون العدوّ ويطلبونهم : لولا نحن ما أصبتموه، لَنحن شَغَلْنا القومَ عنكم حتى أصبتم ما أصبتم . وقال الذين كانوا يحرُسون رسول الله صلّى الله عليه وسلم مخافةَ أن يُخالِف إليه العدو : والله ما أنتم بأحقّ به منّا، ولقد رأينا أن نقتل العدوّ إذ ولّانا اللهُ ومَنَحنا أكتافَهم، ولقد رأينا أن نأخذ المتاعَ حين لم يكن دونه مَن يمنعه، ولكنْ خِفْنا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كَرّةَ العدوّ، فقُمنا دونَه، فما أنتم بأحقّ به منا .

مقتل النضر بن الحارث

قال آبنُ إسحاق وحدّثنى عاصم بن عمر بن قَتَادة ويزيد بن رُومَانَ : أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جمع الأَسَارَى من المشركين، وكانوا أربعةً وأربعين أسيرًا، وكان من القَتْلى مثلُ ذلك، وفى الأسارى عُقْبة بن أبى مُعَيط، والنَّضْر بن الحارث ابن كَلَدة، حتى إذا كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالصَّفْراء، قُتِل النضرُ بن الحارث بن كَلَدة، قتله علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه .

تعنيف سودة لسهيل بن عمرو حين أسر وعتاب النبى لها فى ذلك

قال محمد بن إسحاق حدّثنى عبدالله بن أبى بكر عن يحيى بن عبد الله بن عبدالرحمن آبن سعد[3] بن زُرَارة قال :

---

(١) كذا فى السيرة . وفى الأصول : «قتال» . (٢) أى مخافة أن يأتيه العدوّ فى غيبة أصحابه . (٣) ورد فى الأصول : «أسعد» وهو خطأ، والتصويب عن طبقات ابن سعد (ج ٣ ص ١٣٨ من القسم الثانى طبع أوربا) . قال ابن سعد ما نصه : «وكان لأسعد بن زرارة من الولد حبيبة مبايعة، وكبشة مبايعة، والفريعة مبايعة؛ وأمهم عميرة بنت سهل بن ثعلبة بن الحارث بن يزيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، ولم يكن لأسعد بن زرارة ذكر وليس له عقب إلا ولادات بناته هؤلاء، والعقب لأخيه سعد بن زرارة» .

٣٢
٤

قُدِم بالأسارى حين قُدِم بهم، وسَوْدة بنت زَمْعة (زوج النبيّ صلّى الله عليه وسلّم) عند آل عَفْراء فى مَنَاحَتهم على عَوْف ومُعَوِّذ ابنَىْ عفراء، وذلك قبل أن يُضرَب عليهنّ الحجاب؛ قال: تقول سَوْدة: والله إنى لعندهم إذ أُتِينا، فقيل: هؤلاء الأسارى قد أُتى بهم، فرُحْتُ إلى بيتى ورسول الله صلى الله عليه وسلّم فيه، وإذا أبو يَزِيدَ سُهَيلُ بنُ عمرو فى ناحية الحُجْرة مجموعةً يداه إلى عُنُقه بحَبْل؛ قالت: فوالله ما ملكتُ نفسى حين رأيت أبا يزيد كذلك أن قلت: يا أبا يزيد، أعْطَيتم بأيديكم، ألَّا مُتّم كِرَاما! فوالله ما أنبهنى إلّا قولُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من البيت: "يا سَوْدة أَعَلَى اللهِ وعلى رسولِه"! قالت فقلت: يا رسول الله، والذى بعثك بالحقّ ما ملكتُ نفسى حين رأيت أبا يزيد مجموعةً يداه إلى عنقه بحبل أن قلتُ ما قلت.

إخبار الحيسمان أهل مكة عن قتلى بدر

قال محمد بن إسحاق: وكان أوّلُ من قدِم مكةَ بمُصَاب قريش، الحَيْسُمانُ[1] ابنَ عبد الله بن إياس بن ضُبَيْعة بن رُومَان بن كعب بن عمرو الخُزَاعىّ؛ قالوا: ماوراءك؟ قال: قُتِل عُتْبة بن رَبيعة، وشَيْبة بن رَبيعة، وأبو الحَكَم بن هِشَام، وأُميّة بن خَلَف، وزَمْعَة بن الأسود، وأبو البَخْتَرِىّ بنُ هشام، ونُبَيه ومُنبِّه ابنا الحَجّاج؛ قال: فلمّا جعل يُعدِّد أشرافَ قريش قال صَفْوانُ بن أُميّة وهو قاعدٌ فى الحِجْر: والله إن يَعْقِل هذا فسَلُوه عنّى؛ قالوا: ما فعل صَفْوان بن أُميّة؟ قال: هو ذلك جالس فى الحِجْر، وقد والله رأيتُ أباه وأخاه حين قُتلا.

(١) كذا فى تاريخ الطبرى (ص ١٣٣٨ من القسم الأول طبع أوربا) وسيرة ابن هشام (ص ٤٦٠) وشرح القاموس مادة «حسم». وفى الأصول: «الحيثمان» بالثاء المثلثة وهو تحريف. ثم ذكر الطبرى خلافا فى نسب الحيسمان هذا فقال: «وقال الواقدىّ: الحيسمان بن حابس الخزاعى». وفى الاشتقاق لابن دريد (ص ٢٨٠): «الحيسمان بن عمرو». وفى أسد الغابة: «الحيسمان بن إياس بن عبد الله بن إياس بن ضبيعة بن عمرو بن مازن». وذكر فى الإصابة فى نسبه أقوالا كثيرة فراجعها.

أبو لهب وتخلفه عن الحرب ثم موته

قال محمد بن إسحاق حدّثني حُسين بن عبد الله بن عُبيد الله بن عباس عن عِكْرِمة[1] مولى ابن عباس قال :

قال أبو رافع مولى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب ، وكان الإسلام قد دَخَلَنا أهلَ البيت، [فأسلم العباسُ][2] وأسلمتْ أمّ الفضل، وأسلمتُ، وكان العباسُ يَهاب قومَه، ويكره خِلافَهم، وكان يكتُم إسلامَه، وكان ذا مالٍ كثير متفرّق فى قومه، وكان أبو لَهَب عدوُّ الله قد تخلّف عن بدر ، وبعث مكانَه العاصيَ بن هشام بن المُغيرة، وكذلك صنعوا، لم يتخلّف رجل إلّا بعث مكانَه رجلا؛ فلما جاء الخبر عن مُصاب أهل بدر من قريش، كَبَتَه الله وأخزاه، ووَجَدْنا فى أنفسنا قوّة وعزّا ؛ وكنت رجلا ضعيفا ، وكنت أعمل القِدَاح أنحتها فى حُجْرة زَمْزم، فوالله إنى لجالس فيها أنحَتُ القِدَاحَ ، وعندى أمّ الفضل جالسة وقد سرّنا ماجاءنا من الخبر ، إذ أقبل الفاسق أبو لهب يجرّ رجليه يسير[3] حتى جلس على طُنُب الحُجْرة، فكان ظهرُه إلى ظهرى، فبينا هو جالس إذ قال الناس : هذا أبو سفيانَ بنُ الحارث بنِ عبد المطلب قد قدِم؛ فقال أبو لَهَب : هلمّ إلىّ يابنَ أخى، فعندك لعَمْرِى الخبرُ؛ فجلس إليه والناس قيامٌ عليه؛ فقال يابنَ أخى أخبرْنى كيف كان أمرُ الناس ؟ قال : لا شىء والله، إنْ كان إلّا أن لَقيناهم فأَمْنحناهم أكتافَنا يقتُلون ويأسِرون كيف شاءوا، وأيمُ الله مع ذلك مالُمْتُ الناس، لقينا رجالًا بِيضًا على خَيْل بُلْقٍ بين السماء والأرض ما تُليق[4] شيئًا ولا يقوم لها شىء . قال أبو رافع : فرفعت طُنُبَ الحُجْرة بيدى، ثم قلت : تلك والله الملائكة، فرفع أبو لَهَب

(١) كذا فى سيرة ابن هشام . وفى سائر النسخ : «عن عكرمة بن إسحاق مولى ابن عباس» وهو من تحريف النساخ . (٢) الزيادة عن السيرة . (٣) فى السيرة : «بشرّ» .

(٤) ما تليق شيئا : ما تبق على شىء ، يقال : هذا سيف لا يليق شيئا أى لا يمرّ بشىء إلا قطعه . وفى ب ، حـ : «ما تلين» ، وهو تحريف .

يده فضرب وجهى ضربةً شديدة؛ قال : فساورتُه فاحتملنى فضرب بى الأرض، ثم برك علىّ يضربنى، وكنت رجلا ضعيفا؛ فقامت أمّ الفضل إلى عمود من عُمُد الحجرة فأخذته فضربته به ضربة، فشجّت فى رأسه شجّة منكرة وقالت: أتستضعفه أنْ غاب عنه سيّده ! فقام مُولّيا ذليلا، فوالله ما عاش فيها إلا سبعَ ليالٍ حتى رماه الله جلّ جلاله بالعَدَسة[1] فقتلته، فلقد تركه ابناه ليلتين أو ثلاثا لا يدفنانه حتى أنتن فى بيته — وكانت قريش تتّقى العَدَسة كما يُتّقى الطاعون — حتى قال لهما رجل من قريش: وَيْحكما! لاتستحييان أنّ أباكما قد أنتن فى بيته لا تُغيّبانه ! فقالا: نخشى هذه القَرْحةَ ! قال : فانطلقا فأنا معكما ، فما غسّلوه إلا قَذْفًا بالماء عليه من بعيد ما يمسّونه ؛ فاحتملوه فدفنوه بأعلى مكّةَ على جدار ، وقذفوا عليه الحجارة حتى واروه .

العباس بن عبد المطلب وتألم النبي لأسره

قال محمد بن إسحاق وحدّثنى العبّاس بن عبد الله بن مَعْبَد عن بعض أهله عن الحَكَم ابن عيينة[2] عن ابن عبّاس قال :

لما أمسى القومُ من يوم بدر ، والأسارَى محبوسون فى الوَثاق ، بات رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ساهرًا أوّلَ ليلته ؛ فقال له أصحابه : يا رسول الله، ما لك لا تنام ؟ فقال : " سمعت تضوّر العبّاس فى وَثاقه " ؛ فقاموا إلى العبّاس فأطلقوه، فنام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

قال ابن إسحاق وحدّثنى الحسن بن عُمارة عن الحَكَم بن عيينة[2] عن ابن عبّاس قال:

كان الذى أسَر العبّاسَ أبو اليَسَر كعبُ بن عمرو أخو بنى سَلِمَة، وكان رجلا مجموعا، وكان العبّاس رجلا جسيما . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى اليَسَر:

(١) العدسة : بثرة قاتلة تخرج بالبدن . (٢) فى م : « عتيبة » .

"كيف أَسَرتَ العبّاسَ يا أبا اليَسَر"؟ فقال : يا رسول الله، أعانني عليه رجل ما رأيته قبل ذلك ولا بعده، هيئته كذا وكذا ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقد أعانك عليه مَلَك كريم" .

طلب منه النبي الفداء وأخبره عن أمواله بمكة

قال ابن إسحاق عن الكَلْبيّ (١) عن أبي صالح عن ابن عبّاس :

٥ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعبّاس بن عبد المطّلب حين انتهى به إلى المدينة : "يا عبّاس افْدِ نفسَك وابنَ أخيك عَقيلَ بن أبي طالب ونَوْفَل ابن الحارث وحليفَك عُتْبَةَ بن عمرو بن جَحْدَم أخا بني الحارث بن فِهْر فإنك ذو مال"؛ فقال : يا رسول الله، إني كنت مسلما ولكن القوم استكرهوني؛ فقال: "الله أعلم بإسلامك ، إن يكن ما تذكر حقًّا فالله يَجْزيك به ، فأما ظاهر أمرك فقد

١٠ كان علينا فافْدِ نفسَك" . وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قد أخذ منه عشرين أُوقيَّةً من ذهب ؛ فقال العبّاس : يا رسولَ الله، احسُبْها لي في فِدائي ؛ قال : "لا، ذلك شيءٌ أعطاناه الله منك" ؛ قال : فإنه ليس لي مال ؛ قال : "فأين المال الذي وضَعتَه بمكة حين خرجتَ من عند أمِّ الفضل بنت الحارث ليس معكما أحد ثم قلتَ لها إن أُصِبتُ في سَفْرتي هذه فلِلفضل كذا ولعبد الله كذا ولقُثَم كذا

١٥ ولعُبَيد الله كذا"؟ قال : والذي بعثك بالحقّ ما علم هذا أحدٌ غيري وغيرُها ، وإني لأعلم أنك رسول الله، ففَدَى العبّاسُ نفسَه وابنَ أخيه وحليفَه .

---

(١) كذا في أكثر الأصول والطبري . وفي س : « عن ابن الكلبي » ، والذي يروي عنه ابن إسحاق ، كما في الأنساب للسمعاني ، هو محمد بن السائب الكلبي ومحمد هذا يسميه الرواة كثيرا "الكلبي" . وفي بعض الأحيان "ابن الكلبي" . وأما هشام ابنه فيعرف بالكلبي قولا واحدا ولم نعرف أن ابن إسحاق

٢٠ روى عنه .

فدت زينب زوجها أبا العاصى فرد عليها النبى الفداء

قال ابن إسحاق : وحدّثنى يحيى بن عَبّاد[1] بن عبد الله بن الزُّبير عن أبيه عن عائشة قالت :

لما بعث أهلُ مكة فى فداء أسراهم، بعثت زينبُ بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى فداء أبى العاصى بن الرَّبيع بمال، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجةُ أدخلتها بها على أبى العاصى حين بنَى عليها؛ فلما رآها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم رَقّ لها[2] رِقّةً شديدة وقال : " إن رأيتم أن تُطلقوا لها أسيرَها وتَردّوا عليها الذى لها فافعلوا "؛ فقالوا : نعم يا رسول الله، فأطلقوه وردّوا عليها الذى لها .

٣٤/٤

رثاء الأسود بن المطلب لأولاده

قال ابن إسحاق : حدّثنى يحيى بن عَبّاد عن أبيه قال :

ناحت قريشٌ على قتلاها، ثم قالت : لا تفعلوا فيبلغَ ذلك محمدًا [وأصحابَه][3]، فيَشْمَتوا بكم، ولا تبعثوا فى فداء أسراكم حتى تيأسوا[4] منهم، لا يتأرّب[5] عليكم محمد وأصحابُه فى الفداء . قال : وكان الأسودُ بن المُطّلب[6] قد أصيب له ثلاثةٌ من ولده، زَمْعة[7] وعَقيلٌ والحارث، بنو الأسود، وكان يُحبّ أن يبكى على بَنيه؛ فبينا هو

(١) كذا فى م والسيرة (ص ٤٦٥) والطبرى (قسم أوّل ص ١٣٤٧) وفيما سيأتى فى الصفحة التالية فى جميع الأصول . وفى باقى الأصول هنا : «محمد بن عباد» ومحمد بن عباد هذا هو أخو يحيى بن عباد ولم تعرف لابن إسحاق رواية عنه . (٢) كذا فى السيرة لابن هشام (ص ٤٦٥ طبع أوروبا) . وفى الأصول : «فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها رسول الله صلى الله عليه وسلم رقة الخ» ولعل ذلك تكرير من الناسخ . (٣) زيادة عن س . (٤) كذا فى س . وفى ب، حـ : «حتى يستأنسوا بهم» . وفى الطبرى (قسم ١ ص ١٣٤٢) والسيرة (ص ٤٦١) : «حتى تستأنوا بهم» . والاستأنى : تربص وانتظر . (٥) كذا فى الطبرى . ويتأرب : يتأبى ويتشدّد . وفى السيرة واللسان مادة أرب : «لا يأرب» وأرب : تشدّد . وفى سائر الأصول : «ولا يتأرب» بالواو . (٦) كذا فى السيرة وهو الموافق لما فى حماسة أبى تمام (ص ٣٩٧ — شرح التبريزى طبع أوربا) والاشتقاق لابن دريد . وفى الأصول والطبرى : «ابن عبد يغوث» وهو خطأ . (٧) انظر الحاشية رقم ٥ ص ١٨٠ من هذا الجزء .

كذلك إذ سمع نائحةً فى الليـل ، فقـال لغلامه وقد ذهب بصره : أُنظُر هل أُحلّ النَّحيبُ وهل بكت قريشٌ على قتْلاها ؟ لعـلّى أبكى على أبى حَكيمة (يعنى زَمْعَة) فإن جوفى قد احترق ؛ فلما رجَع إليه الغلام قال : إنما هى امرأة تبكى على بعيرٍ لهـا أضلّته ؛ فذلك حين يقول الأَسْود :

أتبكى أنْ أُضِلَّ لها بعيرٌ * ويمنَعُها البكاءُ من الهجود (١)

ولا تَبْـكى على بَكْرٍ (٢) ولـكنْ * على بدر تقاصرتِ الجُـدُودُ (٣)

على بدرٍ سراةَ بنى هُصَيْصٍ (٤) * ومخزومٍ ورهط أبى الوليـدِ

وبكِّى (٥) إن بكيْتِ على عَقيلٍ * وبكِّى حارثًا أسـدَ الأُسودِ

وبكِّيهم ولا تُسْمِى جميعًـا * فـا لأبى حَكيمةَ من نَديدِ

ألا قد سَاد بعـدهمُ رجالٌ * ولولا يومُ بدرٍ لم يسـودوا

(١) هذا البيت فى حماسة أبى تمام والسيرة ص ٤٦٢ والطبرى هكذا :

أتبـكى أن يضـلّ لها بعير * ويمنعها من النـوم السهودُ

وذُكر فى الحماسة مع هذا البيتِ البيتُ الثانى والأخير من هذه الأبيات ، وهما البيتان المتفقان معه فى حركة الروىّ . (٢) فى الحماسة والطبرى والسيرة : «فلا ......الخ» . (٣) البكر : الفتىّ من الإبل . وتقاصرت الجـدود أى تواضعت الحظوظ ، يريد أنه يستهين فقد المال ويستعظم فقد النفوس . وتقاصرت : تفاعلت من القصور والعجز ، كأنها تبارت فى القصور . ويحتمل أن تكون من القصر الذى هو ضـد الطول ، وتكون كلمة "على" من "على بدر" موضوعة موضع الباء ، كما يقال : هم على ماء كذا وهم بماء كذا . وقال أبو هلال : تقاصرت الجدود : عثرت ، والعاثر يتطأطأ عند العثار فيتقاصر . والعثار فى الجدّ مثل ، وكذلك التقاصر . ويجوز أن يقال : إنه أراد بالجـدود الأعمار أى أنه قتل من قتل من المشركين فذهب بهـم عز قريش ، أى لا تبكى على بكر وابكى على من تقاصرت جدودهم ببدر فهلكوا . (عن شرح الحماسة للتبريزى باختصار) . (٤) سراة : جمع سرى وهو السيد الكريم . (٥) بكّاه بالتضعيف كبكاه المخفف .

رثاء هند بنت عتبة أباها

ومما قيل فى بدر من الشعر وغُنِّىَ به قولُ هند بنت عُتْبة ترثى أباها :

صــــوت

مَنْ حَسَّ[1] لى الأخَوينِ كالـ * ـغُصنين أو مَنْ رَاهُمَا[2]

قَرْمانِ[3] لا يتظالما * نِ ولا يُـــرامُ حِماهمـا

وَيْــلِى على أبَوَىَّ والـ * ـقبرِ الذى وَارَاهُمـا

لا مثـــلُ كهلى فى الكهو * لِ ولا فتًى كفَتَاهما

— ذكر الهِشَامىّ أن الغناءَ لابن سُرَيج رَمَلٌ، وفى الكتاب الكبير المنسوب إلى إسحاق أنه للغَرِيض — وتمام هذه الأبيات :

أَسَـدانِ لا يَتَـذلَّلا * ن ولا يُــرامُ حِماهمـا

رُمْحينِ خَطِّيَّيْن فى * كَبِدِ السماء تراهمـــا

ما خلَّفـا إذ وَدَّعَا * فى سُـودَدٍ شَرْواهمـا[4]

سـادَا بغــير تكلُّفٍ * عفــوًا يَفِيضُ نَدَاهما

معاظمتها الخنساء بعكاظ وشعرهما فى مصابهما

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنى الحارث بن أبى أُسَامة قال حدّثنا محمد بن سعد عن الواقدىّ ، وأخبرنى ابن أبى الأزْهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الواقدىّ عن عبد الرحمن بن أبى الزِّنَاد قال :

لمـا كانت وَقْعةُ بدر، قُتِل فيها عُتْبة بن رَبيعة، وشَيْبةُ بن رَبيعة، والوَليدُ بن عُتْبة ؛ فأقبلتْ هند بنت عتبة تَرْثيهم ، وبلغها تَسْويمُ[5] الخنساءِ هَوْدَجَها فى المَوْسم

(١) حسّ من باب نصر كأحسّ . (٢) أصل راهما : رآهما ، خففت فيه الهمزة على حدّ : لا هناكِ المرتع ، فاجتمعت ألفان ، فحذفت احداهما لالتقاء الساكنين . (انظر اللسان مادة رأى) . (٣) القرم : السيد العظيم . (٤) شرواهما : مثلهما . (٥) سوّم الشىء : جعل له سومة وعلامة ليعرف بها ويتميز .

ومعاظمتُها العربَ بمصيبتها بأبيها عمرو بن الشَّريد وأخويها صَخْرٍ ومُعَاوية ، وأنها جعلتْ تَشْهَد الموسِمَ وتَبكيهم، وقد سَوّمت هودجَها براية، وأنها تقول : أنا أعظمُ العرب مصيبةً ، وأن العرب قد عرَفت لها بعضَ ذلك؛ فلمّا أُصيبت هند بما أُصيبت به وبلغها ذلك، قالت : أنا أعظمُ من الخنساء مصيبةً، وأمرتْ بهودجها فسُوِّم براية ، وشهِدتِ الموسمَ بعُكَاظ ، وكانت سوقاً يجتمع فيها العرب، فقالت : اقرِنوا جَمَلى بجمل الخنساء، ففعلوا؛ فلما أن دَنَتْ منها، قالت لها الخنساء : من أنت ياأُخيّةُ؟ قالت : أنا هند بنت عُتْبة أعظم العرب مصيبةً، وقد بلغنى أنك تُعاظمين العربَ بمصيبتك، فبِمَ تُعاظمينهم ؟ فقالت الخنساء : بعَمْرو بن الشَّريد، وصخر ومُعاوية ابنَى عمرو ، وبِمَ تُعاظمينهم أنتِ ؟ قالت : بأبى عُتْبةَ بن ربيعة ، وعمّى شَيْبةَ بنِ ربيعة ، وأخى الوليد؛ قالت الخنساء : أوَ سَوَاءٌ هم عندكِ ؟ ثم أنشدتْ تقول :

أُبَكِّى أبى عمراً بعينٍ غزيرةٍ * قليلٍ إذا نام الخَلِىُّ هُجودُها
وصِنْوَىَّ لا أنسَى مُعاويةَ الذى * له من سَرَاةِ الحَرَّتين[1] وُفودُها
وصَخْراً؛ ومن ذا مثلُ صخرٍ إذا غدَا * بساهمةِ الآطال[2] قُبًّا يقودُها
فذلكِ يا هندُ الرَّزِيّةُ فاعلمِى * ونيرانُ حربٍ حين شَبَّ وَقودُها

(١) الحرّة : الأرض ذات الحجارة السود النخرة . والمراد بالحرّتين : حرة بنى سليم وحرة بنى هلال بالحجاز . أى هو مقصد الأشراف من القبائل تأتيه وفودها فيما يلم بها . (٢) كذا فى ديوان الخنساء (طبع المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين سنة ١٨٩٥) . والساهمة : الدقيقة . والآطال : جمع إطل (بالكسر وبكسرتين) وهو الخاصرة . وفى م : «بسلهبة الآطال» والسلهبة : من الخيل الطويلة على وجه الأرض . وفى سائر الأصول : «الأبطال» وهو تحريف . وفى نسخة مخطوطة من الديوان محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٥٧٠ أدب ص ٨٦) : «بساهمة الأبصار قبّ» . والقب : جمع أقب أو قباء، وهى الفرس الدقيقة الخصر الضامرة البطن .

فقالت هند تجيبها :

أُبَكِّى عَمِيدَ الأبطحين[1] كليهما * وحاميهما من كل باغ يُريدُها

أبى عُتْبَةَ الخيراتِ وَيْحَكِ فاعلمى * وشيبةُ والحامى الذِّمَار وليدُها

أولئك آلُ المجدِ من آل غالبٍ * وفى العِزّ منها حين ينمى عديدُها[2]

وقالت لها أيضا يومئذ :

مَنْ حَسَّ لى الأخوين كالـ * ـغُصْنين أومَنْ راهما

لم ينكر معاويةُ على عبد الله بن جعفر سماعه الغناء

أخبرنى الحُسَين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثنى بعضُ القُرشيّين قال:

قدِم عبد الله بن جعفر على مُعاوية وافدًا، فدخل عليه إنسان ثم ذهب إلى معاوية فقال : هذا ٱبن جعفر يشرب النَّبيذَ، ويسمَع الغناءَ، ويُحرّك رأسَه عليه؛ فجاء مُعاويةُ مُتغيّرًا حتى دخل على ٱبن جعفر، وعَزّةُ المَيْلاءُ بين يديه كالشمس الطالعة فى كِوَاء[3] البيت يُضىء بها البيتُ، تُغنّيه على عودها :

تَبِلَتْ[4] فؤادَكَ فى الظلام خَريدةٌ * تَشْفِى الضَّجيعَ ببارد بَسَّامِ

و بين يديه عُسٌّ[5]؛ فقال : ما هذا يا أبا جعفر؟ قال : أقسمتُ عليك يا أمير المؤمنين لتَشربنّ منه، فإذا عَسَلٌ مجدوحٌ[6] بمسك وكافور! فقال : هذا طَيِّب؛ فما هذا الغناء؟ قال : هذا شعر حَسّان بن ثابت فى الحارث بن هشام؛ قال : فهل تُغنّى بغير هذا؟

(١) عميد القوم : سندهم وسيدهم . وتريد بالأبطحين : بطحاء مكة وسهل تهامة . وأصل الأبطح : المسيل الواسع فيه دقاق الحصى . (٢) عديدها : جموعها . (٣) كواء البيت : منافذه وثقوبه ، واحده كوة . وفى م : « كسر البيت » . وفى باقى الأصول : « كداء البيت » بالدال المهملة وهو تحريف . (٤) ورد هذا البيت فى ديوان حسان (طبع أوربا ص ٣) هكذا :

تبلت فؤادك فى المنام خريدة * تسقى الضجيع ببارد بسام

وتبلت فؤادك : أسقمته وذهبت به . (٥) العس (بالضم) : القدح الكبير . (٦) مجدوح : مخلوط .

قال : نعم ، بالشعر الذى يأتيك به الأعرابىّ الجافى الأذفر[1] ، القبيحُ المنظر ، فيُشافهك به ، فتُعطيه عليه ، وآخذه أنا ، فأختار محاسنَه ورقيقَ كلامه ، فأعطيه هذه الحَسَنةَ الوجه ، اللّينــةَ اللمس ، الطّيّبةَ الريح ، فتُرتّله بهــذا الصوت الحسن . قال : فمــا تحريكُكَ رأسَــك ؟ قال : أَرْيَحِيَّــةٌ أجدُها إذا سمعتُ الغناء ، لو سُئلت عنــدها لأَعطيتُ ، ولو لقيتُ لأَبليتُ ؛ فقال معاوية : قبّح الله قوماً عرّضونى لك ، ثم خرج وبعث اليه بصِلَة .

٣٦/٤

صـــــوت

من المـائة المختــارة

عمر بن أبى ربيعة ونعـــم

أيُّهــا القلبُ لا أراكَ تُفيــقُ * طالَمَــا قــد تَعلّقَتْــكَ العَــلُوقُ[2]

مَنْ يكن مِنْ هَوَى حبيبٍ قريبًا * فأنا النازحُ البعيــدُ السَّــحيقُ

قُضِىَ الحبُّ بيننــا فالتقينــا * وكِلَانا إلى اللقــاء مَشُــوقُ

الشعر فى البيت الأوّل والثالث لعمر بن أبى ربيعــة ، والبيت الثانى ليس له ، ولكن هكذا غُنِّىَ ؛ وليس هو أيضا مُشاكِلًا لحكاية ما فى البيت الثــالث . والغناء لِبَابُويَه[3] الكوفىّ ، خفيفُ ثقيلٍ أوّل . وهذا الشعر يقوله عمر بن أبى ربيعة فى آمرأة من قريش ، يقال لهــا نُعْم ، كان كثيرَ الذّكر لها فى شعره . أخبرنى بذلك محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان عن أبى عبــد الله التَّيمىّ عن القَحْذَمِىّ والمدائنىّ ، قال : وهى التى يقول فيها :

* أمن آلِ نُعْمٍ أنت غادٍ فمُبْكِرُ *

(١) الجافى : الغليظ فى المعاشرة . والأذفر بالدال المهملة : النتن . (٢) يريد به ما علقه من كلف الحب وجهده . (٣) فى الأصول : «لباتويه» بالتاء المثناة وهو تصحيف .

قال: وكانت تُكْنَى أمّ بَكْر، وهى من بنى جُمَح. وتمام هذه الأبيات على ما حكاه ابن المَرْزُبان عمّن ذكرت:

فالتقينا ولم نَخف ما لقينا * ليلةَ الخَيْف، والمُنَى قد تَشُوق[1]

وجَرَى بيننا لجِدّدَ وصلا * قُلَّبٌ حُوَّلٌ[2] أريبٌ رفيقُ

لا تَظُنّى أنّ التراسلَ والبَذْ * لَ لكلّ النساء عندى يَلِيقُ

هل لكَ اليومَ إن نأتْ أمُّ بَكْرٍ * وتولّتْ إلى عزاءٍ طريقُ

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حُدّثت عن محمد بن حُمَيد عن عبد الله ابن سَوّار القاضى عن بِشْر بن المُفضّل قال:

بلغ عمرَ بن أبى رَبيعة أن نُعْمًا آغتسلت فى غَدِيرٍ، فأتاه فأقام عليه، وما زال يشرب منه حتى جفّ.

أخبرنى محمد بن خَلَف قال قال محمد بن حَبِيبَ الراويةُ:

بلغنى أن نُعْمًا آستقبلتْ عمرَ بن أبى ربيعة فى المسجد الحرام، وفى يدها خَلُوق[3] من خَلُوق المسجد، فمسحتْ به ثوبَه، ومضتْ وهى تضحك؛ فقال عمر:

أدخل اللهُ ربُّ موسَى وعيسى * جنّةَ الخُلدِ مَنْ مَلَانِى خَلُوقَا

مَسَحتْه من كفّها فى قميصى * حين طافتْ بالبيت مسحًا رفيقَا

غَضِبَتْ أَنْ نظرتُ نحوَ نساءٍ * ليس يَعرِفْننى سلَكْنَ طريقَا

وأرى بينها وبين نساءٍ * كنتُ أَهْذِى بهنّ بَوْنًا سَحيقَا

وهذا البيت الأوّل مما عِيب على عمر.

(١) كذا فى أكثر الأصول. وفى م وجميع نسخ ديوانه: «تسوق» بالسين المهملة.

(٢) القلب الحوّل: المحتال البصير بتقليب الأمور. (٣) الخلوق: ضرب من الطيب مائع فيه صفرة لأن أعظم أجزائه من الزعفران.

ومما غُنِّيَ فيه من تَشْبيب عمرَ بنُعْم هذه :

صـــــوت

دِينَ(١) هذا القلبُ من نُعْمِ * بسَـــقَامٍ(٢) ليس كالسُّقْمِ
إنّ نُعْماً أَقْصَدَتْ(٣) رجلًا * آمِنـا بالخَيْف إذ تَرْمِى
بشَتِيتٍ(٤) نَبْتُـه رَتِـــلٍ * طيِّبِ الأنيابِ والطَّعْمِ
وبوَحْفٍ(٥) مائــلٍ رَجِلٍ * كعناقيــدَ مِنَ الكَرْمِ

ومنهـا :

صـــــوت

خليـلَيَّ ٱرْبَعـا(٦) وسَـلَا * بمَغْـنَى الحىِّ قد مَثَـلَا
بأعلى الوادِ(٧) عنـــد البئـ * ـر هَيَّجَ عَـبْرةً سَـبَلا(٨)
وقــد تَغْــنَى به نُـعْمٌ * وكنتُ بوصلهـا جَذِلَا

---

(١) دين : جوزى وكوفئ . (٢) كذا فى اللسان (مادة دين) . وفى الأصول : «وسقام» بواو العطف . وورد هذا البيت فى ديوان عمر بن أبى ربيعة (ص ٥٧ طبع المطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣١١ هـ وطبع أوربا ص ٨٤) هكذا :

قد أصاب القلب من نعم * سقم داء ليس كالسقم

(٣) أقصده : أصابه فقتله . (٤) الثغر الشتيت : المفلج، وهو أن يكون بين أسنانه تباعد. ورتل (وزان كتف وسبب) : مستو حسن التنضيد . (٥) الوحف : الشعر الكثيف المسودّ. والرجل من الشعر (بفتح الراء وكسر الجيم، ومثله الرجل بفتح الراء والجيم) : ما كان بين السبوطة والجعودة . (٦) اربعا : أقيما . ومغنى الحىّ : محل إقامتهم . ومثل : قام وانتصب . (٧) الوادى : كل منفرج بين الجبال والتلال والآكام يكون مسلكا للسيل ومنفذا . وربما اكتفى فيه بالكسرة عن الياء، كما قال أبو الرُّبَيس التغلبىّ :

لاصلح بينى فاعلموه ولا * بينكم ما حملت عاتق
سيفى وما كنا بنجـد وما * قرقر قُمْرُ الوادِ بالشاهق

(٨) سبل (بالتحريك) : اسم المصدر من أسبل المطرُ والدمع اذا هطلا، ولذلك لا يؤنث ولا يثنى ولا يجمع اذا وصف به .

لَيَالِىَ لا نُحِبُّ لنـــا * بعَيْشٍ قـد مضَى بدَلَا

وتَهْـــوانا ونَهْـواهَــا * ونَعْصِى قولَ من عَذَلَا

وتُرْسِــلُ فى مُلَاطفةٍ * ونُعْمِل نحوهــا الرُّسُــلَا

غنّاه الهُذَلِىّ، ولحنُه من القَدْر الأوسط من الثّقيــل الأوّل بالسبّابة فى مجــرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لابن سُرَيج لحنان : رَمَلٌ بالبِنْصر فى مجراها عن إسحاق، وخفيفُ ثقيلٍ بالوُسْطَى عن عمرو . وفيها عن إسحاق ثانى ثقيــل، ولسُلَيم خفيفُ رَمَلٍ، جميعا عن الهِشَامىّ، قال: و يقال: إن اللحنَ المنسوب إلى سُلَيم لحَكَمٍ(١) الوادِى .

ومنها من قصيدة أوّلها :

لقـــد أرسلتْ نُعْمٌ إلينا أنِ ٱئْتِنَـا * فأحبِبْ بهــا من مُرْسِلٍ مُتغضِّبِ

يُغنَّى منها فى قوله :

صـــــوت

فقلتُ لجَنَّادٍ خُذِ السيفَ وٱشتمِلْ * عليه برفقٍ وٱرقُبِ الشمسَ تَغْرُبِ

وأَسْرِجْ لِىَ الدّهْماءَ وٱعجَلْ بمِمْطَرِى(٢) * ولا تُعلِمنْ حيًّا من النـاس مَذْهبِى(٣)

فلما ٱلتقينـا سـلّمتْ وتبسّمتْ * وقالت مَقَـالَ المُعْرِض المُتجنِّبِ

أمن أجـــل واشٍ كاشحٍ(٤) بنَميمةٍ * مشَى بيننا صدَّقتَــه لم تُكذِّبِ

وقَطّعتَ حبلَ الوصل منّا ومن يُطِعْ * بذى وُدّه قولَ المحــرِّش(٥) يُعتَبِ

(١) فى م : «لسليان» . وفى باقى الأصول : «لسليم الوادى» . (٢) المطر والممطرة (بكسر الميم فيهما) : ثوب من صوف يلبس فى المطر يتوقى به منه . (٣) هذه رواية الديوان، فى هذا الشطر وفى الأصول :

* ولا يعلمن حىّ من النـاس مذهبى *

وفى هذه الأبيات اختلاف يسير عما فى الديوان . (٤) الكاشح : العدوّ المضمر للعداوة، لأنه يطوى كشحه على العداوة أو لأنه يتباعد عنك و يوليك كشحه . (٥) كذا فى ح . والمحرّش : الذى يغرى بعض القوم ببعض . وفى باقى الأصول : « المؤرش » . وهو من أرّش بين القوم اذا أفسد .

صـــــوت

ما بالُ أهلِكِ يا رَبابُ * خُزْرًا[1] كأنّهـمُ غِضَابُ
إن زُرْتُ أهلَكِ أوعَدُوا * وتَهِـرّ دونهمُ الكلابُ[2]

عروضه من الكامل[3] . الشعر لعَلَس ذى جَدَن الحِمْيَرِىّ، أخبرنا بذلك محمد بن الحَسين بن دُرَيد عن عمّه عن العبّاس بن هشام عن أبيه . والغناء لطُوَيس؛ ولحنه المختار خفيفُ رملٍ بالبِنصر .

نسب عَلَس ذى جَدَن وأخبارُه

نسبه وسبب لقبه

هو عَلَس بن زيد بن الحارث بن زيد بن الغَوْث بن سعد بن عَوْف بن عَدِىّ بن مالك ابن زيد الجمهور[4] بن سهل بن عمرو بن قَيْس بن مُعاوية بن جُشَم بن عبد شمس بن وائل بن الغَوْث بن قَطَن بن عَرِيب بن زُهير بن أعز[5] بن الهمَيْسَع بن حِمْيَر ابن سَبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان . وهو ملك من ملوك حِمْيَر، ولُقّب ذا جَدَن لحسن صوته، والجَدَن : الصوت بلغتهم؛ ويقال : إنه أوّل من تَغَنّى باليمن .

أخبرنى الحسن بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن ابن الكلبىّ وأبى مِسْكين قالا : إنما سُمّى ذا جدن لحسن صوته .

---

(١) خزرا : جمع أخزر، والأخزر : الذى ينظر بلحظ عينه . (٢) كذا فى س . وفى باقى الأصول : «كلاب» بدون أل . (٣) هو من مجزوء الكامل المرفل . (٤) فى نهاية الأرب (ج ٢ ص ٣٠٨ طبعة أولى) عند كلامه على نسب أحد ولد الهميسع بن حمير : «... زيد ابن الغوث بن سعد بن عوف بن عدىّ بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة ، وهم حمير الأصغر بن سبأ الأصغر بن كعب بن كهف الظلم بن زيد بن سهل بن عمرو ... الخ» ويلاحظ أن بين سياق النسبين خلافا . (٥) فى نهاية الأرب (ص ٣٠٩) : «ابن زهير بن أيمن بن الهميسع» وفى كتاب العبر لابن خلدون (ج ٢ ص ٥١ طبع بولاق) : «زهير بن أبين بن الهميسع» .

قبره بصنعاء وآثاره

أخبرنى أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار قال حدّثنا عبد الله بن أبى سَعْد قال حدّثنا على بن الصَّبّاح عن ٱبن الكَلْبىّ عن إسماعيلَ بن إبراهيم بن ذى الشِّعَار الهَمْدانىّ عن حَيّان بن هانئ الأَرْحَبىّ عن أبيه قال :

أخبرنى رجل من أهل صَنْعاء : أنهم حفَروا حفيرًا فى زمن مَرْوان، فوقفوا على أَزَجٍ[1] له باب فإذا هم برجل على سريرٍ كأعظم ما يكون من الرجال، عليه خاتمٌ من ذهب وعِصابةٌ من ذهب، وعند رأسه لوحٌ من ذهب مكتوبٌ فيه : «أنا عَلَس ذو جَدَن القَيْل، لخليلى منّى النَّيْل، ولعدوّى منّى الوَيْل، طلبتُ فأدركتُ وأنا ٱبن مائة سنة من عمرى، وكانت الوحش تأْذَن[2] لصوتى، وهذا سيفى ذو الكفّ عندى، ودِرْعى ذاتُ الفُروج ورُمحى الهِزَبْرِىّ، وقوسى الفَجْواء[3]، وقَرْنى[4] ذات الشرّ، فيها ثلثمائة حَشْر، من صنعة ذى نَمِر[5]، أعددتُ ذلك لدفع الموت عنّى فخاننى» . قال : فنظرنا فإذا جميعُ ذلك عنده. ووجدتُ هذا الخبرَ عن ٱبن الكَلْبىّ فى بعض الكتب من غير رواية ٱبن عَمّار، فوجدت فيه : فإذا طولُ السيف اثنا عشر شبراً، وعليه مكتوب تحت شاربِه[6] بالمُسْنَد[7] : «بآسْتِ ٱمرئٍ كنتَ فى يده فلم يَنْتَصِر» .

اِنقضت أخبارُه .

---

(١) عبارة القاموس وشرحه مادّة أزج : «الأزج محركةً : ضرب من الأبنية» . وفى الصحاح والمصباح واللسان : الأزج : بيت يبنى طولا و يقال له بالفارسية أوستان . (٢) تأذن كتفرح : تسمع، يشير بذلك الى جمال صوته . (٣) القوس الفجواء : هى التى يبين وترها عن كبدها، ومثل الفجواء الفَجّاء والمُنْفَجَّة . (٤) القرن : الجعبة . والحشر : الدقيق من الأسنة . (٥) ذو نمر : واد بنجد فى ديار بنى كلاب (انظر معجم ياقوت فى اسم نمر وكتاب ما يعوّل عليه فى المضاف والمضاف اليه فى اسم «ذى نمر») . (٦) للسيف شاربان وهما، كما قال ابن شميل، أنفان طويلان أسفل القائم أحدهما من هذا الجانب والآخر من هذا الجانب وتحتهما الغاشية، والشارب والغاشية يكونان من حديد وفضة وأدم . (٧) المسند : خط حمير وهو موجود بكثرة فى الحجارة وقصور اليمن وترى صورته فى كتاب منتخبات فى أخبار اليمن (ص ٢ ٥ طبع ليدن) وكتاب تاريخ الأدب للرحوم حفنى ناصف بك (ج ١ ص ٥٠ طبع مصر) .

أخبار طُوَيْس[1] ونســـبه

أول من صنع الهزج والرمل واشتهر بالهزج

طُوَيْس لَقَبٌ واسمه طَاوُس[2]، مولى بنى مَخزوم، وهو أوّل من غنّى الغناء المُتقَن من المخنّثين . وهو أوّل من صنع الهَزَج والرَّمَل فى الإسلام . وكان يقال : أحسنُ الناس غناءً فى الثقيل آبنُ مُحْرِز، وفى الرَّمَل آبنُ سُرَيْج، وفى الهَزَج طُوَيْس . وكان الناس يضرِبون به المثَل، فيقال : أهزجُ من طُوَيْس .

غنى أبان بن عثمان بالمدينة فطرب وسأله عن عقيدته وعن سنه وعن شؤمه

أخبرنى محمد بن مَزْيد بن أبى الأزْهر والحُسَين بن يحيى قالا : حدّثنا حَمّاد ابن إسحاق عن أبيه عن آبن الكلْبىّ عن أبيه وأبى مِسْكين، قال إسحاق : وحدّثنى المَدائنىّ والهَيْثَم بن عَدِىّ عن صالح بن كَيْسان :

أن أبَانَ بنَ عثمان وفَد على عبــد الملك بن مروان، فأمّره على الحجــاز، فأقبل حتى إذا دنا من المدينة تلقاه أهلُها، وخرج إليه أشرافُها، فخرج معهم طُوَيْس، فلما رآه سلّم عليــه، ثم قال له : أيّها الأمير، إنى كنت أعطيتُ الله عهــدًا لئن رأيتُك أميرًا لأَخْضِبنّ يَدَىّ إلى المِرْفقين، ثم أَزْدُو[3] بالدُّفّ بين يديك ، ثم أبْدَى عن دُفّه وتغنّى بشعر ذى جَدَن الحِميَرىّ :

ما بالُ أهلِكِ يا رَبَابُ * خُزْرًا كأنّهـمُ غِضَابُ

قال : فطرِب أبَان حتى كاد أن يطير ، ثم جعل يقول له : حَسْبُك يا طاوس — ولا يقول له : يا طُوَيْس لنُبْلِه فى عينه — ثم قال له : اجلس فجلس ، فقــال له أبان : قــد زعموا أنك كافر ، فقال : جُعِلتُ فِداءَك ! والله إنى لأشهد أنْ لا إلهَ

(١) تقدّمت لطويس ترجمة أخرى فى الجزء الثالث من هذه الطبعة (صفحة ٢٧ — ٤٤). وقد ذكرنا هناك ما قد يكون سببا فى تكرار الترجمة و بينا سبب عدم ضمنا إحدى الترجمتين الى الأخرى . (٢) تقدّم فى ترجمته فى الجزء الثالث من هذا الكتاب أن اسمه عيسى بن عبد الله . (٣) أزدو : أضرب .

إلّا الله وأنّ محمدا رسـول الله، وأُصلّى الخمسَ، وأصوم شهرَ رمضان، وأحجّ البيت؛ فقال: أفأنتَ أكبرُ أم عمرو بن عثمان؟ — وكان عمرو أخا أبان لأبيـه وأمّه — فقال له طُوَيْس: أنا والله، جُعلت فداءَك، مع جلائل[1] نساء قومى، أُمسك بذيولهنّ يوم زُفّتْ أمُّك المباركة إلى أبيك الطيّب[2]؛ قال: فٱستحيا أبان ورمى بطَرْفه إلى الأرض.

٣٩/٤

وأخبرنى بهذه القصّة إسماعيـلُ بن يونُس الشِّيعىّ قال حدّثنـا عمرُ بن شَبّة قال حدّثنا العُتْبىّ عن أبيه بمثل هذه القصّة عن أبان وطُوَيْس. وزاد فيها أن طُويسا قال له: نَذْرِى أيها الأمير! قال: وما نَذْرك؟ قال: نَذَرتُ إن رأيتك أميرًا فى هذه الدار أن أُغنّىَ لك وأزدُوَ بدُفّى بين يديك؛ فقال له: أَوْف بنذرك فإن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾؛ قال: فأخرج يَدَيْه مخضوبتَيْن، وأخرج دُفّه وتغنّى:

* ما بالُ أهلكِ يارَبَابُ *

وزاد فيـه: فقال له أبان: يقولون: إنك مشئوم، قال: وفوق ذلك! قال: وما بلغ من شؤمك؟ قال: وُلِدْتُ ليلةَ قُبض النبىّ صلّى الله عليه وسلّم، وفُطِمتُ ليلةَ مات أبو بكر رضى الله عنه، وٱحتلمتُ ليلةَ قُتل عمرُ رضوان الله عليه، وزُفّتْ إلىّ أهلى ليلةَ قُتل عثمان رضى الله عنه؛ قال: فٱخْرُجْ عنّى عليك الدَّبَارُ[3].

أهدر دمه أمير المدينة مع المخنثين

أخبرنى إسماعيل قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا محمد بن الوليد قال حدّثنى مُصْعَب بن عثمان عن نَوْفَل بن عُمَارة قال:

---

(١) كذا فى حـ، ط، ى. وفى سائر النسخ: «حلائل» بالحاء المهملة وهو تصحيف.
(٢) قال ابن عبد ربه فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٤٢) بعد أن ساق هذه القصة: «انظر الى حذقه ورقة أدبه كيف لم يقل أمك الطيبة الى أبيك المبارك». وفسر ذلك الجاحظ فى كتابه الحيوان ج ٤ ص ١٩ فقال: «ولو قال شهدت زفاف أمك الطيبة الى أبيك المبارك لم يحسن ذلك، لأن قولك طيب إنما يدل على قدر ما اتصل به من الكلام، وقد قال الشاعر: * والطيبون معاقد الأزر * وقد يخلو الرجل بالمرأة فيقول وجدتها طيبة، يريد طيبة الكوم لذيذة تمس الوطء». (٣) كذا فى أكثر الأصول. وفى م: «الدمار» ومعناهما: الهلاك.

خرج يحيى بنُ الحكَم[1] وهو أمير على المدينة ، فبصُر بشخص بالسَّبخَة ممـا يلى مسجدَ الأحزاب، فلما نظر إلى يحيى بن الحَكَم جلس، فآستراب به ، فوجّه أعوانَه فى طلبه ، فأُتِى به كأنه آمرأة فى ثياب مُصبَّغة مصقولة وهو مُمْتشِط مُخْتَضِب . فقال له أعوانُه: هذا آبن نُغَاش[2] المخنّث . فقال له : ما أحسَبُك تقرأ من كتاب الله عزّ وجلّ شيئا، إقرأْ أمَّ القرآن ؛ فقال : يا أبانا لو عرفتُ أمّهن عرفتُ البنات ؛ فقال له : أتهزأ بالقرآن لا أُمّ لك ! وأمَر به فضُربتْ عنقُه . وصاح فى المخنّثين : من جاء بواحد منهم فله ثلثمائة[3] درهم . قال زَرَجون المخنّث : فخرجتُ بعد ذلك أريد العالِيَةَ، فإذا بصوت دُفّ أعجبنى، فدنوت من الباب حتى فهِمتُ نغماتِ قوم آنَسُ بهم، ففتحتُه ودخلت، فإذا بطُوَيس قائم فى يده الدّفّ يتغنّى؛ فلما رآنى قال لى: إيه يا زَرَجون ! قتَـل يحيى بنُ الحكم ابنَ نُغَاش[4] ؟ قلت نعم ؛ [قال][5] : أَوَ[6] جعل فى المخنّثين ثلثمائة درهم ؟ قلت نعم ؛ فآندفع يُغنّى :

ما بالُ أهلِك يارباب * خُزْرا كأنهـمُ غِضَابُ

إن زرتُ أهلكِ أوعدُوا * وتَهِـرُّ دونهـمُ كلابُ

ثم قال لى : وَيْحَك ! أَمَا جعلَ فىّ زيادةً ولا فضّلنى عليهم فى الجُعْل بفضلى [شيئا][7] !

---

(١) ساق المؤلف هذا الخبر فى الجزء الثالث من هذا الكتاب (ص ٢٩ طبع دار الكتب المصرية) منسوبا لأخيه مروان، وكلاهما ولى المدينة . (٢) فى الخبر السابق بالجزء الثالث : «النغاشى» . (٣) فى الخبر السابق : «عشرة دنانير» . (٤) فى ب ، سـ : «قال ابن نغاش» بزيادة «قال» ولا يستقيم معها السياق . (٥) زيادة فى ط ، ء . (٦) كذا فى ب ، سـ . وفى باقى الأصول : «وجعل» . (٧) زيادة عن م ، سـ .

مالك بن أنس وحسين بن دحمان الأشقر

أخبرنى محمد بن عمرو العباسىّ القرشىّ[(١)] قال حدّثنا محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان — ولم أسمعه أنا من محمد بن خلف[(٢)] — قال حدّثنى إسحاق بن محمد بن أَبَان الكُوفىّ قال حدّثنى حُسين بن دَحْمان الأَشْقَر قال:

كنتُ بالمدينة فَخَلا لى الطريقُ وَسَطَ النهار، فجعلتُ أتغنّى:

ما بالُ أهلكِ يا رَبَابُ * خُزْرًا كأنّهمُ غِضابُ

قال: فإذا خَوْخةٌ[(٣)] قد فُتِحت، وإذا وجهٌ قد بدا تتبعه لحيةٌ حمراء، فقال: يا فاسقُ أسأتَ التأدية، ومنعتَ القائلةَ، وأذَعْتَ الفاحشةَ؛ ثم آندفع يُغَنّيه[(٤)]، فظننتُ أن طُوَيسا قد نُشِر بعينه، فقلت له: أصلحكَ الله، من أين لك هذا الغناءُ؟ فقال: نشأتُ وأنا غلامٌ حَدَثٌ أَتَبَّعُ المغنّين وآخُذ عنهم، فقالت لى أمّى: يا بُنَىَّ إنّ المغنّى إذا كان قبيح الوجه لم يُلتَفَتْ إلى غنائه، فدع الغِناء وآطلُب الفقه فإنه لا يضرّ معه قبح الوجه؛ فتركتُ المغنّين وآتّبعتُ الفقهاء، فبلغ الله بى عزّ وجلّ ما ترى: فقلتُ له: فأعِدْ جُعِلتُ فداءك! قال: لا! ولا كَرامةَ، أتريد أن تقول: أخذتُه عن مالك بن أَنَس! وإذا هو مالك بن أَنَس ولم أعلم.

(١) كذا فى ب، س. وفى حـ: «محمد بن عمر العباسى القرشى». وفى ط، ء: «محمد ابن عمرو العتابىّ». وفى م: «محمد بن العمرو الفتانى القرشى». وقد بحثنا عنه فى إنباه الرواة للقفطى ومعجم الأدباء لياقوت وتاريخ ابن خلكان ونزهة الألبا لابن الأنبارى و بغية الوعاة للسيوطى وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى فلم نجده حتى نرجح إحدى هذه الروايات. (٢) هذه العبارة ساقطة من ء، ط. (٣) الخوخة: البويب، أو الباب الصغير فى الباب الكبير. (٤) كذا فى حـ، س، م. وفى باقى الأصول: «يغنيه» بصيغة الفعل المضارع.

صـــــوت
من المـائة المختـارة

لِمَنْ ربعٌ بذات الجيـ * ـش أمسى دارسًا خَلَقَا
وقفتُ به أُسـائلُه * ومرّت عِيسُهم حِزَقَا[1]
عَلَوْا بك ظاهرَ البَيْدا * ء والمحزونُ قــد قَلِقَـا

حـديث النبي عن انخساف الأرض بجيش يغزو الكعبة

ـــ ذاتُ الجيش : موضـعٌ ، ذكر النبيّ صلى الله عليه وسلّم أنّ جيشًا يغزو الكعبـةَ ، فيُخْسَفُ بهم إلّا رجُلا واحدا يُقْلَب وجهُه إلى قفاه، فيرجعُ إلى قومـه كذلك، فيخبرُهم الخبر . حدّثني بهذا الحديث أحمد بن محمد الجَعْديّ قال حدّثنا محمد ابن بَكّار قال حدّثنا إسماعيل بن زكريا عن محمد بن سُوقَةَ قال سمعتُ نافعَ بن جُبَيْر[2] ابن مُطْعِم يقول حدَّثتني عائشةُ قالت :

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : "يَغْزُو جيشٌ الكعبةَ حتّى إذا كانوا بِبَيْداءَ من الأرض خُسِف بأولِّهم وآخرهم" . قالت عائشة : فقلتُ : يارسولَ الله ، كيف يُخسَف بأوَّلهم وآخرهم وفيهم سِوَاهم ومَنْ ليس منهم ؟ قال: "يُخسف بأولهم وآخِرهم ثم يُبْعَثون على [قَدْرِ][3] نيّاتهم" ـــ الشعر للأحْوَص، والغناء في هذا اللّحن المختار للدّلال المخنّث وهو أحد من خَصَاه ابنُ حَزْم بأمر الوليد بن عبد الملك مع المُخنَّثين، والخبرُ في ذلك يُذكَرُ بعدُ، ولحنه المختـارُ من الثقيل الأوّل بإطلاق الوَتَر في مَجْرَى البِنصر في الأَوَّل والثّالث . ولإسحاق فيه ثقيلٌ أوّلُ آخر . وفيه لمالك لحنٌ من خفيف الرَّمَل عن يونسَ والهشَاميّ وغيرهما . وفيه رَمَلٌ ينسب إلى آبن سُرَيج ، وهو مما يُشَكّ في نسبته إليه . وقيل : إنّ خَفيف الرَّمَل لآبن سريج، والرَّمَل لمالك. وذكر حَبَشٌ أن فيه للدَّلال خَفيفَ ثقيل بالبِنْصر أيضا .

(١) حزقا : جماعات، واحده حِزْقة . (٢) كذا في أكثر الأصول ، وهو الموافق لما في الطبري وتهذيب التهذيب . وفي ء ، ط : «نافع بن حسن بن معظم» وهو تحريف . (٣) الزيادة عن م ، س .

ذكر الأحوص وأخباره ونسبه

اسم الأحوص ولقبه ونسبه

هو الأحوص، وقيل : إن ٱسمه عبدُ الله ، وإنه لُقِّب الأَحْوَص لحَوَص[1] كان فى عينيه . وهو ابن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبى الأَقْلَح — وٱسم أبى الأقلح قيس — بن عُصَيْمة بن النُّعْمان بن أمية بن ضُبَيْعة بن زيد بن مالك بن عَوْف ٱبن عَمْرو بن عَوْف بن مالك بن الأَوْس . وكان يقال لبنى ضُبَيعة بن زيد فى الجاهلية : بنو كَسِر الذَّهَب . وقال الأَحْوص حين نُفِى إلى اليمن :

بَدَّل الدَّهرُ من ضُبَيْعة عَكًّا[2] * جيرةً وهـو يُعقِبُ الأَبْدالاَ

سبب تسمية جده عاصم حمى الدبر

وكان جدّه عاصم يقال له حَمِيُّ الدَّبْر ؛ وكان رسولُ الله صلّى ٱلله عليه وسلّم بعثه بعثًا ، فقتله المشركون ، وأرادوا أن يصلُبوه فحمته الدَّبْر ، وهى النَّحْل ، فلم يَقـدِروا عليه ، حتى بَعث الله عزّ وجلّ الوادِىَ[3] فى الليل فٱحتمله فذَهَب به . وفى ذلك يقول الأَحْوص مفتخرًا :

وأنا[4] ٱبنُ الّذِى حَمَتْ لَحْمَه الدَّبْـ * ـرُ قَتِيل اللَّحْيـانِ[5] يومَ الرَّجِيع

قصة وفد عضل والقارة وقتل البعث الذى أرسل معهم

حدّثنـا بالخبر فى ذلك محمدُ بن جَرِير الطَّبَرىّ قال حدّثنا ٱبن حُمَيْد قال حدّثنا سَلَمة بن الفَضْل قال حدّثنا محمد بن إسحاق عن عاصم بن عُمَر[6] بن قَتَادة قال :

---

(١) الحوص (بالتحريك و بابه كفرح) : ضيق فى مؤخر العينين أو فى إحداهما .
(٢) عك : قبيلة من قحطان باليمن . (٣) الوادى : كل مفرج بين الجبال والتلال والآكام ، والمراد : السيل الذى يجرى فيه . (٤) صحح العلامة الشنقيطى بقلمه بهامش نسخته من كتاب معجم ما استعجم للبكرى المحفوظ بدار الكتب المصرية طبع أوربا تحت رقم ٢ جغرافيا (ص ٤٠١) كلمة «وأنا» بكلمة «وأبى» . (٥) لحيان (بفتح اللام وكسرها) : حىّ من هذيل . (٦) كذا فى حـ ، وفى باقى الأصول : «عن» ، والصواب ما أثبتناه لأن الذى فى تهذيب التهذيب والخلاصة أن عاصم بن عمر لم يرو عن جدّه قتادة بل روى عن أبيه عمر .

٤١/٤ قَدِم على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعد أُحُد رَهْطٌ من عَضَل[١] والقَارَة، فقالوا: يارسولَ الله، إن فينا إسلامًا وخيرًا، فابعَث معنا نفرًا من أصحابك، يُفَقِّهونا[٢] فى الدِّين، ويقرئونا[٢] القرآن، ويُعَلِّمونا[٢] شرائع الإسلام؛ فبعَث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم معهم نَفَرًا ستةً[٣] من أصحابه: مَرْثَدَ بن أبى مَرْثَد الغَنَوىّ حليفَ حمزة بن عبد المطّلب، وخالدَ بن البُكَيْر حليفَ بنى عدىّ بن كعب، وعاصمَ بن ثابت بن أبى الأَقْلَح أخا بنى عَمْرو بن عَوْف، وخُبَيْبَ بن عدىّ أخا بنى جَحْجَبى بن كُلْفة بن عَمْرو ابن عَوْف، وزيدَ بنَ الدَّثِنَّة[٤] أخا بنى بَيَاضَةَ بن عامر، وعبدَ الله بن طارق حليفًا[٥] لبنى ظَفَر من بَلِىّ، وأمّر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم [عليهم][٦] مَرْثَدَ بن أبى مَرْثَد،

(١) قال القسطلانى فى شرح البخارى (ج ٦ ص ٣٧٣ طبع بولاق): «عضل: بطن من الهون ابن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ينسبون الى عضل بن الديش. والقارة: بطن من الهون ينسبون الى الديش المذكور، أو القارة: أكمة سوداء كأنهم نزلوا عندها فسموا بها». وقد ذكر ابن دريد فى الاشتقاق (ص ١١٠): أن الهون وعضل والقارة إخوة لهذيل وفسّر أسماءهم. وسأل الأخفش المبرد عنهما فقال: «هذان حيان كانا فى نهاية العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم». (راجع الكامل ص ٦٣٢ طبع أوربا). (٢) كذا فى حـ بحذف النون مجزوما فى جواب الطلب. وفى باقى الأصول بإثبات نون الرفع على أن تكون الجملة صفة لنفر. (٣) وردت هذه الأسماء مضطربة فى بعض الأصول. وما أثبتناه عن ط، ب. وهو الموافق لما فى الطبرى (قسم أوّل ص ١٤٣٢ طبع أوربا) والسيرة لابن هشام (ص ٦٣٨ طبع أوربا). وقد ذكرت هذه الأسماء فى نهاية الأرب (ج ٣ ص ٣٧٥ طبعة أولى) وشرح القاموس (مادة رجع) كما هنا بزيادة سابع هو معتب بن عبيد أخو عبد الله بن طارق لأمه. إلا أنه ذكر بدلَ معتب بن عبيد هذا فى شرح القاموس «مغيث بن عبيدة» وهو تحريف. (٤) الدثنة: بفتح الدال المهملة وكسر الثاء المثلثة والنون المفتوحة المشدّدة ثم تاء تأنيث، قال ابن دريد: من قولهم: دثّن الطائر اذا طاف حول وكره ولم يسقط عليه. (انظر الاشتقاق ص ٢٧٢ وشرح الزرقانى على المواهب اللدنية ج ٢ ص ٨٠ طبع بولاق). (٥) كذا فى حـ، م. وهو الموافق لما فى الطبرى والسيرة. وفى باقى الأصول: «خلفاء» وهو تحريف. (٦) زيادة عن م.

فخرجوا مع القوم، حتى إذا كانوا على الرَّجيع (ماءٌ لهُذَيْل بناحية من الحجاز من صَدْر الهَدْأة) (1) (2) غَدَرُوا بهم، وٱستصرَخُوا عليهم هُذَيلا، فلم يُرَع القوم وهم فى رحالهم إلّا بالرِّجالِ فى أيديهم السيوفُ قد غَشُوهم، فأخذوا أسيافَهم ليقاتلوا القوم؛ فقالوا: [إنا] (3) والله ما نريد قتلكم، ولكنّا نريد أن نُصيب بكم شيئًا من أهل مكّة، ولكم عهدُ الله وميثاقه ألّا نَقتلَكم؛ فأمامَرْثَد بن أبى مرثد، وخالد بن البُكَير، وعاصمُ بن ثابت بن أبى الأقلح، فقالوا: إنّا والله لا نقبل من مُشْرِك عهدًا ولا عقدا أبدا! فقاتَلُوهم حتى قتلوهم جميعا. وأما زيد بن الدَّثِنّة، وخُبَيب بن عدىّ، وعبدالله بن طارق فلانوا ورَقّوا ورَغِبوا فى الحياة وأعطَوْا بأيديهم (4)، فأَسَروهم، ثم خرجوا بهم إلى مكّة ليَبِيعُوهم بها، حتى إذا كانوا بالظَّهْران (5) ٱنتزع عبد الله بن طارق يدَه من القِران (6)، ثم أخذ سيفَه وٱستأخَر عن القوم، فرمَوْه بالحجارة حتى قتلوه، فقبره (7) بالظَّهْران. وأما خُبَيب بن عدىّ وزيد بن الدَّثِنّة، فقَدِموا بهما مكّة فباعوهما، فٱبتاع خُبيبًا حُجَيرُ بن أبى إهَاب التّميمىّ حليفُ بنى نَوْفَل لعُقْبة بن الحارث بن عامر بن نوفل — وكان حُجَيرٌ أخا الحارث بن عامر بن نوفل لأمّه — ليقتله بأبيه (8). وأما زيد بن الدَّثِنّة فٱبتاعه صَفْوانُ

---

(1) فى معجم ما استعجم للبكرى: «ماء لهذيل لبنى لحيان منهم بين مكة وعسفان بناحية الحجاز ... الخ».

(2) كذا فى معجم ما استعجم للبكرى نقلا عن ابن إسحاق. وضبط البكرى «الهدأة» بالعبارة فقال: «بفتح الهاء و إسكان الدال المهملة بعدها همزة مفتوحة». وفى جميع الأصول: «الهدة» بدون همز. وفى السيرة وتاريخ الطبرى: «صدور الهدأة». وفى س، حـ: «حدود» بالدال المهملة وهو تحريف. والهدأة: موضع بين عُسْفان ومكة. (3) زيادة عن ى، ط، م. (4) أعطوا بأيديهم: انقادوا. (5) الظهران: اسم واد بين مكة وعسفان. (6) القران: الحبل. (7) فى ط، ى: «فقبروه». (8) كذا فى: حـ، م، وهو الموافق لما فى السيرة والطبرى. وفى باقى الأصول: «بأبنه» وهو تحريف، لأن الذى قتله خبيب يوم بدر هو الحارث بن عامر بن نوفل والد عقبة، كما يجىء بعدُ فى حديث أبى كريب.

ابن أميّة ليقتله بأميّة بن خَلَف أبيه . وقد كانت هُذَيل حين قُتـل عاصمُ بن ثابت قد أرادوا رأسَه ليبيعُوه من سُلَافةَ بنت سعد بن شُهيد[1]، وكانت قد نذَرت حين قَتَل عاصمٌ ابنَها[2] يومَ أُحُد لئن قَدَرتْ على رأس عاصم لتشربنّ في قِحْفه[3] الخمرَ، فمنعتْه الدَّبْرُ؛ فلما حالت بينهم وبينه قالوا : دعوه حتى يُمْسِيَ، فتذهب عنـه فنأخذه . فبعث الله عزّ وجلّ الواديَ فٱحتمل عاصمًا فذهب به، وكان عاصم قد أعطى الله عزّ وجلّ عهدًا لا يمسّه مشركٌ أبدًا ولا يمسّ مشركا أبدا تنجُّسًا[4] منه . فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول حين بلغه أن الدَّبْر منعتْه : «عجبًا لحفظ الله عزّ وجلّ العبدَ المؤمن! كان عاصم نذَر ألّا يمسّه مشرك ولا يمسّ مشركًا أبدًا في حياته، فمنعه الله بعد مماته كما ٱمتنع منه في حياته!» .

رواية أخرى عن البعث ومصيره

قال محمد بن جرير : وأمّا غير ٱبن إسحاق، فإنه قصّ من خبر هذه السَّريّة غيرَ الذي قصّه غيرُه :

من ذلك ما حدّثنا أبو كُرَيْب قال حدّثنـا جَعْفر بن عَوْن العَمْريّ قال حدّثنا إبراهيم بن إسماعيل عن عمر أو عمرو بن أَسِيد[5] عن أبي هُرَيرة :

(١) كذا في طبقات ابن سعد (ج ٣ ق ٢ ص ٣٣ طبع أوربا) وتاريخ الطبري وسيرة ابن هشام ومعجم ما استعجم للبكري . وفي الأصول : «سهيل» وهو خطأ . (٢) في معجم ما استعجم : «ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن شهيد أم مسافع والجلاس ابني طلحة وكان عاصم قتلهما يوم أحد فنذرت ...الخ» . وفي طبقات ابن سعد أنها جعلت لمن جاء برأسه مائة ناقة . (٣) القحف (بالكسر) : العظم الذي فوق الدماغ . (٤) يقال : فلان يتنجس اذا فعل فعلا يخرج به عن النجاسة، كما يقال : يتأثم ويتحرج ويتحنث اذا فعل فعلا يخرج به عن الإثم والحرج والحنث . (٥) كذا في تاريخ الطبري (قسم أول ص ١٤٣٤ طبع أوربا) وقد ذكره صاحب تهذيب التهذيب في اسم عمرو بن أبي سفيان بن أسـيد وأورد اسمه أيضا في «عمر» وأحاله على «عمرو»، وهـذا يفيد ترجيحه اسم «عمرو»، كما أنه أثبت في ترجمـة أبي هريرة رواية عمرو بن أبي سـفيان بن أسيد عنه . وفي حـ : «عن عمر أو عمرو بن أسـد» . وفي باقي الأصول : «عمرو بن عمرو بن أسـد» وهما تحريف، لأنه لم يوجد في أسماء الرواة من تسمى بهـذا الاسم .

أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعَث عشرةَ رَهْط، وأمّر عليهم عاصمَ بنَ ثابت ابن أبى الأقْلَح، فخرجوا حتى إذا كانوا بالهَـدْأة ذُكروا لحىّ من هُـذيل يُقال لهم بنولَحْيان، فبعثوا إليهم مائةَ رجلٍ راميًا، فوجدوا مَأْكَلَهم حيث أكلوا التمر، فقالوا : نَوى يَثْرِب! ثم اتبعوا آثارَهم، حتى إذا أحسّ بهم عاصمٌ وأصحابُه التجئوا إلى جبـل، فأحاط بهم الآخرون فاستنزلوهم، وأعطَوْهم العهدَ، فقال عاصم : والله لا أنزل على عهد كافر، اللهمّ أخبِرْ نبيَّك عنا، ونزل إليهم ابنُ الدَّثِنَّة البَيَاضِىّ، وخُبَيْب، ورجلٌ آخر، فأطْلق القومُ أوتارَ قِسيِّهم، ثم أوْثقُوهم، فجَرَحوا رجلًا من الثلاثة، فقال : هذا والله أوّلُ الغدر، والله لا أتبعكم، فضرَبوه وقتلوه، وانطلقوا بخُبَيب وابن الدَّثِنَّة إلى مكة، فدفَعوا خُبَيبًا إلى بنى الحارث بن عامر بن نَوْفل بن عبـد مَناف، وكان خُبيب هو الذى قتل الحارثَ بأُحُد. فبينما خُبَيب عنـد بنات الحارث استعار من إحدى بنات الحارث مُوسَى لِيَسْتَحِدّ(1) بهـا للقتل، فما راع المرأةَ ولهـا صبىّ يَدْرُجُ إلا خُبيبٌ قـد أجلس الصبىَّ على فخذه والمُوسَى بيـده، فصاحتِ المرأة، فقـال خُبيَب : أتحسبين أنى أقتله! إن الغدر ليس من شأننا، قال : فقالت المرأة بعدُ : ما رأيتُ أسيرًا قطُّ خيرًا من خُبَيب، لقد رأيتُه وما بمكة من ثمرةٍ وإنّ فى يده لقِطْفًا من عِنَب يأكله، إن كان إلا رزقًا رزَقه الله خُبيبًا. وبعَث حىٌّ من قيس إلى عاصم ليُؤْتَوْا من لحمه بشىء، وقد كان لعاصم فيهم آثارٌ(2) بأُحُد، فبعث الله عليه دَبْرًا فحَمَتْ لحمَه

---

(1) يستحدّ : يحلق شعر عانته، قال فى اللسـان مادة حدد : «وفى حديث خبيب أنه استعار موسى استحدّ بها لأنه كان أسيرا عندهم وأرادوا قتله فاستحدّ لئلا يظهر شعر عانته عند قتله». ومنه الحديث حين قدم من سفر فأراد الناس أن يطرقوا النساء ليلا فقال : «أمهلوا كى تمتشط الشعثة وتستحدّ المغيبة». قال أبو عبيد : «وهو استفعال من الحديدة يعنى الاستحلاق بها استعمله على طريق الكناية والتورية».

(2) كذا فى أكثر النسخ، وآثار: جمع ثأر على القلب. وفى حـ : «أوتار» جمع وتر وهو الجناية التى يجنيها الرجل على غيره من قتل أو نهب أو سبى.

فلم يستطيعوا أن يأخذوا من لحمه شيئًا. فلما خرجوا بخُبَيب من الحَرَم ليقتلوه، قال: ذَرُونى أُصلِّ ركعتين؛ فتركوه فصلّى ركعتين، فجرت سُنَّةً لمن قُتِل صَبْرًا أن يصلّى ركعتين، ثم قال : لولا أن يقال جَزِع لزِدْتُ، وما أُبالى

* على أىّ شِقٍّ كان لله مَصْرَعى * (١)

ثم قال :

وذلك فى ذات الإله (٢) وإن يشأ * يُبارِكْ على أوصَالِ شِلْوٍ ممزَّعِ

اللهم احصِهِم عَددا (٣)، وخذهم بِدَدًا . ثم خرج به أبو سَرْوَعَة (٤) بنُ الحارث بن عامر ابن نَوْفل بن عبد مَنَاف، فضربه فقتله .

حدّثنا محمد قال حدّثنا أبو كُرَيب قال حدّثنا جعفر بن عَوْن عن إبراهيم ابن إسماعيل قال وأخبرنى جعفر بن عمرو بن أميّة عن أبيه عن جدّه :

---

(١) هذا الشطر من قصيدة نسبها ابن هشام فى السيرة (ص ٦٤٣ طبع أوروبا) لخبيب هذا، ومطلعها :

لقد جمع الأحزابُ حولى وألّبوا * قبائلهم واستجمعوا كل مجمع

(٢) فى ذات الإله : أى طاعته وطلب رضاه وثوابه . والأوصال : جمع وصل وهو العضو . والشلو (بكسر الشين المعجمة وسكون اللام) : الجسد . وممزع : مقطع . (٣) أحصهم : أهلكهم بحيث لا تبق من عددهم أحدا . وخذهم بددا : قال ابن الأثير : يروى بكسر الباء، جمع بِدّة وهى الحصة والنصيب، أى اقتلهم حصصا مقسمة لكل واحد حصته ونصيبه، ويروى بالفتح من التبديد أى متفرقين فى القتل واحدا بعد واحد . (٤) أبو سروعة (بكسر السين المهملة وفتحها، كما فى شرح القسطلانى على صحيح البخارى ج ٦ ص ٣٧٦ طبع بولاق) : كنية عقبة بن الحارث النوفلىّ القرشىّ الصحابىّ وهو الذى قتل خبيب بن عدىّ . وقال فى القاموس مادّة سرع : «وأبو سروعة ولا يكسر وقد تضم الراء عقبة ابن الحارث الصحابى» ؛ قال شارحه : «وفى التكملة : وأصحاب الحديث يقولون : أبو سروعة بكسر السين وقد ضبطه النووى بالوجهين»، ثم قال : وبعضهم يقول : أبو سروعة مثال فروقة وركوبة، والصواب ما عليه أهل اللغة» .

أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعثه وحدَه عينًا إلى قريش ، قال : فجئتُ إلى خَشَبة خُبَيب وأنا أتخوّف العيونَ ، فَرقِيتُ فيها ، فحللتُ خُبيبًا فوقع إلى الأرض ، فآنتبـذْتُ[1] غيرَ بعيد ثم التفتُّ فلم أَرَ لخُبَيب أثرًا ، فكأنما الأرضُ آبتلعتْه ، فلم تَظهر لخُبَيب رِمّة حتى الساعة .

قال محمد بن جرير : وأما زيد بن الدَّثِنَّة ، فإن صَفْوان بن أُميّة بعث [به][2] — فيما حدّثنا آبن حُمَيد قال حدّثنا سَلَمة عن ابن إسحاق — [مع][2] مولًى له يقال له نِسْطَاس إلى التَّنعيم ، فأخرجه من الحَرَم ليقتله ، وآجتمع [إليـه][2] رهطٌ من قُرَيش فيهم أبو سُفْيان بن حَرْب ؛ فقال له أبو سفيان حين قُدِّم ليُقتَل : أَنشُدك الله يا زيد ، أتُحبّ أن محمدًا عنـدنا الآن مكانَك فنضربَ عنقَه وأنك فى أهلك ؟ فقال : والله ما أُحبّ أنّ محمدا الآنَ فى مكانه الذى هو فيه تُصِيبهُ شوكة تُؤذيه وأنا جالس فى أهلى ! قال يقول أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحدًا يحب أحدًا كحُبّ أصحاب محمد محمدًا ! ثم قتله نِسْطَاس .

نزول عبد الله وأبى أحمد آبنى جحش من المهاجرين على عاصم بن ثابت

أخبرنى أحمد بن الجَعْد قال حدّثنا محمد بن إسحاق المُسَيَّبىّ[3] قال حدّثنا محمد ابن فُلَيح عن موسى بن عُقْبة عن ابن شِهَاب[4] قال :

(١) كذا فى الطبرى (قسم أوّل ص ١٤٣٦ طبع أوربا) . وانتبذ : تنحى . وفى حـ ، م : «فآستدرت» . وفى باقى الأصول : «فآشتددت» . (٢) الزيادة عن الطبرى (قسم أوّل ص ١٤٣٧)

(٣) كذا فى حـ . وفى باقى الأصول : « محمـد بن القاسم » . والذى فى تهـذيب التهذيب أن الذى روى عن محمد بن فليح هو محمد بن إسحاق المسيبى . (٤) كذا فى أكثر الأصول . وفى ط ، ء : «أبى شهاب» . وهو تحريف . وفى تهذيب التهذيب أن ابن شهاب اسمه محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله الزهرى وهو الذى روى عنه موسى بن عقبة .

نزل عبد الله وأبو أحمد ابنا جَحْش، حين قَدِما مُهاجِرَيْن، على عاصم بن ثابت، وكنيته أبو سليمان .

شعر لعاصم بن ثابت وكنيته

وقال عاصم :

أبو سليمان وريشُ المُقْعَدِ[2] * ومُجْنأٌ من جلد ثَوْرٍ أَجْرَدِ

٤٣/٤

٥ وذكر لنا الحَرَمىّ بن أبى العَلاء عن الزُّبَير أن عاصما ، فيما قيل ، كان يُكْنَى أبا سفيان . قال : وقال فى يوم الرَّجيع :

أنا أبو سفيان[3] مثلى راما * أضرِبُ كبشَ العارض[4] القدّاما

كنية الأحوص واسم أمه وبعض صفاته

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنا إسماعيل بن عبد الله[5] عن إسماعيل ابن إبراهيم بن عُقْبة عن عمّه قال :

١٠ (١) هو عبد الله بن جحش بن رياب بن يعمر أبو محمد الأسدى، وأمه أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو وأخوه أبو أحمد صحابيان، وأختهما زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم (انظر أسد الغابة فى معرفة الصحابة ج ٣ ص ١٣١ طبع بولاق) . (٢) كذا فى حـ ، وهو الموافق لما فى سيرة ابن هشام (ص ٦٣٨ طبع أوربا) . وفى م :

أبو سليمان وصنع المقعد * ومجنأ من جلد ثور أجلد

١٥ وفى باقى الأصول : «أبو سليمان وضيع المقعد» . والمقعد : فرخ النسر، وريشه أجود الريش، وقيل : المقعد : النسر الذى قشب له (خلط له السم فى اللحم) حتى صيد فأخذ ريشه، وقيل : المقعد : اسم رجل كان يريش السهام . والمجنأ : الترس الذى لا حديد به . يريد : أنا أبو سليمان ومعى سهام راشها المقعد، وترس من جلد قوىّ، فما عذرى اذا لم أقاتل . (٣) فى السيرة :

أبو سليمان ومثلى راما * وكان قومى معشرا كراما

٢٠ ولم يذكر فى السيرة أن عاصما تكنى بأبى سفيان . (٤) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب، س : «العارضى» . والكبش : الرئيس . والعارض : الجيش تشبيها له بالسرب العظيم من الجراد فى انتشاره أو بالسحاب . والقدّام (بفتح القاف وضمها مع تشديد الدال) والقديم (بكسر القاف) : السيد ومن يتقدّم الناس بالشرف . (٥) كذا فى ء، حـ ، م وهو الصواب، لأن الذى روى عن إسماعيل بن إبراهيم هو إسماعيل بن عبد الله كما فى الطبقات لابن سعد (ج ٥ ص ٣١٠) وتهذيب التهذيب (ج ١ ٢٥ ص ٢٧٢) . وفى باقى الأصول : «عن عبد الله» .

كنية الأحوص أبو محمد، وأمّه أُثَيلة بنت عُمير بن مَخْشِىّ[1]، وكان أحمرَ أحوصَ العينين .

رأى الفرزدق فى شعره

قال الزُّبَير فحدّثنى محمد بن يحيى قال :

قدِم الفرزدقُ المدينةَ، ثم خرج منها، فسُئل عن شعرائها، فقال : رأيت بها شاعرَين وعَجِبتُ لهما: أحدهما أخضر يسكن خارجًا من بُطْحان[2] (يريد ٱبن هَرْمَةَ)؛ والآخر أحمر كأنه وَحَرَةٌ على بُرودةٍ فى شعره (يريد الأحوص) . والوحرة[3] : يعسوب أحمر يتزل الأنبار[4] .

هجاؤه لابنه

وقال الأحوص يهجو نفسه ويذكر حَوَصَه :

أَقْبِحْ[5] به من ولدٍ وأَشْقِحِ * مثلِ جُرَىِّ الكلب لم يُفَقِّحِ[6]

إن يَرَ سوءًا لم يقُم فينْبَحِ * بالباب عند حَلْقه المُسْتَقْبَحِ

قال الزُّبَير : ولم يبق للأحوص من ولده غير رجلين .

---

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى ى ، ط : « محشىّ » بالحاء المهملة . (٢) بطحان (بضم الأوّل وسكون الثانى أو بفتح الأوّل وكسر الثانى) : واد بالمدينة وهو أحد أوديتها الثلاثة : العقيق وبطحان وقناة . (انظر القاموس وشرحه مادة بطح) ومعجم البلدان (فى اسم بطحان) .

(٣) كذا فى ى ، ط . وفى سائر الأصول : « قال : والوحرة يعسوب الخ » . وكلمة « قال » غير محتاج اليها هنا فى الكلام . (٤) كذا فى أكثر الأصول . والأنبار، كما فى ياقوت، : حدّ بابل، سميت به لأنه كان يجمع بها أنابير الحنطة والشعير والقت والتبن، وكانت الأكاسرة ترزق أصحابها منها، وكان يقال لها الأهراء، فلما دخلتها العرب عرّبتها فقالت الأنبار . وهذا التفسير الذى ذكره المؤلف للوحرة غريب، اذ أجمعت كتب اللغة التى بين أيدينا على أن الوحرة (بالتحريك) : دويبة تشبه سامّ أبرص، وقال الجوهرى : الوحرة بالتحريك : دويبة حمراء تلزق بالأرض . وفى حـ : « يلزم البثار » . والبثار : جمع بثر .

(٥) أثبتنا هذين البيتين كما رواهما الجاحظ فى كتابه الحيوان (ج ١ ص ١٢١ طبع مصر) وقد قال : إنه هجا بهما ابنه . وقد وردا فى ب ، سـ هكذا :

أسمج به من ولد وأقبح * مثل جرىّ الكلب لم يفقح

يشر سوءا لم يقم فينبح * بالباب عند حاجة المستفتح

وفى ى ، ط : « يسرى شوا ما لم يقم فينبح » . وفى م : « بشرّ سوء لم يقصر فينبح » .

(٦) يقال : فقّح الجرو وفقّح (بالتضعيف) ، وذلك أوّل ما يفتح عينيه وهو صغير .

طبقته فى الشعراء عند ابن سلام ورأى أبى الفرج فيه

قال الزُّبير : وجعل محمدُ بن سَلّام الأحوصَ، وآبنَ قيس الرُّقَيَّات، ونُصيبًا، وجَمِيلَ بن مَعْمَر[1] طبقــةً سادسة من شعراء الإسلام، وجعله بعد آبن قيس، وبعد نُصَيب. [قال أبو الفرج][2] : والأحوصُ، لولا ما وضَع به نفسَه من دنِيء الأخلاق والأفعال ، أشــدُّ تقدّما منهم عنــد جمــاعة أهل الحجاز وأكثرِ الرُّواة؛ وهو أَسْمَحُ طبعًا، وأسهلُ كلامًا، وأصحُّ معنًى منهم، ولشــعره رونقٌ وديباجةٌ صافية ، وحلاوةٌ وعُذُوبةُ ألفاظٍ ليستْ لواحد منهم؛ وكان قليل المروءة والدِّين، هَجّاءً للناس، مَأْبونًا فيما يُرْوَى عنه .

جلد سليمان بن عبد الملك إياه والسبب فى ذلك

أخبرنى الحسينُ بن يحيى عن حَمّاد عن أبيــه قال حدّثنى أبو عُبَيْدة أنّ جماعةً من أهل المدينة أخبروه :

أنّ السبب فى جَلْد ســليمانَ بنِ[3] عبد الملك ، أو الوليــد بن عبــد الملك إياه ونَفْيــه له أنّ شهودا شهدوا عليــه عنده أنه قال : إذا أخذتُ جَرِيرى[4] لم أُبالِ أىَّ الثلاثة لقيتُ ناكحًا أو منكوحًا أو زانيًـا[5]! قالوا : وانضاف إلى ذلك أنّ سُكَينة

---

(١) كذا فى س ، ب ، حـ . وفى ط ، ى ورد هذان الاسمان بتقديم الثانى على الأوّل . وفى م وردا هكذا : «بعد ابن قيس وقبل نصيب» . وقد ورد فى طبقات الشعراء لمحمد بن سلام المذكور (ص١٣٧ طبع ليدن) أن شعراء الطبقة السادسة هم : عبد الله بن قيس الرقيات، والأحوص، وجميل، ونصيب . (٢) زيادة عن م . (٣) كذا فى أكثر الأصول . وفى م . « فى ضرب ابن حزم » . وابن حزم هذا هو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم كان عاملا لسليمان بن عبد الملك على المدينة . (٤) الجرير : الزمام ، وهــذا كناية عن إطلاق سراحه . وفى الحديث أن الصحابة نازعوا جرير بن عبد الله زمامه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "خلوا بين جرير والجرير" أى دعوا له زمامه . وفى حـ ، م : «صريرى» . وفى باقى الأصول : «صريرى» ، وهما تحريف . (٥) كذا فى أكثر الأصول . وفى : ى ، ط : « قال » .

بنت الحسين رضى الله عنهما فخرتْ يوماً برسول الله صلّى الله عليه وسلم ؛ ففاخرها بقصيدته التى يقول فيها :

* ليس جهلٌ أتيته ببديع *

فزاده ذلك حَنَقًا عليه وغيظًا حتّى نفاه .

فخرت سكينة بالنبىّ ففاخرها بجدّه وخاله

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شَبَّة :

أنّ الأحْوَص كان يومًا عند سُكَينة ، فأذّن المؤذّن ، فلمّا قال : أشهد أن لا إله إلّا الله ، أشهد أنّ محمدا رسول الله ، فخرتْ سُكينة بما سمعت ؛ فقال الأحْوَص :

فخرتْ وانْتمتْ فقلتُ ذَرِينى * ليس جهلٌ أتيته ببديع

فأنا ابن[1] الذى حَمَتْ لحمَه الدّبـ * ـرُ قتيلِ اللّحيان يومَ الرَّجيع

غسَّلتْ خاليَ الملائكةُ الأبـ * ـرارُ مَيْتًا طُوبَى له مِن صَريع

قال أبو زيد : وقد لَعَمْرى فخرَ بفخر لو على غير سُكَينة فخر به ! وبأبى سُكينة صلّى الله عليه وسلّم حمتْ أباه[2] الدَّبْرُ وغسّلت خالَه الملائكةُ .

هجاؤه لابن حزم عامل المدينة

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنى محمد بن يحيى عن أيّوب بن عُمَر عن أبيه قال :

لمـا جاء ابنُ حزم عَمَلَه من قِبَل سليمانَ بنِ عبد الملك على المدينة والحجّ ، جاءه ابنُ أبى جَهْم بنِ[3] حذيفـة وحُمَيدُ بن عبد الرحمن بن عوف وسُرَاقة ، فدخلوا عليه ،

(١) نبهنا فيما تقدّم أن المرحوم الأستاذ الشنقيطى صحح هـذه الكلمة بـ « وأبى ابن ... » .
(٢) كذا فى حـ . وفى أكثر الأصول : « لحمه » . (٣) كذا فى ط ، ء ، وهو الموافق لما فى تاريخ الطبرى ، وهو أبو بكر بن عبد الله بن أبى الجهم بن حذيفة العدوى كما فى تهذيب التهذيب . وفى ب ، س ، حـ : « ابن أبى جهم حذيفـة » بدون ذكر « ابن » وهو خطأ . وفى م : « ابن خذيفة » بالخاء المعجمة وهو تحريف .

فقالوا له : إيهٍ يابنَ حَزم، ما الذى جاء بك؟ قال : استعملنى والله أميرُ المؤمنين على المدينة على رَغْم أنف من رَغِمَ أنفُه . فقال له ابنُ أبى جَهْم : يابنَ حزم، فإنى أوّل من يَرْغَم من ذلك أنفُه ؛ قال فقال له ابنُ حزم : صادقٌ، والله يُحبّ الصّادقين . فقال الأحوصُ :

٥ سليمانُ إذ ولّاك ربُّك حكمَنا * وسلطانَنا فآحكم إذا قلتَ وآعدلِ

يَؤُمُّ حَجيجَ المسلمين آبنُ فَرْتَنَى * فهَبْ ذاك حجًّا ليس بالمتقبَّلِ

قال ابن أبى عتيق(١) للأحوص : الحمد لله يا أحوص ، إذ لم أحُجَّ ذلك العامَ بنعمة ربى وشكره؛ قال : الحمد لله الذى صرَف ذلك عنك يابنَ أبى بكر الصِّدِّيق، فلم يُضْلِل دِينَك، ولم تُعْنِ(٢) نفسَك ، وتَرَ مايَغيظُك ويَغيظُ المسلمين معك .

وفد على الوليد وتعرض للخبازين فأمر عامل المدينة بجلده

١٠ أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله عن عمّه موسى بن عبد العزيز قال:

وفَد الأحْوص على الوليد بن عبد الملك وآمتدحه ، فأنزله منزلا ، وأمَر بمَطبخه أن يُمَال عليه ؛ ونزل على الوليد بن عبد الملك شُعيبُ بن عبد الله بن عمرو بن العاصى، فكان الأحوصُ يُراوِد وُصَفاءَ للوليد خَبّازين عن أنفسهم(٣) ويريدهم أن

١٥ يفعلوا به ؛ وكان شُعيب قد غضب على مولًى له ونحّاه ، فلما خاف الأحْوص أن يفتَضِح بمُراودته الغلمانَ، اندسّ لمولى شُعيب ذلك، فقال : ادخل على أمير المؤمنين فآذكر له أن شُعيبًا أرادك عن نفسك ، ففعل المَوْلَى ؛ فآلتفت الوليدُ إلى شعيب

---

(١) أبو عتيق : لقب محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر . (٢) كذا فى ح ، م . وأعنى نفسه وعنّاها : أنصبها وكلّفها ما يشقّ عليها . وفى باقى الأصول : « وتغر نفسك » . (٣) فى جميع

٢٠ الأصول : «على أنفسهم» .

فقال: ما يقول هذا؟ فقال: لكلامه غَوْرٌ[(١)] يا أمير المؤمنين، فاشْدُدْ به يدَك يَصدُقْكَ؛ فشدّد عليه، فقال: أمرنى بذلك الأحوصُ. فقال قيّم الخبّازين: أصلحك الله، إن الأحوص يُراوِد الخبّازين عن أنفسهم؛ فأرسل به الوليدُ إلى ابن حَزْم بالمدينة، وأمره أن يجلده مائةً، ويصُبّ على رأسه زيتًا، ويُقيمه على البُلُس[(٢)]، ففعل ذلك به. فقال وهو على البُلُس أبياتَه التى يقول فيها:

ما مِن مُصيبة نَكْبةٍ أُمْنَى[(٣)] بها * إلّا تُشَرّفُنى[(٤)] وتَرفَعُ شانى

شعره الذى أنشده حين شهر به

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثنى أيّوبُ بن عمر قال أخبرنى عبدالله بن عِمْران بن أبى فَرْوَةَ قال:

رأيتُ الأحوصَ حين وَقَفه ابنُ حزم على البُلُس فى سوق المدينة وإنه ليَصيح ويقول:

ما مِن مُصيبةِ نكبةٍ أُمْنَى بها * إلا تُعظِّمنى وترفَعُ شانِى

وتَزول حين تزول عن مُتَخَمِّطٍ[(٥)] * تُخْشَى بَوادِرُه على الأقران

إنى إذا خَفِىَ[(٦)] اللئامُ رأيتَنى * كالشّمس لا تَخْفَى بكلّ مكان

(١) أى فى كلامه معنى خفىّ غير واضح. (٢) البلس (بضمتين): جمع بلاس كسحاب؛ وهى غرائر كبار من مسوح يجعل فيها التبن ويشهر عليها من ينكل به وينادى عليه. ومن دعائهم: «أرانيك الله على البلس». (٣) فى ط، ء: «أعيا». ورواية أشعار الحماسة:

ما تعترينى من خطوب ملمة * إلا تشرّفنى وتعظم شانى

وأوّل الأبيات كما فى ديوان الحماسة:

إنى على ما قد علمت محسّد * أنمى على البغضاء والشنآن

(٤) فى ط، ء: «وتعظم». (٥) المتخمط: المتكبر. (٦) فى طبقات ابن سلّام الجمحىّ: «إنى إذا جُهِلَ ... الخ».

شعره في هجو ابن حزم

قال : وهجا الأحوصُ ابنَ حزمٍ بشعرٍ كثيرٍ، منه :

أقول وأبصرتُ ابنَ حزم ابنَ فَرْتَنَى * وُقوفًا له بالمَأْزِمَيْنِ[1] القبائلُ

تُرى فَرْتَنَى كانتْ بما بَلَغ ابنُها * مُصدِّقةً لو قال ذلك قائلُ

٤٥ / ٤

ـــ أخبرنى الحَرَمىُّ قال حدّثنا الزُّبير عن أبى عُبَيدة قال: كلّ أمَة يُقال لها فَرْتَنَى .

وأخبرنا أبو خَليفة عن محمّد بن سلّام قال : فَرْتَنَى[2]: الأمةُ بنتُ الأمة ـــ قال الزُّبير :

فقال ابنُ حزمٍ حين سَمِع قولَ الأحوص فيه «ابن فَرْتَنَى» لرجلٍ من قومه له علمٌ :

أنحن من ولد فَرْتَنَى ؟ أَوَ تعرِفها[3] ؟ فقال : لا والله ! قال : ولا أنا أعلم والله ذلك !

ولقد عضَهني[4] به ، ولو كانت ولَدَتْني لم أجهَلْ ذلك .

قال الزُّبير : وحدّثني عمّي مصعَب عن عبد الله بن محمد بن عُمَارة قال:

فَرْتَنَى : أمٌّ لهم فى الجاهلية من بَلْقَيْن[5] ، كانوا يُسَبُّون بها ، لاأدرى ما أمرُها ،

قد طرحوها من كتاب النّسب ، وهى أمّ خالد [بنت خالد][6] بن سِنَان بن وهب بن

لَوْذَانَ السّاعِديّة أمّ بنى حَزْم .

(١) المأزمان كما فى ياقوت : جبلا مكة . قال أهل اللغة : هما مضيقا جبلين؛ وقيل : هو اسم موضع بمكة بين المشعر الحرام وعرفة ، وفيه أقوال غير هذا . (٢) وفرتنى : المرأة الفاجرة والأمة . ذهب ابن جنى الى أن نونه زائدة ، وجعله سيبويه رباعيا . (٣) كذا فى حـ . وفى باقى الأصول : «أو نعرفها» بالنون . (٤) كذا فى أكثر الأصول . وعضهنى : بهتنى أى رمانى بالزور والبهتان وقال فىّ ما لم يكن . وفى م : «عضبنى» والعضب : الشتم والتناول . (٥) بلقين بفتح فسكون : حىّ من بنى أسد كما قالوا : بلحارث وبلهجيم ، وأصلها بنو القين . قال ابن الجوالى : «العرب تعتمد ذلك فيما ظهر فى واحده النطق باللام ، مثل الحارث والخزرج والعجلان ، ولا يقولون ذلك فيما لم تظهر لامه ، فلا يقولون بلنجار فى بنى النجار لأن اللام لا تظهر فى النطق بالنجار فلا تجوّزه العربية ولم يقل فى الأنساب» . (٦) هذه العبارة ساقطة فى حـ ، وقد وردت فى م : «ابن خالد» .

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدثنا الزُّبَير قال حدّثنى عبدُ الملك بن عبد العزيز عن يوسف بن الماجُشُون[١]: أنّ الأحوص قال لابن حزم :

لَعَمْرى لقد أجرى ابنُ حزم ابنُ فَرْتَنَى * إلى غايةٍ فيها السِّمام المُثَمَّلُ[٢]

وقد قلتُ مهلا آلَ حزم ابن فَرْتَنَى * ففى ظُلْمِنا صابٌ[٣] ومُرٌّ وحَنْظَلُ

وهى طويلة . وقال أيضا :

أهوَى أُمَيَّةَ إنْ شَطّت وإن قَرُبتْ * يومًا وأُهْدِى لها نُصحى وأشعارى

ولو وردتُ عليها الفَيْضَ[٤] ما حَفَلَتْ * ولا شَفَتْ[٥] عَطَشِى من مائه الجارى

لا تَرْثِيَنّ[٦] لحَزْمِىٍّ رأيتَ به * ضُرًّا ولو أُلْقِىَ[٧] الحَزْمِىُّ فى النارِ

الناخِسِين[٨] بمَرْوانٍ بذى خُشُبٍ * والمُقْحِمينَ على عثمانَ فى الدار

(١) الماجشون ذكره القاموس (فى مادّة مجش) بضم الجيم . وقال شارحه : «ويكسر الجيم ويفتح فهو إذا مثلث» : ثم نقل عن حاشية المواهب اللدنية أنه «بكسر الجيم وضم الشين» . وقال : «وعلى كسر الجيم وضم الشين اقتصر النووى رحمه الله فى شرح مسلم والحافظ بن حجر فى التقريب» . واقتصر السمعانى فى الأنساب أيضا على كسر الجيم . وهو معرّب ماه كون . ومعناه الورد ، أو الأبيض المشرب بحمرة ، أو لون القمر . (٢) المثمل : السم المقوّى بالسّلَع وهو شجر مرّ . وقال ابن سيده : وسم مثمل : طال إنقاعه وبقى . وقال الأزهرى : ونرى أنه الذى أنقع فبقى وثبت . (٣) الصاب : عصارة شجر مرّ ، وقيل : هو شجر اذا اعتصر خرج منه كهيئة اللبن ، وربما نزت منه نزية (قطرة) فتقع فى العين كأنها شهاب نار ، وربما أضعف البصر . ومُمِرّ من أمرّ الشىء فهو ممرّ اذا كان مرّا . (٤) الفيض : نهر بالبصرة . (٥) كذا فى حـ . وفى سائر النسخ : «سقت» . (٦) هذه رواية الجزء الأوّل (ص ٢٦ من هذه الطبعة) . ورثى لفلان : رحمه ورق له . وفى الأصول هنا : «لا تأوين» . (٧) كذا فى ب ، س . وفى باقى الأصول : «ولو طرح» . وفى الجزء الأوّل : «ولو سقط» . (٨) الناخسين بمروان : يريد الطاردين لمروان والمزعجين له ، يقال : نخسوا بفلان اذا نخسوا دابته من خلفه وطردوه حتى سيروه فى البلاد . وتفسير «ذى خشب» وقصة طرد مروان مذكوران فى الجزء الأوّل (ص ٢٣ وما بعدها من هذه الطبعة) .

دفع عنه بنو زريق فدحهم

أخبرنا الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى جماعةٌ من مشايخ الأنصار :

أن ابن حَزْم لمّـا جلَد الأحوصَ ووقفه(1) على البُلُس يضربه ، جاءه بنو زُرَيق(2) ، فدفَعوا عنه ، واحتملوه من أعلى البُلُس ؛ فقال فى ذلك — قال ابن الزُّبَير : أنشدنيه عبد الملك بن الماجِشُونَ عن يوسف بن أبى سَلَمة الماجشون — :

إمّا تُصِبْنى المنـايا وهى لاحقـةٌ * وكلُّ جنب له قـد حُمَّ مُضطجَعُ
فقـد جَزَيتُ بنى حَزْمٍ بظلمهـمُ * وقد جزيتُ زُرَيقًـا بالذى صنعوا
قـومٌ أبَى طَبَـعَ(3) الأخلاق أوّلُهم * فهم على ذاك من أخلاقهم طُبِعوا
وإن أناسٌ ونَوْا عن كلِّ مَكْرُمـةٍ * وضاق باعُهمُ عن وُسْعهم وَسِـعوا
إنى رأيتُ غَداةَ السُّـوق مَحْضَرَهم * إذ نحن ننـظر ما يُتْلَى ونَسـتمعُ

نفاه ابن حزم الى دهلك وشعره فى ذلك

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى عمر بن أبى بكر المؤمّلى(4) قال حدّثنى غير واحد من أهل العلم :

أن أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم جَلَد الأحوص فى الخُنْث(5) ، وطاف به وغرّبه إلى دَهْلَك(6) فى مَحْمِلٍ عُرْيانًا(7) . فقال الأحوص وهو يُطافُ به :

(1) كذا فى م . وفى سائر الأصول : « وقفه » بدون واو العطف ، وهو لا يناسب السياق .
(2) بنو زريق : خلق من الأنصار وهم بنو زريق بن عامر بن زريق الخزرجىّ ، اليه يرجع كل زرقى ما خلا زريق بن ثعلبة طيئ (انظر القاموس وشرحه مادة زرق) . (3) الطبع (بالتحريك) : الدنس والعيب وكل شين فى دين أودنيا فهو طبع ، وأصله من الوسخ والدنس يغشيان السيف ، ثم استعير فيما يشبه ذلك من الأوزار والآثام وغيرهما من المقابح .
(4) فى حـ : « الموصلىّ » وانظر الحاشية رقم ١ ص ١٢٣ من هذا الجزء . (5) كذا فى أكثر الأصول . والخنث (بالضم) : اسم من التخنث . وفى ب ، سـ : « الخبث » بالباء .
(6) دهلك (بفتح أوّله وسكون ثانيه ولام مفتوحة وآخره كاف) : اسم أعجمىّ معرب ، وهى جزيرة فى بحر القلزم ، فى طريق المسافرين فى بحر عيذاب الى اليمن ، بينها وبين براليمن نحو ثلاثين ميلا ، وهى ضيقة حرجة حارّة ، كان بنو أمية اذا سخطوا على أحد نفوه اليها . (7) فى ط ، ء : « فى محمل عرى » . وكانت تكون هذه الرواية جيدة لو أنها كانت : على فرس عرى أو على دابة عرى .

* ما من مصيبةِ نكبةٍ أُبْلَى بها *

الأبيات . وزاد فيها :

إنى على ماقـد تَرَوْن مُحَسَّدٌ * أَنْمِى على البَغضـاءِ والشَّنآنِ
أصبحتُ للأنصار فيما نابهم * خَلَفًا وللشـعراء من حَسَّانِ

٤٦ / ٤

قال الزُّبَير : ومما ضُرِب فيه أيضا قولُه[1] : ٥

شَرُّ الحزامِيِّينَ ذو السنّ منهمُ * وخـيرُ الحزامين يَعْـدِلُهُ الكلبُ
فإن جئتَ شـيخًا من حِزامٍ وجدتَه * منَ النَّوْكِ والتقصيرِ ليس له قلبُ
فـلو سـبَّنى عونٌ إذًا لسببتُه * بشعرِىَ أو بعضُ الأولى جَدُّهم كَعْبُ

— عَوْنٌ يعنى عونَ بن محمد بن علىّ بن أبى طالِب عليه رضوان الله . وكعب يعنى كعبَ بن لُؤَىّ — ١٠

أولئـك أكـفاءٌ لبيتى بيوتُهُـمْ * ولاتستوى الأَعْلاثُ[2] والأقدُحُ القُضْبُ

عانه فتى من بنى جحجبى فـدعا عليـه

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَـلَاء قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى محمـد بن ثابِت الأنصارىّ عن محمد بن فَضَالة قال :

كان الأحوص بن محمد الأنصارىّ قد أوسعَ قومَه هِجاءً فملأهم شرًّا، فلم يبق له فيهم صديقٌ ، إلا فتًى من بنى جَحْجَبَى[3] . فلمـا أراد الأحوصُ الخروجَ إلى يزيدَ بن ١٥ عبد الملك، نَهض الفتى فى جَهَـازه وقام بحوائجه وشـيَّعه ؛ فلما كان بسِقَايةِ سليمانَ وركِب الأحوصُ مَحْمِلَه، أقبل على الفتى فقال : لاأخلف الله عليك بخير ! فقال :

(١) كذا فى حـ . وفى باقى الأصول : « وما صرف فيه » . (٢) الأعلاث من الشجر : القطع المختلطة مما يقدح به من المرخ واليبيس، واحدها عِلْث بالكسر . والأقدح : جمع قدح وهو السهم قبل أن يراش و ينصل . والقضب : كل شجر سبطت أغصانه وطالت، وما قطع من الأغصان للسهام أو القسىّ ٢٠ (انظر القاموس وشرحه مادتى علث وقضب) . (٣) جحجبى بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف ابن مالك بن الأوس وهو جدّ أحيحة بن الجلاح اليثربى : حى من الأنصار ثم من الأوس (انظر القاموس وشرحه مادة جحجب) .

مَهْ! غفرَالله لك! قال الأحوصُ : لا والله! أو أعلِّقها حربًا! يعني قُباء[١] وبني عمرو ابن عَوْف .

هجا معن بن حميد الأنصاريّ فعفا عنه ثم هجا ابن أبي جرير فأهانه وهدّده

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثني محمد بن يحيى قال قال غسّان بن عبد الحميد :

٥ أقبل الأحوصُ حتى وقَف على مَعْن بن حُمَيد الأنصاريّ، أحد بني عمرو ابن عَوْف بن جَحْجَبَى، فقال :

رأيتُك مَزْهُوًّا كأنّ أباكمُ * صُهَيبةُ أمْسَى خيرَ عَوْفٍ مُرَكَّبَا

تُقَرُّ بكم كُوثَى[٢] إذا ما نُسِبتمُ * وتُنكركم عمرُو بنُ عَوف بن جَحْجَبَى

عليكَ بأدنى الخَطْبِ إن أنتَ نلتَه * وأقْصِرْ فلا يَذهَبْ بك التِّيهُ مَذْهَبَا

١٠ فقام إليه بنوه ومَوَاليه ؛ فقال : دعوا الكلب ، خَلُّوا عنه ، لا يمسّه أحدٌ منكم ، فانصرف . حتى إذا كان عند أحجار المِرَاء بقُبَاءَ لَقِيه ابنُ أبي جَرير أحدُ بني العَجْلان ، وكان شديدا ضابطا ؛ فقال له الأحوص :

إنّ بقومٍ سَوّدوك لحاجةً * إلى سيّد لو يظفَرون بسيِّدِ

فألقى ثيابَه وأخذ بحَلْق الأحوص ، ومع الأحوص راويتُه ، وجاء الناس ١٥ [ليخلّصوه][٣] ، فحلَف لئن خَلَّصه أحدٌ من يديه ليأخُذنّه وليدَعَنّ الأحوصَ ؛ فخنَقه حتى ٱسترخَى ، وتركه حتى أفاق ؛ ثم قال له : كلّ مملوك لي حرّ ، لئن سُمِعَ أو سَمِعتُ[٤] هذا البيتَ من أحدٍ من الناس لأضربنّك ضربةً بسيفي أُريد بها نفسَك ولو كنتَ

(١) كذا بالأصول . (٢) كوثى : محلة بمكة لبني عبد الدار . (٣) زيادة عن م .
(٤) كذا في م . وفي ط : « لئن سمعت هذا البيت ... » . وفي باقي الأصول : « كل مملوك لي حر إن سمع أو سمعت ... » .

تحت أستار الكعبة . فأقبل الأحوص على راويته، فقال : إن هـذا مجنون ، ولم يسمع هذا البيتَ غيرُك، فإياك أن يسمَعه منك خلق .

لقى عباد بن حمزة ومحمد بن مصعب فلم يهشا له ثم تهدداه إن هجاهما

أخبرنى الحَـرَمىّ والطُّوسىّ قالا حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنى بعض أصحابنا :

٥

أن الأحوص مرّ بعَبّاد بن حَمْزة بن عبد الله بن الزبير ومحمد بن مُصْعَب بن الزُّبَير بخيمتَىْ أمِّ مَعْبَد[1]، وهما يريدان الحجّ مَرجِعَه من عند يزيدَ بن عبد الملك، وهو على نجيبٍ له فارهٍ ورَحْلٍ فاخرٍ وبِزّة مرتفعة، فحدّثهما أنه قدِم على يزيد بن عبد الملك، فأجازه وكساه وأَخْدمه[2]، فلم يرهما يَهَشّان لذلك ، فجعل يقول : خيمتَىْ أُمّ معبد ، عبّاد ومحمد ، كأنه يَرُوضُ القوافىَ للشعر يريد قولَه . فقال له محمد بن مصعب : إنى أراك فى تهيئة شعر وقوافٍ وأراكَ تريد أن تهجوَنا ! وكل مملوك له حرّ لئن هجوتَنا بشىء إن لم أضربْك بالسيف مجتهدًا[3] على نفسك . فقال الأحوص : جعلنى الله فداك ! إنى أخاف أن تُسمِع هـذا فىّ عدوًّا فيقول شعرًا يَهْجُوكما به فيَنْحَلُنيه[4]، وأنا أُبرئكما الساعةَ ، كل مملوك لى حرٌّ إن هجوتُكما ببيت شعرٍ أبدا .

٤٧
ــــ
٤

١٠

أراد أن يصحب محمد بن عباد فى طريقه الى مكة فأبى

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى عمّى مُصْعَب قال حدّثنا الزُّبَير ابن خُبَيب[5] عن أبيه خُبَيب بن ثابت قال :

١٥

(١) خيمة أم معبد و يقال بئر أم معبد : موضع بين مكة والمدينة نزله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هجرته ومعه أبو بكر رضى الله عنه ، وقصته مشهورة ، قالوا : لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل مساحلا حتى انتهى الى قديد فانتهى الى خيمة متنبذة ، وذكروا الحديث ، وسمع هاتف ينشد :

جزى الله خيرا والجزاء بكفه ✽ رفيقين قالا خيمتَى أم معبد

(٢) أخدمه : وهبه خادما . (٣) الاجتهاد : بذل الوسع والمجهود فى طلب الأمر ، وهو افتعال من الجهد بمعنى الطاقة . فلعل معنى قوله : «مجتهدا على نفسك» : باذلا مافى وسعى وطاقتى فى القضاء على نفسك . (٤) نحله القول : نسبه اليـه وهو لم يقله . (٥) كذا فى المشتبه للذهبى (ص ١٤٧) وفهرس الطبرى . وفى الأصول : «حبيب» بالحاء المهملة وهو تحريف .

٢٠

خرجنا مع محمد بن عبّاد بن عبد الله بن الزُّبير إلى العُمْرة، فإنا لَبِقُرْب قُدَيد[(١)]
إذ لحِقَنا الأحوصُ الشاعرُ على جمل برَحْل، فقال: الحمد لله الذى وَفَّقكم لى[(٢)]، ما أُحِبّ
أنكم غيرُكم، وما زِلتُ أُحَرِّكُ فى آثاركم مذ رُفِعتم لى[(٣)]، فقد ازددتُ بكم غِبْطةً. فأقبل
عليه محمد، وكان صاحبَ جِدّ يكره الباطلَ وأهلَه، فقال: لكنّا والله ما آغتبطْنا بك
ولا نحبّ مُسَايرتَك، فتقدّمْ عنا أو تأخّرْ؛ فقال: والله ما رأيتُ كاليوم جوابًا! قال:
هو ذاك. قال: وكان محمد صاحب جِدّ [يكره الباطل وأهلَه][(٤)]، فأشفقْنا ممّا صنَع،
ومعه عِدّةٌ من آل الزُّبير[(٥)]، فلم يقدِر أحد منهم أن يَرُدّ عليه. قال: وتقدّم الأحوص،
ولم يكن لى شأن غيرَ أن أعتذرَ إليه. فلما هبَطْنا من المُشَلَّل[(٦)] على خيمتىْ أمّ مَعْبد
سمعتُ الأحوص يُهَمْهِم[(٧)] بشىء، فتفهّمْتُه فإذا هو يقول: خيمتى أم معبد، محمد،
كأنه يهيِّئ القوافىَ؛ فأمسكتُ راحلتى حتى جاءنى محمد، فقلت: إنى سمعتُ هذا
يُهَيِّئُ لك القوافى، فإمّا أذِنتَ لنا أن نعتذرَ إليه ونُرضيَه، وإمّا خلَّيتَ[(٨)] بيننا وبينه
فنضربَه[(٩)]، فإنّا لانصادفه فى أخلَى من هذا المكان؛ قال: كلا! إن سعد بن مُصْعَب
قد أخذ عليه ألّا يهجوَ زُبَيْرِيًّا أبدا، فإن فعل رجوتُ أن يُخزيه الله، دَعْه.

(١) قال ياقوت فى معجمه: «قديد بالتصغير: اسم موضع قرب مكة. قال ابن الكلبىّ: لما رجع تبع من المدينة بعد حربه لأهلها نزل قديدا فهبت ريح قدّت خيمَ أصحابه فسمى قديدا». وقال فى اللسان مادّة قدد: «قديد: ماء بالحجاز وهو مصغر، وورد ذكره فى الحديث، قال ابن سيده: وقديد موضع وبعضهم لا يصرفه ويجعله اسما للبقعة».
(٢) وفقكم لى: جعلكم تصادفوننى وتلاقوننى. وفى اللسان (مادة وفق): «ويقال وفقت له ووُفّقتُ له ووَفِقته ووفقنى وذلك اذا صادفنى ولقينى».
(٣) رفع لى الشىء: أبصرته من بعد.
(٤) زيادة عن ط، م، ى.
(٥) فى ط، م، ى: «من ولد الزبير».
(٦) المشلل (بالضم ثم الفتح وفتح اللام المشدّدة): جبل يهبط منه الى قديد من ناحية البحر. (انظر ياقوت فى اسم المشلل).
(٧) الهمهمة: الكلام الخفىّ، وقيل: الهمهمة: تردّد الزئير فى الصدر من الهمّ والحزن، يقال: همهم الأسد وهمهم الرجل اذا لم يبين كلامه.
(٨) فى الأصول: «وإما أن خليت» بزيادة «أن».
(٩) فى ط، م، ى: «فضربناه».

هجا سعد بن مصعب فلما أراد ضربه حلف له ألا يهجو زبيريا فتركه

قال الزبير : وأما خبره مع سعد بن مُصْعَب ، فحدّثنى به عمّى مُصْعَب قال أخبرنى يحيى بن الزُّبَير بن عَبّاد أو مُصْعَب بن عثمان — شكّ : أيهما حدّثه — قال :

كانت أَمَة الملك بنت حمزة بن عبد الله بن الزبير، تحت سعد بن مصعب ابن الزبير، وكان فيهم مأتمٌ، فاتهمته بأمرأة، فغارت عليه وفضحته . فقال الأحوص يمازحه :

وليس بسعد النار مَنْ تزعُمونه * ولكنّ سعدَ النار سعد بن مُصْعَبِ
ألم ترأنّ القومَ ليلةَ نَوْحِهم * بَغَوْه فألفَوْهُ على شرِّ مَرْكَبِ
فما يَبتغى بالغَىّ لا دَرَّ دَرُّه * وفى بيته مثلُ الغزال المربَّبِ

— قال : وسعد النار رجلٌ يقال له سعد حضنة، وهو الذى جدّد لزياد بن عُبَيد الله[1] الحارثىّ الكتابَ الذى فى جدار المسجد ، وهو آيات من القرآن أحسَب أنّ منها ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْىِ ﴾ ؛ فلما فرَغ منه قال لزياد : أعطِنى أجرى؛ فقال له زياد : انتظِر ، فإذا رأيتَنا نعمَل بما كتبتَ، فتعالَ فخُذ أجرك — .

قال : فعمِل سعد بن مصعَب سُفْرة، وقال للأحوص : اذهب بنا إلى سدّ عُبيد الله بن عمر نتغدَّ عليه ، ونشرب من مائه، ونستنقِع فيه ، فذهب معه؛ فلما صارا إلى الماء ، أمر غلمانَه أن يَربطوه وأراد ضربَه ، وقال : ما جَزِعتُ من هجائك إياى ، ولكن ما ذِكْرُك زَوْجَتى ! فقال له : يا سعدُ، إنك لتعلم أنك إن ضربتَنى لم أكفُف عن الهجاء، ولكن خيرٌ لك من ذلك أحلِفُ لكَ بما يُرضيك[2] ألّا أهجوَك ولا أحدًا من آل الزُّبَير أبدا ؛ فأحلَفه وتركه .

(١) كذا فى م . وهو الموافق لما فى الطبرى . وفى حـ : « لعبيد الله بن زياد الحارثى » . وفى أكثر الأصول : «لزياد بن عبد الله » . (٢) سياق الكلام يقتضى وجود «أن» المصدرية، فهى إذا محذوفة مقدّرة .

هجا مجمع بن يزيد فسبه

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى مصعَب عمّى عن مصعَب بن عثمان قال :

قال الأحوص لمجمع[1] بنِ يزيدَ بنِ جارِية :

وجُمِّعتَ من أشياء شتَّى خبيثةٍ * فسُمِّيتَ لمّا جئتَ منها مُجَمِّعا

٥ فقال له مجمّع : إنى لا أُحسن الشعر ، ثم أخذ كُرْنافةً[2] فغمَسها فى ماء فغاصت ، ثم رفع يدَه عنها فطفتْ ، فقال : هكذا والله كانت تَصنعُ خالاتُكَ السَّوَاحِرُ .

طلب من أم ليث أن تدخله الى جارة لها فأبت فعرّض بها فى شعره

أخبرنى الحَرَمىّ قال وحدّثنا الزُّبير قال :

كانت آمرأة يقال لها أمُّ لَيْث آمرأةَ صِدْق[3] ، فكانت قد فتحت بينها و بين جارةٍ لها من الأنصار خَوْخة ، وكانت الأنصاريّةُ من أجمل أنصاريةٍ خُلقتْ ،

١٠ فكلّم الأحوصُ أمَّ ليثٍ أن تُدخلَه فى بيتها يكلّمُ الأنصاريّةَ من الخَوْخة التى فتحت بينها وبينها ، فأبَتْ ؛ فقال : أمَا لأكافئنّك ، ثم قال :

هيهاتَ منك بنو عمرو ومسكنُهم * اذا تشتَّيتَ قِنَّسرين[4] أو حَلَبَا

قامت تَرَاءَى وقد جَدّ الرحيلُ بنا * بين السَّقيفةِ والبابِ الذى نُقِبا

إنّى لمانحُها ودّى ومتّخذٌ * بأُمّ ليثٍ إلى معروفِها سببَا

١٥ فلما بلغت الأبياتُ زوجَ المرأة ، سدّ الخَوْخةَ ؛ فاعتذرتْ اليه أُمّ ليث ، فأبى أن يقبَل و يصدّقَها؛ فكانت أمُّ لَيْث تدعو على الأحوص .

(١) مجمع بضم أوّله وفتح الجيم وتشديد الميم المكسورة . وجارية بالجيم والراء والياء المثناة من تحت كما فى تهذيب التهذيب فى اسم مجمع . وقد ورد هذا الاسم فى الأصول : «حارثة» بالحاء والراء والثاء المثلثة ، وهو تحريف . (٢) الكُِرْنافة : واحدة الكرناف (بكسر الكاف وضمها) . وهو أصول الكرب التى

٢٠ تبقى فى جذع النخلة بعد قطع السعف . (٣) اذا قلت : رجل صدق أو امرأة صدق بالإضافة كسرت الصاد ، و إن نعتّ به فتحتها . (٤) قنسرين (بكسر القاف وفتح النون مشدّدة) : كورة بالشأم بالقرب من حلب وهى أحد أجناد الشام . فتحها أبو عبيدة بن الجرّاح رضى الله عنه فى سنة سبع عشرة .

وعده مخزومىّ أن يعينه عند الوليد ثم أخلف

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنى عمر بن شبّة قال حدّثنى أبى قال : ركب الأحوصُ إلى الوليد بن عبد الملك قبل ضَرْب ابن حزم إياه، فلقيه رجلٌ من بنى مخزوم يقال له محمد بن عُتبة ، فوعده أن يُعينه ؛ فلما دخل على الوليد قال : وَيْحَكَ! ما هذا الذى رُمِيتَ به يا أحوص؟! قال : والله يا أمير المؤمنين ، لو كان الذى رمانى به ٱبْنُ حزم من أمر الدين لأجتنبتُه ، فكيف وهو من أكبر معاصى الله! . فقال ابنُ عُتْبة : يا أمير المؤمنين، إنّ من فضل ٱبن حزم وعَدْله كذا وكذا، وأثنى عليه؛ فقال الأحوص : هذا والله كما قال الشاعر(١) :

وكنت كذئب السَّوْءِ لما رأى دمًا * بصاحبه يوما أحال(٢) على الدمِ

شكاه أهل المدينة فنفى الى دهلك ثم استعطف عمر ابن عبد العزيز فلم يعطف عليه

فأمّا خبره فى بقيّة أيّام سليمانَ بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز، فأخبرنى به أبو خَليفة الفضلُ بن الحُبَاب [الجُمَحىّ](٣) قال حدّثنا عَوْنُ بن محمد بن سَلّام قال حدّثنى أبى عمّن حدّثه عن الزُّهْرىّ ، وأخبرنى به الطُّوسىّ والحَرَمىّ بن أبى العَلاء قالا : حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثنى عمّى مصعَب عن مصعَب بن عثمان قال :

كان الأحوص يَنْسُبُ بنساءٍ ذواتِ أخطار من أهل المدينة، ويتغنّى فى شعره معبدٌ ومالك، ويَشِيعُ ذلك فى النـاس، فنُهِىَ فلم يَنْتَهِ ؛ فشُكِىَ إلى عامل سليمانَ بن عبد الملك على المدينة وسألوه الكِتَابَ فيه إليه، ففعل ذلك؛ فكتب سليمانُ إلى عامله يأمره أن يضربه مائةَ سَوْط ويُقيمَه على البُلُس للناس؛ ثم يُصيِّره الى دَهْلَك(٤)، ففعل ذلك به؛ فثَوَى هنـاك سلطانَ(٥) سليمانَ بنِ عبد الملك ؛ ثم وَلِىَ عمرُ

(١) هو الفرزدق . (٢) أحال على الدم : أقبل عليه . ومثله قول الشاعر :

فتى ليس لأبن العمّ كالذئب إن رأى * بصاحبه يوما دما فهو آكله

(٣) زيادة عن س ، حـ . (٤) دهلك : جزيرة فى بحر اليمن وهو مرسى بين بلاد اليمن والحبشة بلدة ضيقة حرجة حارة كان بنو أمية اذا سخطوا على أحد نفوه اليها (راجع ياقوت) .

(٥) يريد : مدة سلطانه .

هجا مجمع بن يزيد فسبه

أخبرني الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثني مصعب عمّي عن مصعَب بن عثمان قال :

قال الأحوص لمجمع بن يزيدَ بنِ جارِية[1] :

وجُمِّعتَ من أشياء شتّى خبيثةٍ * فسُمّيتَ لمّا جئتَ منها مُجَمِّعا

٥ فقال له مجمّع : إنى لا أُحسن الشعر ، ثم أخذ كُرْنافة[2] فغمسها فى ماء فغاصت ، ثم رفع يدَه عنها فطفتْ ، فقال : هكذا والله كانت تَصنَعُ خالاتُكَ السَّوَاحِرُ .

طلب من أم ليث أن تدخله الى جارة لها فأبت فعرّض بها فى شعره

أخبرني الحَرَميّ قال وحدّثنا الزُّبَير قال :

كانت آمرأة يقال لها أُمّ لَيْث آمرأةَ صِدْق[3] ، فكانت قد فتحت بينها وبين جارةٍ لها من الأنصار خَوْخة ، وكانت الأنصاريّةُ من أجمل أنصاريّةٍ خُلِقَتْ ، ١٠ فكلّم الأحوصُ أمَّ ليثٍ أن تُدخِلَه فى بيتها يكلّمُ الأنصاريّةَ من الخَوْخة التى فتحت بينها وبينها ، فأبَتْ ، فقال : أمَا لأُكافئنّك ، ثم قال :

هيهاتَ منك بنو عمرو ومسكنُهم * اذا تشتّيتَ قِنَّسرِينَ[4] أو حَلَبا

قامت تَرَاءَى وقد جَدّ الرحيلُ بنا * بين السَّقيفةِ والبابِ الذى نُقِبا

إنّى لمانحُها ودّى ومتّخِذٌ * بأُمّ ليثٍ إلى معروفِها سَبَبَا

١٥ فلما بلغت الأبياتُ زوجَ المرأة ، سدّ الخَوْخةَ ، فاعتذرتْ اليه أُمّ ليث ، فأبى أن يقبَل ويصدّقَها ، فكانت أُمّ لَيْث تدعو على الأحوص .

---

(١) مجمع بضم أوّله وفتح الجيم وتشديد الميم المكسورة . وجارية بالجيم والراء والياء المثناة من تحت كما فى تهذيب التهذيب فى اسم مجمع . وقد ورد هذا الاسم فى الأصول : «حارثة» بالحاء والراء والثاء المثلثة ، وهو تحريف . (٢) الكِرْنافة : واحدة الكرناف (بكسر الكاف وضمها) . وهو أصول الكرب التى تبقى فى جذع النخلة بعد قطع السعف . (٣) اذا قلت : رجل صدق أو امرأة صدق بالإضافة كسرت ٢٠ الصاد ، وإن نعتّ به فتحتها . (٤) قنسرين (بكسر القاف وفتح النون مشدّدة) : كورة بالشأم بالقرب من حلب وهى أحد أجناد الشام . فتحها أبو عبيدة بن الجرّاح رضى الله عنه فى سنة سبع عشرة .

قالوا : الأحوص . قال : بل الله بين قيِّمها و بينه . قال : فمن الذى يقول :

ستُبْلَى لكم فى مُضْمَرِ القلب والحشا[1] * سريرةُ حُبٍّ يوم تُبْــلَى السرائرُ

قالوا : الأحوص؛ قال : إن الفاسق عنها يومئذ لمشغول ، والله لا أرُدُّه ما كان لى سلطان. قال : فمكث هناك بقيّةَ ولاية عمر وصَدْرًا من ولاية يزيد بن عبد الملك.

غنت حبابة يزيد ابن عبد الملك بشعر فلما علم أنه للأحوص أطلقه وأجازه

قال : فبينا يزيدُ وجاريته حَبَابَةُ ذاتَ ليلة على سطح تُغَنّيه بشعر الأحوص، قال لها : من يقول هــذا الشعر؟ قالت : لا وعينيك ما أدرى ! — قال : وقد كان ذهب من الليل شَطْرُه — فقال : ٱبعثوا إلى ٱبن شِهَاب الزُّهْرِىّ فعسى أن يكون عنــده علمٌ من ذلك؛ فأُتِىَ الزُّهْرِىُّ فقُرِع عليه بابُه فخرج مُرَوَّعا إلى يزيد ؛ فلما صَعِد إليه قال له يزيد : لا تُرَعْ، لم نَدْعُك إلا لخير، اجلس، من يقول هــذا الشعرَ؟ قال : الأحوص بن محمد ياأمير المؤمنين؛ قال : ما فعل؟ قال : قد طال حبسُه بدَهْلَك ؛ قال : قد عَجِبْتُ لعُمَر كيف أغفلَه . ثم أمر بتَخْلِيَة سبيله ووهب له أربَعمائة دينار؛ فأقبل الزُّهْرِىّ من ليلته إلى قومه من الأنصار فبشّرهم بذلك .

قصيدته التى يعاتب بها عمر بن عبد العزيز على إدنائه زيد بن أسلم وإقصائه له

أخبرنى الحَرَمِىّ قال حدثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدثنا محمد بن إسماعيل ومحمد ابن زيد الأنصارىّ قالا :

لـمـا وَلِى عمرُ بن عبد العزيز الخلافةَ أدنى زيدَ بن أسْلَم، وجفا الأحوصَ . فقال له الأحوص :

ألستَ أبا حفص هُــدِيتَ مُخَبِّرِى * أفى الحقِّ أن أُقْصَى ويُدْنَى ٱبنُ أَسْلَما

فقال عمر : ذلك هو الحق .

(١) كذا فى الشعر والشعراء (ص ٣٣٠ طبع أوربا) . وفى الأصول والخزانة (ج ١ ص ٢٣٢) : « ستبقى لها » .

قال الزُّبير: وأنشدنيها عبد الملك بن الماجِشُون عن يوسف بن الماجشون:

ألَا صِلَةَ الأرحام أدنى إلى التُّقَى * وأظهَرُ في أكفائه لو تكرّمَا[1]

فما ترك الصُّنعُ الذي قد صنعتَه * ولا الغيظُ منّي ليس جِلدًا وأعظُمَا

وكنّا ذوِي قُرْبَى لديكَ فأصبحتْ * قرابتُنا ثَدْيًا أجَدَّ مُصَرَّمَا[2]

٥ وكنتَ وما أمّلتُ منك كبارقٍ * لَوَى قَطْرَه من بعد ما كان غَيَّمَا

وقد كنتَ أَرْجَى الناسِ عندي مودّةً * لياليَ كان الظَّنُّ غَيْبًا مُرَجَّمَا

أعُدُّك حِرْزًا إن جَنيتُ ظُلَامةً * ومالًا ثَرِيًّا حين أحمِلُ مَغْرَمَا

تَدَارَكْ بعُتْبَى عاتبًا ذا قرابةٍ * طوى الغيظَ لم يَفْتَح بسُخْطٍ له فَمَا

قيل إنه دس الى حبابة الشعر الذى غنت يزيد به فاطلقه وأجازه

أخبرني الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال: كتب إليّ إسحاق بنُ إبراهيم

١٠ أنّ أبا عُبيدة حدّثه:

أن الأحوص لم يزل مقيما بدَهْلَك حتى مات عمرُ بن عبد العزيز، فدَسّ إلى حَبَابة فغنّت يزيدَ بأبيات له — قال أبو عُبَيدة: أظنّها قولَه:

صوت

أيُّهذا المُخَبِّرِي عن يزيدٍ * بصلاحٍ فِدَاكَ أهلي ومالي

١٥ ما أُبالي إذا يزيدُ بَقِي لي * مَنْ تولّت به صُروفُ الليالي

لم يجنّسه. كذا جاء في الخبر أنها غنّته به، ولم يذكر طريقتَه. قال أبو عُبيدة: أُراه عَرّض بعمر بن عبد العزيز ولم يقدِر أن يصرّح مع بني مروان — فقال: من

(١) في ط: «وأظهر في أكفائه». (٢) كذا في ء، ط والشعر والشعراء. وثدى أجدّ: يابس لا لبن به، ومصرّم: منقطع اللبن. وفي ب، س: «أحذ» بالحاء والذال

٢٠ المعجمة، وهو تحريف.

يقول هذا؟ قالت : الأحوص، وهوّنتْ أمرَه، وكلّمتْه فى أمانه فأمّنه؛ فلما أصبح حضَر فآستأذنتْ له، ثم أعطاه مائةَ ألفِ درهم .

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الهَيْثم بن عَدِىّ عن صالح ابن حسّان :

أنّ الأحوص دَسّ إلى حَبابةَ، فغنّتْ يزيدَ قولَه :

كريمُ قريشٍ حين يُنْسَب والذى * أقرّتْ له بالملك كَهْلًا وأمْرَدَا

وليس وإن أعطاك فى اليوم مانعًا * إذا عُدْتَ من أضعاف[1] أضعافه غَدَا

أهان تِلَادَ المال فى الحمد إنه * إمامُ هُدًى يَجْرِى على ما تعوّدَا

تشرّفَ مجدًا من أبيه وجَدّه * وقد وَرِثا بُنْيانَ مجدٍ تَشَيّدَا[2]

فقال يزيد : ويلكِ يا حَبابةُ! من هذا مِن قريش ؟ قالت : ومن يكون ! أنت هو يا أميرَ المؤمنين؛ فقال : ومَن قال هذا الشعرَ ؟ قالت : الأحوص يمدح به أميرَ المؤمنين؛ فأمر به أمير المؤمنين أن يُقْدَم عليه من دَهْلَك، وأمر له بمالٍ وكُسْوة.

أخبره يزيد بن عبد الملك بأنه معجب بشعر له فى مدحهم

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى بعضُ أهل العلم قال :

دخل الأحوصُ على يزيد بن عبد الملك وهو خليفةٌ، فقال له يزيد : والله لو لم تَمُتّ إلينا بحُرْمة ، ولا توسّلْتَ بدَالّة[3] ، ولا جدّدتَ لنا مَدْحا، غير أنك مُقْتَصِر على البيتين اللذين قلتَهما فينا ، لكنتَ مستوجِبًا لجزيل الصّلة منّى حيث تقول :

وإنى لأستحيِيكمُ أن يقودَنى * إلى غيركم من سائر الناس مَطْمَعُ

---

(١) كذا فى حـ ، م . وفى سائر الأصول : «أضعاف إعطائه» . (٢) فى م : « مشيدا » وفى ى ، ط : « وشيدا » . (٣) كذا فى الأمالى لأبى علىّ القالى (ج ١ ص ٦٩ طبع دار الكتب المصرية) . وفى الأصول : «ولم تضربنا بدالة ولم تجدّد لنا مديحة ... الخ» .

وأن أجتـدِى للنفع غيرَك منهمُ * وأنت إمامٌ للرعيّـة مَقْنَـعُ[1]

قال : وهذه قصيدةٌ مدح بها عمرَ بنَ عبد العزيز .

لما ولى يزيد بعث اليه فأكرمه فدحه

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهْرِىّ قال حدّثنى عمر بن موسى بن عبد العزيز قال :

٥ لما وَلِىَ يزيدُ بن عبد الملك بَعث إلى الأحوص، فأُقْدِم عليه، فأكرمه وأجازه بثلاثين ألفَ درهم؛ فلما قدم قُبَاءَ صبّ المالَ على نِطْع ودعا جماعةً من قومه، وقال : إنّى قد عملتُ لكم طعاما؛ فلما دخلوا عليه كشَف لهم عن ذلك المال، وقال : ﴿أَفَسِحْرٌ هٰذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ .

٥١/٤

قال الزبير : وقال فى يزيد بن عبد الملك يمدحه حينئذ بهذه القصيدة :

١٠ صَرَمَتْ حبلَك الغَدَاةَ نَوارُ * إن صَرْمًا لكلّ حبل قُصَارُ[2]

وهى طويلة، يقول فيها :

من يكن سائلًا فإنّ يزيدًا * ملكٌ مِن عطائه الإكثارُ

عـمَّ معروفُه فعزّ به الدِّ * نُ وذَلّت لمُلكه الكُفّار

وأقام الصِّراطَ فَابْتَهَج الحـقُّ[3] منيرًا كما أنار النّهارُ

١٥ ومن هذه القصيدة بيتان يُغَنَّى فيهما، وهما :

صـوت

بَشَرٌ لو يَدِبُّ ذَرٌّ عليـه * كان فيـه من مَشْيِه آثارُ

إنّ أَرْوَى إذا تذكّر أروى * قلبُـه كاد قلبُـه يُسْتَطارُ

(١) رجل مقنع (بفتح الميم) : يُقنع به و يرضى برأيه وقضائه . (٢) القصار : الغاية .

٢٠ (٣) فى حـ ، م : « فانتهج » بالنون بدل الباء، وعلى هذه الرواية يكون الفعل مبنيا للفعول .

غنّت فيه عَرِيبُ لحنًا من الثقيل الأوّل بالبنصر ، وذكر آبنُ المكّى أنه لجدّه يحيى .

بعث يزيد اليه والى ابن حزم فأراد أن يكيد عنده لابن حزم فلم يقبل منه وأهانه

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى عمّى مصعَب عن مصعَب بن عثمان قال :

حجّ يزيدُ بن عبد الملك فتزوّج بنتَ عَوْن بن محمد بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه وأصْدَقَها مالًا كثيرا، فكتب الوليدُ بن عبد الملك إلى أبى بكر بن محمد بن عمرو ابن حَزْم : إنه بلغ أميرَ المؤمنين أنّ يزيد بن عبد الملك قد تزوج بنتَ عَوْن بن محمد ابن علىّ بن أبى طالب وأصدَقها مالًا كثيرا، ولا أُراه فعلَ ذلك إلّا وهو يراها خيرا منه،قبّح اللهُ رأيَه ! فإذا جاءك كتابى هذا فادْعُ عَوْنًا فاَقبِض المالَ منه؛ فإن لم يدفعه إليك فاَضرِبه بالسِّياط حتى تَسْتوفِيَه منه ثم آفسَخْ نِكاحَه . فأرسل أبو بكر بن محمد بن عمرو إلى عَوْن بن محمد وطالبه بالمال؛ فقال له : ليس عندى شىءٌ وقد فرّقتُه؛ فقال له أبو بكر : إن أميرَ المؤمنين أمرنى إن لم تَدْفَعه إلىّ كلَّه أن أضربَك بالسِّياط ثم لا أرفَعها عنك حتى أستوفِيَه منك؛ فصاح به يزيد : تعالَ إلىّ، فجاءه، فقال له فيما بينه و بينه : كأنك خَشِيتَ أن أُسلِمَك إليه، ادفع إليه المالَ ولا تُعرِّض له نفسَك، فإنه إن دفَعه إلىّ رددتُه عليك و إن لم يردّه علىّ أخلفتُه عليك، ففَعَل . فلما ولِى يزيدُ بن عبد الملك، كتب فى أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم و فى الأحوص، فحُمِلا إليه ، لما بين أبى بكر والأحوص من العداوة ؛ وكان أبو بكر قد ضَرَب الأحوصَ وغرّبه إلى دَهْلَكَ وأبو بكر مع عمر بن عبد العزيز، وعمرُ إذ ذاك على المدينة . فلمّا صارا بباب يزيد أُذن للأحوص، فرفع أبو بكر يديه يدعو، فلم يخفضهما حتى خرج الغِلمان بالأحوص مُلَبَّبًا (١) مكسورَ الأنف، و إذا هو لمّا دخل على يزيد

(١) ملببا : مأخوذا بتلابيبه وهو أن تجمع ثيابه عند صدره ونحره ثم يجرّ منها .

قال له : أصلحك الله، هذا ابنُ حَزْم الذى سفّه رأيك وردّ نكاحك ؛ فقال يزيد : كَذَبْتَ! عليك لعنةُ الله وعلى من يقول ذلك ! اكسِروا أنفَه، وأمَر به فأُخرِجَ مُلَبَّبًا .

قصته مع عبد الحكم ابن عمرو الجمحى

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله عن عبد الله بن عمرو الجُمَحىّ (١) قال :

٥٢/٤

كان عبد الحكم (٢) بن عمرو بن عبد الله بن صَفْوان الجُمَحىّ قد اتّخذ بيتا فجعل فيه شِطْرَنجاتٍ ونَرْدَاتٍ وقِرْقاتٍ (٣) ودفاترَ فيها من كلّ علم ، وجعل فى الجدار أوتادًا، فمن جاء علّق ثيابَه على وَتِدٍ منها، ثم جرّ دَفْترا فقرأه، أو بعضَ ما يُلْعب به فلَعِب به مع بعضهم . قال : فإنّ عبد الحكم يوما لَفِى المسجد الحرام إذا فتًى داخلٌ من باب الحَنّاطين ، بابِ بنى جُمَحَ، عليه ثَوْبان مُعَصْفَران مَدْلُوكان وعلى أُذُنه ضِغْثُ (٤) رَيْحان وعليه رَدْعُ (٥) الخَلُوق، فأقبل يَشُقّ الناسَ حتى جلس إلى عبد الحكم بن عمرو بن عبد الله، فجعل مَنْ رآه يقول : ماذا صُبَّ عليه من هذا ! ألم يَجد أحدا يجلس إليه غيرَه ! ويقول بعضهم : فأىّ شىء يقولُه له عبدُ الحكم، هو أكرمُ مِن أن يَجْبَهَ مَنْ يقعُد إليه . فتحدّث إليه ساعةً ثم أهوى فَشَبّك يدَه فى يد عبد الحكم وقام يَشُقّ المسجدَ حتى خرج من باب الحَنّاطين — قال عبد الحكم : فقلتُ فى نفسى : ماذا سلّط الله علىّ منكَ، رآنى معك نِصفُ الناس فى المسجد ونصفُهم فى الحَنّاطين — حتى دخل مع عبد الحكم بيتَه، فعلّق رداءَه على وَتِدٍ وحَلّ أزرارَه واجتَرّ الشِّطْرَنْج

---

(١) فى ح ، م : «عمر» . (٢) فى ح ، م : «عبد الحكيم» .

(٣) النردات : جمع نرد وهو ما يعرف اليوم "بالطاولة" . والقرقات : جمع قرق وهى لعبة للصبيان يخطون بها أربعة وعشرين خطا مربعات كل مربع منها داخل الآخر و يصفون بين تلك المربعات حصيات صغيرة على طريقة مخصوصة . (٤) الضغث : كل ما ملأ الكف من النبات . (٥) الردع : اللطخ بالزعفران . والخلوق : ضرب من الطيب، وقيل : الزعفران .

وقال : مَن يلعب ؟ فبينا هو كذلك إذ دخل الأُبْجَرُ المغنّى ، فقال له : أىْ زِنْديقُ ما جاء بك إلى ها هنا ! وجعل يَشتُمه ويُمَازِحه ، فقال له عبد الحكم : أتشتُم رجلاً فى منزلى ! فقال : أتعرفه ؟ هذا الأحوص ، فاعتنَقه عبدُ الحكم وحيّاه ، وقال له (١) : أمّا إذ كنتَ الأحوصَ فقد هان علىّ ما فعلتَ .

خطب عبد الملك ابن مروان أهل المدينة وتمثل بشعره

أخبرنى الطُّوسىّ والحَرَمىّ قالا حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنى حُمَيد بن عبد العزيز عن أبيه قال :

لما قَدِم عبدُ الملك بن مروان حاجًّا سنةَ خمس وسبعين ، وذلك بعد ما اجتمع النّاسُ عليه بعامين ، جلس على المنبر فشَتَمَ أهلَ المدينة ووبّخهم ، ثم قال : إنى والله يأهلَ المدينة قد بلوتُكم فوجدتُكم تَنْفَسُون القليلَ وتحسُدون على الكثير ، وما وجدتُ لكم مثلًا إلا ما قال مُخَنَّثكم وأخوكم الأحوص :

وكم نزلتْ بى من خُطُوبٍ مهمّةٍ (٢) * خذلتم عليها ثم لم أتخشّعِ
فأدْبرَ عنّى شرُّها لم أُبَلْ بها (٣) * ولم أدْعُكم فى كَرْبِها المتطلّعِ

فقام إليه نَوْفَلُ بن مُسَاحِق فقال : يا أمير المؤمنين ، أقْرَرْنا بالذنب وطلبْنا المَعْذرةَ ، فعُدْ بحلمك ، فذلك ما يُشْبِهُنا منك ويُشْبِهُك منا ، فقد قال من ذَكَرتَ من بعد بيتيه الأوّلين :

وإنّى لَمُسْتأنٍ ومُنتظِرٌ بكم * وإن لم تقولوا فى الملمّات دَعْدَعِ (٤)
أُؤمّلُ منكم أن تَرَوْا غيرَ رأيكم * وشيكًا وكيْما تنزِعوا خيرَ مَنْزَعِ

(١) كذا فى م . وفى سائر النسخ : « فقال اذا كنت ... الخ » . (٢) فى م : « ... خطوب ملمة * صبرت عليها ... » . (٣) أبل : أصله أبالى ، لحذف آخره للجازم ثم حذفت حركة اللام تخفيفا كما تحذف نون يكون بعد الجازم ، ثم حذفت الألف لالتقاء الساكنين .
(٤) هذه كلمة تقال للعاثر ، ومعناها : دع العثار وقم وانتعش واسلم ، وقد تجعل اسما كالكلمة وتعرب ؛ قال الشاعر :
لحى الله قوما لم يقولوا لعاثر * ولا لأبن عم ناله العثرُ دعدعَا

أثر أهل دهلك عنه الشعر وعن عراك بن مالك الفقه

أخبرنى الحَرَمىّ والطُّوسىّ قالا حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى محمد بن الضّحّاك عن المُنْذر بن عبد الله الحِزامىّ :

أن عِراك[1] بن مالك كان من أشدّ أصحابِ عمرَ بن عبد العزيز على بنى مروان فى آنتزاع ما حازوا من الفَىْء والمَظَالم من أيديهم؛ فلما ولِى يزيدُ بن عبد الملك ولّى عبدَ الواحد بن عبد الله النَّصْرى[2] المدينةَ، فقرّب عِراكَ بن مالك وقال : صاحبُ الرجل الصالح، وكان لا يقطع أمرا دونه، وكان يجلس معه على سريره. فبينا هو معه إذ أتاه كتابُ يزيدَ بن عبد الملك : أنِ آبعَثْ مع عِراك بن مالك حَرَسيًّا حتى يُنْزِلَه أرضَ دَهْلَكَ وخُذْ من عِراكٍ حَمُولَتَه . فقال لِحَرَسىّ بين يديه وعِراكٌ معه على السرير : خُذْ بيد عِراك فآبتَعْ من ماله راحلةً ثم توجّه به نحوَ دَهْلَك حتى تُقِرَّه فيها ؛ ففعل ذلك الحَرَسىّ . قال : وأقدمَ الأحوصَ؛ فمدحه الأحوصُ؛ فأكرمه وأعطاه . قال : فأهلُ دَهْلَكَ يأثُرون الشعرَ عن الأحوص، والفقهَ عن عِراك ابن مالك .

كاد له الجراح الحكمى بأذربيجان لهجائه يزيد بن المهلب وأهانه

أخبرنى أبو خَليفة الفَضْل بن الحُبَاب عن محمد بن سَلّام عن أبى الغَرّاف[3] عمن يَثِق به قال :

بعث يزيدُ بنُ عبد الملك حين قُتل يزيدُ بن المُهَلَّب فى الشعراء، فأمر بهجاء يزيدَ ابنِ المهلَّب، منهم الفرزدق وكُثَيِّر والأحوص؛ فقال الفرزدق : لقد آمتدحتُ بنى

(١) هو عراك بن مالك الغفارى التابعى، مات فى ولاية يزيد بن عبد الملك . وقد ورد هذا الاسم محرّفا فى أكثر الأصول . (٢) كذا فى حـ ، م . وهو الموافق لما فى الخلاصة (ص ٢٤٧) وتهذيب التهذيب (ج ٢ ص ٤٣٦) والأنساب للسمعانى . وينتسب كما هو مذكور فى الأخيرين إلى نصر ابن معاوية بن بكر بن هوازن بن مالك بن عوف وقد أصلح المرحوم الأستاذ الشنقيطى نسخته بما صوبناه . وفى سـ « البصرى » وهو تحريف . (٣) كذا فى حـ . وفى سائر النسخ : «أبو العوّام» وهو تحريف . وأبو الغراف هذا من شيوخ ابن سلام .

المهلّب بمدائح ما امتدحتُ بمثلها أحدًا، وإنه لقبيحٌ بمثلى أن يكذّب نفسَه على كبر السّنّ، فَلْيُعفِنى أميرُ المؤمنين؛ قال : فأعفاه . وقال كُثيّر : إنى أكره أن أُعَرِّض نفسى لشعراء أهلِ العراق إن هجوتُ بنى المهلّب . وأما الأحوصُ فإنه هجاهم . ثم بعث به يزيدُ بن عبد الملك إلى الجَرّاح بن عبد الله الحَكَمىّ وهو بأذْرَبِيجان، وقد كان بلغ الجرّاحَ هجاءُ الأحوص بَنى المهلّب ، فبعث إليه بِزِقٍّ من خمر فأُدْخِل منزلَ الأحوص، ثم بعث إليه خيلًا فدخلت منزلَه فصبّوا الخمرَ على رأسه ثم أخرجوه على رءوس النـاس فأتَوْا به الجرّاحَ، فأمر بحَلْق رأسه ولحيته، وضربه الحَدّ بين أوجه الرجال، وهو يقول : ليس هكذا تُضْرَب الحدود ؛ فجعل الجرّاح يقول : أجلْ ! ولكن لمـا تعلم؛ ثم كتب إلى يزيد بن عبد الملك يعتذر فأغضى له عليها .

رأى أبى الفرج فيه واستدلاله على هذا الرأى

قال أبو الفرج الأصبهانىّ : وليس ماجرى من ذكر الأحوص إرادةً للغَضّ منه فى شعره، ولكنا ذكرنا من كل مايُؤْثَر عنه ماتُعرَف به حالُه من تقدّمٍ وتأخّرٍ، وفضيلةٍ ونقصٍ ؛ فأما تفضيلُه وتقدّمُه فى الشعر فمُتَعَـالَمٌ مشهورٌ، وشـعرُه يُنْبِئُ عن نفسه ويدلّ على فضله فيه وتقدّمِه وحسنِ رَوْنَقه وتهذّبِه وصفائه .

رأى الفرزدق وجرير فى نسيبه

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء والطُّوسىّ قالا حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنا عبد الملك بن عبد العزيز(١) قال حدّثنى عبد الله بن مُسْلِم بن جُنْدَب الهُذَلىّ قال حدّثنا شيخ لنا من هُذَيْل كان خالًا للفرزدق من بعض أطرافه قال :

سمعت بالفرزدق وجَرير على باب الحَجّاج، فقلت : لو تعرّضتُ ابنَ أختنا ! ، فامتطيتُ إليه بعيرًا، حتى وجدتُهما قبل أن يَخْلُصا(٢)، ولكلّ واحدٍ منهما شيعةٌ، فكنتُ

---

(١) كذا فى ى، ط، م، وهو عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله بن أبى سلمة الماجشون . وفى باقى الأصول : «قال حدثنا عبد العزيز» وفيه حذف، لأن الزبير بن بكار روى عن عبد الملك ولم يرو عن أبيه . (٢) يخلصا : يصلا، يقال : خلص فلان الى كذا اذا وصل اليه .

فى شيعة الفرزدق ؛ فقام الآذنُ يوما فقال : أين جرير؟ فقال جرير : هذا أبو فِراس؛ فأظهرتْ شيعتُه لَوْمَه وأسرّته؛ فقال الآذن : أين الفرزدقُ؟ فقام فدخل؛ فقالوا لجرير: أتُناوِئُه وتُهاجِيه وتُشَاخِصُه، ثم تُبَدِّى عليه فتأبَى وتُبَدِّيه ؟! قضيتَ له على نفسك! فقال لهم : إنه نَزْرُ القول، ولم يَنْشَب(١) أن يَنْفَد ما عنده وما قال فيه فيُفاخِرَه ويرفعَ نفسَه عليه، فما جئتُ به بعدُ حُمِدتُ عليه واستُحْسِن ؛ فقال قائلهم : لقد نظرتَ نظرا بعيدا . قال : فما نَشِبوا أن خرج الآذن فصاح : أين جرير ؟ فقام جريرٌ فدخل ؛ قال : فدخلت ، فإذا ما مدحه به الفرزدق قد نفد وإذا هو يقول :

أين الذين بهم تُسَامِى دارِمًا(٢) * أم مَنْ إلى سَلْفَى(٣) طُهَيّة تجعلُ

قال : وعمامتُه على رأسه مثل المِنْسَف(٤)، فصحتُ من ورائه :

هذا ابنُ يوسفَ فاعلموا وتفهّموا * بَرِح الخفاءُ فليس حين تَنَاجى

مَنْ سَدّ مُطَّلَعَ(٥) النِّفاق عليكمُ * أم من يَصول كصولة الحجّاج

أم من يغَار على النساء حفيظةً * إذ لا يَثِقْن بغَيْرة الأزواج

قل للجبان اذا تأخّر سرجُه * هل أنت من شَرَك المنيّة ناجى

قال : وما تشبيبها ؟ وطرِب ؛ فقال جرير :

(١) لم ينشب : لم يلبث ، وهذا اللفظ عند العرب عبارة عن السرعة وأصله من نشب العظم فى الحلق والصيد فى الحبالة أى لم يعلق به شىء يمنعه عن ذلك . (٢) دارم : اسم قبيلة . (٣) فى ب ، س : « سفلى طهية » وهو تحريف ، والتصويب عن بقية الأصول والنقائض (ص ١٨٣) . وطهية : بنت عبد شمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، كانت عند مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد ، فولدت له أبا سود وعوفا وجشيشا ، فغلبت على بنيها فنسبوا اليها . (٤) المنسف : الغربال الكبير . (٥) المطلع : المأتى : تقول : من أين مطلع هذا الأمر أى من أين مأتاه .

لَجّ الهوى بفؤادك المِلْجاجِ[1] * فاحبِسْ بتُوضِحَ باكِرَ الأحداجِ

وأمَرَّها، أو قال : أمْضَاها ؛ فقال : أعطُوه كذا وكذا ، فاستقللتُ ذلك . فقال الهُذَلىّ : وكان جرير عربيا قَرَوِيًّا ، فقال للحجّاج : قد أمر لى الأمير بما لم يُفْهَم عنه ، فلو دعا كاتبًا وكتب بما أمَر به الأميرُ ! فدعا كاتبا واحتاط فيه بأكثر من ضِعفه ، وأعطى الفرزدقَ أيضا . قال الهُذَلىّ : فجئتُ الفرزدقَ فأمر لى بستين دينارًا وعبدٍ ، ودخلتُ على رُواته فوجدتُهم يُعَدِّلون ما انحرف من شعره ، فأخذتُ من شعره ما أردتُ ، ثم قلتُ له : يا أبا فراس ، مَنْ أشعرُ الناس ؟ قال : أشعرُ الناس بعدى ابنُ المَرَاغة . قلت : فمَنْ أنسبُ الناس ؟ قال الذى يقول :

لى لَيلتانِ فَلَيْلَةٌ معسولةٌ * ألقَى الحبيبَ بها بنجمِ الأسْعُدِ

ومريحةٌ[2] همّى علىّ كأنّنى * حتى الصباحِ مُعَلَّقٌ بالفرقَدِ

قلت : ذاك الأحوص ؛ قال : ذاك هو . قال الهذلىّ : ثم أتيت جريرا فجعلتُ أستقلّ عنده ما أعطانى صاحبى أستخرِج به منه ؛ فقال : كم أعطاك ابنُ أُختك ؟ فأخبرتُه ؛ فقال : ولك مثلُه ، فأعطانى ستين دينارًا وعبدًا . قال : وجئت رُوَاتَه وهم يقوّمون ما انحرف من شعره وما فيه من السِّناد[3] ، فأخذت منه ما أردتُ ، ثم قلت : يا أبا حَزْرَة ، مَنْ أنسبُ الناس ؟ قال الذى يقول :

---

(١) الملجاج : اللجوج ، وقد ورد هذا البيت فى الأمالى (ج ٣ ص ٤٣ طبع دار الكتب المصرية) وديوانه المطبوع والمخطوط هكذا :

هاج الهوى لفؤادك المهتاج * فانظر بتوضح باكرُ الأحداج

وتوضح : موضع معروف فى بلاد بنى يربوع . والأحداج : جمع حِدْج وهو مركب من مراكب النساء نحو الهودج والمحفة . يريد ، على هذه الرواية ، هاج باكرُ الأحداج الهوى لفؤادك فأرم بطرفك نحو توضح .

(٢) مريحة : من أراح الإبل اذا ردّها الى المراح من العشىّ ، والمراد أنها تسوق اليه همه . (٣) السناد : كل عيب يوجد فى القافية قبل الروىّ ، وفسره ابن سيده بأنه المخالفة بين الحركات التى تلى الأرداف فى الروىّ (انظر الحاشية رقم ١ ص ١٤٣ من الجزء الأوّل والحاشية رقم ١ ص ٣٤٨ من الجزء الثانى من هذه الطبعة) .

يا ليت شعرى عمّن كلفتُ به * من خَثْعَمٍ إذ نأيتُ ما صَنَعُوا
قومٌ يَحُلّون بالسَّدير(١) وبال * حِيرة منهم مَرْأًى ومُسْتَمَعُ
أن شَطَّتِ الدارُ عن ديارهم * أأمسكوا بالوصال أم قَطَعوا
بل هم على خيرِ ما عَهِدتُ وما * ذلك إلّا التأميلُ والطَّمعُ

٥ قلت : ومن هو ؟ قال : الأحوص؛ فاجتمعا على أن الأحوصَ أنسبُ الناس .

نسبة ما فى هذا الخبر من الغناء

منها الأبيات التى يقول فيها الأحوص :

* لى ليلتان فليلة معسولة *

وأول ما يغنَّى به فيها :

١٠ ### صوت

يا لَلرِّجالِ لِوَجْدك المتجدِّدِ * ولِمَا تُؤمِّل من عَقِيلةَ فى غدِ
ترجو مواعِدَ بعثُ آدمَ دونَها * كانت خَبَالًا للفؤاد المُقْصَدِ
هل تَذْكرين عَقيلُ أو أنساكِهِ * بَعْدِى تقلُّبُ ذا الزمانِ المُفْسِدِ
يومِى ويومَكِ بالعَقيق إذ الهوى * منّا جميعُ الشَّمْل لم يَتبدّدِ
١٥ لى ليلتان فليلةٌ مَعْسولةٌ * ألقى الحبيبَ بها بنجم الأسعُدِ
ومريحةٌ همّى علىّ كأننى * حتى الصباحِ معلّق بالفَرْقَدِ

٥٥/٤ — عَروضُه من الكامل . يقال : يا لِلرجال(٢) ويا لَلرجال بالكسر والفتح . وفى الحديث أنّ عمر رضى الله عنه صاح لمّا طُعِن : يا لَله يا لَلمسلمين . وقوله

(١) السدير : نهر بالحيرة، وقيل : السدير : قصر فى الحيرة من منازل آل المنذر (أنظر الحاشية رقم ٢
٢٠ ص ١٣٧ ج ٢ من هذه الطبعة) . (٢) لام الاستغاثة تفتح مع المستغاث وتكسر مع المستغاث لأجله، فإذا دخلت على ضمير، مثل يالك، فتحت دائماً، وكسرت مع ياء المتكلم، واحتمل الكلام حينئذ الأمرين .

فى غد : يريد فيما بعدُ وفى باقى الدهر، قال الله سبحانه : ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الأَشِرُ﴾. والخَبَل والخَبَال: النقصان من الشيء . والمُخَبَّل : أصله مأخوذ من النقص لأنه ناقص العقل . والمعسولة : الحُلوة المُشْتهاة — .

الشعر للأحوص . والغناء فى البيت الأول والثانى لمالك خفيفُ رَمَلٍ بالبنصر عن الهِشَامى وحَبَش . وفى الثالث والرابع لسليمانَ[(1)] أخى بَابَوَيْه ثقيلٌ أوّلُ ٥ بالوسطى عن عمرو . وفيهما وفى الخامس والسادس لحنٌ لابن سُرَيْج ذكره يونسُ ولم يجنِّسه . وذكر حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه أن لمَعْبَد فى الأبيات كلِّها لحنًا وأنه من صحيح غنائه، ولم يجنِّسه .

سألت امرأة ابنا للأحوص عن شعره

أخبرنى الحُسَين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن ايوب بن عَبَايَةَ قال :

بلغنى أن ابنًا للأحوص بن محمد الشاعر دخل على امرأةٍ شريفةٍ ، وأخبرنى ١٠ الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنى إبراهيم بن زيد عن عَنْبسة[(2)] بن سَعيد بن العاصى قال أخبرنى أَشْعَبُ[(3)] بن جُبَيْر قال :

حضَرت امرأةٌ شَريفة ودخَل عليها ابنُ الأحوص بن محمد الشاعر، فقالت له : أتروى قولَ أبيك :

لى ليلتان فليلةٌ معسولةٌ * أَلْقَى الحبيبَ بها بنجم الأَسْعُدِ ١٥

ومريحةٌ همّى علىّ كأننى * حتى الصباح معلّقٌ بالفرقدِ

(١) فى م : « لسليم » . (٢) كذا فى ى ، ط ، م . وفى سائر النسخ : « إبراهيم بن زيد بن عنبسة » ، وهو تحريف . (٣) كذا فى ب ، حـ ، م . وفى سائر النسخ : «أشعث» وهو تحريف .

قال : نعم ؛ قالت : أتدرى أى الليلتين التى يبيت فيها معلّقا بالفَرْقَد؟ قال : لا والله ؛ قالت : هى ليلة أُمّك التى يبيت معها فيها . قال إبراهيم فى خبره : فقلت لأشعب : يا أبا العَلَاء ، فأىّ ليلتيه المعسولة ؟ فقال :

ستُبدى لك الأيامُ ما كنتَ جاهلًا * ويأتيك بالأخبار مَنْ لم تُزوِّدِ

هى ليلة الإسراف[1] ، ولا تسأل عما بعدها .

ماقاله ابن جندب حين أنشد شعر الأحوص

أخبرنى عبد العزيز ابن بنت الماجِشُون قال :

أُنشِد ابنُ جُنْدَبٍ قولَ الأحوص :

لى ليلتان فليلةٌ معسولةٌ * أَلْقَى الحبيبَ بها بنجم الأسعُدِ

ومُرِيحةٌ همّى علىّ كأننى * حتى الصباح معلّقٌ بالفَرْقَدِ

فقال : أمَا إن الله يعلم أن الليلةَ المُرِيحةَ همّى لألذّ الليلتين عندى . قال الحَرَمىّ ابن أبى العَلَاء : وذلك لكَلَفه بالغزل والشوق والحَنين وتمنّى اللقاء .

من هى عقيلة التى شغف بها الأحوص

وللأحوص مع عَقِيلة هذه أخبارٌ قد ذُكِرت فى مواضع أُخَر . وعقيلة آمرأةٌ من ولد عَقِيل بن أبى طالب رضى الله عنه . وقد ذكر الزُّبَير عن ابن بنت الماجِشُون عن خاله أن عقيلةَ هذه هى سُكَينة بنت الحُسَين عليهما السلام ، كَنَى عنها بعقيلة .

أعجب أبو عبيدة ابن عمار بيت له وحلف لا يسمعه إلا جرّ رسنه

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى عمر بن أبى بكر المؤملى : أن إنسانا أنشد عند إبراهيمَ بنِ هشام وهو والى المدينة قولَ الأحوص :

إذ أنتِ فينا لمن ينهاكِ[2] عاصيةٌ * وإذ أُجُرّ إليكم سادرًا رَسَنِى

(١) كذا فى ط . وفى باقى الأصول : « ليلة الاشراف » بالشين المعجمة .

(٢) كذا فى ء ، م ، وقد اتفقت عليها الأصول فيما بعد . وفى سائر النسخ هنا : « يهواك » .

فوثب أبو عُبيدة بن عمّـار بن ياسر قائمًـا ثم أرْخى رداءَه ومضى يمشى على تلك الحال ويجرّه حتى بلغ العِرْض[1] ثم رجع . فقال له إبراهيم بن هشام حين جلس : ما شأنُك ؟ فقال : أيهـا الأمير ، إنى سمِعتُ هـذا البيتَ مرّة فأعجبنى ، فحلفت لا أسمعه إلّا جرَرْتُ رَسَنِى .

٥٦ / ٤

نسبة هذا البيت وما غُنّى فيه من الشعر

٥

صـــوت

سَقْيًا لربعِك من رَبْعٍ بذى سَلَمٍ * وللزمان به إذ ذاك من زَمَنِ

إذ أنتِ فينا لمن يَنْهاك عاصيةٌ * واذ أُجُرّ إليكم سادِراً رَسَـنِى

عروضُه من البسيط . غنّى ابنُ سُرَيْج فى هذين البيتين لحنًا من الثقيل الأوّل بالوُسْطى[2] عن عمرو . وذكر إسحاق فيه لحنا من التقيل الأوّل بالسبابة فى مجرى الوُسْطَى ولم ينسُبه إلى أحد، وذكر حَبَش[3] أنه للغَرِيض .

١٠

كان حماد الراوية يفضله على الشعراء فى النسيب

أخبرنى أبو خَلِيفة عن محمد بن سَلّام عن سالم بن أبى السَّحْاء وكان صاحبَ حمّادٍ الراوية :

أن حمّادا كان يُقدِّم الأحوص فى النَّسيب .

هجا رجلا فاستعدى عليـه الفرزدق وجريرا فلم ينصراه فعاد فصالحه

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنـا عمرُ بن أبى سليمان عن يوسفَ ابن أبى سُلَيمان بن عُنيزة[4] قال :

١٥

(١) العرض (بالكسر) : الوادى فيه زروع ونخل ، يقال : أخصبت أعراض المدينة وهى قراها التى فى أوديتها ، ويراد به هنا مكان بعينه .

(٢) فى حـ : « بالسبابة فى مجرى الوسطى » .

(٣) فى ط ، ء : « يونس » .

(٤) فى حـ : « عنترة » .

هجا الأحوصُ رجلاً من الأنصار من بنى حَرَام يقال له آبن بَشِير، وكان كثيرَ المال، فغضب من ذلك، فخرج حتى قدِم على الفرزدق بالبَصْرة وأهدى إليه وألطَفه[1]، فقبل منه، ثم جلسا يتحدّثان، فقال الفرزدق: ممّن أنت؟ قال: من الأنصار، قال: ما أَقْدَمَك؟ قال: جئتُ مُستجيرا بالله عزّ وجلّ ثم بك من رجلٍ هجانى، قال: قد أجارك اللهُ منه وكَفَاكَ مُؤنتَه، فأين أنت عن الأحوص؟ قال: هو الذى هجانى، فأطرق ساعة ثم قال: أليس هو الذى يقول:

ألا قِفْ بِرَسْم الدار فٱستَنْطِقِ الرّسما * فقد هاج أحزانى وذكّرنى نُعْمَا[2]

قال بلى، قال: فلا والله لا أهجو رجلاً هذا شعرُه. فخرج آبنُ بشير فآشترى أفضلَ من الشراء الأوّل من الهدايا، فقدِم بها على جرير، فأخذها وقال له: ما أَقْدَمَك؟ قال: جئتُ مستجيرًا بالله وبك من رجلٍ هجانى، فقال: قد أجارك الله عزّ وجلّ منه وكفاك، أين أنت عن آبن عمك الأحوص بن محمد؟ قال: هو الذى هجانى، قال: فأطرق ساعةً ثم قال: أليس هو الذى يقول:

تمشّى بشَتْمِى فى أَكَارِيسِ[3] مالكٍ * تُشِيدُ به كالكلب إذ يَنْبَح النَّجْمَا

فما أنا بالمخسوسِ فى جِذْمِ[4] مالكٍ * ولا بالمُسمَّى ثم يلتزم الإسْمَا

ولكنّ بيتى إن سألتَ وجدتَه * توسّط منها العِزّ والحسبَ الضّخْمَا

قال: بلى والله، قال: فلا والله لا أهجو شاعرًا هذا شعره. قال: فآشترى أفضل من تلك الهدايا وقدِم على الأحوص فأهداها إليه وصالحه.

---

(١) ألطفه: أكرمه وبرّه بطُرَف التحف، والاسم "اللَّطَف" بالتحريك. (٢) ورد فى بعض الأصول «نعمى» بالياء فى آخره، وقد سمّوا «بنُعْم» «ونُعمى». (٣) أكاريس: جمع الجمع لِكِرْس وهو الجماعة من الناس. (٤) الجذم: الأصل.

نسبة ما فى هذا الخبر من الغناء

صـــوت

ألا قِفْ برَسْمِ الدّار فآستنطِقِ الرّسما * فقد هاج أحزانى وذكّرنى نُعْمَى
فبتُّ كأنى شاربٌ من مُدَامةٍ * اذا أذهبتْ همًّا أتاحت له هَمّا

غناه إبراهيمُ الموصلىّ خفيفَ رَمَلٍ بالوُسْطَى عن الهِشَامىّ . وذكر عبد الله ٥
ابن العبّاس الرَّبيعى أنه له . ٥٧/٤

أنشد أبو السائب المخزومى شعرا له فطرب ومدحه

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنى الزُّبَير قال حدّثنى عبد الملك بن عبد العزيز قال:
قال لى أبو السائب المَخْزُومىّ : أنشدْنى للأحوص، فأنشدتُه قولَه :

قالت وقلتُ تحرّجى وصِلِى * حبلَ آمرئٍ بوصالكم صَبِّ
واصِلْ إذاً بَعْلِى فقلتُ لهـا * الغدر شىءٌ ليس من ضَرْبى(١) ١٠

صـــوت

ثنتـان لا أدنو لوصـلهما(٢) * عِرْسُ الخليل وجارةُ الجَنْبِ(٣)
أما الخليـلُ فلستُ فاجِعَه * والجـارُ أوصـانى به رَبّى
عُوجُوا كذا نذكرْ لغانيـةٍ * بعضَ الحديث مَطِيَّكم صَحْبى
ونَقُلْ لهـا فيمَ الصدودُ ولم * نُذْنِبْ بَلَ انتِ بدأتِ بالذّنبِ ١٥
إنْ تُقبلى نُقبل وننزلكم * منّـا بدار السَّهْل والرُّحْبِ
أو تُدبرى تَكْدُرْ معيشتُنا * وتَصـدّعى متلائمَ الشَّعْبِ

---

(١) كذا فى حـ . وفى سائر النسخ : «شعبى» . (٢) فى ب ، سـ : «بوصلهما» .
(٣) جار الجنب بالفتح : اللازق بك الى جنبك .

— غنّى فى « ثِنْتان لا أدنو » والذى بعدَه ٱبنُ جامع ثقيلًا أوّل بالوُسْطى . وغنّى فى «عوجوا كذا نذكر لغانيةٍ» والأبياتِ التى بعده ٱبنُ مُحْرِزٍ لحنًا من القَدْر الأوسطِ من الثّقيل الأوّل مطلقًا فى مَجْرَى البِنْصر — قال : فأقبل علىّ أبو السائب، فقال : يٱبنَ أخى، هذا والله الحبُّ عينًا لا الذى يقول :

٥ وكنتُ إذا خليلٌ رام صرمى * وجدتُ وراىَ مُنْفَسَحًا عريضَا

اِذهَبْ فلا صَحِبَك اللهُ ولا وَسَّع عليك (يعنى قائلَ هذا البيت) .

سأل المهدى عن أنسب بيت قاله العرب فأجاب رجل من شعره فأجازه

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنى الزُّبَير قال حدّثنا خالد بن وَضّاح قال حدّثنى عبد الأعلى بن عبد الله بن محمد بن صَفْوان الجُمَحىّ قال :

حَملت دَيْنًا بعسكر المهدى، فركب المهدىُّ بين أبى عبيد الله وعمر بن بَزِيع، ١٠ وأنا وراءه فى موكبه على بِرْذَوْنٍ قَطُوف[1]، فقال : ما أنسبُ بيتٍ قالته العربُ ؟ فقال له أبو عبيد الله : قولُ امرئ القيس :

وما ذَرَفتْ عيناكِ إلا لتَضْربى * بسَهْمَيْك فى أعْشارِ قَلْب مُقَتَّلِ

فقال : هذا أعرابىٌّ قُحٌّ . فقال عمرُ بن بَزِيع : قولُ كُثَيِّر يا أمير المؤمنين :

أُريد لأنْسَى ذكرَها فكأنما * تَمثَّلُ لى لَيْلَى بكل سبيلِ

١٥ فقال : ما هذا بشىء، وماله يريد أن يَنْسَى ذكرَها حتى تَمثَّلُ له . فقلت : عندى حاجتُك يا أمير المؤمنين جعلنى الله فداك، قال : الحَقْ بى ؛ قلت : لا لَحَاقَ بى، ليس ذلك فى دابّتى ؛ قال : احملوه على دابة . قلت : هذا أوّل الفتح ؛ فحُملت على دابّة، فَلحِقْتُ، فقال : ماعندك ؟ فقلت : قولُ الأحوص :

(١) القطوف : الدابة التى تبطئ فى سيرها .

إذا قلتُ إنى مُشْتَفٍ بلقائها * فحُمَّ التلاقى بيننا زادنى سُقْمَا

فقال : أحسن والله، اِقضُوا عنه دَيْنَه، فقُضِىَ عنّى دَيْنى .

نسبة ما فى هذا الخبر من الأغانى

منها الشعر الذى هو(1) :

أريد لِأَنْسَى ذِكْرَها فكأنما * تَمَثَّلُ لى ليلَى بكلّ سبيلِ

صوت

أَلَا حَيِّيَا لَيْلَى أجدّ رَحِيلى * وآذنَ أصحابى غَدًا بقُفُولِ

ولم أر من ليلى نَوَالًا أُعَدّه * أَلَا ربّما طالبتُ غيرَ مُنِيلِ

أريد لأنسى ذكرَها فكأنما * تَمَثَّلُ لى لَيْلَى بكلّ سبيلِ

وليس خَلِيلى بالمَلُولِ ولا الذى * إذا غِبْتُ عنه باعنِى بخليلِ

ولكن خليلى من يدوم وِصَالُه * ويحفظ سِرِّى عند كلِّ دخيلِ

عَرُوضُه من الطويل . الشعر لكُثَيِّر . والغناء فى الثلاثة الأبيات الأُوَلِ لإبراهيمَ ، ولحنه من الثقيل الأوّل بإطلاق الوَتَر فى مَجرى البِنصر . ولابنه إسحاق فى :

* وليس خليلى بالمَلُول ولا الذى *

ثقيلٌ آخرُ بالوسطى .

حديث ابن سلام عن كثير وجميل

أخبرنى أبو خَليفة قال حدّثنا محمد بن سَلّام، وأخبرنى الحَرَمِىّ قال حدّثنا الزُّبَير عن محمد بن سَلّام قال :

كان لكُثَيِّر فى النَّسيب حظٌّ وافر ، وجميلٌ مُقَدم عليه وعلى أصحاب النسيب جميعًا، ولكُثَيِّر من فنون الشعر ما ليس لجَميل، وكان كُثَيِّر راويةَ جميل، وكان جميل

(1) كذا فى ب . وفى س : « الذى هو أوّله » . وفى سائر النسخ : « الذى أوله » .

صادقَ الصَّبابة والعشق، ولم يكن كُثَيِّر بعاشق، وكان يتقوّل . قال : وكان الناس يستحسنون بيت كُثَيِّر فى النَّسيب :

أريد لأنسى ذكرَها فكأنما * تَمَثَّلُ لى لَيْـلَى بكلّ سبيل

قال : وقد رأيت من يفضّل عليه بيتَ جميل :

خليليّ فيما عِشْـتُما هل رأيتمـا * قتيلًا بكى من حُبّ قاتله قَبْلِى

حديث ابن مصعب الزبيرى عن كثير

قرأت فى كتاب منسوب إلى أحمد بن يحيى البَلَاذُرِىّ : وذكَر إسحاقُ بن إبراهيم الموصلىّ أن عبد الله بن مُصْعَب الزُّبَيرىّ كان يومًا يذكر شعر كُثَيِّر ويصف تفضيلَ أهل الحجاز إياه، إلى أن انتهى إلى هذا البيت؛ قال إسحاقُ : فقلت له : إن الناس يَعِيبون عليه هذا المعنى ويقولون : ماله يريد أن ينساها؛ فتبسّم ابنُ مصعب ثم قال : إنكم يأهلَ العراق لتقولون ذلك .

سئل كثير عن أنسب بيت قاله فأجاب

أخبرنى أحمد بن عبـد العزيز الجَوْهرىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى أبو يحيى الزُّهْرِىّ (١) قال حدّثنى الهِزَبْرِىّ (٢) قال :

قيل لكُثَيِّر : ما أنسبُ بيتٍ قلتَه ؟ قال : الناس يقولون :

أريد لأنسَى ذكرَها فكأنما * تَمَثَّلُ لى لَيْـلَى بكلّ سبيل

وأنسبُ عندى منه قولى :

وقُلْ أُمُّ عَمْرو داؤه وشفاؤه * لديْها ورَيّاها إليـه طبيبُ (٣)

وقد قيل : إن بعض هذه الأبيات للمتوكّل اللّيثى .

(١) فى م : « الزبيرى » . (٢) فى ط ، ء ، م : « الهديرى » .

(٣) فى ط ، ء ، م : * لديها ورياها الشفاء من الخبل *

قال محرز بن جعفر إن الشعر فى الأنصار واستشهد بشعر صاحبهم الأحوص

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى عثمان — قال الحَرَمىّ: أحسبه ابن عبد الرحمن المَخزومىّ — قال حدّثنا إبراهيم بن أبى عبد الله قال:

قيل لمُحْرِز بن جعفر: أنت صاحب شعر، ونراك تَلْزَم الأنصار، وليس هناك منه شىء؛ قال: بَلَى والله، إن هناك لَلشِّعرَ عينَ الشّعرِ، وكيف لا يكون الشّعر هناك وصاحبهم الأحوص الذى يقول:

٥٩/٤

يقولون لو ماتتْ لقد غاض حُبُّه * وذلك حينُ الفاجِعـات وحينِى

لعمرُكَ إنّى إن تُحَمَّ وفاتُهـا * بصُحبـة من يبقى لغَـيرُ ضَنينِ

وهو الذى يقول:

وإنى لمِكْرَامٌ لســاداتِ مالكٍ * وإنى لِنَوْكَى مالكٍ لَسَـبُوبُ

وإنّى على الحلم الذى من سجيّتى * لحَمّـالُ أضـغانٍ لهنّ طَلُوبُ

ما قاله الأحوص من الشعر فى مرض موته

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنى الزُّبَير قال حدّثنى عمّى مُصْعب قال حدّثنى يحيى ابن الزُّبَير بن عَبّاد بن حَمْزة بن عبـد الله بن الزبير، قال الزبير وحدّثنى على بن صالح عن عامر بن صالح:

أن الأحوص قال فى مَرَضــه الذى مات فيه، وقال عامر بن صالح: حين هَرَب من عبد الواحد النَّصْرىّ إلى البصرة،:

يا بِشْر يا رُبَّ محزونٍ بمَصْرَعِنَا * وشـامتٍ جَذِلٍ ما مسّـه الحَزَنُ

وما شَماتُ امرئٍ إنْ[1] مات صاحبُه * وقـد يرى أنه بالموت مُرْتَهَنُ

يا بشر هُبِّى فإن النومَ أرّقه * نأىٌ مُشِتٌّ وأرض غيرُها الوَطَنُ

(١) فى ط، م: «قد».

ذكر الدَّلَال وقصته حين خُصِىَ ومن خُصِىَ معه
والسبب فى ذلك وسائر أخباره

اسمه وكنيته وولاؤه

الدَّلال اسمُه ناقِد[1]، وكنيته أبو زيد[2]، وهو مدنىّ مولى بنى فَهْم .

وأخبرنى على بن عبد العزيز عن ابن خُرْدَاذْبَه قال :

٥ قال إسحاق : لم يكن فى المخنَّثين أحسنُ وجهًا ولا أنظفُ ثوبًا ولا أظرفُ من الدَّلال . قال : وهو أحد مَنْ خصاه ابنُ حزم ، فلما فُعِل ذلك به قال : الآن تمّ الخُنْث .

وأخبرنى الحَسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن أبى عبد الله مصعَب الزُّبيرىّ قال :

١٠ الدَّلال مولى عائشةَ بنت سعيد بن العاص .

كان ظريفا صاحب نوادر وكان يغنى غناء كثير العمل

وأخبرنى الحسين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبى عبد الله مصعَب الزُّبيرى قال :

كان الدَّلال من أهل المدينة، ولم يكن أهلُها يَعُدّون فى الظرفاء وأصحابِ النوادر من المخنَّثين بها إلّا ثلاثةً : طُوَيسٌ، والدَّلالُ، وهِنْبٌ[3] ؛ فكان هِنْبٌ أقدمَهم، ١٥ والدَّلال أصغرَهم . ولم يكن بعد طُوَيس أظرفُ من الدَّلال ولا أكثرُ مُلَحًا .

(١) كذا فى شرح القاموس (مادة دلل) ونهاية الأرب (ج ٤ ص ٣١٥) . وفى س ، م : «نافذ» بالفاء والدال المهملة . وفى باقى الأصول : «نافذ» بالفاء والذال المعجمة . (٢) كذا فى شرح القاموس ونهاية الأرب . وفى جميع الأصول : «أبو يزيد» . (٣) كذا فى ب ، س . وفى شرح القاموس (مادة هنب) أن النبي صلى الله عليه وسلم نفى مخنثين أحدهما «هيت» والآخر «ماتع» ، ٢٠ قال إنما هو «هنب» فصحفه أصحاب الحديث . وقال الأزهرى : رواه الشافعى وغيره «هيت» وأظنه صوابا . وقد ورد فى المشتبه «هيت» . وورد هذا الاسم فى باقى الأصول مضطربا .

قال إسحاق : وحدّثنى هِشام بن المُرِّيَّة عن جَرِير، وكانا نديمين مدنيّين، قال : ما ذكرتُ الدَّلالَ قطُّ إلا ضحكتُ لكثرة نوادره . قال : وكان نَزْرَ الحديث، فإذا تكلّم أضحك الثَّكْلَى، وكان ضاحكَ السن، وصنعتُه نَزْرةٌ جيِّدة، ولم يكن يغنّى إلا غناء مُضْعَفًا، يعنى كثيرَ العمل .

كان أهل المدينة يفخرون به

قال إسحاق : وحدّثنى أيُّوبُ بن عَبَايَة قال :

شهِدت أهلَ المدينـة إذا ذكروا الدَّلال وأحاديثَه، طوّلوا رقابَهم وفَخَروا به، فعلمت أن ذلك لفضيلةٍ كانت فيه .

كان يلازم النساء

قال وحدّثنى ابنُ جامع عن يونسَ قال :

كان الدَّلال مُبْتلًى بالنساء والكَوْن معهن، وكان يُطْلَب فلا يُقْدَر عليـه، وكان بديعَ الغناء صحيحَه حَسَنَ الجِرْم(١) .

سبب لقبه، وتوسطه بين الرجال والنساء

قال إسحاق وحدّثنى الزُّبيرى قال :

إنمـا لُقِّب بالدَّلال لشكله وحُسْن دَلِّه وظَرْفه وحلاوة منطقه وحسن وجهه وإشارته . وكان مشغوفًا(٢) بمخالطة النساء ووَصْفهن للرجال . وكان من أراد خِطْبة امرأة سأله عنها وعن غيرها، فلا يزال يَصِفُ له النساء واحدةً فواحدة حتى ينتهىَ إلى وصف ما يُعجبه؛ ثم يتوسط بينه وبين من يُعجبه منهن حتى يتزوّجها؛ فكان يُشاغِل كلَّ مَن جالسه عن الغناء بتلك الأحاديث كراهةً منه للغناء .

(١) كذا فى أ كثر الأصـول . والجـرم بالكسر : الصوت أو جهارته . وفى م ونهاية الأرب (حـ ٤ ص ٢١٦) : « الجـزم » . والجزم : وضع الحـروف مواضعها فى بيـان ومهل .

(٢) فى ء، حـ، م : « مشعوفا » بالعين المهملة، وكلاهما بمعنى واحد . وقد قرئ بهما فى قوله تعالى (قَدْ شغفها حُبًّا) .

قال إسحاق وحدّثني مصعب الزُّبيري قال [1]:

أنا أعلم خلق الله بالسبب الذي من أجله خُصِي الدَّلال ، وذلك أنه كان القادم يَقْدَم المدينةَ ، فيسأل عن المرأة يتزوّجها فيُدَلُّ على الدَّلال ؛ فإذا جاءه قال له : صِفْ لي مَنْ تعرف من النساء للتزويج ، فلا يزال يصف له واحدة بعد واحدة حتى ينتهي

٥ إلى ما يوافق هواه ؛ فيقول : كيف لي بهذه ؟ فيقول : مهرُها كذا وكذا ؛ فإذا رَضِيَ بذلك أتاها الدَّلال ، فقال لها : إني قد أصبتُ لكِ رجلًا من حالِه وقصّته وهيئته ويَساره ولا عهدَ له بالنساء ، وإنما قَدِم بلدَنا آنفًا ؛ فلا يزال بذلك يشوّقها ويحرّكها حتى تُطيعَه ؛ فيأتي الرجلَ فيُعْلِمه أنه قد أحكم له ما أراد . فإذا سُوِّيَ الأمرُ وتزوّجتْه المرأة ، قال لها : قد آن لهذا الرجل أن يدخل بك ، والليلةَ موعده ،

١٠ وأنت مغتلِمة شَبِقة جامّة [2] ، فساعةَ يدخل عليك قد دَفَقْتِ عليه مثلَ سَيْل العَرِم ، فيَقْذَرُك ولا يعاودُك ، وتكونين من أشأم النساء على نفسك وغيرك ؛ فتقول : فكيف أصنع ؟ فيقول : أنت أعلم بدواء حِرِك ودائه وما يسكِّن غُلْمتك ؛ فتقول : أنت أعرف ؛ فيقول : ما أجد له شيئا أشْفَى من النيك ، فيقول لها : إن لم تخافي الفضيحةَ فأبعثي إلى بعض الزنوج حتى يقضيَ بعضَ وَطَرِك ويكفَّ عاديةَ

١٥ حِرِك ؛ فتقول له : وَيْلَك ! ولا كلّ هذا ! فلا تزال المحاورة بينهما حتى يقول لها : فكما جاء عليّ أقوم [3] ، فأخفّفك وأنا والله إلى التخفيف أحوج ؛ فتفرح المرأة فتقول : هذا أمر مستور ، فينيكها ؛ حتى إذا قضى لذته منها ، قال لها : أمّا أنت فقد استرحتِ وأمِنْتِ العيب وبَقِيتُ أنا ؛ ثم يجيء إلى الزوج ، فيقول له : قد واعدتُها

(١) اشتمل هذا الخبر على ألفاظ صريحة في الفحش ، وقد آثرنا إبقاءه كما هو احتفاظا بكيان الأغاني

٢٠ الذي يعتبر من أجلّ مصادر التاريخ والأدب العربي . (٢) يقال : جم الفرس وغيره اذا ترك الضراب فتجمع ماؤه . (٣) في م : « فكما حكم عليّ أقوم » .

أن تدخلَ عليكَ الليلةَ ، وأنت رجل عَزَب(١)، ونساءُ المدينــة خاصّةً يُرِدْن المطاولةَ فى الجماع ، وكأنى بك كما تدخله عليهــا تفرغ وتقوم، فتُبغضك وتمقُتك ولا تعاودك بعدها ولو أعطيتَها الدنيا، ولا تنظر فى وجهك بعدها ؛ فلا يزال فى مثل هذا القول حتى يعــلم أنه قد هاجت شهوتُه ، فيقول له : كيف أعمل؟ قال : تطلب زَنْجيّــة فتنيكها مرتين أو ثلاثا حتى تســكُن غُلْمتك ، فإذا دخلتَ الليلةَ إلى أهلك لم تجد أمرَك إلّا جميلا ؛ فيقول له ذاك : أعوذ بالله من هذه الحال، أزناً وزَنْجيّةً ! لا والله لا أفعل ! فاذا أكثر محاورتَه قال له : فكما جاء علىّ قُمْ فنكنى أنا حتى تسكن غُلْمتُك وشَــبَقُك ؛ فيفرح فينيكه مرّة أو مرتين ؛ فيقول له : قد اســتوى أمرُك الآنَ وطابت نفسُك، وتدخل على زوجتك فتنيكها نيكا يملؤها سرورًا ولذّةً؛ فينيك المرأةَ قبل زوجها، وينيكه الرجلُ قبل امرأته؛ فكان ذلك دأبَه،الى أن بلغ خبرُه سليمانَ ابنَ عبد الملك، وكان غَيُورًا شديد الغَــيْرة ، فكتب بأن يُخْصَى هو وسائرُ المخنّثين [بالمدينة ومكة](٢) ، وقال : إن هؤلاء يدخلون على نساء قُرَيش ويُفسدونهن ؛ فورد الكتابُ على ابن حَزْم فخصاهم . هــذه رواية إسحاقَ عن الزُّبيرى . والسبب فى هذا أيضا مختَلَف فيه، وليس كلُّ الرُّواة يروون ذلك كما رواه مصعَب .

رواية أخرى فى السبب الذى خصى من أجله الدلال وسائر المخنثين بالمدينـــة

فمما رُوِىَ من أمرهم ماأخبرنى به أحمد بن عبد العزيز الجَوْهَرىّ — وهذا الخبر أصحُّ ماروى فى ذلك إسنادا — قال أخبرنا أبو زيد عمر بن شَبَّة عن مَعْن بن عيسى، هكذا رواه الجَوْهرىّ، وأخبرنا به إسماعيل بن يونس قال حدّثنى عمر بن شَبّة قال حدّثنى أبو غَسّان قال : قال ابن جَنَاح حدّثنى مَعْن بن عيسى عن عبــد الرحمن بن أبى الزِّنَاد عن أبيه وعن محمد بن مَعْن الغِفَارىّ(٣) قالا :

(١) فى م : «غريب عزب» . (٢) زيادة عن م . (٣) فى ى ، ط : «عن أبيه محمد ابن معن الغفارى» وهو تحريف اذ أن أبا عبدالرحمن هذا هو عبد الله بن ذكوان المعروف بأبى الزناد .

كان سبب ما خُصى له المخنّثون بالمدينة أن سليمان بن عبد الملك كان فى نادية[1] له يَسْمُر ليلةً على ظهر سَطْح، فتفرّق عنه جلساؤه، فدعا بوَضُوء فجاءت به جاريةٌ له، فبينا هى تَصُبّ عليه إذ أومأ بيده وأشار بها مرّتين أو ثلاثًا، فلم تَصُبَّ عليه، فأنكر ذلك فرفع رأسه، فإذا هى مُصْغِية بسمعها إلى ناحية العَسْكَر، وإذا صوتُ رجل يغنّى، فأنصت له حتى سمع جميعَ ما تَغَنَّى به؛ فلمّا أصبح أذِن للناس، ثم أجرى ذِكْرَ الغِناء فلَيَّن فيه حتى ظنّ القومُ أنه يَشْتهيه ويريده، فأفاضوا فيه بالتّسهيل وذكرِ من كان يسمعه؛ فقال سليمان : فهل بقى أحد يُسمَع منه الغناء؟ فقال رجل من القوم : عندى يا أمير المؤمنين رجلان من أهل أَيْلَةَ مُجِيدان مُحْكِمان؛ قال : وأين منزلُك؟ فأومأ إلى الناحية التى كان الغناء منها؛ قال : فٱبعث إليهما، ففعل؛ فوجد الرسولُ أحدَهما، فأدخله على سليمان؛ فقال : ما ٱسمُك؟ قال : سُمَير، فسأله عن الغِناء، فٱعترف به؛ فقال : متى عهدُك به؟ قال : الليلةَ الماضية؛ قال : وأين كنتَ؟ فأشار إلى الناحية التى سَمِع سليمانُ منها الغناء؛ قال : فما غنّيت به؟ فأخبره الشعرَ الذى سمعه سليمانُ؛ فأقبل على القوم فقال : هَدَر الجمَلُ فضَبِعتِ[2] الناقةُ، ونَبَّ التَّيْسُ فشَكِرت الشاةُ، وهدَر[3] الحمامُ فزافت[4] الحمامةُ، وغنّى الرجلُ فطَرِبتِ المرأةُ، ثم أمر به فخُصِى . وسأل عن الغناء أين أصلُه؟ فقيل : بالمدينة فى المخنّثين، وهم أئمّتُه والحُذّاقُ فيه . فكتب إلى أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم الأنصارىّ، وكان عاملَه عليها، أن ٱخْصِ[5] مَنْ قِبَلَك من المخنّثين المغنّين — فزعَم موسى بن جعفر بن

(١) كذا فى م . والنادية : مؤنث النادى وهو مجلس القوم ومتحدثهم . وفى سائر النسخ : «بادية» بالباء الموحدة . (٢) ضبعت الناقة : اشتهت الفحل . ونبّ التيس : صاح عند الهياج . وشكرت الشاة : امتلأ ضرعها ويكنى بذلك عن حنينها . (٣) فى م : «هدل» ، والهديل : كالهدير ، وقيل صوت الذكر خاصة . (٤) زافت الحمامة : تبخترت فى مشيتها بين يديه وأقبلت عليه ناشرة جناحيها وذناباها . (٥) ذكر الجاحظ فى كتاب الحيوان (ج ١ ص ٥٥ طبع مصر) : أن الذى أمر بخصاء المخنثين هو هشام ابن عبد الملك وأن الذى تولى ذلك هو عثمان بن حيّان والى المدينة ، ثم ساق بعد ذلك طرفا من القصة .

أبى كَثِير قال أخبرنى بعض الكُتَّاب قال : قرأتُ كتابَ سليمان فى الديوان، فرأيتُ على الخاء نقطة كتمرة العَجْوة؛ قال: ومن لا يعلم يقول: إنه صحّف القارئُ، وكانت آحْصِ — قال: فتتبعهم ٱبنُ حزم فخَصَى منهم تسعةً؛ فنهم الدَّلَال، وطَريف[1]، وحَبيبٌ نَوْمةُ الضُّحَى . وقال بعضهم حين خُصِىَ : سَلِم الخاتنُ والمختون . وهذا كلام يقوله الصبىّ إذا خُتِن .

قال : فزعم ٱبن أبى ثابت الأعرج قال أخبرنى حمّاد بن نَشِيط الحَسَنىّ قال : أقبلْنا من مكة ومعنا بَدراقُس[2] وهو الذى خَتَنَهم، وكان غلامُه قد أعانه على خِصائهم، فنزلنا على حبيب نَوْمَةِ الضُّحَى، فٱحتفل لنا وأكرمنا؛ فقال له ثابت[3] : مَنْ أنت ؟ قال : يٱبن أخى أتجهلُنى وأنت وَلِيت خِتانى ! أو قال : وأنت ختنتَنى؛ قال : وا سوءتاه ! وأيّهم أنت؟ قال : أنا حَبيب؛ فٱجتنبت طعامه وخفْتُ أن يَسُمّنى . قال : وجعلتْ لحيةُ الدَّلَال بعد سنة أو سنتين تتناثر . وأما ٱبن الكلْبىّ فإنه ذكر عن أبى مِسْكين ولَقِيطٍ أن أَيْمَن كتب بإحصاء من فى المدينة من المخنّثين ليعرفَهم، فيوفِد عليه من يختاره للوِفادة؛ فظنّ أنه يريد الخِصاء فخصاهم .

أخبرنى وَكِيع قال حدّثنى أبو أيُّوب المَدِينىّ قال حدّثنى محمد بن سَلّام قال حدّثنى ٱبن جُعْدُبة[4]، ونسخت أنا من كتاب أحمد بن الحارث الخَزّاز عن المَدِينىّ عن ابن جُعْدُبة واللفظ له :

أن الذى هاج سليمانَ بن عبد الملك على ما صنعه بمن كان بالمدينة من المخنّثين، أنه كان مستلقيًا على فراشه فى الليل ، وجاريةٌ له الى جنبه ، وعليها غِلالةٌ ورِداءٌ

(١) فى ط ، م : « طريفة » . (٢) كذا ورد هذا الاسم مضبوطا فى ط .
(٣) لم يتقدّم لثابت هذا ذكر فى الكلام ولعله غلام الختّان. (٤) فى ح ، م : «أبو جعدبة» ، وهو تحريف .

مُعَصْفَران ، وعليها وِشَاحان من ذهب ، وفى عُنُقها فصلان من لؤلؤ وزَبَرْجَد وياقوت ، وكان سليمان بها مشغوفا[1] ، وفى عسكره رجلٌ يقال له سُمَير الأَيْلِىّ يُغَنِّى ، فلم يفكِّر سليمانُ فى غنائه شُغْلًا بها وإقبالًا عليها ، وهى لاهيةٌ عنه لا تُجيبه مُصغيةً إلى الرجل ، حتى طال ذلك عليه ، فحوّل وجهه عنها مُغْضَبًا ، ثم عاد الى ما كان مشغولا
٥ عن فهمه بها ، فسمع سُمَيرا يُغَنِّى بأحسن صوت وأطيب نغمة :

صـــوت

محجوبةٌ سَمِعتْ صَوْتى فأَرّقها * من آخر الليل حتى شَفّها[2] السَّهَرُ
تُدْنِى على جِيدها ثِنْىْ[3] مُعَصْفَرةٍ * والحَلْىُ منها على لَبَّاتها خَصِرُ
فى ليلة النصف مايدرى مُضَاجِعُها * أوجهُها عنده أبهى أم القمرُ

١٠ ويروى :

* أوجهُها ما يرى أم وجهها القمرُ *

لو خُلِّيَتْ لَمَشَتْ نحوى على قَدَمٍ * تكاد من رِقّةٍ للمشى تَنْفَطِرُ

— الغناء لسُمَير الأَيْلِىّ رَمَلٌ مطلَق بالبنصر عن حَبَش . وأخبرنى ذُكَاءُ وَجْه الرُّزَّة أنه سمع فيه لحنا للدَّلال من الثقيل الأول — فلم يشكُكْ سليمانُ أن
١٥ الذى بها مما سمعتْ ، وأنها تهوى سُمَيرا ؛ فوجّه من وقته مَن أحضره وحبَسه ، ودعا لها بسيف ونِطْع ، وقال : والله لَتَصْدُقِنّى أو لأضرِبنّ عنقك ! قالت : سَلْنِى عما تريد ؛ قال : أخبرينى عما بينك وبين هذا الرجل ؛ قالت : والله ما أعرفه ولا رأيته قطّ ، وأنا جارية مَنْشَئى الحجاز ، ومن هناك حُمِلتُ إليك ، ووالله

(١) فى م : «مشعوفا» بالعين المهملة ، وكلاهما بمعنى واحد . (٢) فى ط : «حتى طلها السحر» .
٢٠ وفى المحاسن والأضداد ص ٢٩٣ : «لما بلها السحر» . (٣) كذا فى ء ، ط ، م . وفى حـ : «ثنى» . وفى سائر النسخ : «ثنى» وكلاهما تحريف .

ما أعرف بهذه البلادِ أحدًا سواك؛ فرقّ لها وأحضر الرجلَ فسأله، وتلطّف له فى المسئلة، فلم يجد بينه و بينها سبيلا، ولم تَطِبْ نفسُه بتخليته سِوِيًّا [(1)] لخصاه؛ وكتب فى المخنّثين بمثل ذلك . هذه الرواية الصحيحة .

أسف ابن أبى عتيق لخصاء الدلال

وقد أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنى عمّى قال :

قيل للوليد بن عبد الملك : إن نساء قريش يدخل عليهن المخنّثون بالمدينة، وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : "لا يدخلْ عليكن هؤلاء"؛ فكتب إلى آبن حَزْم الأنصارىّ أن آخْصِهم، فخصاهم . فمرّ آبنُ أبى عَتِيق فقال : أخَصَيتم الدَّلاَل؟ أمَا والله لقد كان يُحْسِن :

لِمَن رَبْعٌ بذات الجَيْـ * ـش أمسَى دارسًا خَلَقَا
تأبّد [(2)] بعد ساكنه * فأصبح أهلُه فِرَقَا
وقفتُ به أُسائلُه * ومرّتْ عِيسُهم حِزَقَا [(3)]

ثم ذهب ثم رجع، فقال : إنما أعنى خَفِيفَه لستُ أعنى ثَقِيلَه .

أسف الماجشون لذلك

أخبرنى الحُسَين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الواقِدىّ عن آبن الماجِشُون :

أن خليفة صاحبَ الشُّرْطة لما خُصِىَ المخنّثون مرّ بأبيه [(4)] الماجشون وهو فى حَلْقته، فصاح به : تعالَ، فجاءه؛ فقال : أخَصَيتم الدَّلاَل ؟ قال : نعم؛ قال : أمَا إنه كان يُجيد :

لمن رَبْعٌ بذات الجيـ * ـش أمسى دارسا خَلَقَا

ثم مضى غيرَ بعيد فردّه، ثم قال : أستغفر الله إنما أعنى هَزَجه لا ثقيلَه .

---

(1) سويا : كاملا . (2) تأبد : توحش . (3) حزقا : جماعات . (4) فى الأصول : «مرّ بابن الماجشون» وهو تحريف، اذ الذى كان يعجبه الدلال و يستحسن غناءه و يدنيه و يقربه هو الماجشون لا آبنه، وآبن الماجشون هذا لم ير الدلال، و إنما تحدث اليه عنه أبوه . (انظر ص ٢٨٠ من هذا الجزء) .

أضحك الناس في الصلاة

٦٣/٤ أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني حمزة النّوفليّ قال :
صلّى الدّلال المخنّث إلى جانبي في المسجد ، فضرط ضرطة هائلة سمعها من
في المسجد ، فرفعنا رءوسنا وهو ساجد ، وهو يقول في سجوده رافعًا بذلك صوته : سبّح
لك أعلاي وأسفلي ؛ فلم يبق في المسجد أحدٌ إلا فتن وقطع صلاته بالضحك .

طرب شيخ في مجلس ابن جعفر للغناء وكان يكرهه

٥ أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه عن المدائنيّ عن أشياخه :
أن عبد الله بن جعفر قال لصديق له : لو غنّتك جاريتي فلانة :

لمن ربعٌ بذات الجيـ * ـش أمسى دارسًا خلقا

لمّا أدركت ذكاتك[1] ، فقال : جعلت فداك ، قد وجبت جنوبها فكلوا منها
وأطعموا البائس الفقير ، فقال عبد الله : يا غلام ، مُرْ فلانة أن تخرج ، فخرجت معها
١٠ عودها ، فقال عبد الله : إن هذا الشيخ يكره السماع ، فقالت : ويحه ! لو كره الطعام
والشراب كان أقرب له إلى الصواب ! فقال الشيخ : فكيف ذاك وبهما الحياة !
فقالت : إنهما ربّما قتلا وهذا لا يقتل . فقال عبد الله غنّي :

لمن ربعٌ بذات الجيـ * ـش أمسى دارسًا خلقا

فغنّت ، فجعل الشيخ يصفّق ويرقص ويقول :

١٥ * هذا أوانُ الشدّ فاشتدّي زيم *

ويحرّك رأسه ويدور حتى وقع مغشيًّا عليه ، وعبد الله بن جعفر يضحك منه .

غنّى الدلال الغمر ابن يزيد فطرب

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أبو غسّان قال :
مرّ الغمر بن يزيد بن عبد الملك حاجًّا ، فغنّاه الدّلال :

---

(١) كذا في ح ، م ، وكل مذبوح ذكاة ؛ قال الله تعالى : (وما أكل السبع إلا ما ذكيتم) أي
٢٠ إلا ما أدركتم ذكاته ، والتذكية : أن تدرك الشاة وغيرها وفيها بقية تشخب معها الأوداج وتضطرب
اضطراب المذبوح ؛ والمعنى أنها تلهيه بغنائها عن ذبح ذكاته فتموت ولا ينتفع بها . وفي سائر النسخ :
«دكانك» .

بانت سُعادُ وأمسى حبلها ٱنصرما * وٱحتلّتِ الغَمْرَ[1] فالأجراعَ[2] من إضَما[3]

فقال له الغمر : أحسنتَ والله ، وغلبتَ فيه ٱبنَ سُرَيج ؛ فقال له الدّلال : نعمةُ الله علىّ فيه أعظمُ من ذلك ؛ قال : وماهى ؟ قال : السُّمْعة، لا يسمعه أحد إلا علِم أنه غناء مخنَّثٍ حقّا .

نسبة هذا الصوت :

صــــوت

بانتْ سعادُ وأمسى حبلُها ٱنصرما * واحتلّت الغَمْرَ فالأجراعَ من إضَمَا
إحدَى بَلِيٍّ[4] وما هام الفـؤادُ بها * إلا السَّفَاهَ وإلا ذُكـرةً حُلُمَا
هلّا سألتِ بنى ذُبيـانَ ما حَسَبى * إذا الدُّخَانُ تَغَشَّى[5] الأشمطَ البَرَمَا

الشعر للنابغة الذُّبيانىّ . والغناء للدّلال خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوُسْطى عن الهشامى . وفيه خفيفُ ثقيلٍ[6] بالبِنصر لمَعْبَد عن عمرو بن بانة . وفيه لٱبن سُرَيج ثقيلٌ أوّل

(١) تقدم فى الجزء الأول (ص ٤٩ من هذه الطبعة) : «الغور» . والغمر : الماء الكثير أو بئر قديمة بمكة أو موضع بينه و بينها يومان . (٢) كذا فى أكثر الأصول . وفى حـ ، م : « فالأجزاع » بالزاى المعجمة . والأجراع : جمع جرع وهو مفرد أو جمع جرعة وهى الرملة الطيبة المنبت لا وعوثة فيها . (٣) إضم (بكسر ففتح) : واد بجبل تهامة وهو الوادى الذى فيه المدينة . وقد ورد هذا البيت فى ديوان النابغة الذبيانى هكذا :

بانت سعاد وأمسى حبلها انجذما * واحتلت الشرع فالأجزاع من إضما

وشرع : قرية على شرقىّ ذَرَة فيها مزارع ونخيل على عيون ، وواديها يقال له رخيم . والأجزاع : جمع جزع بالكسر — وقال أبو عبيدة : اللائق به أن يكون مفتوحا — : منعطف الوادى . وفى التاج (مادة أضم) :

* واحتلت الشرع فالحبتين من إضما *

والحبت : المتسع من بطون الأرض (انظر القاموس وشرحه و ياقوت فى هذه المواد) .
(٤) بلىّ كغنىّ : قبيلة من قضاعة . والسفاه : الطيش وخفة الحلم . والذكرة (بالكسر والضم) : نقيض النسيان . (٥) تغشى : تلبس . والأشمط : الذى خالطه الشيب . وخص الأشمط لأنه أجزع للبرد من الشاب فهو يتغشى النار قبله . والبرم : الذى لا يدخل مع القوم فى الميسر .
(٦) فى م : « ثقيل أول بالبنصر » .

بالبنصر عن حَبَش . وفيه لنَشيط ثانى ثقيلٍ بالبنصر عنه . وذكر الهشامىّ أن لحن مَعْبَد ثقيلٌ أوّل ، وذكر حمّاد أنه للغَرِيض . وفيه لجَمِيلة ودَحْمان لحنان ، ويقال : إنهما جميعا من الثقيل الأوّل .

احتكم اليه شيعى ومرجئ

أخبرنى الحُسَين بن يحيى قال أخبرنا حمّاد بن إسحاقَ إجازةً عن أبيه عن المدائنىّ قال :

اختصم شِيعِىٌّ ومُرْجِئٌ[1]، فجعلا بينهما أوّلَ من يطلُع، فطلع الدّلال، فقالا له : أبا زيد ، أيّهما خيرٌ : الشيعىّ أم المرجئ ؟ فقال : لا أدرى إلا أن أعلاى شِيعىّ وأسفلى مُرْجِئ ! .

هرب من المدينة الى مكة

قال إسحاق قال المدائنىّ وأخبرنى أبو مِسْكِين عن فُلَيح بن سُلَيمان قال :

٦٤/٤

كان الدّلال ملازمًا لأمّ سَعيد الأسلميّة وبنتٍ ليحيى بن الحَكَم بن أبى العاصى، وكانتا من أمْجَن النساء ، كانتا تخرُجان فتركَبان الفرسين فتستبقان عليهما حتى تبدوَ خَلاخِيلُهما؛ فقال معاوية لمَرْوانَ بنِ الحَكَم : اِكفِنى بنتَ أخيك؛ فقال: أفعل؛ فآستزارها، وأمر ببئر فحُفِرتْ فى طريقها، وغُطِّيت بحَصِير، فلما مشتْ عليه سقطتْ فى البئر فكانتْ قبرَها . وطُلِب الدّلال فهرَب إلى مكة ؛ فقال له نساء أهلِ مكة : قتلتَ نساء أهل المدينة وجئتَ لتقتلنا ! فقال : والله ماقتلهنّ[2] الا الحُكّاك ؛ فقلن : اعزُبْ أخزاك الله ، ولا أدنى بك [دارا[3]، ولا آذانا بك]؛ قال : فمَنْ لكُنّ

(١) المرجئة : جماعة كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد ، وكانوا يقولون : لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة . وهم فرق أربع : مرجئة الخوارج ، ومرجئة القدرية ، ومرجئة الجبرية ، والمرجئة الخالصة . (انظر الملل والنحل للشهرستانى ص ١٠٣ طبع أوربا) . (٢) كذا فى ى ، ط ، م . وفى سائر النسخ : « ماقتلهنّ أحد إلا الحكاك » . (٣) زيادة عن ب ، م .

بعدى يدلّ على دائكنّ و يعلم موضع شفائكنّ ؟ والله مازنيت قطّ ولا زُنِىَ بى ، وإنى لأشتهى ما تشتهى نساؤكم ورجالكم .

كان الماجشون يقرب الدلال ويستحسن غناءه

قال إسحاق وحدّثنى الواقدىّ عن ٱبن الماجِشُون قال :

كان أبى يُعْجبه الدَّلال و يستحسن غناءه ويُدْنيه ويقرّبه ، ولم أره أنا ، فسمعتُ أبى يقول : غنّانى الدَّلال يومًا بشعر مجنون بنى عامر ، فلقد خِفْتُ الفتنةَ على نفسى؛ فقلت : يا أبتِ، وأىّ شعر تَغنّى؟ قال قولَه :

صــــوت

عسى الله أن يُجْرِى المودّةَ بيننا * ويُوصِلَ حبلاً منكُمُ بحباليا

فكم من خَليلَىْ جَفوةٍ قد تَقَاطعا * على الدهر لمّا أن أطالا التّلاقيا

وإنّى لفى كَرْبٍ وأنتِ خليّةٌ * لقد فارقتْ فى الوصف حالُكِ حاليا

عتبتُ فما أعتبتِنى بمودّة * ورُمْتُ فما أسعفتِنى بسؤاليا

الغناء فى هذا الشعر للغَريض ثقيلٌ أوّلُ بالوُسْطَى، ولا أعرف فيه لحنًا غيرَه. وذكر حمّاد فى أخبار الدَّلال أنه للدّلال، ولم يجنّسه .

غرر بجة المخنث فعابث خثيم بن عراك صاحب الشرطة

قال إسحاق وحدّثنى الواقدىّ عن عثمان بن إبراهيم الحاطبىّ قال :

قدِم مخنَّث من مكة يقال له بُجّة، فجاء إلى الدَّلال فقال : يا أبازيد، دُلّنى على بعض مخنّثى أهلِ المدينة أُكايدْه وأمازِحْه ثم أجاذبه؛ قال : قد وجدتُه لك — وكان خُثيم[1] بن عِرَاك بن مالك صاحبُ شُرْطة زِياد[2] بن عبيد الله الحارثىّ جارَه، وقد خرج فى ذلك الوقت ليصلّىَ فى المسجد — فأومأ إلى خُثَيْم فقال : الحَقْه فى المسجد فإنه

(١) كذا فى ح ، وهو الموافق لما جاء فى تهذيب التهذيب وطبقات ابن سعد (ج ٥ ص١٨٧) وتقريب التهذيب وشرح القاموس . وفى ب ، سـ : «خيثم» . وورد فى ء ، ط مضطربا غير واضح .
(٢) كذا فى ء ، ط ، م ، وهو الموافق لما فى الطبرى (قسم ٢ ص ١٤٦٨ طبع أوربا) وابن الأثير (ج ٥ ص ٣٤٥ طبع أوربا) . وفى باقى الأصول : « زياد بن عبد الله » وهو تحريف .

يقوم فيه فيصلّى ليرائى النـاس ، فإنك ستظفر بمـا تريد منـه ؛ فدخل[1] المسجدَ وجلس إلى جنب آبن عِراك ، فقال : عَجِّل بصلاتك لاصلى الله عليك ؛ فقال خُثَيْم : سبحانَ الله ؛ فقال المخنّث : سَبَّحْتَ فى جامعةٍ قَرّاصةٍ[2] ، انصرف حتى أتحدّث معك ؛ فآنصرف خُثَيم من صلاته ، ودعا بالشُّرَط والسِّيَاط فقال : خذوه ، فأخذوه[3] فضربه مائةً وحبَسه .

٥

أضحك الناس فى الصلاة فتهدده الوالى

أخبرنى الحُسَين عن حَمَّاد عن أبيه قال :

صلّى الدَّلَالُ يومًا خَلْفَ الإمام بمكة فقرأ : ﴿ وَمَالِىَ لَا أَعْبُدُ الَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ؛ فقال الدَّلَال : لاأدرى والله ! فضحك أكثرُ النـاس وقطعوا الصلاة ؛ فلما قضى الوالى صـلاته دعا به ، وقال له : وَيْلَك ! أَلَا تَدَعُ هذا المجونَ والسفه ! فقال له : قد كان عنـدى أنك تعبد الله ، فلما سمعتُك تستفهم ، ظننتُ أنك قـد تشككتَ فى ربك فثبّتُّك ؛ فقـال له : أنا شككتُ[4] فى ربى وأنت ثبّتنى ! اذهبْ لعنك الله ! ولا تُعاوِدْ[5] فأُبالغَ والله فى عقوبتك ! .

١٠

قصته مع رجل زوجه امرأة لم يدخل بها

قال إسحاق وحدّثنى الواقدىّ عن عثمان بن إبراهيم قال :

سأل رجل الدَّلَال أن يزوّجه آمرأة فزوّجه ، فلما أعطاها صداقَها وجاء بهـا إليه فدخلت عليه ، قام إليها فواقعها ، فضرطتْ قبل أن يطأها ، فكسل عنها الرجلُ ومقتها وأمر بها فأُخرجتْ ، وبعث إلى الدَّلَال ، فعرّفه ماجرى عليه ؛ فقال له الدَّلَال :

١٥

٦٥/٤

(١) كذا فى ى ، ط ، م . وفى سائر النسخ : «فجلس فى المسجد وجلس الخ» . ولعلها «فجاس فى المسجد» . (٢) الجامعة : الغلّ لأنها تجمع اليدين الى العنق .

(٣) كذا فى ى ، ط ، م . وفى سائر النسخ : «فأخذه» .

(٤) كذا فى ح . وفى ى ، ط : «أنا أشك فى ربى وأنت تثبتنى» . وفى سائر النسخ : «أنا أشك فى ربى وأنت ثبتنى» . (٥) كذا فى ى ، ط ، م . وفى سائر النسخ : «ولا تعاوده» .

٢٠

فديتُك، هذا كلّه من عزّة نفسها؛ قال: دَعْنى منك، فإنى قد أبغضتُها، فأرْدُدْ علىّ دراهمى، فردّ بعضَها؛ فقال له: لم رددتَ بعضها وقد خرجتْ كما دخلت؟ قال: للروعة التى أدخلتَها على أستِها؛ فضحك وقال له: اذهب فأنت أفضَى الناسِ وأفقهُهم.

سكر مع فتية من قريش وسيق الى الأمير فأراد أن يحدّه ثم أعفاه

أخبرنى الحَسَن بن علىّ قال حدّثنا أبو أيُّوب المَدينىّ قال حدّثنى محمد بن سَلّام عن أبيه، قال [و] أخبرنى به الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن محمد بن سَلّام عن أبيه:

أن الدَّلَال خرج يوما مع فِتْيةٍ من قُرَيش فى نُزهة لهم، وكان معهم غلامٌ جميل الوجه، فأعجبه؛ وعلِم القومُ بذلك، فقالوا: قد ظفِرنا به بقيّةَ يومنا، وكان لا يصبر فى مجلس حتى ينقضىَ، وينصرفُ عنه استثقالاً لمحادثة الرجال ومحبّةً فى محادثة النساء؛ فغمَزوا الغلامَ عليه؛ وفطِن لذلك فغضب، وقام لينصرف؛ فأقسم الغلام عليه والقومُ جميعا فجلس؛ وكان معهم شرابٌ فشرِبوا، وسقَوْه وحملوا عليه لئلا يبرحَ، ثم سألوه أن يغنّيهم فغنّاهم:

صـــوت

زُبَيريّةٌ بالعَرْج منها منازلٌ * وبالخَيف من أدنى منازلها رسمُ[1]
أُسائلُ عنها كلَّ ركْبٍ لقيتُه * وما لى بها من بعد مَكّتنا علمُ
أيا صاحبَ الخيْماتِ من بَطْن أَرْثَدٍ[2] * إلى النخل من وَدّان ما فعلتْ نُعْمُ
فإن تك حربٌ بين قومى وقومِها * فإنى لها فى كل نائرةٍ[3] سِلْمُ

(١) ورد فى س، م بعد هذا البيت: «ورواه آخرون: وبالخيف من أعلى منازلها رسم».
(٢) كذا فى حـ وياقوت. وأرْثَد: اسم واد بين مكّة والمدينة فى وادى الأبواء. وودّان: قرية جامعة من نواحى الفُرع، بينها وبين هَرْشَى ستة أميال، وبينها وبين الأبواء نحو ثمانية أميال. وفى باقى الأصول: «أربد» بالباء الموحدة. وأربد: قرية بالأردن قرب طبرية عن يمين طريق المغرب. وقد رجحنا رواية حـ وياقوت لأنها الأشبه بشعر الأحوص وليكون بين الموضعين تناسب مكانى.
(٣) النائرة: العداوة والشحناء، مشتقة من النار.

— ذكر يحيى المكّى[1] وعمرو بن بانة أنّ الغناء فى هـذا الشعر لمَعْبَد ثانى ثقيل بالوُسْطَى، وذكر غيرهما أنه للدَّلال. وفيه لمُخَارِق رَمَلٌ. وذكر إسحاق هذا اللحن فى طريقة الثقيل الثانى ولم ينسُبه إلى أحد — قال: فآستُطير القومُ فرحًا وسرورا وعلا نعيرهُم؛ فنَذِر[2] بهم السلطان، وتعادَتِ[3] الأشراط، فأحسُّوا بالطلب فهرَبوا؛ وبقى الغلام والدَّلال ما يُطيقان بَرَاحًا من السكر؛ فأُخذا فأُتى بهما أميرُ المدينة؛ فقال للدَّلال: يا فاسق؛ فقال له: من فِمك إلى السماء؛ قال: جَئُوا[4] فَكّه؛ قال: وعنقَه أيضا. قال: ياعدوّ الله، أما وَسعك بيتُك حتى خرجتَ بهذا الغلام إلى الصحراء تفسُق به! فقال: لو علمتُ أنك تَغَار علينا وتشتهى أن نفسُق[5] سرًّا ما خرجتُ من بيتى؛ قال: جرِّدوه وآضربوه حدًّا؛ قال: وما ينفعك من ذلك! وأنا والله أُضرَب فى كل يوم حدودا؛ قال: ومن يتولّى ذلك منك؟ قال: أُيُورُ المسلمين؛ قال: ابطَحوه على وجهه واجلسوا على ظهره؛ قال: أحسَب أن الأمير قد آشتهى أن يرى كيف أُناك. قال: أقيموه لَعَنه اللهُ وآشهَروه فى المدينة مع الغلام؛ فأُخرِجا يُدَار بهما فى السِّكَك. فقيل له: ما هذا يا دَلال؟ قال: اشتهى الأميرُ أن يَجمع بين الرأسين، فجمع بينى وبين هذا الغلام ونادى علينا؛ ولو قيل له الآن: إنك قوّاد غضِب! . فبلغ قولُه الوالىَ فقال: خَلُّوا سبيلَهما، لعنة الله عليهما.

شهادة معبد فى غناء الدلال

قال إسحاق فى خبره خاصّةً — ولم يذكره أبو أيّوب — حدّثنى أبى عن آبن جامع عن سِيَاط قال:

(١) كذا فى ط وقد تقدّم كذلك مرارا . وفى سائر النسخ : «يحيى بن المكى» وهو تحريف وله ترجمة فى الجزء السادس من الأغانى طبع بولاق . (٢) نذر: علم . (٣) تعادت: من العدو وهو سرعة الجرى . (٤) جئوا: اضربوا، يقال: وجأ عنقه يوجؤه وربما قيل: يجأ (وزان يضع) والأمر هنا جاء على هذا التصريف . (٥) فى جميع الأصول : «تفسق» بالتاء .

سمعت يونسَ يقول قال لى مَعْبد : ما ذكرتُ غناءَ الدَّلال فى هذا الشعر :

* زُبَيْرِيَّةٌ بالعَرْج منها مَنازلٌ *

إلّا جدّد لى سرورا، ولَوَدِدْتُ أنى كنت سبقتُه إليه لحُسنه عندى . قال يونس: فقلت له : مابلغ من حسنه عندك ؟ قال : يكفيك أنى لم أسمع أحسنَ منه قطّ . ٦٦/٤

المخنثون وعبد الرحمن بن حسان

أخبرنى الحُسَين عن حَمّاد عن أبيه عن الهَيْثم بن عدىّ عن صالح بن حَسَّان قال : ٥

كان بالمدينة عُرْس ، فآتفق فيه الدَّلال وطُوَيس والوَلِيد المخنَّث، فدخل عبد الرحمن بن حَسَّان، فلما رآهم قال : ما كنتُ لأجلسَ فى مجلس فيه هؤلاء؛ فقال له طويس : قد علمتَ ياعبدَ الرحمن نكايتى فيك وأن جَرْحى إياكَ لم يندمل — يعنى خبرَه معه بحضرة عبد الله بن جعفر، وذِكْرَه لعَمَّته الفارِعة — فأَرْبِح نفسَك وأقبِلْ على شأنك؛ فانه لا قِيامَ لكَ بمن يَفْهمك فَهْمى . وقال له الدَّلال : يا أخا الأنصار إن أبا عبد النَّعِيم أعلَمُ بك منّى، وسأُعْلِمك بعضَ ما أعلم به. ثم آندفع ونَقَر بالدُّفّ، وكلُّهم ينقُر بدُفِّه معه، فتغنّى : ١٠

صوت

أتهجُر يا إنسانُ من أنتَ عاشقُهْ * ومن أنتَ مشتاقٌ إليه وشائقُهْ[1] ١٥

وريمٍ أحَمّ المقلتين موشَّحٍ * زَرَابِيُّه[2] مبثُوثةٌ ونَمارقُهْ

ترى الرَّقْمَ[3] والدِّيباجَ فى بيته معًا * كما زيَّنَ الروضَ الأنيقُ[4] حدائقُهْ

---

(١) فى ى ، ط ، ب : « ووامقه » . (٢) الزرابىّ : البسط . وقيل : كل ما بسط وآتكئ عليه . والنمارق : الوسائد . (٣) الرقم : ضرب مخطّط من الوشى أو الخز أو البرود .

(٤) فى حـ : « الروض الأثيث » والأثيث : الكثير العظيم . ٢٠

وسِرْب ظباء تَرْتَعِى جانبَ الحِمَى * إلى الجَوّ(١) فالخَبْتَيْن بيض عقائقُهْ(٢)

وما من حِمًى فى الناس إلّا لنا حِمًى * وإلا لنا غَرْبِيُّه ومشارقُهْ

فٱستضحك عبدُ الرحمن وقال : ٱللهم غَفْرا، وجلس .

لحنُ الدَّلال فى هذه الأبيات هَزَجٌ بالبِنْصر عن يحيى المَكّىّ وحَمّاد .

استدعاه سليمان بن عبد الملك سرا فغناه فطرب وأعاده الى الحجاز مكرما

٥ أخبرنى الحُسَين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن أبى عبد الله الجُمَحىّ عن محمد ابن عثمان عن عبد الرحمن بن الحارث بن هِشَام قال : سمعتُ عمّى عُتْبَة يقول حدّثنى مولًى للوليد بن عبد الملك قال :

كان الدَّلال ظريفًا جميلا حسنَ البيان، من أحْضَر الناس جوابًا وأحجِّهم؛ وكان سليمانُ بن عبد الملك قد رَقّ له حين خُصِىَ غَلَطًا، فوجّه إليه مولًى له وقال له : ١٠ جئنى به سِرًّا، وكانت تبلُغه نوادرُه وطِيبُه، وحذّر رسولَه أن يعلَم بذلك أحدٌ؛ فنفَذ المولى إليه وأعلمه ما أمره به، وأمَره بالكتمان وحذّره أن يقِف على مقصده أحدٌ، ففعل، وخرج به إلى الشام؛ فلما قدِم أنزله المولى منزلَه وأعلم سليمانَ بمكانه؛ فدعا به ليلًا، فقال: وَيْلَك ماخبرُك ؟ فقال : جُبِبْتُ من القُبُل مرّة أخرى يا أمير المؤمنين، فهل تريد أن تَجُبّنى المرّةَ من الدُّبُر ؟ ! فضحِك وقال: اعزُبْ أخزاك الله . ثم قال له: ١٥ غنّ؛ فقال : لا أُحسن إلّا بالدف؛ فأمَر فأُتِىَ له بدُفّ، فغنّى فى شعر العَرْجىّ :

أفى رسم دارٍ دمْعُك المتَحدِّرُ * سَفَاهًا وما ٱستنطاقُ ما ليس يُخْبِرُ

تغيَّر ذاك الربعُ من بعد جِدّة * وكلُّ جديد مرّةً متغيِّرُ

لأسماءَ إذ قلبى بأسماءَ مُغْرَمٌ * وما ذكْرُ أسماءَ الجميلةِ مُهْجَرُ

---

(١) الجو والخبتان : كلاهما موضع . (٢) الأقرب أن يكون «بيض عقائقه» مرتبطا ٢٠ بالموضع الذى قبله، وأن يكون المراد بالعقائق : النهاء (جمع نهى بالكسر) والغدران فى الأخاديد المنعقّة (العميقة) .

وتمشى ثلاث بعد هَـدْء[1] كواعبٍ * كمثل الدُّمَى بل هُنّ من ذاك أنضر
فسـلَّمْن تسـليمًا خفيًّا وسـقَّطت * مَصاعِبةٌ[2] ظُلْعٌ من السير حُسَّرُ
لهـا أرَجٌ من زاهر البَقْل والثّرى * وبُرْدٌ إذا ما باشر الجـلْدَ يَخْصَر[3]
فقـالت لِتِربَيْها الغـداةَ تبقَّيا[4] * بعينٍ ولا تَسْتَبعِدا حين أُبصرُ
ولا تُظهِـرا بُرْدَيكما وعليكما * كساءان من خَزٍّ بنَقْش[5] وأخضرُ
فعدِّى فما هذا العتابُ بنافع * هواى ولا مُرْجِى الهوى حين يُقْصِر

فقال له سليمان : حقّ لك يا دَلَال أن يقال لك الدّلال ! أحسنتَ وأجملتَ ! فوالله ما أدرى أىّ أمرَيْك أعجب : أَسُرعةُ جوابك وجودةُ فهمك أم حُسنُ غنائك ، بل جميعا عَجَب ! وأمر له بصلة سَنِيّة ، فأقام عنده شهراً يشرب على غِنائه ، ثم سرّحه إلى الحجاز [مُكرما][6] .

قصة الدلال مع شامى من قواد هشام أراد أن يتزوج من المدينة

أخبرنى الحُسَين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن الأصمعىّ قال :

حجّ هِشَام بن عبد الملك ، فلما قدِم المدينةَ نزل رجلٌ من أشراف أهـل الشأم وقوّادهم بجنب[7] دار الدّلال ، فكان الشامىّ يسمع غِناء الدّلال ويُصغى إليـه ويصعَد فوق السطح ليقرُبَ من الصوت ، ثم بعث إلى الدلال : إمّا أن تزورنا وإما

---

(١) الهدء : الهزيع من الليل ، وقيل : من أوّله الى ثلثه وذلك ٱبتداء سكونه . (٢) مصاعبة : جمع مصعب وهو الفحل الذى تركته فلم تركبه ولم يمسه حبل حتى صار صعبا . (٣) يخصر : يبرد .
(٤) كذا فى م . وتبقيا بعين أى انتظرا بمرأى منى ، يقال : بقَاه وبقّاه وأبقاه وتبقّاه كله بمعنى انتظره . وفى ى ، ط : « فقالت لتربيها فديت تنقبا * بعين ... » . وفى سائر النسخ : « فقالت لتربيها الغداة تنقبا * لعين ... » .
(٥) فى حـ ، ى ، ط : « بنفس » . (٦) زيادة عن ى ، ط ، م .
(٧) كذا فى م . وفى سائر النسخ : « تحت » .

أن نزورك ؛ فبعث إليه الدّلال : بل تزورنا، فتهيّأ الشامىّ[1] ومضى إليه، وكان للشامىّ غلمان رُوقةٌ[2]، فمضى معه بغلامين منهم كأنهما دُرّتان، فغنّاه الدلال :

قد كنتُ آمُلُ فيكمُ أملًا * والمرءُ ليس بمُدرِكٍ أملَهْ
حتى بدا لى منكمُ خُلُفٌ * فزجرتُ قلبى عن هوًى جهِلَهْ[3]
ليس الفتى بمخلَّدٍ أبدًا * حقًّا وليس بفائتٍ أجلَهْ
حىِّ العَمُودَ ومن بعَقْوته[4] * وقفَا العمودِ وإن جلا أهلَهْ[5]

قال : فاستحسن الشامى غناءه، وقال له : زدنى ؛ فقال : أوَ ما يكفيك ماسمعت؟ قال : لا والله ما يكفينى ؛ قال : فإن لى إليك حاجةً ؛ قال : وماهى؟ قال : تبيعنى أحدَ هذين الغلامين أو كليهما ؛ قال : اختر أيّهما شئتَ ؛ فاختار أحدَهما ؛ فقال الشامىّ : هو لك، فقبِله الدّلال، ثم غنّاه :

دَعتْنى دَواعٍ من أُرَيّا فهيّجتْ * هوًى كان قِدْمًا من فؤادٍ طَروبِ
لعلّ زمانًا قد مضى أن يعود لى * فتَغْفِرَ أرْوَى عند ذاك ذنوبى
سَبَتْنِى أُرَيّا يوم نَعْف مُحسِّرٍ[6] * بوجهٍ جميلٍ للقلوب سَلُوبِ

فقال له الشامىّ : أحسنتَ! ثم قال له : أيّها الرجل الجميلُ، إن لى إليك حاجةً ؛ قال : وما هى؟ قال : أُريد وصيفةً وُلِدت فى حِجْرٍ صالح، ونشأت فى خير، جميلةَ الوجه مجدولةً، وَضِيئةً، جَعْدةً[7]، فى بياض مُشْرَبةً حُمْرةً، حسنةَ القامة، سَبْطةً[8]، أسيلةَ الخدّ،

(١) فى م : «فبعث الشامى بما يصلح ومضى الخ» . (٢) الروقة : الحسان ؛ يقال : غلمان روقة وجارية روقة. (٣) فى حـ ، م : * فزجرت قلبى فارعوى جهله *
(٤) العقوة : الساحة . (٥) كذا فى جميع الأصول، ولا يخفى ما فيه من عيوب الشعر .
(٦) النعف : المرتفع من الأرض فى اعتراض . وقيل : ما انحدر عن السفح وغلظ وكان فيه صعود وهبوط . (ومحسر بالضم والفتح وكسر السين المشددة) : موضع بين مكة وعرفة ؛ وقيل : بين منى وعرفة، وقيل : بين منى والمزدلفة . (٧) الجعدة : التى فى شعرها جعودة . (٨) كذا فى أكثر الأصول ؛ يقال : غلام سبط الجسم أى حسن القدّ لطيفه . وفى ى ، ط : «شاطة» أى حسنة القوام فى اعتدال .

عَذْبة اللسان، لها شكل ودَلّ، تملأ العين والنفسَ . فقال له الدّلال : قد أصبتُها لك، فمالى عليك إن دَلَلْتُك ؟ قال : غلامى هذا؛ قال: إذا رأيتَها وقَبِلتَها[(١)] فالغلام لى؟ قال: نعم؛ فأتى آمرأةً كنّى عن آسمها ، فقال لها : جُعِلْتُ فداك ! إنه نزَل بقُربى رجلٌ من أهل الشام من قوّاد هشام له ظَرْف وسخاء، وجاءنى زائرا فأكرمتُه، ورأيتُ معه غلامين كأنهما الشمس الطالعة والقمر المنير والكواكب الزّاهرة؛ ماوقعتْ عينى على مثلهما ولا ينطلق لسانى بوصفهما ، فوهب لى أحدَهما والآخرُ عنده ؛ وإن لم يَصِل إلىّ فنفسى خارجةٌ . قالت : فتريد ماذا ؟ قال : طلب منّى وصيفةً يشتريها على صِفَةٍ لا أعلمها فى أحدٍ إلا فى فلانةَ بنتِك ، فهل لك أن تُرِيَها له؟ قالت : وكيف لك بأن يدفع الغلامَ إليك اذا رآها ؟ قال : فإنى قد شرَطْتُ عليه ذلك عند النّظر لا عند البَيْع ، قالت : فشأنَك ولا يعلمْ أحدٌ بذلك . فمضى الدّلال فجاء الشامىُّ معه ؛ فلما صار إلى المرأة أدخلَتْه ، فإذا هو بحَجَلةٍ[(٢)] وفيها آمرأةٌ على سرير مُشْرِف بَرْزَةٌ جميلةٌ، فوضِع له كرسىٌّ فجلَس ؛ فقالت له : أمِنَ العرب أنت ؟ قال : نعم ؛ قالت : من أيّهم ؟ قال : من خُزَاعة ؛ قالت : مرحبا بك وأهلًا ، أىَّ شىء طلبتَ ؟ فوصَف الصِّفَةَ ؛ فقالت : أصبتَها ، وأصْغتْ[(٣)] إلى جارية لها فدخلت فمكثتْ هُنَيهةً ثم خرجتْ ، فنظرَت إليها المرأةُ فقالت لها : أى حبيبتى ، اخرجى ؛ فخرجت وصيفةٌ ما رأى الرّاءون مثلَها ؛ فقالت لها : أقبِلى فأقبلتْ ، ثم قالت لها : أدبِرى ، فأدبَرتْ تملأ العينَ والنفسَ ؛ فما بقى منها شىءٌ إلا وضَع يدَه عليه . فقالت : أتُحِبّ أن نُؤَزِّرها لك ؟ قال : نعم ؛ قالت : أى حبيبتى آئتزرى ، فضمّها الإزارُ وظهرَت محاسنُها الخفيّة وضرب بيده على عجيزتها وصدرها ، ثم قالت : أتُحبّ أن

(١) كذا فى : حـ . وفى باقى الأصول : « قلبتها » . (٢) الحجلة : بيت يزين بالثياب والأسرّة والستور . (٣) أى مالت اليها برأسها .

تُجرّدَها لك؟ قال : نعم، قالت : أىْ حبيبتى وضِّحى، فألقت إزارَها فإذا أحسنُ خَلْق الله كأنّها سبيكةٌ(١) . فقالت : يا أخا أهلِ الشأم كيف رأيتَ ؟ قال : مُنْيةُ المتمنِّى، قال : بكم تقولين؟ قالت : ليس يومُ النظرِ يومَ البَيْع، ولكن تعود غدًا حتى نُبايعَك ولاتنصرف إلا على الرّضا، فانصرف من عندها، فقال له الدّلّال : أرَضيتَ؟ قال : نعم، ما كنت أحسَب أن مثل هذه فى الدنيا، فإن الصفةَ لَتَقْصُر دونها، ثم دفع إليه الغلامَ الثانى. فلما كان من الغدِ قال له الشامىّ : امضِ بنا، فمضيَا حتى قرعا البابَ، فأُذِن لهما، فدخلا وسلّما، ورحّبت المرأةُ بهما ثم قالت للشامىّ : أعطِنا ما تبذُل، قال : مالها عندى ثمنٌ إلا وهى أكبرُ منه، فقولى يا أمَةَ الله، قالت : بل قُل، فإنا لم نُوطِئْكَ أعقابَنا ونحن نريد خِلافَك وأنت لها رِضًا، قال : ثلاثة آلاف دينار، فقالت : والله لَقُبلةٌ من هذه خيرٌ من ثلاثة آلاف دينـار، قال : بأربعـة آلاف دينار، قالت : غفَر اللهُ لك! أعطِنا أيّها الرجل، قال : والله ما معى غيرُها — ولو كان لزدتُك — إلا رَقيقٌ ودوابٌّ وخُرْثىٌّ(٢) أحملُه إليك، قالت : ما أُراكَ إلا صادقًا، أتدرى مَن هذه ؟ قال : تُخبرينى، قالت : هذه ٱبنتى فلانةُ بنت فلان وأنا فلانة بنت فلان، وقد كنت أردتُ أن أَعْرِضَ عليك وصيفةً عنـدى، فأحببتُ إذا رأيتَ غدًا غِلَظ أهلِ الشأم وجفاءَهم ذكرتَ ابنتى فعلمتَ أنكم فى غير شىء، قُمْ راشـدًا . فقـال للدّلّال : خدعتَنى! قال : أوَ لا تَرْضَى أن تَرى ما رأيتَ من مثلها وتَهب مائةَ غلام مثلَ غلامك؟ ! قال : أمّا هذا فنعَمْ، وخرجا من عندها .

---

(١) كذا فى ى، ط، م . وفى سائر النسخ : «منتهى المتمنى» .

(٢) الخرثى : متاع البيت وأثاثه، وهو أيضا أردأ المتاع .

نسبة ما عُرفت نسبته من الغناء المذكور فى هذا الخبر

صــــوت

قــد كنتُ آمُــلُ فيكُمُ أمَلًا * والمــرءُ ليس بمُـدرِكٍ أمَلَهْ
حـتّى بدا لى منكمُ خُلُقٌ * فزجرتُ قلبى عن هوًى جَهِلَهْ

الشـعر للمُغيرة بن عمرو بن عثمان . والغناء للدَّلال، ولحنه من القَـدْر الأوسط ٥
من الثَّقيل الأوّل بالبِنصر فى مجْراها؛ وجدتُه فى بعض كتب إسحاقَ بخط يده هكذا.
وذكر علىّ بن يحيى المنجِّم أن هذا اللحن فى هـذه الطريقة لآبن سُرَيج ، وأن لحن
الدَّلال خفيفُ[1] ثقيلٍ نَشِـيد . وذكرَ أحمد بن المكِّىّ أنّ لحن الدّلال ثانى ثقيل
بالوُسْطى، ولحن آبن سُرَيج ثقيلٌ أوّلُ . وفيه لمتيَّم وعَرِيبَ خفيفًا[2] ثقيلٍ، المُطْلَقُ ٦٩/٤
المُسْجَحُ منهما لعَرِيبَ . ١٠

ومنهـا :

صــــوت

دَعتْنى دواعٍ من أُرَيّا فهيَّجتْ * هوًى كان قِدْمًا من فؤادٍ طروبِ
ســبَتْنى أُرَيّا يوم نَعْفِ مُحَسِّرٍ * بوجْـهٍ صَبيح للقلوبِ سَـلُوب
لعلّ زمانًا قد مضى أن يعـودَ لى * وتغفِـر أَرْوَى عنـد ذاكَ ذنوبى ١٥

الغناء للدَّلال خفيفُ ثَقيل أوّل بالوُسْـطى فى مجْراها من رواية حَمّاد عن أبيـه ؛
وذكر يحيى المكِّىّ أنه لآبن سُرَيج .

غنى نائلةَ بنتَ عمار الكلبى فأجازته

أخبرنى الحسين[3] بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن أبى قَبِيصة قال :

(١) فى حـ : « ثانى ثقيل » . (٢) فى حـ : « خفيف ثقيل » .
(٣) فى حـ ، ١، ب : « محمد بن الحسين عن حماد » . ٢٠

جاء الدَّلَالُ يومًا إلى منزل نائلةَ بنت عَمّار الكَلْبيّ، وكانت عند معاوية فطلّقها، فقَرَع البابَ فلم يُفتح له، فغنّى فى شعر مجنون بنى عامر ونقر بدُفّه[1] :

خليلىّ لا والله ما أملِكُ البُكا * إذا عَلَمٌ من أرض ليلَى بَدَا لِيَا

خليلىّ إن بانوا بلَيْلَى فهيِّئَا * لىَ النَّعشَ والأكفانَ واستغفِرَا لِيَا

فخرج حَشَمُها فزجَروه وقالوا : تَنَحَّ عن الباب . وسمِعتِ الجَلَبَةَ، فقالت : ماهذه الضَّجّة بالباب؟ فقالوا : الدَّلَال، فقالت : ائذَنوا له . فلما دخل عليها شَقّ ثيابَه وطَرَح الترابَ على رأسه وصاح بوَيْله وحَرَبه، فقالت له : الوَيْلُ وَيلُك! مادهاك؟ وما أمْرُك ؟ قال : ضَرَبنى حَشَمُك، قالت : وَلِمَ ؟ قال : غَنّيْتُ صوتا أُريد أن أُسْمِعَك إيّاه لأدخلَ إليك، فقالت : أُفّ لهم وتُفّ ! نحن نبلغُ لك ما تحبّ ونُحسن تأديبَهم، ياجارية هاتى ثيابا مقطوعةً، فلما طُرِحت عليه جلس، فقالت : ما حاجتك ؟ قال : لا أسألكِ حاجةً حتى أغنّيَك، قالت : فذاك إليك، فآندفع يغنّى شعرَ جميل :

ارحمِينى فقد بَلِيتُ فحَسْبِى * بعضُ ذا الداءِ يا بُثَيْنَةُ حَسْبِى

لامنى فيكِ يا بُثَينةُ صَحْبِى * لا تلوموا قد أقرح الحبُّ قلبى

زعَم الناسُ أن دائىَ طِبّى * أنتِ واللهِ يا بثينةُ طِبّى[2]

ثم جلس، فقال : هل من طعام؟ قالت : علىّ بالمائدة، فأُتِىَ بها كأنها كانت مُهيّأةً عليها أنواعُ الأطعمة، فأكل . ثم قال : هل من شراب؟ قالت : أمّا نبيذٌ فلا، ولكن غيرُه . فأُتِىَ بأنواع الأشربة فشرب من جميعها . ثم قال : هل من فاكهة؟ فأُتِىَ بأنواع الفواكه فتفكّه . ثم قال : حاجتى خمسةُ آلاف درهمٍ، وخمسُ

(١) كذا فى ى، ط . وفى سائر النسخ : «ونقر بدفه عليه» .

(٢) كذا فى س، م . وفى سائر الأصول : * أنت والله يا حبيبك طبى *

حُلَل من حلل معاوية، وخمسُ حلل من حلل حبيب بن مَسْلَمة، وخمسُ حلل من حلل النُّعمان بن بَشير؛ فقالت : وما أردتَ بهذا ؟ قال : هو ذاك، والله ما أرضى ببعض دون بعض، فإمّا الحاجة وإما الرّد؛ فدعتْ له بما سال؛ فقبَضه وقام؛ فلما توسّط الدارَ غنّى ونقَر بدُفّه :

ليت شعرى أجفوةٌ أم دلالٌ * أم عدوٌّ أتى بُثينةَ بعدى ٥

فمُرِينى أُطِعْك فى كل أمرٍ * أنت والله أوجهُ الناس عندى

وكانت نائلةُ عند معاوية، فقال لفاخِتَةَ بنتِ قَرَظَةَ[1] : اذهبى فأنظرى إليها، فذهبتْ فنظرتْ إليها، فقالت له : ما رأيتُ مثلَها، ولكنّى رأيت تحت سُرّتها خالًا ليُوضعَنّ منه رأسُ زوجها فى حِجرها؛ فطلقها معاوية، فتزوّجها بعده رجلان : أحدهما حبيبُ بن مَسْلَمة، والآخر النُّعْمان بن بَشِير؛ فقُتل أحدُهما فوُضع رأسُه فى حِجرها. ١٠

٧٠/٤

نسبة ما فى هذا الخبر من الأغانى

صـــوت

خليلىَّ لا والله ما أملِكُ البكا * إذا علَمٌ من أرض ليلى بَدَا ليَا

خليلىّ إن بانوا بليلى فَهَيِّئا * لِىَ النعشَ والأكفانَ وٱستغفِرا ليَا

أمضروبةٌ ليلَى على أن أزورها * ومُتَّخَذٌ ذنبًا لها أن تَرانيَا ١٥

خليلىّ لا والله ما أملِك الذى * قضى اللهُ فى ليلى ولا ما قَضى ليَا

قضاها لغيرى وٱبتلانى بحبّها * فهلّا بشىء غيرِ ليلى ٱبتلانيَا

الشعر للمجنون . والغناء لٱبن مُحْرِز ثانى ثقيل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر الهِشامىّ أن فيه لحنًا لَمعْبَد ثقيلًا أوّل لا يشك فيه؛ قال: وقد قال

(١) كذا فى أكثر الأصول، وهو الموافق لما فى الطبرى (قسم أوّل ص ٢٨٨٩ طبع أوروبا) وفى حـ : «قرضة» بالضاد المعجمة . ٢٠

قوم : إنه منحول يحيى المكىّ . وفيه لإبراهيم خَفِيفُ ثقيلٍ عن الهشامىّ أيضا. وفيه ليحيى المكىّ رَمَلٌ من رواية ابنه أحمدَ . وفيه خفيفُ رَمَلٍ عن أحمد بن عُبَيد لا يُعرف صانعه .

ومنها :

٥

صـــوت

لیت شعری أجفوةٌ أم دَلَالٌ * أم عَدُوٌّ أتى بثينــةَ بَعدى

فمُــريِنى أُطِعْكِ فى كل أمرٍ * أنت والله أوجهُ الناس عندى

الشــعر لجَميل . والغنــاءُ لآبن مُحْرِز خفيفُ ثقيــلٍ بالسبّابة فى مجرى البِنْصر عن إسحاقَ . وفيه لعَلُّوَيْهِ خفيفُ ثقيــلٍ آخر . وذكر عمرو بن بانة أن فيه خفيف ثقيل بالوُسْطى لمَعْبَد . وذكر إسحاق أن فيه رملًا بالبِنصر فى مجراها ولم ينسُبه إلى أحد، وذكر الهِشَامىّ أنه لمالك . وفيه لمُتَيَّمَ خفيفُ رَمَل. وفيه لعَرِيبَ ثقيلٌ أوّل[1] . وذكر حَبَشٌ أن فيه للغَرِيض ثقيلًا أوّل بالبنصر. ولمَعْبَد فيه ثقيلٌ أوّل بالوُسْطى. وذكر آبنُ المكى أن فيه خفيفَ ثقيلٍ لمالك وعَلُّوَيْهِ .

١٠

غنّى فى زفاف ابنة عبد الله بن جعفر

أخبرنى الحُسَين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن المَدَائنىّ عن عَوَانة بن الحَكَم قال :

١٥

لمــا أراد عبد الله بن جعفر إهْداءَ[2] بنته إلى الحَجّاج، كان آبنُ أبى عَتِيق عنده، فجاءه الدّلَال مُتعرِّضا فآستأذن، فقال له آبنُ جعفر : لقــد جئتَنا يادَلَالُ فى وقت حاجتنا إليــك؛ قال : ذلك قصدتُ؛ فقــال له آبنُ أبى عَتِيق : غَنِّنــا؛ فقال آبن جعفر : ليس وقت ذلك ، نحن فى شغل عن هذا ؛ فقال آبنُ أبى عَتيــق : وربِّ

(١) فى ى ، ط ، م : «ثقيل أول بالبنصر» . (٢) الإهداء : الزفاف .

٢٠

الكعبة لِيُغنّينَ، فقال له آبنُ جعفر: هاتِ، فغنّى ونقر بالدُّفّ — والهوادجُ والرّواحل قد هُيئت، وصُيّرت بنت ابنِ جعفر فيها مع جواريها والمشيّعين لها —:

يا صاح لو كنتَ عالمًا خبِرًا * بما يلاقى المحبُّ لم تلُمُه(1)

لا ذنبَ لى فى مُقرَّطٍ(2) حسنٍ * أعجبنى دَلُّه ومُبتسَمُهْ

شيمتُه البخلُ والبِعادُ لنا * يا حبّذا هُوْ وحبّذا شيَمُهْ

مُضمَّخٌ بالعبير عارِضُه * طُوبَى لمن شمّه ومَن لَثَمُهْ(3)

— قال: ولابن مُحرِز فى هذا الشعر لحنٌ أجود من لحن الدّلال — فطرِب آبن جعفر وآبنُ أبى عتيق، وقال له آبن جعفر: زِدْنى وطرِّب، فأعاد اللحن ثلاثا ثم غنّى:

بكَر العواذلُ فى الصبا * ح يَلُمْنَنِى وألومهُنّهْ

ويقُلن شيبٌ قد علا * ك وقد كبِرتَ فقلتُ إنّهْ

ومضتْ بنت آبن جعفر فآتّبعها يُغنّيها بهذا الشعر. ولعبد آل الهُذَلىّ فيه لحنٌ وهو أحسنُها:

إن الخليط أجدّ فآحتملا * وأراد غيظَك بالذى فعَلا

فوقفتُ أنظر بعضَ شأنهمُ * والنفسُ مما تأمُل الأملا

وإذا البِغال تُشَدُّ صافِنةٌ(4) * وإذا الحُداةُ قد آزمعوا الرِّحَلا

فهناك كاد الشوقُ يقتلنى * لو أنّ شوقًا قبله قتَلا

(1) لم تلمه، أصل ميمه الإسكان فنقلت إليه ضمة الهاء، كقوله:

عجبت والدهر كثير عجبه * من عنزىّ سبنى لم أضربه

نقل ضمة الهاء الى الباء. (2) كذا فى ء، ط. والمقرط: المتحلى بالقرط. وفى سائر الأصول: «مقرطق». والمقرطق: لابس القرطق وهو قباء ذو طاق واحد. (3) لثمه، أصل ميمه الفتح فنقلت إليه ضمة الهاء بعده على لغة لخم، لأنهم يجيزون فى الوقف نقل حركة الحرف الأخير الى المتحرك قبله كقوله: «من يأتمر بالخير فيما قصدُه». (4) تشدّ: تهيأ عليها الرحال، والصافن من الخيل ونحوه: القائم على ثلاث قوائم وقد أقام الرابعة على طرف الحافر.

فدمِعَتْ عينا عبد الله بن جعفر، وقال للدَّلال : حسبُك فقد أوجعتَ قلبي، وقال لهم : امضوا في حفظ الله على خير طائر وأيمن نَقِيبة .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صــــوت

بكَرَ العـواذلُ في الصّبا * ح يَلُمْنَنى وألُومُهنَّــهْ
ويَقُلْنَ شيبٌ قد علا * ك وقد كبِرتَ فقلتُ إنَّهْ
لابدَّ من شيبٍ فدَعْـ * ـنَ ولا تُطِلْنَ مَلامَكُنَّهْ
يَمْشِين كالبقر الثِّقا * ل عَمَدن نحو مُرَاحِهنَّهْ[1]
يَخْفَيْن في المَمْشَى القريـ * ـب إذا يُرِدْن صديقَهُنَّهْ

الشعر لابن قيس الرُّقَيّات . والغِناء لابن مِسْجَح خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالسبابة في مَجْرى البِنصر عن إسحاق . وفيه ثقيلٌ أوّلُ للغَرِيض عن الهِشَامىّ . وفيه خفيف ثقيــلٍ آخر بالوسطى ليعقوب بن هَبّار عن الهِشَامىّ ودَنَانِيرَ ، وذكر حَبَشٌ أنه ليعقوب .

ومنهــا :

صــــوت

إن الخليط أجدّ فاحتَملا * وأراد غيظَك بالذى فَعَلا

الأبيات الأربعة .

الشعر لعمرَ بن أبى ربيعة . والغناء للغَرِيض ثقيلٌ أوّل بالسبابة عن يحيى المكىّ . وفيه ليحيى أيضا ثقيلٌ أوّلُ بالوُسْطى من رواية أحمدَ ابنه ، وذكر حَبَشٌ أن هذا اللحن لبَسْبَاسَة بنتِ مَعْبد .

(١) المراح (بالضم) : مأوى الإبل والبقر والغنم .

سأله ابن أبى ربيعة الغناء فى شعره فغناه فأجازه

أخبرنى الحُسَين عن حمّاد عن أبيه عن عثمان بن حَفْص الثَّقَفىّ قال :

كان للدَّلَال صوت يُغنّى به ويُجيده، وكان عمر بن أبى ربيعة سأله الغناءَ فيه وأعطاه مائةَ دينار ففعل، وهو قول عمر :

صوت

ألم تسألِ الأطلالَ والمُتَرَبَّعا * ببطن حُلَيَّاتٍ دوارِسَ بلقعا[1] ٥

إلى السَّرحِ من وادى المُغَمَّس بُدِّلَتْ * مَعَالمُهُ وَبْلاً ونَكْباءَ زَعْزَعا

وقرَّبْنَ أسبابَ الهوى لمُتيَّمٍ * يَقيس ذراعا كلّما قِسْنَ إصْبَعا

فقلتُ لمُطْرِيهنّ فى الحسن إنما * ضَرَرْتَ فهل تَسْطِيع نفعًا فتَنْفَعا

٧٢ / ٤

الشعر لعمر بن أبى رَبيعة . والغِناء للغَرِيض فيه لحنان : أحدهما فى الأوّل والثانى من الأبيات ثقيلٌ أوّل بالبنصر عن عمرو، والآخَرُ فى الثالث والرابع ثانى ١٠ ثقيلٍ بالبنصر . وفى هذين البيتين الآخرين لابن سُرَيج ثقيلٌ أوّلُ بالسّبّابة فى مَجْرى البِنْصر عن إسحاق . وفى الأوّل والثانى للهُذَلِىّ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوُسْطَى عن عمرو . وفيهما لابن جامع رَمَلٌ بالوسطى عنه أيضا . وقال يونس : لمالك فيه لحنان ولمَعْبد لحنٌ واحد .

روى هشام بن المرية عن جرير صوتين له

أخبرنى الحُسَين عن حمّاد عن أبيه قال حدّثنى هِشَام بن المُرِّيَّة قال : ١٥

كنّا نعرف للدَّلَال صوتين عجيبين، وكان جرير يغنّى بهما فأَعجبُ من حسنهما، فأخذتُهما عنه وأنا أغنّى بهما؛ فأمّا أحدُهما فإنه يُفرح القلبَ، والآخر يُرْقص كلَّ مَن سَمِعه؛ فأمّا الذى يفرح القلبَ فلابن سُرَيج فيه أيضا لحنٌ حسنٌ وهو :

(١) تقدّم هذا الشعر والتعليق عليه فى صفحتى ١٣١ ، ١٧٦ من الجزء الأول من هذه الطبعة فانظره .

ولقد جرى لك يوم سَرْحَةِ مالكٍ[1] * مما تعيف سانحٌ وبريحُ
أحْوَى القوادمِ بالبياض مُلَمَّعٌ * قلِقُ المَوَاقِع بالفراق يَصيح
الحبُّ أبغضُه إلىّ أقلُّه * صَرِّحْ بذاك فراحتى التّصريح
بانت عُوَيْمَةُ[2] فالفؤاد قريحُ * ودموعُ عينك فى الرِّداء سُفُوحُ

٥ والآخر:

كلما أبصرتُ وجهًا * حسنًا قلتُ خليلى
فإذا ما لم يَكُنْه * صِحتُ وَيْلى وعَويلى
فصِلى حبلَ مُحبٍّ * لكُمُ جِدَّ وَصُولِ
وٱنظرى لا تخذُليه * إنه غيرُ خَذُولِ

١٠ نسبة هذين الصوتين

للدّلال فى الشعر الأوّل الذى أوّله :

* ولقد جَرَى لك يوم سَرْحَةِ مالكٍ *

خفيفُ ثقيلٍ بالوُسْطَى . وفيه لٱبن سُرَيج ثقيلٌ أول عن الهشامىّ . وقال حَبَشٌ: إن للدّلال فيه لحنين خفيفَ ثقيل أوّل[3] وخفيفَ رَمَلٍ . وأوّلُ خفيفِ الرَّمَل :

١٥ * بانت عُوَيْمةُ فالفؤادُ قَريحُ *

وذكر أن لحن ٱبن سُرَيج ثانى ثقيل ، وأن لٱبن مِسْجَح فيه أيضًا خفيفَ ثقيل .

والصوت الثانى الذى أوّله :

كلّما أبصرتُ وجهًا * حسنًا قلتُ خليلى

(١) فى ى ، ط ، م : « سرحة رائع » . (٢) فى ى ، ط : « عوينة » .

٢٠ (٣) كلمة «أوّل» ساقطة فى ط ، ى .

الغناء فيه لعَطَرَّد خفيفُ ثقيلٍ بالوُسْطَى عن حَبَش، ويقال إنه للدَّلَال. وفيه ليونس خفيفُ رَمَلٍ. وفيه لإبراهيمَ المَوْصِلىّ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر عن عمرو.

شرب النبيذ وكان لا يشربه فسكر حتى خلع ثيابه

أخبرنى الحُسَين عن حَمّاد عن أبيه عن مُصْعَب بن عبد الله الزُّبَيرىّ قال:

كان الدَّلَالُ لا يشرب النّبيذ، فخرج مع قوم إلى متنزّه لهم ومعهم نَبيذٌ، فشربوا ولم يشرب منه، وسَقَوْه عسلًا مَجْدوحا[1]، وكان كلّما تغافل صيّروا فى شرابه النبيذَ فلا يُنكره، وكثُر ذلك حتى سَكِر وطَرِب، وقال: اسْقُونى من شَرابكم، فسقَوْه حتى ثَمِل، وغنّاهم فى شعر الأحوص:

طاف الخيالُ وطاف الهمُّ فآعتَكرا * عند الفِراش فبات الهمُّ مُحْتَضِرَا[2]
أُراقب النَّجمَ كالحَيْران مُرْتَقِبًا * وقَلَّص النومُ عن عينىّ فآنْشَمرَا
من لوعةٍ أورثتْ قَرْحًا على كبدى * يوما فأصبح منها القلب مُنْفَطِرَا
ومن يَبِتْ مُضمِرًا همًّا كما ضَمِنَتْ * منّى الضُّلوعُ يَبِتْ مُسْتَبطِنًا غِيَرَا

٧٣ / ٤

فآستحسنه القومُ وطرِبوا وشرِبوا. ثم غنّاهم:

طربتَ وهاجك من تَذكُّرْ * ومن لستَ من حبّه تَعتذِرْ
فإن نلتُ منها الذى أرتجى * فذاك لعمرى الذى أنتظِرْ
وإلّا صبَرتُ فلا مُفحِشًا * عليها بِسُوء ولا مُبتَهِر[3]

— لحن الدَّلال فى هذا الشعر خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر عن حَبَش. قال: وذكر قومٌ أنه للغريض —

(١) المجدوح: المخلوط. (٢) فى ء، ط:

طاف الخيال وطال الليل فاعتكرا * عند الفراش فآب الهم محتضرا

واعتكر الليل: اشتدّ سواده، واعتكر أيضا: اختلط. ومحتضرا: حاضرا، يقال: حضر الهمّ واحتضر.

(٣) الابتهار: قول الكذب والحلف عليه. وفى جميع الأصول: «منتهر» بالنون.

قال : وسكِر حتى خلَع ثيابَه ونام عُرْيانًا، فغطّاه القومُ بثيابهم وحَملوه إلى منزله ليلا فنوّموه وانصرفوا عنه ، فأصبح وقد تقيّأ ولوث ثيابَه بقَيْئه، فأنكر نفسَه وحلَف ألّا يُغنِّيَ أبدا ولا يُعاشرَ من يَشرب النبيذ، فوفّى بذلك إلى أن مات . وكان يُجالس المَشْيَخةَ والأشرافَ فيُفيض معهم فى أخبار الناس وأيامِهم حتى قضَى نحبَه .

٥ [انقضت[1] أخبار الدلال] .

ومما فى شعر الأحوص من المائة المختارة

صـــوت

من المائة المختارة

يا دِينَ[2] قلبِكَ منها لستَ ذاكرَها * إلّا تَرَقْرَقَ ماءُ العينِ أو دَمَعَا

١٠ أدعو إلى هجرها قلبى فيَتْبَعُنى * حتى إذا قلتُ هذا صادقٌ نَزَعَا

لا أستطيعُ نُزوعًا عن مَحبّتِها * أو يَصنعَ الحبُّ بى فوق الذى صنَعا

كم من دَنِىٍّ[3] لها قد صِرتُ أتبَعُه * ولو سَلَا القلبُ عنها صار لى تَبَعا

وزادنى كَلَفًا فى الحبِّ أن منعت[4] * وحَبُّ شىءٍ إلى الإنسان ما مُنِعا[5]

---

(١) زيادة عن م . (٢) المراد بالدين هنا الداء، قال الشاعر :

١٥ * يا دين قلبك من سلمى وقد دينا *

قال المفضل : معناه يا داء قلبك القديم . وقال اللحيانى : المعنى ياعادة قلبك . (انظر اللسان وشرح القاموس مادة دين) . (٣) الدنى (بالهمز وبتشديد الياء بدون همز) : الخسيس الحقير .

(٤) يحتمل أن يكون « منعت » مبنيا للفاعل أو للفعول . (٥) أورد النحويون هذا البيت شاهدا على أن « حبّ » أفعل تفضيل حذفت همزته مثل خير وشرّ ، إلا أن الحذف فيهما هو الكثير والحذف

٢٠ فى أحب قليل . وفى اللسان (مادة حبب) : "وأنشد الفراء :

وزاده كلفا فى الحب أن منعت * وحَبَّ شيئا إلى الإنسان ما منعا

قال : وموضع « ما » رفع، أراد حَبُبَ فأدغم" .

الشعر للأحوص . والغناء ليحيى بن واصل المكىّ ، وهو رجلٌ قليلُ الصَّنْعة غير مشهور ولا وجدتُ له خبرًا فأذكره . ولحنه المختار ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى فى مجْراها عن إسحاق . وذكر يونُس أنّ فيه لحنا لمَعْبَد ولم يجنّسه .

محبوبة الأحوص فى كبرها

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنا مطرِّف ابن عبد الله المدنىّ (١) [قال] حدّثنى أبى عن جدّى قال :

بينا أطوف بالبيت ومعى أبى، إذ أنا بعجوزٍ كبيرة يضرب أحد لَحْيَيْها الآخر، فقال لى أبى : أتعرف هذه ؟ قلت : لا، ومن هى ؟ قال : هذه التى يقول فيها الأحوص :

يا سَلْمُ ليت لسانًا تنطِقين به * قبلَ الذى نالنى من حُبِّكم قُطِعا
يَلومُنى فيكِ أقوامٌ أُجالسهم * فما أُبالى أطارَ اللّومُ أم وقَعا
أدعو إلى هجرها قلبى فيتبَعُنى * حتى إذا قلتُ هذا صادقٌ نزَعا

قال : فقلت له : يا أبتِ، ما أُرى أنه كان فى هذه خيرٌ قطّ، فضحك ثم قال : يا بُنىّ، هكذا يصنع الدهرُ بأهله .

حدّثنا به وَكيع قال حدّثنا ابن أبى سَعْد قال حدّثنا إبراهيم بن المُنْذِر قال حدّثنا أبو خُوَيلد (٢) مطرِّف بن عبد الله المدنىّ (١) عن أبيه، ولم يقل عن جدّه ، وذكر الخبر مثلَ الذى قبله .

---

(١) فى جميع الأصول : «المذلى» وهو تحريف . (أُنظر الحاشية رقم ٢ صفحة ٢٩ من الجزء الأوّل من هذه الطبعة) . (٢) كذا فى أكثر النسخ . وفى م : «قال حدّثنا أبو خويلد عن مطرف ... الخ» وليس فى ترجمة مطرف بن عبد الله أنه يكنى أبا خويلد بل كنيته أبو مصعب ، وليس هناك من الرواة من يسمى أبا خويلد يروى عنه ابراهيم بن المنذر ويروى عن مطرف ، حتى نرجح رواية م .

٧٤
٤

صــــوت

من المـائة المختـارة

كالبَيْض بالأُدْحِىّ يلمَعُ فى الضُّحَى * فالحُسْنُ حسنٌ والنعيمُ نعيمُ

حُلِّينَ من دُرِّ(١) البحورِ كأنـه * فوق النحورِ إذا يلوحُ نجومُ

٥ الأُدْحِىّ: المواضع التى يبيض فيها النَّعام، واحدتها أُدْحِيّة(٢). وذكر أبو عمرو(٣) الشَّيْبانىّ أنّ الأدحىّ البَيْضُ نفسه. ويقال فيه أُدْحىٌّ وأَدَاحٍ أيضا.

الشعر لطُرَيح بن إسماعيلَ الثَّقَفىّ. والغناء لأبى سَعِيد مولى فائد، ولحنُه المختارُ من الثقيل الأوّل بإطلاق الوَتَر فى مجرى الوُسْطَى عن إسحاقَ. وفيه للهُذَلىّ خفيفُ ثقيلٍ من رواية الهِشَامىّ. وقد سمعنا من يغنّى فيه لحنًا من خَفيف الرَّمَل، ولست

١٠ أعرِف لمن هو.

---

(١) فى ى، ط: «حلين مرجان البحور». (٢) ظاهر كلام المؤلف فى تفسير الأدحىّ أنه جمع، والذى فى لسان العرب والقاموس وشرحه: أن الأدحىّ والأدحية (بضم الهمزة فيهما وكسرها) والأدحوّة: مبيض النعام فى الرمل، وجمع الكلّ: الأداحىّ، ومثلها مدحى (وزان مسعى).

(٣) فى ب، س: «أبو عمر» وهو تحريف.

ذكر طُرَيح وأخباره ونسبه

نسبه

هو — فيما أخبرنى به محمد بن الحَسَن بن دُرَيد عن عمّه عن ابن الكَلْبىّ في كتاب النسب إجازةً، وأخبرنا يحيى بن علىّ بن يحيى عن أبى أيُّوبَ المَدِينىّ عن ابن عائشة ومحمد بن سَلّام ومُصْعَب الزُّبَيرِىّ قال: — طُرَيح بن إسماعيل بن عُبَيد بن أَسِيد بن عِلَاج بن أبى سَلَمة بن عبد العُزّى بن غِيَرَة بن عَوْف بن قَسِىّ — وهو ثَقِيف — بن مُنَبِّه بن بَكْر بن هَوَازِن بن منصور بن عِكْرِمة بن خَصَفة بن قَيْس بن عيلان بن مُضَر.

ثقيف والخلاف فى نسبه

قال ابن الكَلْبىّ: ومن النّسابين من يذكر أن ثَقِيفًا هو قَسِىّ بن مُنَبِّه بن النَّبِيت بن منصور بن يَقْدُم بن أَفْصَى بن دُعْمِىّ بن إيَاد بن نِزَار. ويقال: إن ثَقِيفًا كان عبدًا لأبى رِغَال، وكان أصلُه من قوم نجَوْا من ثَمُودَ، فانتمى بعد ذلك إلى قيس. ورُوِى عن علىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وكرّم وجهَه: أنه مرّ بثقيف، فتغامزوا به؛ فرجَع إليهم فقال لهم: يا عبيدَ أبى رِغَال، إنما كان أبوكم عبدًا له فهرَب منه، فثقِفه[1] بعد ذلك، ثم انتمى إلى قَيْس.

وقال الحَجّاج في خطبة خطَبها بالكوفة: بلغنى أنكم تقولون إن ثقيفًا من بقيّة ثمود، ويْلَكم! وهل نجا من ثمودَ إلا خِيارُهم ومن آمن بصالح فبَقِى معه عليه السلام!. ثم قال: قال الله تعالى: ﴿وثَمُودَ فَمَا أَبْقَى﴾[2]. فبلغ ذلك الحسنَ البصرىّ، فتضاحك ثم قال: حكَمَ لُكَعُ لنفسه، إنما قال عزّ وجلّ: ﴿فَمَا أبْقَى﴾ أى لم يُبْقِهم بل أهلكهم. فرُفِع ذلك إلى الحجاج فطلَبه، فتوارى عنه حتى هلَك الحجّاج. وهذا كان سببَ تَوَارِيه منه. ذكر ابن الكَلْبِىّ أنه بلغه عن الحسن.

(١) ثقفه: أدركه وظفر به. (٢) فى ء، ط: «بقى».

وكان حمّاد الراويةُ يذكر أن أبا رِغَال أبو ثقيف كلِّها، وأنه من بقيّة ثمود، وأنه كان ملكًا بالطائف، فكان يظلِم رعيّته، فمرّ بامرأة تُرضِع صبيًا يتيمًا بلبَنِ عَنْزٍ لهـا، فأخذها منها، وكانت سنة مُجْدِبة؛ فبقي الصبيّ بلا مُرضِعة[1] فمات، فرماه الله بقارِعة فأهلكه، فرجَمت العربُ قبرَه ، وهو بين مكة والطائف . وقيـل : بل كان قائد الفيل ودليـلَ الحَبَشة لمـا غَزَوُا الكعبةَ ، فهلَك فيمن هلَك منهم ، فدُفِن بين مكة والطائف، فمرّ النبيّ صلى الله عليه وسلم بقبره، فأمر برجمه فرُجِم ، فكان ذلك سُنّة .

قال آبن الكَلْبيّ[2] وأخبرني أبي عن أبي صالح عن آبن عباس قال :

كان ثقيف والنَّخَع من إياد، فثقيف قَسِيّ بن مُنَبِّه بن النَّبِيت بن يَقْـدُم بن أَفْصَى بن دُعْمِيّ بن إيَاد . والنَّخَع[3] آبن عمرو بن الطمْثان بن عبد مَنَاة بن يَقْدُم بن أَفْصى، فخرجا ومعهما عنزٌ لهما لَبُون يشربان لبنَهَا ، فعرَض لهما مُصَـدِّق[4] لملك اليمن فأراد أَخْذَها، فقالا له : إنما نعيش بدَرِّها، فأبى أن يدَعَها، فرماه أحدُهما فقتله . ثم قال لصاحبه : إنه لايحملني وإيّاك أرض . فأما النَّخَع فمضى إلى بِيشَة[5] فأقام بها

(١) المرضع : المرأة لها ولد ترضعه ولا تلحقها التاء اكتفاء بتأنيثها في المعنى لأنها خاصة بالإناث كما في طالق . فاذا ألقمت الصبيّ ثديها فهي مرضعة (بالهاء) . قال أبو زيد في قوله تعالى : (تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ) هي التي ترضع وثديها في في ولدها . (٢) هو أبو صالح مولى أم هانئ بنت أبي طالب ويقال له باذان أو باذام ، وهو الذي يروى عنه ابن الكلبي ويروى عن ابن عباس . (راجع تهذيب التهذيب) . (٣) في صبح الأعشى (ج ١ ص ٣٢٧) وأنساب السمعاني في الكلام على النخع : « النخع واسمه جسر بن عمرو بن علة بن جلد بن مذحج » . وفي كتاب الاشتقاق لابن دريد : « فمن بني عُلة النخع قبيلة وأخوه جسر » . وفي كتاب المعارف لابن قتيبة : « فولد علة عمرا فولد عمرو جسرا وكعبا . فأما جسر فهو أبو النخع بن جسر بن عمرو» . (٤) المصدّق : عامل الزكاة الذي يأخذها من أربابها .

(٥) بيشة : قرية باليمن .

ونزل القَسِىُّ موضعًا قريبا من الطائف ، فرأى جاريةً ترعَى غنمًا لعامر بن الظَّرِب العَــدْوَانىّ ، فطمِع فيها، وقال : أقتُل الجارية ثم أَحْوِى الغنَم ، فأنكرت الجــارية منظرَه، فقالت له : إنى أراك تُريد قتلى وأخْذَ الغنم ، وهذا شىء إن فعلتَــه قُتلتَ وأُخذتِ الغنمُ منك، وأظنّك غريبا جائعا، فدلّته على مولاها ، فأتاه وآســتجار به فزوّجه بنتَه، وأقام بالطائف، فقيل : لله دَرّه ما أثقفه حين ثَقِف عامرا فأجاره. وكان قد مرّ بيهوديّة بوادى القُرَى[1] حين قُتل المُصَدِّق، فأعطته قُضْبانَ كَرْم، فغرسها بالطائف فأطعمتْه ونفعتْه .

قال آبن الكَلْبى فى خبر طويل ذكره : كان قَسِىٌّ مُقيما باليمن، فضاق عليــه موضعُه ونبا به، فأتى الطائفَ — وهو يومئذ مَنازلُ فَهْمٍ وعَدْوان آبنى عمرو بن قَيْس آبن عَيْلان — فانتهى إلى الظَّرِب العَــدْوانىّ، وهو أبو عامر بن الظَّرِب، فوجده نائما تحت شجرة، فأيقظه، وقال : من أنت ؟ قال : أنا الظَّرِب، قال : علىَّ أَلِيَّـةٌ إن لم أقتُلك أو تُحَالِفْنِى[2] وتُزَوِّجنِى آبنتَك ففعــل ، وآنصرف الظَّرِبُ وقَسِىٌّ معــه، فلقيه آبنُه عامر بن الظَّرِب، فقال : من هــذا معك يا أبتِ ؟ فقصّ قصّتَه، قال عامر : لله أبوه ! لقــد ثَقِفَ أمرَه ، فسُمِّى يومئــذ ثَقيفا . قال : وعُيِّر الظرب تزويجَه[3] قَسِيًّا ، وقيل : زَوّجتَ عبدًا، فسار إلى الكُهّان يسألهم، فآنتهى إلى شِقّ

(١) وادى القرى : واد بين المدينة والشام كثــير القرى، فتحه النبىّ صلى الله عليه وسلم عنوة ســنة سبع من الهجرة ، ثم صالح أهله على الجزية .

(٢) كذا فى م . وفى ء ، ط : « أو تحالفنى لتزوّجنى » . وفى سائر النسخ : « أو تحلف لى لتزوّجنى » .

(٣) كذا فى ء ، ط . وفى سائر النسخ : « بتزويجه » . قال فى المصباح : « وعيرته كذا وعيرته به : قبحته عليه ونسبته اليه ، يتعدى بنفسه وبالباء ؛ قال المرزوقى فى شرح الحماسة : والمختار أن يتعدى بنفسه ؛ قال الشاعر :

أعيّرتنا ألبانَها ولحومها * وذلك عار يا بن رَيطة ظاهر » .

آبن صَعْب البَجَلىّ[1] وكان أقربَهم منه ، فلما آنتهى إليه قال : إنا قد جئناك فى أمر فما هو ؟ قال : جئتم فى قَسِىّ ، وقَسِىٌّ عبدُ إياد ، أبَقَ ليلةَ الواد[2] ، فى وجٍّ[3] ذاتِ الأنداد ، فوالى سَعْدًا لُيُفَاد[4] ، ثم لَوَى بغير مَعَاد ، (يعنى سَعْد بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر) . قال : ثم توجّه إلى سَطِيح الذِّئْبىّ (حَىّ من غسّان ، ويقال : إنهم حَىٌّ من قُضَاعة نُزولٌ فى غَسّان) ، فقال : إنا جئناك فى أمر فما هو ؟ قال : جئتم فى قَسِىٍّ ، وقَسِىٌّ من ولد ثَمُودَ القديم ، ولدته أُمُّه بصحراء بَرِيم[5] ، فآلتقطه إياد وهو عديم ، فاستعبده وهو مُلِيم[6] . فرجع الظَّرِب وهو لا يدرى مايصنَع فى أمره ، وقد وَكّد عليه فى الحِلْف والترويج ، وكانوا على كفرهم يُوفُون بالقول . فلهذا يقول من قال : إن ثقيفًا من ثمود ، لأن إيادًا من ثمود .

قال : وقد قيل : إن حربا كانت بين إياد وبين قيس ، وكان رئيسهم عامر آبن الظَّرِب ، فظَفِرتْ بهم قيسٌ ، فنفتْهم إلى ثمود وأنكروا أن يكونوا من نِزَار .

قال : وقال عامر بن الظَّرِب فى ذلك :

قالت إيادُ قد رأينا نَسَبَا * فى آبْنَىْ نِزَارٍ ورأينا غَلَبَا
سِيرِى إيادُ قد رأينا عَجَبَا * لا أصلُكم منّا فسَامِى الطلبَا
* دارَ ثمودِ إذ رأيتِ السَّبَبَا *

---

(١) كذا فى ى ، ط ، وهو الموافق لما فى الطبرى (قسم ١ ص ٩١١ — ٩١٤) وفى سائر الأصول : «مصعب» وهو تحريف . (٢) فى جميع الأصول : «الوادى» والوادى يقال بالياء ويدونها ، وقد حذفناها هنا للسجع (راجع الحاشية رقم ٧ ص ٢١٥ من هذا الجزء) . (٣) وجّ : اسم واد بالطائف . (٤) ليفاد : ليطلق ، وأصله : ليفادى من المفاداة ، حذف منه الحرف الأخير لالتزام السجع . (٥) كذا فى م ، حـ . وبريم : موضع بنجد وواد بالحجاز قرب مكة ، وفى باقى الأصول : «تريم» بالتاء المثناة من فوق . وتريم : إحدى مدينتى حضرموت والمدينة الأخرى شِبَام .
(٦) ألام الرجل : فعل ما يلام عليه .

قال : وقد رُوِىَ عن الأعمش أن علىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه، قال على المنبر بالكوفة وذكر ثقيفا : لقد هممتُ أن أضعَ على ثقيف الجِزْيةَ(١)؛ لأن ثقيفا كان عبدًا لصالح نبىّ الله عليه السّلام و إنه سرّحه إلى عامل له على الصَّدَقة، فبعث العامل معه بها، فهرَب وٱستوطن الحَرَم، وإنّ أولى الناس بصالح محمد صلى الله عليهما وسلم، وإنى أُشهدكم أنى قد رددتهم إلى الرِّقّ .

٧٦ / ٤

٥

قال : وبلغنا أنّ ٱبن عبّاس قال، وذُكِر عنده ثَقيف، فقال : هو قَسِىّ بن مُنَبِّه، وكان عبدًا لأمرأة صالح نبىّ الله صلى الله عليه وسلم، وهى الهَيْجُمانة بنت سَعْد، فوهبتْه لصالح، وإنه سرّحه إلى عاملٍ له على الصَّدَقة؛ ثم ذكر باقىَ خبره مثلَ ما قال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه؛ وقال فيه : إنه مَرّ برجل معه غنمٌ ومعه ٱبن له صغير ماتت أمّه فهو يَرْضَع من شاةٍ ليست فى الغنم لَبُونٌ غيرُها، فأخذ الشاةَ، فناشده اللهَ، وأعطاه عشرًا فأبى، فأعطاه جميعَ الغنم فأبى؛ فلما رأى ذلك تَنحّى، ثم نَثَل كِنانتَه(٢) فرماه ففَلَق قلبَه؛ فقيل له : قتلتَ رسول رسولِ الله صالح . فأتى صالحا فقصّ عليه قصّتَه؛ فقال : أبعده الله ! فقد كنتُ أنتظر هذا منه؛ فرُجِم قبرُه، فإلى(٣) اليوم والليلة يرجم، وهو أبو رِغال.

١٠

قال وبلغنا عن عبدالله بن عباس أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم حين ٱنصرف من الطائف مرّ بقبر أبى رِغَال، فقال : "هذا قبر أبى رِغَال وهو أبو ثقيف كان فى الحَرَم فمنعه الله عزّ وجلّ فلما خرج منه رماه الله وفيه عمودٌ من ذهب"؛ فٱبتدره المسلمون فأخرجوه .

١٥

(١) فى حـ : «قام» . (٢) نثل الكنانة : استخرج ما فيها من النبل .

(٣) كذا فى م . وفى سائر النسخ : «فرجم قبره الى اليوم والليلة وهوأبو رغال» .

٢٠

قال: وروى عمرو بن عُبيد عن الحسن أنه سُئل عن جُرْهُم: هل بَقِىَ منهم أحدٌ؟ قال : ما أدرى، غيرَ أنهـم لم يبقَ من ثمود إلا ثقيف فى قيس عَيْلان، وبنـو لَجَا فى طَيِّئ، والطُّفَاوة فى بنى أَعْصُر .

قال عمرو بن عُبَيـد وقال الحسن : ذُكِرت القبائلُ عنـد النبىّ صلى الله عليـه وسـلم، فقال : " قبائلُ تَنْتمى إلى العرب وليسوا من العرب حِمْيَر من تُبَّع وجُرْهُم من عاد وثقيفٌ من ثمود " .

قال : ورُوِىَ عن قَتَـادة أنّ رجلين جاءا الى عِمْرانَ بن حُصَين، فقال لهما : ممن أنتمـا ؟ قالا : من ثَقيف، فقال لهما : أتزعُمـان أنّ ثقيفًا من إياد ؟ قالا : نعم، قال: فإن إيادا من ثمود، فشقّ ذلك عليهما، فقال لهما : أساءكما قولى ؟ قالا : نعم والله، قال : فإن الله أنجى من ثمود صالحًا والذين آمنوا معه، فأنتم إن شاء الله من ذُرِّية مَنْ آمن وإن كان أبو رِغال قـد أَتَى ما بلغكما . قالا له : فمـا اسم أبى رِغَال، فإن الناس قد اختلفوا علينا فى اسمه ؟ قال : قَسِىّ بن مُنَبِّه .

قال ورَوَى الزُّهْرِىّ أنّ النبىّ صلى الله عليـه وسلم قال : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يُحبّ ثَقِيفا ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يُبْغض الأنصار".

قال : وبَلَغنا عنه عليـه الصلاة والسلام أنه قال : " بنو هاشم والأنصارُ حِلْفانِ وبنو أُمَيّة وثَقِيفٌ حِلْفان" .

قال : وفى ثَقيف يقول حسّان بن ثابت رضى الله تعالى عنه :

إذا الثَّقَفِىّ فاخركم فقولوا * هَلُمّ نَعُـدّ شأنَ أبى رِغَالِ

أبوكم أخبثُ الآباء قِدْماً * وأنتم مُشْبِهوه على مِثالِ (١)
عبيدُ الفِزْرِ أورثهم بنيه (٢) * وولّى عنهمُ أُخرى الليالى

أم طريح ونسبها

وأم طُرَيح بنتُ عبد الله بن سِبَاع بن عبد العُزّى بن نَضْلة بن غُبْشانَ (٣) من خُزاعة، وهم حُلَفاءُ بنى زُهْرة بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤَىّ . وسِباع بن عبد العزّى هو الذى قتله حَمْزة بن عبد المطلب يومَ أُحُد، ولما بَرَز إليه سِبَاع قال له حمزة : هَلُمّ إلىّ يابنَ مُقَطِّعة البُظُور — وكانت أمّه تفعل ذلك وتَقْبَل (٤) نساءَ قُرَيش بمكة — فحَمِى وَحْشِىٌّ (٥) لقوله وغضِب لسِبَاع، فرمى حمزةَ بحَرْبته فقتله — رحمة الله عليه — وقد كُتب ذلك فى خبر غَزَاة أُحُد فى بعض هذا الكتاب .

كنيته

ويُكْنَى طُرَيح أبا الصَّلْت، كُنى بذلك لأن ابن كان له اسمه صَلْت . وله يقول :

---

(١) ورد هذا الشطر فى ديوان حسان (ص ٣٦ طبع ليدن) : * وأولاد الخبيث على مثال *
(٢) كذا فى ديوان حسان . وفى جميع الأصول : «أورثه» . وورد البيت فى ديوان حسان ضمن بيتين هما :

عبيد الفزر أورثهم بنيه * وآلى لا يبيعهم بمال
وما لكرامة حبسوا ولكن * أراد هوانهم أخرى الليالى

والفزر: أبو قبيلة من تميم وهو سعد بن زيد مناة بن تميم . (٣) كذا فى ى، ط، م : وهو الموافق لما فى السيرة (ص ٦١١ طبع أوربا) . وفى سائر الأصول : «غبشان بن خزاعة» وهو تحريف، لأن غبشان هو ابن سليم بن ملكان بن أفصى بن خزاعة كما فى السيرة . (٤) تقبل نساء قريش (كتفرح) : تتلق أولادهن عند الولادة، وهى القابلة . (٥) يدل ما فى صحيح البخارى على أن قتل وحشىّ لحمزة إنما كان بتحريض مولاه جبير بن مطعم، وذلك أن حمزة (رضى الله تعالى عنه) كان قتل ببدر طُعَيمة بن عدىّ ابن الخيار عم جبير، فقال جبير لوحشىّ : إن قتلت حمزة بعمى فأنت حرّ ؛ فلما بارز حمزة سباعا وقتله كان وحشى متربصا له تحت صخرة، فلما دنا منه رماه بحربته فأرداه . (والخبر مذكور فى صحيح البخارى بتفصيل، فانظره فى كتاب المغازى — باب قتل حمزة رضى الله عنه) .

يا صَلْتُ إنّ أباك رهنُ منيّةٍ * مكتوبةٍ لا بُدّ أن يلقاها
سَلَفتْ سوالفُها بأنفسِ مَنْ مضى(١) * وكذاك يَتْبَع باقيًا أُخْراها
والدهرُ يوشِك أن يُفرّق رَيبُه(٢) * بالموت أو رحلٍ تَشُتّ(٣) نَوَاها
لا بدّ بينكما فتُسمِع دَعْوةً * أو تستجيب لدعوةٍ تُدْعاها

طرح ابنه الصلت الى أخواله بعد موت أمه

٥ وأخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازةً قال أخبرني أبو الحسن الكاتب : أنّ أمّ الصَّلْت بن طُرَيح ماتت وهو صغير ، فطَرَحه طُرَيح إلى أخواله بعد موت أمّه . وفيه يقول :

بات الخيالُ من الصُّلَيت مؤرِّقي * يَفْرِي(٤) السَّراةَ مع الرَّباب المُلْثِق(٥)
ماراعَني إلا بياضُ وُجَيْهِهِ * تحت الدُّجُنّة(٦) كالسِّراج المُشْرِقِ

نشأ فى دولة بنى أمية وأدرك دولة بنى العباس وكان مدّاحا للوليد بن يزيد وغضب عليه ثم رضى عنه

١٠ ونشأ طُرَيح فى دولة بنى أُميّة، وآستفرغ شعرَه فى الوليد بن يزيد، وأدرك دولةَ بنى العباس ، ومات فى أيام المهديّ(٧) ، وكان الوليد له مُكرِمًا مُقدِّما ، لآنقطاعه إليه وخُؤولته(٨) فى ثقيف .

فأخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثنى هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثنى أحمد بن حَمّاد(٩) بن الجَميل عن العُتْبيّ عن سَهْم بن عبد الحميد قال أخبرني

١٥ طُرَيح بن إسماعيل الثقفيّ قال :

(١) فى ى ، ط : «سوابقها» . (٢) فى م : «يفرق بينهم» . (٣) كذا فى ى ، ط ، م . وفى سائر النسخ : «تشب» بالباء الموحدة ، وهو تحريف . (٤) كذا فى م . وفى سائر النسخ : «يقرى» بالقاف . (٥) الملثق : البالّ ؛ يقال : لثق الطائر اذا ابتلّ ريشه ، وألثقه غيره اذا بلّه . (٦) الدجنة : الظلام . (٧) فى ى ، ط ، م : «فى أيام الهادى» . (٨) فى ب ، س : «من» . (٩) فى ط : «أحمد بن محمد بن الجميل» . وفى ى : «أحمد بن محمد الجميل»

٢٠ وفى : م «أحمد بن حماد بن عبد الحميد» .

خُصِصْتُ بالوَليـد بن يزيد حتى صِرْتُ أخلو معـه ؛ فقلت له ذاتَ يومٍ وأنا معه فى مَشْربَة[١] : يا أمير المؤمنين ، خالُك يُحبّ أن تعـلَم شيئًا من خُلُقه ؛ قال : وما هـو ؟ قلت : لم أشرَب شرابًا قطُّ ممزوجًا إلا من لبن أو عَسَـل ؛ قال : قد عَرَفتُ ذاك ولم يُباعِدْك من قلبي . قال : ودخلتُ يوما إليه وعنده الأمويّون ، فقال لى : إلىّ ياخالى ، وأقعدنى إلى جانبه ، ثم أُتِىَ بشراب فشرِب ، ثم ناولنى القَدَح ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين قد أعلمتُك رأيى فى الشَّراب ؛ قال : ليس لذلك أعطيتُك ، إنما دفعته إليك لتُناوِلَه الغلام ، وغضِب ؛ فرفع القوم أيديَهم كأنّ صاعقةً نزلتْ[٢] على الخِوان ؛ فذهبتُ أقوم ، فقـال : اقعُـدْ ! فلما خلا البيتُ ٱفترَى علىّ ، ثم قال : ياعاضّ كذا وكذا ! أردتَ أن تفضَحنى ، ولولا أنك خالى لضربتُك ألفَ سَوْط ! ثم نهى الحاجبَ عن إدخالى ، وقطَع عنّى أرزاقى ؛ فمكثتُ ما شـاء الله ، ثم دخلتُ عليه يومًا متنكرا ، فلم يشعُر إلا وأنا بين يديه وأنا أقولُ :

يا بنَ الخلائف مالى بعـد تَقرِبةٍ * إليك أُقْصَى وفى حالَيْك لى عَجَبُ
مالى أُذادُ[٣] وأُقْصَى[٤] حين أقصِـدُكم * كما تُوُقِّىَ من ذى العُرّة[٥] الجَرَبُ
كأننى لم يكن بينى وبينكمُ * إلٌّ[٦] ولا خُـلّةٌ تُرْعَى ولا نَسَبُ
لو كان بالوُدّ يُدْنَى منك أزْلَفَنى * بقُربك الودُّ والإشفاقُ والحَدَبُ
وكنتُ دونَ رجالٍ قـد جعلتَهـمُ * دونى إذا ما رَأَوْنى مُقبِلًا قَطَبـوا[٧]

---

(١) المشربة (بضم الراء وفتحها) : الغرفة . وفى ى ، ط : «ونحن فى مشرقة» والمشرقة (مثلثة الراء) : موضع القعود فى الشمس بالشتاء . (٢) فى ى ، ط ، م : «كأن صاعقة وقعت عليهم» . (٣) أذاد : أمنع وأدفع . (٤) كذا فى م . وفى ى ، ط : «وأرمى» . وفى سائر النسخ : «وأنهى» . (٥) العرّة : الجرب . (٦) إلّ : عهد . وخلة : صداقة . (٧) قطب الرجل (من باب نصر) : زوى ما بين عينيه وكلح .

إن يسمَعوا الخيرَ يُخفُوه وإن سَمِعوا * شرًّا أذاعوا وإن لم يسمَعوا كَذَبوا
رأَوا صدودَك عنّى فى اللقـاء فقد * تحـدّثوا أن حبـلى منكَ مُنقضِبُ
فذو الشَّـماتة مسرورٌ بهيْضَتنا * وذو النصيحة والإشفاقِ مكتئبُ

٧٨/٤

قال : فتبسّم وأمرنى بالجلوس فجلست، ورجع إلىّ وقال : إياك أن تُعاوِد . وتمام

٥ هذه القصيدة :

أين الذِّمامةُ والحـق الذى نزلتْ * بحفظـه وبتعظيمٍ له الكتبُ
وحَوْكِىَ الشِّـعرَ أُصفيه وأَنظِمُـه * نظمَ القلائدِ فيهـا الدُّرُّ والذهبُ
وإنّ سُخْطَك شىءٌ لم أُناجِ به * نفسى ولم يَكُ مما كنتُ أكتسبُ
لكن أتاك بقولٍ كاذبٍ أَثِمٍ * قومٌ بَغَوْنى فنـالوا فىّ ما طلبـوا
١٠ وما عَهِـدتُك فيما زَلَّ تَقْطع ذا * قُرْبى ولا تدفعُ الحقَّ الذى يجبُ
ولا تَوَجَّـعُ من حقٍّ تحمَّـلُه * ولا تَتَبَّـع بالتكدير ما تَهَبُ
فقد تقربتُ جهدًا من رضاك بما * كانت تُنـالُ به من مثلك القُرَبُ
فغـيرَ دَفعِك حقِّى وٱرتفاضِـكَ لى * وطَيِّكَ الكشحَ عنّى كنتُ أحتسبُ
أُشْمِتُّ بِىَ أقوامًا صـدورهُمُ * علىّ فيك إلى الأذقانِ تلتهبُ
١٥ قد كنتُ أحسَبُ أنّى قد لجأتُ إلى * حِرْزٍ وألّا يَضُرونى وإن أَلَبوا[(١)]
إنّ التى صُنتُها عن مَعشرٍ طلَبـوا * منّى إلىّ الذى لم يُنجِـح الطلبُ
أخلصتُها لك إخلاصَ ٱمرئٍ عَلِمَ الأ * قوامُ أن ليس إلا فيـك يَرتَغِبُ
أصبحتَ تدفعُها منّى[(٢)] وأعطِفُهـا * عليك وهى لمن يُحْبَى بها رَغَبُ
وإن وصلتَ فأهلُ العُرْفِ أنت وإن * تدفَـعْ يدىَّ فـلى بُقْيـا ومُنقلَبُ

---

٢٠ (١) ألبوا : تجمعوا . (٢) فى حـ ، م : « عنى » .

إنى كريمٌ كرامٍ عشتُ فى أدبٍ * تَفِى العيوبَ ومَلْكُ(١) الشِّيمة الأدبُ
قد يعلمون بأنّ العُسْرَ منقطعٌ * يومًا وأن الغِنى لابدّ منقلبُ
فمالُهم حُبُسٌ(٢) فى الحقّ مُرْتَهَنٌ * مثل الغنائم تُحْوَى ثم تُنْتَهَبُ
وما على جارهم ألّا يكونَ له * إذا تَكَنّفه أبياتُهم نَشَبُ
لا يفرَحون إذا ما الدهرُ طاوَعهم * يوما بيُسْرٍ ولا يشكُون إن نُكِبُوا ٥
فارقتُ قومى فلم أعتَضْ بهم عِوَضًا * والدهرُ يُحْدِث أحداثًا لها نُوَبُ

رواية المدائنى فى ذلك

وأما المَدَائنيّ فقال : كان الوليد بن يزيد يُكرم طُرَيحًا، وكانت له منه منزلةٌ قريبةٌ ومكانةٌ، وكان يُدْنِى مجلسَه، وجعله أوّلَ داخل وآخرَ خارج، ولم يكن يُصْدِر إلا عن رأيه ؛ فآستفرغ مديحَه كلَّه وعامّةَ شعره فيه ، فحسَده ناسٌ من أهل بيت الوليد ، وقدِمَ حَمّادٌ الراويةُ على التَّفِئة(٣) الشامَ، فشكَوْا ذلك إليه، وقالوا : والله لقد ١٠ ذهب طُرَيح بالأمير(٤)، فما نالنا منه ليلٌ ولا نهار ؛ فقال حمّاد : ابغُونى مَنْ يُنْشد الأمير بيتين من شعر ، فأُسقطَ منزلتَه ؛ فطلبوا إلى الخَصِيّ الذى كان يقوم على رأس الوليد ، وجعلوا له عشرةَ آلاف درهم على أن يُنْشدهما الأمير فى خَلْوة ، فإذا سأله مِنْ قولِ مَنْ ذا ؟ قال : مِن قولِ طُرَيح ؛ فأجابهم الخصيّ إلى ذلك ، وعلّموه البيتين . فلما كان ذاتَ يوم دخل طُرَيح على الوليد وفُتح البابُ وأُذِن ١٥ للناس فجلَسوا طويلا ثم نهَضوا، وبقِى طُرَيح مع الوليد وهو ولىّ عهد، ثم دعا بغَدَائه فتغدّيا جميعا، ثم إن طُرَيحا خرج وركِب إلى منزله، وترك الوليدَ فى مجلسه ليس معه أحدٌ ، فآستلقَى على فِرَاشه، وآغتنم الخَصِيّ خَلْوتَه فآندفع ينشد :

(١) ملك الشيمة : قوامها ومعظمها . (٢) حبس (بضمتين) : محبوس . (٣) التفئة : الحين والزمان . (٤) كذا فى ء ، م ، ط وهو الصواب اذ كان الوليد فى ذلك الوقت ولىّ عهد ولم يكن خليفة ، كما سيأتى بعد أسطر ، وفى سائر النسخ : « بأمير المؤمنين » . ٢٠

سِيرِى رِكابِى إلى مَنْ تَسعَدِين به * فقد أقمتِ بدار الهُونِ ما صَلَحَا
سِيرِى إلى سيِّدٍ سَمْحٍ خلائقُه * ضخمِ الدَّسيعةِ(١) قَرْمٍ يحملُ المِدَحَا

فأصغَى الوليدُ إلى الخَصِىّ بسمعه وأعاد الخَصِىّ غيرَ مرّة ؛ ثم قال الوليد : وَيْحَك ياغلامُ ! مِن قول مَنْ هذا ؟ قال : من قول طُرَيح ؛ فغضب الوليد حتى امتلأ غيظا، ثم قال : والهفَا على أُمٍّ لم تَلِدْنى ! قد جعلتُه أوّلَ داخل وآخرَ خارج، ثم يزعُم أنّ هشاماً يحمل المِدَحَ ولا أحمِلُها ! . ثم قال : علىّ بالحاجب، فأتاه ؛ فقال : لاأعلم ما أذنتَ لطُرَيح ولا رأيتُه على وجه الأرض، فإن حاولك فاخْطَفْه بالسيف . فلمّا كان العشىّ وصُلِّيتِ العصرُ، جاء طُرَيح للساعة التى كان يُؤْذَن له فيها، فدنا من الباب ليدخل؛ فقال له الحاجب : وراءَك ! فقال : مالك ! هل دخل على ولىّ العهد أحدٌ بعدى؟ قال: لا ! ولكن ساعةَ وَلَّيتَ من عنده دعانى فأمرنى ألّا آذَن لك، وإن حاولتَنى فى ذلك خَطِفتُك بالسيف ؛ فقال : لك عشرةُ آلاف(٢) وَأْذَنْ لى فى الدخول عليه ؛ فقال له الحاجب : والله لو أعطيتَنى خَراجَ العراق ما أذنتُ لك فى ذلك ، وليس لك من خير فى الدخول عليه فارْجع ؛ قال : وَيْحَك ! هل تعلم مَنْ دَهَانى عنده ؟ قال الحاجب : لا والله ! لقد دخلتُ عليه وما عنده أحد، ولكنّ الله يُحْدِث مايشاء فى الليل والنهار . قال : فرجَع طُرَيح وأقام بباب الوليد سنةً لايخلُص إليه ولا يقدِر على الدخول عليه ، وأراد الرجوعَ إلى بلده وقومه ، فقال : والله إنّ هذا لعجزٌ بى أن أرجعَ من غير أن ألقَى ولىَّ العهد فأعلمَ من دهانى عنده ؛ ورأى أُناسا كانوا له أعداءً قد فرحوا بما كان من أمره ، فكانوا يدخلون على الوليد

(١) الدسيعة : العطية الجزيلة ، وتقال الدسيعة أيضا لجفنة الواسعة ، والمائدة الكريمة .

(٢) فى ء : « عشرة آلاف درهم » .

ويحدّثونه ويُصْدِر عن رأيهم ؛ فلم يزل يَلْطُف[1] بالحاجب ويمنّيه ، حتى قال له الحاجب : أمّا إذ أطلتَ المُقام فإنى أكرهُ أن تنصرفَ على حالك هذه ، ولكنّ الأميرَ إذا كان يومُ كذا وكذا دخل الحمّامَ ، ثم أمَر بسريره فأُبرِز ، وليس عليه يومئذ حِجابٌ ، فإذا كان ذلك اليومُ أعلمتُك فتكون قد دخلتَ عليه وظَفِرتَ بحاجتك وأكونُ أنا على حالِ عُذْرٍ . فلما كان ذلك اليومُ ، دخل الحمّام وأمر بسريره فأُبرز وجَلَس عليه ، وأذِن للناس فدخلوا عليه ، والوليدُ يَنظر إلى مَنْ أقبل ، وبعث الحاجبُ إلى طريح ، فأقبل وقد تتامّ الناسُ ؛ فلما نظر الوليد إليه من بعيدٍ صرَف عنه وجهَه ، واستحيا أن يردّه من بين الناس ؛ فدنا فسلّم فلم يردّ عليه السلامَ . فقال طُرَيح يستعطفه ويتضرّع إليه :

نام الخَلِيُّ من الهمومِ وبات لى * ليلٌ أُكابِدُه وهَمٌّ مُضْلِعُ
وسَهِرتُ لا أَسْرِى ولا فى لذّةٍ * أَرَقِى وأغفَل مالقيتُ الهُجَّعُ
أبغِى وجوهَ مَخَارِجى من تُهْمةٍ * أَزَمتْ علىّ وسُدَّ منها المطلَعُ
جزعًا لمَعْتَبةِ الوليدِ ولم أكنْ * من قبلِ ذاك من الحوادث أجزَعُ
يابنَ الخلائف إنّ سخطك لامرئٍ * أمسيتَ عِصمتَه بلاءٌ مُفْظِعُ
فلأنزِعنّ عن الذى لم تَهْوَه * إن كان لى ورأيتُ ذلك مَنْزَعُ
فاعطِفْ فداك أبى علىّ توسُّعًا * وفضيلةً فعَلى الفضيلة تتبعُ
فلقد كفاكَ وزادَ ما قد نالنى * إن كنتَ لى ببلاء ضُرٍّ تَقْنَعُ
سِمَةٌ لذاك علىّ جسمٌ شاحبٌ * بادٍ تَحَسُّرُه ولونٌ أَسْفَعُ[2]

(١) فى ط ، ء : « يلطف للحاجب » وفى أساس البلاغة : « وأنا أَلْطُفُ بفلان اذا أريته مودّة ورفقا فى المعاملة » وفى اللسان : « يقال : لَطَف به وله بالفتح يَلطُف لُطفًا اذا رفق به ... » .

(٢) أسفع : شاحب متغير من مقاساة المشاق .

إنْ كنتَ فى ذنب عَتَبتَ فإنّنى * عمّا كَرِهتَ لنازعٌ متضرِّعُ
ويئستُ منك فكلُّ عُسْرٍ باسطٌ * كفًّا إلىّ وكل يسرٍ أقْطَعُ(1)
من بعد أخذِى من حِبالك بالّذى * قد كنتُ أحسَبُ أنه لا يُقْطَعُ
فأرِبْ(2) صنيعَك بى فإنّ بأعيُنٍ * للكاشحين وسَمْعِهم(3) ماتصنعُ
أدفعتَنى حتى انقطعتُ وسُدِّدتْ * عنّى الوجوهُ ولم يكن لىَ مَدْفَعُ
ورُجيتُ واتُّقِيَتْ يداىَ وقيل قد * أمسَى يَضُرُّ إذا أحبّ وينفَعُ
ودخلتُ فى حَرَم الذِّمَام وحاطَنى * خَفَرٌ أخذتُ به وعهدٌ مُولَعُ
أفهادمٌ ما قد بَنَيتَ وخافضٌ * شَرَفى وأنتَ لغير ذلك أوسعُ
أفلا خَشِيتَ شَماتَ قومٍ فُتَّهم * سَبْقًا وأنفسُهم عليك تَقَطَّعُ
وفَضَلتَ فى الحَسَب الأَشَمِّ عليهمُ * وصَنَعتَ فى الأفوامِ مالم يصنعوا(4)
فكأنَّ آنُفَهمْ بكلِّ صَنيعةٍ * أسدَيتَها وجميلِ فِعلٍ تُجدَعُ(5)
وَدُّوا لو أنّهمُ يَنَالُ أكُفَّهم * شَلَلٌ وأنّك عن صَنيعك تَنزِعُ
أو تَسْتَلِيمُ(6) فيجعلونك أُسْوةً * وأبَى الملامَ لك النّدَى والمَوْضِعُ

قال: فقرّبه وأدناه، وضحك إليه، وعاد له إلى ما كان عليه.

عاتبه المنصور فى شعر مدح به الوليد فأحسن الاعتذار

أخبرنى حَبيب بن نَصْر المهلَّبىّ قال حدّثنا عبد الله بن شَبيب قال حدّثنا محمد ابن عبد الله بن حَمْزة بن عُتْبة اللَّهَبىّ عن أبيه:

أن طُرَيحا دخل على أبى جعفر المنصور وهو فى الشُّعَراء، فقال له: لا حيَّاك الله ولا بيَّاك! أمَا اتّقيتَ الله — وَيْلَك! — حيث تقول للوليد بن يزيد:

(1) أقطع: مقطوع اليد. (2) اربب صنيعك: زده. (3) كذا فى م. وفى سائر النسخ: «وسمعها». (4) فى م: «ما لا يصنع». (5) كذا فى حـ. وفى سائر النسخ: «وجميل فعالك». (6) تستليم: تفعل ما تستحق عليه اللوم.

لو قلتَ للسيل دَعْ طريقَك والـ * ـموجُ عليـه كالهَضْب يَعْتَلِجُ

لسـاخَ وارتدّ[1] أو لكان له * فى سائر الأرض عنك مُنْعَرَجُ

فقال له طُرَيح : قد علم الله عزّ وجلّ أنى قلت ذاك ويدى ممدودة إليه عزّ وجلّ، وإياه تبارك وتعالى عنيتُ؛ فقال المنصور : ياربيع، أمَا تَرَى هذا التخلّص ! .

دخل على الوليد فمدحه فطرب وأجازه

٥ نسخت من كتاب أحمد بن الحارث مما أجاز لى أبو أحمد الجَريرىّ[2] روايتَه عنه : حدّثنا المَدائنىّ :

أن الوليد جلس يومًا فى مجلس له عامّ، ودخل إليه أهلُ بيته ومَواليه والشعراءُ وأصحابُ الحوائج فقضاها ، وكان أشرقَ يومٍ رُئى له ، فقام بعضُ الشعراء فأنشد ، ثم وثَب طُرَيح، وهو عن يسار الوليـد ، وكان أهلُ بيته عن يمينه، وأخوالُه عن ١٠ شماله وهو فيهم، فأنشده :

صــــوت

أنت ٱبن مُسْلَنْطِحِ[3] البِطَاح ولم * تُطْرَق[4] عليـك الحُنِىُّ والوُلُجُ

طُوبَى لفَرْعيك[5] من هنا وهنا * طُوبَى لأعراقك التى تَشِجُ[6]

لو قلتَ للسيل دَعْ طريقَك والـ * ـموجُ عليـه كالهَضْب يَعْتَلِجُ[7]

١٥ لسـاخَ وٱرتدّ أو لكان له * فى سائر الأرض عنك مُنْعَرَجُ

(١) فى هامش ط كتبت هـذه العبارة : «الصحيح : لارتد أوساخ أو لكان له» . وهى أيضا رواية اللسان (مادة ولج) . (٢) كذا فى حـ ، وهو الموافق لما فى الأنساب للسمعانى (ص ١٢٩) . وفى باقى الأصول «الحريرى» بالحاء المهملة . (٣) سيشرح أبو الفرج بعد قليل هذا الشعر . (٤) فى كتاب الشعر والشعراء واللسان (مادتى ولج وسلطح) : « تعطف» ٢٠ وقال فى اللسان (مادة طرق) : « وأطرق جناح الطائر : لبس الريش الأعلى الريش الأسفل ، وأطرق عليه الليل ركب بعضه بعضا ، وقوله : * ولم تطرق عليك الحنىّ والولج *

أى لم يوضع بعضه على بعض فتراكب» . وتفسير صاحب اللسان هذا هو الذى يتفق مع معنى كلمات البيت. ومنه يعلم ما فى تفسير أبى الفرج لهذه الكلمة من بُعد . (٥) فى ى ، ط : « طيبا لفرعيك ... طيبا لأعراقك » . (٦) تشج : تشتبك وتلتفّ . (٧) يعتلج : يلتطم .

فطرِب الوليد بن يزيد حتى رُئى الارتياحُ فيه، وأمر له بخمسين ألفَ درهم، وقال : ما أرى أحدًا منكم يجيئنى اليومَ بمثل ماقال خالى ، فلا يُنْشِدْنى أحد بعده شيئا ؛ وأمر لسائر الشعراء بصلات وآنصرفوا ، وآحتبس طُرَيحًا عنده ، وأمر آبنَ عائشة فغنّى فى هذا الشعر .

نسبة هـذا الصوت

أنت ابنُ مُسْلَنْطِح البطاح ولم * تطرق عليك الحُـنِىُّ والوُلُجُ

الأبيات الأربعة . عروضه من المُنْسرِح . غنّاه آبنُ عائشة ، ولحنُه رَمَلٌ مطلقٌ فى مجرى الوسطى عن إسحاق .

المسلنطح من البطاح : ما آتسع وآستوى سطحُه منها . وتُطرِق عليك : تُطْبِق عليك وتُغطِّيك وتُضيِّق مكانَك؛ يقال : طرَقت الحادثةُ بكذا وكذا إذا أتت بأمر ضيِّق مُعْضِل . والوَشِيج : أصـول النبت ؛ يقال : أعراقُك واشجةٌ فى الكَرَم ، أى نابتة فيه . قال الشاعر[1] :

وهل يُنْبِت الخَطِّىَّ إلا وَشِيجُه * وتَنْبُت إلّا فى مَغَارِسها النخلُ[2]

يعنى أنه كريم الأبوين من قُرَيش وثَقِيف . وقد ردّد طُرَيح هذا المعنى فى الوليد، فقال فى كلمة له :

وآعتام[3] كَهْلُك[4] من ثَقِيف كُفأَه * فتنازعاكَ فأنت جوهرُ جوهرِ

فنمَتْ فروعُ القريتين قُصَيُّها[5] * وقَسِيُّها بك فى الأشمّ الأكبر

(١) هو زهير بن أبى سلمى . (٢) فى ى ، ط ، م : * وتغرس إلا فى منابتها النخل *

(٣) اعتام : اختار . (٤) كذا فى ى ، ط ، م . وفى سائر النسخ : « أهلك » .

(٥) قصىّ : أبو عدة بطون من قريش . وقسىّ (بفتح فكسر وتشديد آخره) : هو ثقيف ، وقد تقدم فى أول ترجمة طريح .

والحُنِيّ : ما انخفض من الأرض ، والواحدة حَنًا(١) ، والجمع حُنِيّ مثل عَصًا وعُصِيّ . والوُلُجُ : كلّ متّسع فى الوادى ، الواحدة وَلَجَة(٢) ، ويقال : الوَلَجاتُ بين الجبال مثل الرِّحَاب ، أى لم تكن بين الحُنِيّ ولا الوُلُجِ فيَخْفَى مكانُك ، أى لستَ فى موضع خفيّ من الحسب . وقال أبو عُبَيدة : سمع عمرُ بن الخطّاب رضى الله عنه رجلا يقول لآخر يفخَر عليه : أنا ابن مُسْلَنطِح البِطَاح ، وابنُ كذا وكذا ؛ فقال له عمر : إن كان لك عقل فلك أصل ، وإن كان لك خُلُق فلك شَرَف ، وإن كان لك تقوى فلك كَرَم ، وإلّا فذاك الحمارُ خيرٌ منك ، أَحَبُّكم إلينا قبل أن نراكم أحسنُكم سَمْتا ، فإذا تكلّمتُم فأبينُكم مَنْطِقا ، فإذا اختبرناكم فأحسنُكم فِعلًا .

وقولُه : «لو قلتَ للسيل دَعْ طريقَك» يقول : أنت مِلك هذا الأبطح والمُطاعُ فيه ، فكل من تأمره يُطيعك فيه ، حتى لو أمرتَ السيلَ بالانصراف عنه لفعل لنفوذ أمرك . وإنما ضرب هذا مثلًا وجعله مبالغةً ، لأنه لا شيء أشدّ تعذّرًا من هذا وشبهه ، فإذا صرفه كان على كل شيء سواه أقدر . وقوله : «لساخ» أى لغاض فى الأرض . «وارتد» أى عدل عن طريقه ، وإن لم يجد إلى ذلك سبيلا كان له مُنعَرَجٌ عنك إلى سائر الأرض .

غضب الوليد على ابن عائشة فلما غناه فى شعره طرب ورضى عنه

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حَمّادٍ عن أبيه(٣) قال إسحاقُ وحدّثنى به الواقدىّ عن أبى الزِّنَاد عن إبراهيمَ بن عطيّة :

(١) لم نجد فى كتب اللغة التى بين أيدينا (كاللسان والقاموس وشرحه والصحاح) ما يؤيد التفسير الذى ذكره أبو الفرج لمعنى هذه الكلمة ولا لمفردها . وعبارة اللسان (فى مادة حنا) : «... والحِنْوُ : كل شيء فيه اعوجاج أو شبه الاعوجاج من البدن كعظم الحِجَاج واللَّحْى والضِّلَع ومن غيره كالقُفّ والحِقْف ومنعرج الوادى ، والجمع أحناء وحُنِيّ وحِنِيّ ...» . (٢) فى اللسان (مادة ولج) : «... ابن الأعرابى : ولاج الوادى : معاطفه ، واحدتها ولجة ، والجمع الولج» . ومنه يعلم أن الولج جمع الجمع لولجة . (٣) كذا فى ء ، ط ، م . وفى سائر النسخ : «عن أبيه عن ابن الكلبى عن أبيه قال إسحاق الخ» وقد حذفنا هذه الزيادة لأننا لم نجد فى كتب التراجم أن إسحاق بن إبراهيم الموصلى روى عن محمد بن السائب الكلبى .

أنّ الوليد بن يزيد لما وَلِى الخلافةَ بعث إلى المغنّين بالمدينــة ومكة فأشخصهم إليه، وأمرهم أن يتفرّقوا ولا يدخلوا نهاراً لئلا يُعرَفوا، وكان إذ ذاك يتستّر فى أمره ولا يظهره، فسبَقَهم ٱبنُ عائشة فدخل نهاراً وشُهر أمرُه، فحبسه الوليد وأمر به فقُيِّد، وأذن للمُغنّين وفيهم مَعْبد، فدخلوا عليه دَخَلات، ثم إنه جمعهم ليلةً فغنَّوْا له حتى طَرِب وطابت نفسُه. فلمّا رأى ذلك منه مَعْبَد قال لهم: أخوكم ٱبن عائشة فيما قد علمتم، فاطلُبوا فيــه؛ ثم قال: يا أمير المؤمنين، كيف ترى مَجْلِسَنا هــذا؟ قال: حسناً لذيذا؛ قال: فكيف لو رأيتَ ٱبنَ عائشــة وسمعتَ ما عنــده! قال: فعلىّ به، فطلع ٱبنُ عائشــة يَرْسُف فى قيده؛ فلمّــا نظر إليه الوليد، اندفع ٱبنُ عائشة فغنّــاه فى شعر طُرَيح، والصنعةُ فيه له:

أنت ٱبنُ مُسْلَنْطِحِ البِطَاح ولم * تُطْرِقْ عليــك الحُنِىُّ والوُلُجُ

فصاح الوليدُ[1]: اكسِروا قيدَه وفُكُّوا عنه؛ فلم يزل عنده أثيراً مُكرما.

٨٢ / ٤

غُنّى ابن لهشام بن عبد الملك من شعره فتذكر قومه

أخبرنى الحسن بن علىّ[2] قال حدّثنا ٱبن أبى سَعْد عن الحِزَامىّ عن عثمان ٱبن حَفْص عن إبراهيم بن عبد السلام بن أبى الحارث الذى يقــول له عمر بن أبى ربيعة:

يا أبا الحارث قلبى طائرٌ * فأْتَمِرْ[3] أمرَ رشيدٍ مؤتَمَنْ

قال: والله إنى لقاعدٌ مع مَسْلَمة بن محمــد بن هِشَام إذ مرّ به ٱبنُ جُوَان بن عمر ابن أبى ربيعة، وكان يغنّى؛ فقال له: اجلس يٱبن أخى غنِّنا، فجلس فغنّى:

أنت ٱبنُ مُسْلَنْطِحِ البِطَاح ولم * تُطْرِق عليــكَ الحُنِىُّ والوُلُجُ

(١) كذا فى ى، م، ط. وفى سائر النسخ: «فصاح به الوليد». (٢) كذا فى ط، م، ى. وفى سائر النسخ: «الحسين بن يحيى» والمعروف أن الحسن بن علىّ يروى عن عبد الله ابن أبى سعد (انظر ص ٦٨ ج ٢ من هذا الكتاب). (٣) كذا فى ط، م، ى وفيما تقدم فى الجزء الأوّل (ص ١١٤ من هذه الطبعة). وفى باقى الأصول هنا: «فاستمع».

فقال له : يابن أخى، ما أنت وهذا حين تغنّاه، ولا حظّ لك فيه، هذا قاله طُرَيح فينا : * إذِ الناسُ ناسٌ والزمانُ زمان *

ومما فى المائة الصوت المختارة من الأغانى من أشعار طريح بن إسماعيل التى مدَح بها الوليدَ بن يزيد :

صـــوت

من المائة المختارة

وَيْحِى غدًا إن غَدَا علىَّ بما * أحذَرُ من لَوْعةِ الفــراق غَدُ

وكيف صبرى وقد تجاوب بالـ * ـفُرقة مِنها الغرابُ والصُّرَدُ (1)

الشعر لطُرَيح بن إسماعيلَ . والغناء لابن مِشْعَب الطائفىّ ، ولحنه المختار من الرَّمَل بالوُسْــطَى .

---

(1) الصرد (بضم ففتح) : طائر أبقع أبيض البطن أخضر الظهر ضخم الرأس والمنقار له مخلب يصطاد العصافير وصغار الطير، جمعه صردان، ويكنى بأبى كثير، ويسمى الأخطب لخضرة ظهره، والأخيل لاختلاف لونه، وهو مما يتشاءم به من الطير قال الشاعر : * فما طائرى يوما عليك بأخيلا *

ذكر ابن مِشْعَبٍ وأخباره (١)

ابن مشعب وأصله

هو رجل من أهل الطائف مولًى لثَقيف، وقيل: إنه من أنفُسهم، وانتقل إلى مكة فكان بها. وإياه يعني العَرْجيُّ بقوله:

بِفِنَاء بيتك وابنُ مِشْعَبَ حاضرٌ * فى سامرٍ عَطِرٍ وليلٍ مُقْمِرِ
فتلازما عند الفراق صَبابةً * أخْذَ الغريم بفضل ثوب المُعْسِرِ

كان عامة الغناء الذى ينسب إلى أهل مكة له

أخبرنى الحُسَين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال:

ابن مِشْعَب مُغَنٍّ من أهل الطائف، وكان من أحسن الناس غناءً، وكان فى زمن ابن سُرَيج والأعرج، وعامّةُ الغناء الذى يُنسَب إلى أهل مكة له، وقد تفرّق غناؤه، فنُسب بعضُه إلى ابنُ سريج، و بعضه إلى الهُذَليّين، و بعضه الى ابن مُحْرِز.

٨٣/٤

قال: ومن غنائه الذى يُنسَب الى ابن مُحْرِز:

* يا دارَ عاتكةَ التى بالأزهرِ *

ومنه أيضا:

أقْفَرَ ممن يَحُلُّه السَّنَدُ (٢) * فالمُنْحَنَى (٣) فالعَقِيقُ فالجُمُدُ (٤)

اشتهى مريض أن يغنّى فى شعر العرجى الذى ورد فيه اسمه

أخبرنى الحُسَين قال قال حمّاد وحدّثنى أبى قال:

مرِض رجلٌ من أهل المدينة بالشأم، فعاده جيرانُه وقالوا له: ما تشتهى؟ قال: أشتهى إنسانا يضع فَمه على أذنى و يُغنّينى فى بَيْتَى العَرْجىّ:

---

(١) يلاحظ أن صاحب الأغانى أقحم ترجمة ابن مشعب هذا فى وسط ترجمة طريح ولم يحدّث عنه إلا قليلا ثم عاد الى حديثه عن طريح. (٢) فى معجم ما استعجم للبكرى: سند ماء بتهامة معروف. وقال أبو بكر: سند بفتحتين: ماء معروف لبنى سعد. (٣) المنحنى: موضع قرب مكة، كما فى شرح القاموس. (٤) الجمد (بضمتين): جبل لبنى نصر بنجد، كما فى معجم ياقوت.

بِفناءِ بيتِك وابنُ مِشْعَبَ حاضرٌ * فى سامرٍ عَطِرٍ وليلٍ مُقْمِرِ
فتلازما عند الفراقِ صبابةً * أَخْذَ الغريمِ بفضلِ ثوبِ المعسِرِ

نسبة مافى هذه الأخبار من الأغانى

يا دارَ عاتِكةَ التى بالأزْهَرِ * أو فوقَه بقَفَا الكَثِيب الأحْمَرِ
بفناء بيتِك وابن مِشْعَبَ حاضرٌ * فى سامرٍ عَطِرٍ وليلٍ مُقْمِرِ ٥
فتلازما عند الفراق صبابةً * أخذَ الغريم بفضلِ ثوب المُعْسِرِ

الشعر للعَرْجِىّ . والغناء لابن مُحْرِز خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر، وذكر إسحاق أنه لابن مِشْعَب . وذكر حَبَشٌ أنّ فيه لابن المكىّ هَزَجًا خفيفًا بالبنصر .

وأما الصوت الآخر الذى أوّله :

* أَقْفَر ممن يَحُلُّه السَّنَدُ * ١٠

فإنه الصوت الذى ذكرناه الذى فيه اللحن المختار ، وهو أوّل قصيدة طُرَيح التى منها :

وَيْحِى غدًا إنْ غَدَا علىّ بما * أكره من لوعةِ الفراقِ غدُ

وليس يُغَنَّى فيه فى زماننا هذا . وهذه القصيدة طويلة يمدح فيها طُرَيحٌ الوليدَ بن يزيد ، يقول فيها :

لم يَبق فيها من المعارف بعـ * ـد الحىّ إلا الرَّمادُ والوَتَدُ ١٥
وعَرْصَةٌ نكَّرت معالمَها الـ * ـرِّيحُ بها مسجدٌ ومنتضَدُ(١)

أنشد المنصور قصيدة طريح الدالية فدحها

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى قال حدّثنى محمد بن خَلَف القارئ قال أخبرنا هارون بن محمد، وأخبرنا به وَكيع — وأظنّه هو الذى كَنَّى عنه يحيى بن علىّ، فقال:

(١) منتضد : مجتمع ومقام، يقال : انتضد القوم بمكان كذا اذا أقاموا به .

محمد بن خلف القارئ — [قال][1] حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثنى علىّ بن عبد الله اللّهبىّ قال حدّثنا أبى عن أبيه قال :

أُنشِد المنصورُ هذه القصيدةَ، فقال للرَّبيع : أسمعتَ أحدًا من الشعراء ذكر فى باقى معالم الحىِّ المسجدَ غيرَ طُرَيح! . وهذه القصيدة من جيّد قصائد طُرَيح، يقول فيها :

لم أنسَ سَلْمَى ولا ليالِيَنا * بالحَزْن إذ عَيْشُنا بها رَغَدُ[2]

إذ نحن فى مَيْعَة الشّباب وإذ * أيامُنا تلك غَضّةٌ جُدُدُ

فى عِيشةٍ كالفِرِنْد عازبةِ الشِّـ[3] * ـقْوة خضراءَ غُصنُها خَضَدُ[4]

نُحسَد فيها على النعيم وما * يُولَع الا بالنِّعمة الحَسَدُ

أيامَ سَلْمَى غَرِيرةٌ[5] أُنُفٌ * كأنّها خُوطُ بانةٍ رُؤُدُ[6]

وَيْحِى غدًا إنْ غَدَا علىّ بما * أكرهُ من لَوْعة الفراق غدُ

قد كنت أبكى من الفراق وحيٌّ * انا جميعٌ ودارُنا صَدَدُ[7]

فكيف صبرى وقد تجاوبَ بالـ * ـفُرقة منها الغُرابُ والصُّرَدُ

دع عنك سَلْمَى لغير مَقْلِيَةٍ * وعُدّ مدحًا بُيُوتُه شُرُدُ

للأفضل الأفضل الخليفة عبـ * ـدِ الله مَنْ دون شأوه صُعُدُ

فى وجهه النُّورُ يُستبانُ كما * لاحَ سراجُ النّهار إذ يَقِدُ

(١) زيادة عن حـ، م. (٢) يقال : عيش رغد (بفتح الغين وكسرها) : مخصب رفيه غزير، ومثلهما رغد (بسكون الغين) ورغيد وراغد وأرغد. (٣) عازبة الشقوة : بعيدتها. (٤) خضد (بالتحريك) : رطب. (٥) غريرة : بلهاء لصغر سنها وقلة تجاربها. وأنف : عذراء. (٦) الخوط : الغصن. والرؤد : الغصن أرطب ما يكون وأرخصه، وذلك الوصف يكون له فى السنة التى نبت فيها، تشبه به الجارية الحسنة الشباب من النعمة. (٧) يقال : دار فلان صدد دار فلان وبصددها أى قبالتها.

يمضى على خير ما يقول ولا * يُخلف ميعادَه إذا يَعِدُ
من معشر لا يَشَمّ من خذَلُوا * عِزًّا ولا يُستذَلّ من رَفَدُوا
بيضٌ عظامُ الحُلُوم حَدُّهمُ * ماضٍ حُسامٌ وخيرُهم عَتَدُ
أنتَ إمامُ الهُدَى الذى أصلحَ الله به النـاسَ بعـد ما فَسَدُوا
لمّا أتى الناسَ أنّ مُلْكَهمُ * إليك قد صارَ أمرُه سجَدوا
وآستبشروا بالرضا تَبَاشُرَهم * بالخُلْد لو قيل إنكم خُلُدُ
وعَجّ بالحمد أهلُ أرضك حتّـ * ـى كاد يَهْتَزّ فرحةً أُحُدُ
وآستقبل النـاسُ عيشةً أُنُفًا * إن تَبْقَ فيها لهم فقد سَعِدوا
رُزِقتَ من وُدّهم وطاعتهم * مالم يَجِده لوالدٍ وَلَدُ
أثلجهم منك أنهم عَلِموا * أنك فيها وَلِيتَ مُجتهِدُ
وأنّ ما قد صنعتَ من حَسَنٍ * مِصْداقُ ما كنتَ مرّةً تَعِدُ
ألّفتَ أهواءَهم فأصبحتِ الأضـ * ـغانُ سَلْمًا وماتتِ الحِقَدُ
كنتُ أرى أنّ ماوجدتُ من الـ * ـفَرْحة لم يَلْقَ مثلَه أَحَدُ
حتى رأيتُ العبادَ كلَّهمُ * قد وجدوا من هواك ما أجدُ

صوت

قد طلَب النـاسُ ما بلغتَ فما * نالوا ولا قاربُوا وقد جَهِدُوا
يرفعك الله بالتّكَرُّم والتّـ * ـقوى فتعلو وأنت مُقتصِدُ
حَسْبُ آمرئٍ من غِنًى تقرُّبُه * منك وإن لم يكن له سَبَدُ(1)
فأنت أمنٌ لمن يخاف وللـ * ـمخذولِ أودَى نصيرُه عَضُدُ

(1) كذا فى حـ ، م ، يقال: ما له سبد ولا لبد أى ما له شىء . وفى باقى الأصول: «سند» .

— غنّى فى هذه الأبيات الأربعة إبراهيمُ خفيفَ ثقيل بالبنصر —

كلُّ امرئ ذى يد[1] تُعَدّ عليـ * ـه منـك معـلومة يدٌ ويدُ

فهم ملوكٌ مالم يَرَوْكَ فإنـ * ـداناهمُ منـك مـنزلٌ خَمَدوا

تَعرُوهمُ رِعْـدةٌ لديك كما * قَفْقَفَ[2] تحت الدُّجُنّـة الصَّرِدُ

٥ لا خوفَ ظُلْمٍ ولا قِلَى خُلُقٍ * إلا جَلالًا كَسَـاكَهُ الصَّمدُ

وأنت غَمْرُ النّـدَى إذا هبطَ الـ * ـمُزْنُ وَارُ أرضا تَحُلُّها حَمِـدُوا

فهم رِفَاقٌ فرُفْقـةٌ صَدَرتْ * عنـك بغُنْمٍ ورُفقـةٌ تَرِدُ

إن حال دهرٌ بهم[3] فإنك لا * تَنْفَكّ عن حالك التى عَهِـدوا

قد صَـدّق اللهُ مادحِيك فمـا * فى قـولهم فِرْيةٌ ولا فَنَـدُ

ذكاء جعفر بن يحيى وعلمه بالأشعار والألحان

٨٥/٤

١٠ أخبرنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنى الحُسَين بن يحيى قال: سمعتُ إسحاق بن إبراهيمَ الموصلىّ يحلف بالله الذى لا إله إلا هو إنه مارأى أذكى من جعفر بن يحيى قطّ، ولا أفطنَ، ولا أعلمَ بكل شىء، ولا أفصحَ لسانًا، ولا أبلغَ فى مكاتبة. قال: ولقد كنا يوما عنـد الرشيد، فغنّى أبى لحنًا فى شعر طُرَيح بن إسماعيل وهو:

١٥ قد طلَب الناسُ ما بلغتَ فمـا * نالوا ولا قارَبوا وقـد جَهِدُوا

فاستحسن الرشـيدُ اللحنَ والشعرَ واستعاده ووصَل أبى عليه. وكان اللحنُ[4] فى طريقة خفيفِ الثقيلِ الأوّل. فقال جعفر بن يحيى: قد والله يا سيّدى أحسنَ، ولكنّ اللحنَ مأخوذٌ من لحن الدَّلال الذى غنّاه فى شعر أبى زُبَيد:

(١) فى حـ : «ذى ندى». (٢) قفقف: ارتعد من البرد. والصرد: المقرور.

٢٠ (٣) فى حـ : «لهم». (٤) كذا فى ء، ط، م. وفى سائر النسخ: «وكان اللحن الذى فى طريقه خفيف الثقيل الخ».

مَنْ يَرَ العِيرَ لابن أرْوَى على ظهـ * ـرِ المَـرْوَرِّى[(١)] حُدَاتُهن عِجَـالُ

وأما الشعر فنقله طُرَيح من قول زُهير :

سعى بعدهم قومٌ لكى يُدركوهمُ * فـلم يفعلوا ولم يُلِيموا[(٢)] ولم يَأْلُوا[(٣)]

قال إسحاق : فعجبتُ والله من علمـه بالألحان والأشعار ، وإذا اللحن يُشـبه لحنَ الدَّلَال، قال : وكذلك الشـعر، فاغتممتُ أنى لم أكن فهمتُ اللحنَ، وكان ذلك أشدَّ علىّ من ذهاب أمر الشـعر علىّ ، وأنا والله مع ذلك أُغنِّى الصـوتين وأحفظ الشعرين . قال الحسين : ولحنُ الدَّلَال فى شعر أبى زُبَيد هذا من خَفيف الثَّقيل أيضـا .

صـادف طـريح أبا ورقاء فى سفر فأنس به وذكر له قصته مع أعرابى عاشق

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى إجازة قال حدّثنى أبو الحَسَن البَلَاذُرِىّ أحمد ابن يحيى وأبو أيُّوب المَدِينىّ، قال البَـلَاذُرِىّ وحدّثنى الحِرْمازِىّ[(٤)]، وقال أبو أيوب وحدّثنى الحِرْمازِىّ قال حدّثنى أبو القَعْقاع سهـل[(٥)] بن عبد الحميـد عن أبى وَرْقاء الحنفىّ قال :

---

(١) كذا فى أكثر الأصول، والمرورى على وزن فعلعل : جمع مرو راة وهى الفلاة البعيدة المستوية. (معجم ما استعجم ص ٥٢٠) . وفى حـ والشعر والشعراء (ص ١٦٧) : «المروَّى» . والمروّى (بضم أوله وفتح ثانيـه بعده واو مشدّدة مفتوحة) : موضع . (معجم ما استعجم ص ٥٢٦) .

(٢) لم يليموا : أى لم يأتوا ما يلامون عليه حين لم يبلغوا منزلة هؤلاء لأنهـا أعلى من أن تبلغ؛ فهم معذورون فى التقصـير عنها والتوقف دونها ، وهم مع ذلك لم يألوا أى لم يقصروا فى السعى بجميل الفعل .

(٣) كذا فى سـ . وفى باقى الأصول :

* فلم يبلغوا ولم يلاموا ولم يألوا *

(٤) فى ء ، ط ، م : «وقال أبو أيوب حدّثونا عن الحرمازى...الخ» . (٥) فى ء، ط : «سهيل بن عبد الحميد» .

خرجتُ من الكوفة أريد بغدادَ، فلما صرت إلى أوّل خانٍ نزلتُه، بسَط غلمانُنا وهيئوا غَدَاءهم، ولم يجئ أحدٌ بعدُ، إذ رمانا البابُ برجل فارِهِ البِرْذَوْن (١) حسنِ الهيئة، فصحتُ بالغلمان، فأخذوا دابّته فدفعها إليهم، ودعوت بالغَدَاء، فبسَط يدَه غير محتشم، وجعلتُ لا أُكرمه بشيء إلا قَبِلَه؛ ثم جاء غلمانُه بعد ساعة فى ثَقَلٍ (٢) سَرِىّ وهيئة حسنة؛ فتناسبْنا (٣) فإذا الرجل طُرَيح بن إسماعيلَ الثَّقَفِىّ؛ فلما ٱرتحلْنا ٱرتحلْنا

٥

فى قافلةٍ غَنّاء لا يُدْرَك طرفاها؛ قال: فقال لى: ما حاجتُنا إلى زِحَام الناس وليستْ بنا إليهم وَحْشَة ولا علينا خوف! نتقدّمهم بيوم فيَخْلو لنا الطريقُ ونصادفُ الخاناتِ فارغةً ونُودِع أنفسَنا إلى أن يُوافوا؛ قلت: ذلك إليك. قال: فأصبحْنا الغدَ فنزلْنا الخانَ فتغدّينا وإلى جانبنا نهر ظَليل؛ فقال: هل لك أن نستنقع (٤) فيه؟

١٠

فقلتُ له: شأنَك؛ فلما سَرَا (٥) ثيابَه إذا بين عُصْعُصه إلى عُنقه ذاهبٌ (٦)، وفى جنبيه أمثالُ الجِرْذَان، فوقع فى نفسى منه شىءٌ (٧)؛ فنظر إلىّ ففَطِن وتبسّم، ثم قال: قد رأيتُ ذُعْرَك مما رأيتَ، وحديثُ هذا إذا سِرْنا العشيّةَ إن شاء الله تعالى أحدّثك به. قال: فلما ركبْنا قلت: الحديث! قال: نعم، قدِمتُ من عند الوليد بن يزيد بالدنيا وكتب إلى يوسفَ بن عمر مع فَرّاش فملأ يدىْ أصحابى (٨)، فخرجتُ أُبادر الطائفَ؛

١٥

فلما ٱمتدّ لى الطريقُ وليس يصحَبنى فيه خَلْقٌ، عَنّ (٩) لى أعرابىٌّ على بعير له، فحدّثنى، فإذا هو حسنُ الحديث، ورَوى لى الشعرَ فإذا هو راويةٌ، وأنشدنى لنفسه فإذا هو

٨٦
―
٤

(١) البرذون الفاره: النشيط السريع السير. (٢) الثقل: متاع المسافر وحشمه.
(٣) تناسبنا: ذكر كل منا نسبه. (٤) كذا فى ى، ط. وفى سائر النسخ: «تستنقع» بالتاء فى أوّله. (٥) سرا ثيابه سروا: ألقاها عنه مثل سرى سريا وأسرى، والواو أعلى.

٢٠

(أنظر اللسان مادة سرا). (٦) فى ى، ط، م: «كَرْده». والكرد (بالفتح): العنق، وقيل أصله. (٧) فى ى، ط، م: «شر». (٨) كذا فى ح. وفى سائر النسخ: «أصحابه». (٩) عنّ لى: عرض لى.

شاعر، فقلت له : من أين أقبلتَ؟ قال: لا أدرى، قلت: فأين تريد؟ فذكر قصةً يُخْبِر فيها أنه عاشقٌ لمُرَيْئة قد أفسدتْ عليه عقلَه، وسترَها[1] عنه أهلُها وجفاه[2] أهلُه، فإنما يستريح إلى الطريق يحدر مع مُنْحدِريه ويُصْعِد مع مُصْعِديه، قلت : فأين هى؟ قال : غدًا ننزل بإزائها. فلما نزلنا أرانى ظَرِبًا[3] عن يَسَار الطريق، فقال لى : أترى ذلك الظَّرِب؟ قلت : أراه، قال : فإنها فى مَسْقِطه. قال: فأدركتْنى أريحيةُ الشباب، فقلتُ: أنا والله آتيها برسالتك. قال: فخرجتُ وأتيت الظَّرِبَ وإذا بيت حَرِيدٌ[4] وإذا فيه امرأةٌ جميلةٌ ظريفةٌ، فذكرته لها فزفرتْ زَفْرةً كادت أضلاعُها تَسَّاقَطُ، ثم قالت : أَوَحَىٌّ هو؟ قلت : نعم، تركتُه فى رَحْلِى وراء هذا الظَّرِب، ونحن بائتون ومُصْبِحون، فقالت : يا بأبى أرَى لك وجهًا يدلّ على خير، فهل لك فى الأجر؟ فقلت : فقير والله إليه، قالت : فألْبَسْ ثيابى وكن مكانى ودَعْنِى حتى آتيَه، وذلك مُغَيْرِبَانَ الشمسِ، قلتُ: أفعلُ[5]، قالت: إنك إذا أظلمتَ أتاك زوجى فى هَجْمَة[6] من إبله، فإذا بركتْ أتاك وقال : يا فاجرة يا هَنَتَاهُ[7]، فيُوسعُكَ شتمًا فأوسعْه صمتًا، ثم يقول: اقْمَعى[8] سِقاءَك، فضَع القِمَعَ فى هذا السِّقاء حتى يُحْقَن[9] فيه، وإياك

---

(١) فى : حـ : « وحدّ عليها أهلها » وحدّ عليه : غضب عليه . (٢) فى ى ، ط : «وخلعه» ، يقال : خلع فلان ابنه أى تبرأ منه . وكان فى الجاهلية إذا قال قائل هذا آبنى قد خلعته ، لا يؤخذ بعد بجريرته . (٣) كذا فى ب ، سـ . والظرب : الرابية الصغيرة . وفى باقى الأصول : «ظريبا» بالتصغير. (٤) كذا فى ى ، ط . والحريد : المعتزل المتنحى . وفى حديث صعصعة « فرفع لى بيت حريد » أى منتبذ متنح عن الناس . وفى م : « بيت جريد » بالجيم المعجمة . وفى سائر النسخ : « جديد » . وكلاهما تحريف . (٥) كذا فى ى ، ط . وفى سائر الأصول : «فقلت أفعل» . (٦) الهجمة من الإبل : أولها أربعون إلى ما زادت . أو ما بين السبعين إلى المائة ، فاذا بلغت المائة فهى هنيدة . (٧) يا هنتاه : أى يا هذه ، وقيل : يا بلهاء ، وتفتح النون وتسكن وتضم الهاء الأخيرة وتسكن . (انظر اللسان مادة هنو) . (٨) قمع الإناء : وضع القمع فى فمه ليصب فيه الدهن وغيره . (٩) حقن اللبن (من باب نصر) : جمعه .

وهذا الآخَرَ فإنه واهى الأسفلِ . قال : فجاء ففعلتُ ما أمرتَنى به ، ثم قال : اقمَعى سقاءك ، فخيّبَنى الله[1] ، فتركت الصحيحَ وقَمَعتُ الواهىَ ، فما شعَر إلا باللبن بين رجليْه ، فعمَد إلى رِشاء من قِدٍّ مَرْبوع[2] ، فثناه باثنين فصار على ثمانِ قُوًى ، ثم جعل لا يتّقى منّى رأسًا ولا رِجْلًا ولا جَنْبا ، فخشيتُ أن يبدوَ له وجهى ، فتكونَ الأخرى ، فألزمتُ وجهى الأرضَ ، فعمل بظهرى ما ترى .

(١) خيبه الله : لم يوفقه للرشاد .

(٢) الرشاء : الحبل . والقدّ : السير المقدود من الجلد . ومربوع : ذو أربع قوى .

ذكر أخبار أبى سعيد مولى فائد ونسبه

ولاؤه، وكان مغنيا وشاعرا

أبو سعيد مولى فائد . وفائد مولى عمرو بن عثمان بن عفّان رضى الله تعالى عنه . وذكر آبن خُرْدَاذْبَه[1] أن آسم أبى سعيد إبراهيم . وهو يعرف فى الشعراء بآبن أبى سنّة مولى بنى أمية، وفى المغنّين بأبى سعيد مولى فائد . وكان شاعرا مُجيدا ومغنّيا، وناسكًا بعدذلك، فاضلًا مقبولَ الشهادة بالمدينة معدّلا . وعُمّر إلى خلافة الرشيد، ولقيه إبراهيم ابن المهدىّ و إسحاق الموصلىّ وذووهما . وله قصائد جِيَاد فى مراثى بنى أُميّة الذين قتلهم عبد الله وداود آبنـا علىّ بن عبد الله بن العباس، يُذكر هاهنا فى موضعه منها ما تسوق[2] الأحاديثُ ذكرَه .

طلب اليه المهدى أن يغنيه صوتا له فغنّاه غيره واعتذر عنـه

أخبرنى علىّ بن عبد العزيز عن عُبَيْـد[3] الله بن عبد الله عن إسحاقَ، وأخبرنى الحُسَين بن يحيى عن آبن أبى الأزهر عن حمّـاد عن أبيه، وأخبرنا به يحيى بن علىّ عن أخيه أحمـد بن علىّ عن عافيةَ بن شَبيب عن أبى جعفر الأسَدىّ عن إسحاقَ، قال يحيى خاصّة فى خبره :

قال إسحـاق : حجَجتُ مع الرشـيد، فلما قَرُبتُ من مكة استأذنتُه فى التقدّم فأذن لى، فدخلتُ مكةَ، فسألتُ عن أبى سَعيد مولى فائد، فقيل لى : هو فى المسجد الحَرَام ؛ فأتيتُ المسجدَ فسألت عنـه، فدُلِلْتُ عليه، فإذا هو قائمٌ يصـلّى، فجئت فجلست قريباً منه ؛ فلماّ فرغ قال لى : يا فتى، ألك حاجة؟ قلتُ : نعم، تُغَنّينى : « لقد طفتُ سبعًا » . هذه رواية يحيى بن علىّ . وأمّا البـاقون فإنهم ذكروا عن إسحاقَ أنّ المهدىّ قال [هـذا][4] لأبى سعيد وأمره أن يُغَنِّيَه :

لقد طفتُ سبعا قلتُ لـمّا قَضَيتُها * أَلَا ليتَ هــذا لاعلىّ ولا ليـا

٨٧ / ٤

(١) فى م : «بابن أبى شبة» . (٢) كذا فى حـ ، م . وفى باقى الأصول : « يسوق » بالياء المثناة من تحت . (٣) فى م : «عبيد الله بن عباس » . (٤) التكلة عن ء، ط .

ورفَق به وأدنى مجلسَه ، وقد كان تَسَك، فقال : أوَ أُغنّيك يا أمير المؤمنين أحسن منه ؟ قال : أنت وذاك، فغنّى [(١)] :

إن هـذا الطويلَ منْ آلِ حفصٍ * نَشَر المجـدَ بعد ما كان ماتا

وبنـاه على أسـاسٍ وَثيـقٍ * وعِمَـادٍ قـد أُثْبِتتْ إثبـاتا

٥ مثـلَ ما قـد بَنَى له أوّلوه * وكذا يُشْـبِه البُنـاةَ [(٢)] البُنـاتا

— الشعر والغناء لأبى سعيد مولى فائد — فأحسن، فقال له المهدىّ : أحسنتَ يا أبا سعيد، فغنّى «لقد طفتُ سبعا» ؛ قال : أوَ أُغنّيك أحسنَ منه ؟ قال : أنت وذاك، فغنّاه :

قَدِم الطويلُ فأشرقتْ وٱستبشرتْ * أرضُ الحجاز وبانَ فى الأشجارِ

١٠ إنّ الطويلَ مِنَ آل حفصٍ فاعلموا * ساد الحضورَ وسادَ فى الأسفارِ

فأحسن فيه ؛ فقال : غنّنى «لقد طفتُ سبعا» ؛ قال : أوَ أُغنّيك أحسنَ منه ؟ قال : فغنّنى، فغنّاه :

أيهـا السائلُ الذى يَخْبِـطُ الأر * ضَ دَعِ الناسَ أجمعـين وراكَا

وأتِ هذا الطويلَ من آل حفصٍ * إن تخوّفتَ عَيْـلَةً [(٣)] أو هـلاكَا

١٥ فأحسنَ فيه، فقال له : غنّنى « لقد طفتُ سبعا » ، فقد أحسنتَ فيما غنّيت، ولكنّا نُحبّ أن تُغنّى ما دعوناك إليه ؛ فقال : لا سبيل إلى ذلك يا أمير المؤمنين ، لأنى رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم فى منامى وفى يده شىءٌ لا أدرى ما هو ،

(١) كذا فى حـ . وفى باقى الأصول : «فقال» . (٢) فى ى ، ط ، م هنا وفيما يأتى :

* وكذا يشبه النبات النباتا *

٢٠ (٣) فى م : «غيلة» . وفى ى ، ط : «عولة» .

وقد رفعه ليضربَنى به وهو يقول: يا أبا سَعيد، لقد طُفْتُ سبعًا، لقد طفتُ سبعًا، سبعًا طفتُ! ماصنعتَ بأمّتى فى هذا الصوت! ؟فقلتُ له: بأبى أنت وأمى اغفرْ لى، فوالذى بَعثَك بالحق وآصطفاك بالنبوّة لا غَنَّيتُ هـذا الصوتَ أبدا؛ فردّ يدَه، ثم قال: عفا الله عنك إذًا، ثم آنتبهتُ؛ وما كنت لأُعطِىَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم شيئا فى منامى فأرجعَ عنه فى يَقَظَتِى؛ فبكَى المهدىُّ وقال: أحسنتَ يا أبا سعيدٍ أحسنَ الله إليك! لا تَعُدْ فى غنائه، وحَبَاه وكَساه وأمر بردّه إلى الحجاز. فقال له أبو سعيد: ولكن آسمَعْه يا أميرَ المؤمنين من مَنَّةَ جاريةِ البرامكة. وأظنّ حكايةَ مَنْ حكى ذلك عن المهدىّ غلطًا، لأن مَنَّةَ جاريةَ البرامكة لم تكن فى أيام المهدىّ، وإنما نشأتْ وعُرِفتْ فى أيام الرّشيد.

وقد حدّثنى أحمد بن جعفر جَحْظَة قال حدّثنى هبة الله بن إبراهيمَ بنِ المهدىّ عن أبيه أنه هو الذى لقِىَ أبا سعيد مولى فائد وجاراه هـذه القصة. وذكر ذلك أيضا حَمّاد بنُ إسحاقَ عن إبراهيمَ بنِ المهدىّ. وقد يجوز أن يكون إبراهيم بن المهدىّ وإسحاق سألاه عن هذا الصوت فأجابهما فيه بمثل ما أجاب المهدىّ. وأمّا خبرُ إبراهيمَ بنِ المهدىّ خاصّةً فله معانٍ غيرُ هذه، والصوتُ الذى سأله عنه غيرُ هذا، وسيُذكر بعد آنقضاء هذه الأخبار لئلّا تنقطع.

أراده إبراهيم ابن المهدىّ على الذهاب الى بغداد فأبى

وأخبرنى إسماعيلُ[1] بن يونس الشِّيعىّ قال حدّثنا عمر بن شَبَّة: أن إبراهيم بنَ المهدىّ لقِىَ أبا سَعيد مولى فائد، وذكر الخبرَ بمثل الذى قبله؛ وزاد فيه: فقال له: اشْخَصْ معى إلى بغدادَ، فلم يفعل؛ فقال: ما كنت لآخذَك بما لا تحبّ، ولو كان غيرُك لأكرهتُه على ما أُحِبّ، ولكن دُلَّنى على من ينوب

٨٨/٤

(١) فى ب، سـ: «إسحاق»، وهو تحريف.

عنـك؛ فدلّه على ابن جامع، وقال له : عليك بغلام من بنى سَهْم قد أخذ عنّى وعن نُظَرائى وتخرّج ، وهو كما تحبّ؛ فأخذه إبراهيم معـه فأقدمه بغدادَ؛ فهو الذى كان سببَ وروده إياها .

نسـبة ما فى هـذه الأخبـار من الأغانى

صـوت

من المـائة المختـارة

لقد طُفتُ سبعًا قلتُ لمـا قضيتُها * ألَا ليتَ هـذا لا علىّ ولا لِيَـا

يُسائلنى صَحْبِى فمـا أعقِـلُ الذى * يقولون من ذكرٍ لليـلى اعترانيَـا

عروضُه من الطويل . ذكر يحيى بن علىّ أن الشعر والغناء لأبى سـعيد مولى فائد، وذكر غيرُه أن الشعرَ للمجنون . ولحنُه خفيفُ رَمَلٍ بالبِنْصر وهو المختار. وذكر حبش أنّ فيه لإبراهيمَ خفيفَ رَمَلٍ آخرَ . والذى ذكر يحيى بن علىّ من أن الشـعر لأبى سَعيد مولى فائد هو الصحيح .

أخبرنى عمّى عن الكُرَانىّ عن عيسى بن إسماعيـلَ عن القَحْذَمىّ أنه أنشـده لأبى سَعيد مولى فائد . قال عمّى : وأنشدنى هذا الشعر أيضا أحمدُ بن أبى طاهر عن أبى دِعامةَ لأبى سعيد . وبعد هذين البيتين اللذين مضيا هذه الأبياتُ :

إذا جئتَ بابَ الشِّعبِ شِعْبِ ابن عامرٍ[1] * فأقرئْ غزالَ الشِّعب مِـنّى سلاميَا

وقل لغـزال الشّعب هل أنت نازلٌ * بشِعْبك أم هل يُصْـبِحُ القلبَ ثاويَا

لقـد زادنى الحُجّاج شوقًا إليكمُ * وقـد كنتُ قبل اليـومِ للحجّ قاليَـا

وما نظرتْ عيـنى إلى وجـه قادمٍ * من الحجّ إلا بَلّ دمـعى ردائيَـا

(١) شعب بنى عامر : ماء أوله الأُبُلّة، كما فى معجم ياقوت .

فى البيت الأوّل من هذه الأبيات وهو :

* إذا جئتَ باب الشعب شعب ٱبن عامر *

لٱبن جامع خفيفُ رملٍ عن الهشامىّ .

ومنهـا :

صـــوت

إنّ هذا الطويل منْ آل حفصٍ * نشر المجدَ بعد ما كان ماتا
وبنـاه عـلى أساسٍ وثيـقٍ * وعمـادٍ قـد أُثبِتتْ إثبـاتا
مثـل ما قـد بنى له أوّلوه * وكذا يشـبهُ البُناةُ البُنـاتا

عروضُه من الخفيف . الشعر والغناء لأبى سَعيد مولى فائد . ولحنه رَمَل مطلق فى مجرى البنصر عن إسحاق .

ومنهـا :

صـــوت

قدِم الطـويلُ فأشرقتْ لقـدومه * أرضُ الحجاز وبانَ فى الأشجـارِ
إن الطويلَ مِنَ آل حفصٍ فاعلموا * سادَ الحضـورَ وساد فى الأسـفارِ

الشعر والغناء لأبى سعيد .

ومنهـا :

صـــوت

أيهـا الطالبُ الذى يَخبِـطُ الأر * ضَ دَعِ الناسَ أجمعـين وراكا
وأْتِ هذا الطويلَ من آل حفصٍ * إن تخوّفتَ عَيْـلةً أو هـلاكا

عروضُه من الخفيف . الشعر لأبى سَعيد مولى فائد، وقيل : إنه للدّارِمىّ .
والغناء لأبى سعيد خفيفُ ثقيل . وفيه للدّارِمىّ ثانى ثقيل .

الطويل من آل حفص الذى عنَاه الشعراءُ فى هذه الأشعار ، هو عبد الله
ابن عبد الحميد بن حَفْص، وقيل : ابن أبى حفص بن المُغيرة المَخزومىّ ، وكان
٥ مُمَدَّحًا .

مدحه لعبد الله بن عبد الحميد المخزومى

فأخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى إجازةً عن أبى أيُّوب المَدِينىّ قال حدّثنا
عبد الرحمن آبن أخى الأصمعىّ عن عمّه :

أن عبد الله بن عبد الحميد المَخزومىّ ، كان يُعطى الشعراءَ فيُجزل، وكان مُوسِرًا،
وكان سبب يَساره ما صار إليه من أمّ سَلَمة المَخزوميّة آمرأةِ أبى العبّاس السّفّاح ،
١٠ فإنه تزوّجها بعده ، فصار إليه منها مالٌ عظيمٌ، فكان يتسمّح به ويَتَفَتَّى (١) ويتّسع
فى العطايا . وكانت أمُّ سلمة مائلةً إليه ، فأعطته ما لا يدرى ما هو ، ثم إنها اتّهمتْه
بجارية لها فآحتجبتْ عنه، فلم تَعُد إليه حتى مات . وكان جميلَ الوجه طويلا .
وفيه يقول أبو سعيدٍ مولى فائد :

إن هذا الطويلَ منْ آل حفصٍ * نشر المجدَ بعد ما كان ماتا

١٥ وفيه يقول الدّارِمىّ :

أيّها السائلُ الذى يَخبِط الأر * ضَ دع النّاسَ أجمعين وَراكا
وأْتِ هذا الطويلَ من آل حفصٍ * إنْ تخوّفتَ عَيْلةً أو هلاكا

وفيه يقول الدارمىّ أيضا :

صوت

٢٠ إنّ الطويلَ إذا حَلَلْتَ به * يومًا كفاكَ مؤونة الثِّقَلِ

(١) يتفتّى : يتسخى .

ويُرْوَى :

* ابنُ الطويل إذا حللتَ به *

وحللتَ فى دَعَةٍ وفى كَنَفٍ * رَحْبِ الفِناء ومنزِلٍ سَهْلِ

غنّاه ابن عَبّاد الكاتب، ولحنُه من الثّقيل الأوّل بالبنصر عن ابن المكّىّ .

غنى إبراهيم بن المهدى فى المسجد

فأمّا خبر إبراهيمَ بنِ المهدىّ مع أبى سَعيد مولى فائد الذى قلنا إنه يُذكر هاهنا، فأخبرنى به الحسن بن علىّ ، قال حدّثنى هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثنى القَطِرَانِىّ المغنِّى قال حدّثنى ابن جَبْر قال :

سمعتُ إبراهيمَ بن المهدىّ يقول : كنتُ بمكّة فى المسجد الحرام، فإذا شيخ قد طلَع وقد قلّب إحدى نعليه على الأخرى وقام يصلّى؛ فسألت عنه فقيل لى: هذا أبو سَعيد مولى فائد؛ فقلت لبعض الغِلْمان : احصِبْه لحَصَبه ؛ فأقبل عليه وقال : ما يظنّ أحدكم إذا دخل المسجد إلّا أنه له ؛ فقلت للغلام : قل له : يقول لك مولاى : ابلُغنى ؛ فقال ذلك له ؛ فقال له أبو سعيد : مَنْ مولاك حفظه الله ؟ قال : مولاى إبراهيم بن المهدىّ ، فمن أنت ؟ قال : أنا أبو سعيد مولى فائد ؛ وقام فجلس بين يدىّ ، وقال : لا والله — بأبى أنت وأمى — ما عرفتُك ! فقلت : لا عليك، أخبرْنى عن هذا الصوت :

أفاض المدامعَ قَتْلَى كُدًى[1] * وقَتْلَى بكُثْوَةَ[2] لم تُرْمَسِ

(١) كذا فى أكثر الأصول . وكدى (بالضم والقصر) : موضع بأسفل مكة عند ذى طوى بقرب شِعب الشافعيين ، وكدى (منقوصة كفتى) : ثنية بالطائف . وفى حـ كداء (كسماء) : اسم لعرفات أو جبل بأعلى مكة . والشاعر يريد موضعا بعينه من هذه المواضع كانت به وقعة وقتلى ، وكل منها يحتمله وزن الشعر .

(٢) كثوة (بالضم) : موضع .

قال : هو لي؛ قلت : وربِّ هـذه البَنِيَّة لا تَبرَحُ حتى تُغنِّيَه؛ قال : وربِّ هـذه البنِيّة لا تبرحُ حتى تسـمَعَه . قال : ثم قلَّب إحدى نعليـه وأخذ بعَقِب الأُخرى، وجعل يقرَع بحرفها على الأخرى ويُغنِّيه حتى أتى عليه، فأخذتُه منه . قال آبن جبر: وأخذته أنا من إبراهيم بن المهدىّ .

٩٠ / ٤

رد محمد بن عمران القاضى شهادته ثم قبلها وصار يذهب اليه لسماعها

٥ أخبرني رِضْوان بن أحمدَ الصَّيْدَلانيّ قال حدّثنا يوسفُ بن إبراهيم قال حدّثني أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن المهديّ قال حدّثني دنية المَدَنيّ[1] صاحب العبّاسة بنتِ المهديّ، وكان آدبَ من قدِم علينا من أهل الحجاز، :

أن أبا سـعيد مولى فائد حضَر مجلس محمـد بن عِمْران التَّيْميّ قاضي المدينـة لأبي جعفر، وكان مقدِّما لأبي سـعيد، فقال له آبن عمران التيميّ : يا أبا سـعيد

١٠ أنت القائل :

لقد طُفتُ سبعًا قلت لمّا قضيتُها * ألا ليت هـذا لا عليّ ولا ليَـا

فقال : إي لَعَمْرُ أبيك ، وإني لأُدْمِجه إدماجًا من لؤلؤ؛ فردّ محمد بن عمران شهادتَه في ذلك المجلس . وقام أبو سـعيد من مجلسه مُغضَبًا وحلَف ألّا يشهدَ عنده أبدا . فأنكر أهلُ المدينة على آبن عِمْران ردَّه شهـادتَه، وقالوا : عرَّضت حقوقنـا للتَّوى[2]

١٥ وأموالَنا للتلف؛ لأنا كنا نُشهد هـذا الرجلَ لعلمنا بما كنتَ عليه والقُضاةُ قبلك من الثِّقة به وتقديمه وتعديله ؛ فندِم آبنُ عِمْران بعـد ذلك على ردّ شهادته، ووجّه إليـه يسأله حضورَ مجلِسه والشهادةَ عنده ليقضيَ بشهادته[3]؛ فآمتنع، وذكر أنه لا يقدِر على

(١) كذا في ب ، س ، وفي حـ : « دينة » المدني بتقديم الياء المثناة على النون ، وقد ورد في ى، ط هكذا : « دىه المدىى » بدون نقط . (٢) كذا في ب ، حـ ، س ، والتوى (وزان

٢٠ الحصى، وقديمة — كما في المصباح) : الهلاك . وفي باقي الأصول : « الثوى » بالثاء المثلثة وهو تحريف .

(٣) كذا في ى ، ط . وفي باقي النسخ : « يسأله حضور الشهادة في مجلسه ليقضي بشهادته الخ » .

حضور مجلسه ليمين لزِمتْه إن حضَره حَنِثَ . قال : فكان ابنُ عمران بعد ذلك ، إذا ادّعى أحد عنده شهادةَ أبى سعيد ، صار إليه إلى منزله أو مكانه من المسجد حتى يسمع منه ويسأله عما يشهَد به فيُخبره . وكان محمد بن عمران كثيرَ اللحم ، عظيمَ البطن ، كبيرَ العَجيزة ، صغيرَ القدمين ، دقيقَ الساقين يشتدّ عليه المشىُ ، فكان كثيرًا ما يقول : لقد أتعبنى هذا الصوت « لقد طُفْتُ سبعا » وأضرّ بى ضررًا طويلا شديدا ، وأنا رجل ثَقَالٌ ، بتردّدى إلى أبى سعيد لأسمع شهادتَه .

رد المطلب بن حنطب شهادته فقال له شعرا فقبلها

أخبرنى عمّى قال حدّثنا الكُرَانىّ قال حدّثنا النَّضْر بن عمرو عن الهَيْثَم بن عَدِىّ قال :

كان المطّلب بن عبدالله بن حَنْطَب قاضيًا على مكة ، فشَهِد عنده أبو سعيد مولى فائد بشهادة ، فقال له المطلب : [وَيْحك ![1]] ألستَ الذى يقول :

لقد طُفْتُ سبعًا قلتُ لما قضيتُها ❊ ألَا ليتَ هذا لا علىّ ولَا ليَا

لا قبِلتُ لك شهادةً أبدا . فقال له أبو سعيد : أنا والله الذى أقول :

كأنّ وجوهَ الحَنْطَبِيّين[2] فى الدُّجَى ❊ قناديلُ تَسْقيها السَّلِيطَ[3] الهيا كلُ

فقال الحَنْطَبىّ : إنك ما علمتُك إلا دبّابًا حول البيت فى الظُّلَم ، مُدْمِنًا للطّواف به فى اللّيل والنّهار ، وقَبِل شهادتَه .

(١) زيادة عن م .

(٢) الحنطبيون : بطن من مخزوم ، ينسبون الى حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم القرشى الصحابى .

(٣) السليط : الزيت وكل دهن عصر من حب .

نسبة الصوت المذكور قبل هذا، الذى فى حديث إبراهيم بن المهـــدىّ وخبره

صـــــوت

أفاضَ المدامعَ قَتْــلَى كُدَى * وقَتْـــلَى بكُثْوة لم تُرْمَسِ

وقَتْـــلَى بوَجٍّ[1] وباللّابتَيْـ[2] * ـنِ من يثربٍ خيرُما أنفُسِ

وبالزّابيَيْنِ[3] نفوسٌ ثَوَتْ * وأخرى بنهر أبى فُطْــرُسِ[4]

أولئك قومى أناختْ بهـــم * نوائبُ مِنْ زمن مُتْعِسِ

إذا ركبوا زيّنـــوا الموكبين * وإن جلسوا الزينُ فى المجلسِ

همُ أضْرَعونى لرَيْب الزمان * وهم ألْصَقوا الرغْمَ[5] بالمَعْطَسِ

عروضه من المتقارب. الشعر للعَبَلىّ، واسمه عبدالله بن عمر[6]، ويكنى أبا عَدىّ، وله أخبارٌ تذكر مُفردةً فى موضعها إن شاء الله. والغناء لأبى سَـعيد مولى فائد، ولحنه من الثّقيل الثانى بالسبّابة فى مجرى البِنصر. وقصيدة العَبَلىّ أوّلها :

---

(١) وجّ : اسم واد بالطائف. (٢) اللابتان : تثنية لابة وهى الحرّة، وهما حرّتان تكتنفان المدينة، وفى الحديث : أن النبى صلى الله عليه وسلم حرم ما بين لابتيها، يعنى المدينة. والحرّة : أرض ذات حجارة نخرة سود كأنها أحرقت بالنار. (٣) الزابيان : تثنية زاب، وربما قيل فيه : «زابى» (بياء فى آخره) فيثنى على «زابيين». وهو اسم لروافد كثيرة. ولعل الشاعر يريد الزاب الأعلى الذى بين الموصل وإربل. وفيه كانت وقعة بين مروان الحمار بن محمد وبنى العباس؛ والزاب الأسفل وبينه وبين الزاب الأعلى مسيرة يومين أو ثلاثة وعليه كان مقتل عبيد الله بن زياد وهو من بنى أمية. (انظر معجم ياقوت).

(٤) كذا فى حـ، م. ونهر أبى فطرس : نهر قرب الرملة من أرض فلسطين على اثنى عشر ميلا من الرملة، ومخرجه من أعين فى الجبل المتصل بنابلس، ويصب فى البحر الملح بين يدى مدينتى أرسوف ويافا؛ وبه كانت الوقعة التى بين عبد الله بن على بن عبد الله بن العباس وبين بنى أمية، فقتلهم فى سنة ١٣٢هـ، فقال أبو سعيد مولى فائد هذا الشعر. وفى باقى الأصول «نهر أبى بطرس» بالباء الموحدة، وهو تحريف.

(٥) الرغم : التراب. والمعطس (كمجلس ومقعد) : الأنف. (٦) فى ء، ط، م : «عمرو». وهو تحريف.

تقـــول أُمامةُ لمـا رأت * نُشُوزى عن المَضْجَع الأنْفَس

أنشد عبد الله بن عمر العبلى عبد الله ابن حسن شعره فى رثاء قومه فبكى

نسخت من كتاب الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار، وأخبرنى الأخفش عن المبرّد عن المُغيرة بن محمد المهلَّبىّ عن الزُّبير عن سليمانَ بن عَيّاش[1] السَّعْدىّ قال :

جاء عبد الله بن عمر العَبَلىّ إلى سُوَيقةَ[2] وهو طَريد بنى العباس؛ وذلك بعقب[3] أيام بنى أمية وٱبتـداء خروج مُلْكهم إلى بنى العبـاس، فقصد عبـدَ الله وحَسَنًا ٱبنى الحسن بن حسن بسُوَيقةَ، فٱستنشده عبدُ الله بن حسن شيئا من شعره فأنشده؛ فقال له : أريد أن تُنْشدنى شيئا مما رَثَيتَ به قومَك[4]؛ فأنشده قولَه :

تقـولُ أُمامـــةُ لمـا رأت * نُشُوزى عن المَضْجَع الأَنْفَسِ
وقـلّةَ نومى على مَضْـجَعى * لدى هَجْعـــة الأعيُن النُّعَّس
أبى ما عَرَاكَ فقلتُ الهمومُ * عَرَوْنَ[5] أباكِ فـــلا تُبْلِسى[6]
عَرَوْنَ أباكِ فحَبَّسْـنَه * من الذلّ فى شـرّ ما مَحْبِس
لفقـــد الأحِبّـة إذ نالهـا * سِهامٌ من الحَدَث المُبْئِس[7]
رمتهـا المنـونُ بلا نُـكَّلٍ * ولا طائشـاتٍ ولا نُكَّس
بأسهمها المُتلِفـات النفوس * متى ما تُصِبْ مهجـةً تُخْلَس
فَصَرَّعْنَهم فى نواحى البـلاد * مُلَـــقًّى بأرضٍ ولم يُرْسَـس[8]

(١) كذا فى س، م . وفى باقى الأصول : «عباس» . (٢) سويقة : موضع قرب المدينة يسكنه آل علىّ بن أبى طالب. (٣) كذا فى ى، ط . وفى سائر النسخ : «بعقب آخر أيام بنى أمية الخ» . (٤) فى ى، ط، م : «بنى أمية» .
(٥) فى و، ط، م : «عرين» وعراه يعريه و يعروه (من بابى ضرب ونصر) : غشيه .
(٦) لا تبلسى : لا تحزنى . (٧) فى حـ : «الحدث المونس» . (٨) فى م : «ترمس»، وصوابه : «يرمس» بالياء . والرمس والرسّ : الدفن .

تَـقِىٌّ[1] أُصِيبَ وأثــوابُه * من العيب والعـار لم تَدْنَسِ

وآخَرُ قــد دُسَّ فى حُفْـرةٍ * وآخَرُ قــد طـار لم يُحْسَسِ

إذا عنّ ذكـرهمُ لم يَـنَمْ * أبــوكِ وأوحَشَ فى المجلسِ

فــذاك الذى غالَنِى[2] فاعلمى * ولا تسألى بآمرِئٍ مُتْعَسِ

٥ أذلُّوا قَنَـاتِى لمن رَامَها * وقد ألصقوا الرَّغْمَ بالمَعْطِسِ

قال : فرأيتُ عبدَ الله بن حسن وإنّ دموعَه لتجرى على خدّه .

غنى الرشيدَ وكان مغضبا فسكن غضبه

وقد أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز[3] عن المدائنىّ عن إبراهيم بن رَبَاح قال :

عُمِّر أبو سـعيد بن أبى سنة مولى بنى أُميّة وهو مولى قائد مولى عمرو بن عثمان ١٠ إلى أيام الرشيد، فلما حجّ أحضره فقال : أنشدنى قصيدتَك :

* تقول أُمامةُ لمـا رأتْ *

فاندفع فغنّاه قبل أن يُنشِدَه الشعرَ لحنَه فى أبياتٍ منها، أوّلُها :

* أفاض المدامعَ قَتْلَى كُدَى *

وكان الرشـيد مُغْضَبًا فسكن غضبُه وطَرِب ، فقال : أنشِدْنى القصيدةَ ؛ فقال : ١٥ يا أميرَ المؤمنين، كان القوم مواليَّ وأنعموا علىّ فرثيتُهم[4] ولم أَهْجُ أحدًا؛ فتركه .

---

(١) فى م : « نقى » . (٢) فى حـ : «عالنى» . (٣) انظر الحاشية رقم ٢ ص ٢٧٧ من الجزء الثالث من هذا الكتاب . (٤) يلاحظ هنا أن أبا الفرج قد نسب قصيدة :

* تقول أمامة لما رأت *

لأبى سعيد بن أبى سنة ، مع أنه فى الخبر الذى تقدّمه نسبها لعبد الله بن عمر العبلىّ وسينسبها اليه بعد ٢٠ أسطر، كما نسبها اليه أيضا فى ترجمته الخاصة به فى (ج ١٠ ص ١٠٢ — ١١٠ طبع بولاق) .

كان ابن الأعرابى ينشد شعر العبلى فصحفه فرده أبو هفان

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنا الحَزَنْبَل قال :

كنّا عند ٱبن الأعرابىّ وحضر معنا أبو هَفّان[1]، فأنشدنا ٱبنُ الأعرابىّ عمّن أنشده قال : قال ٱبن أبى سبّة العَبَلىّ[2] :

أفاض المدامعَ قتلَى كذا * وقتلى بكبوة لم تُرْمَس

فغمز أبو هَفّان رجلًا وقال له : قُلْ له : ما معنى "كذا" ؟ قال : يريد كثرتهم؛ فلما قمْنا قال لى أبو هفّان : أسمعتَ إلى هذا المعجَب الرَّقيع ! صحّف ٱسمَ الرجل، هو ٱبن أبى سنّة ، فقال : ٱبن أبى سبَّة ؛ وصحّف فى بيت واحدٍ موضعيْن، فقال: قَتْلى كذا وهو كُدَى، وقتلى بكُبوة وهو بكُثْوة؛ وأغلَظ علىّ من هذا أنه يفسّر تصحيفَه بوجهٍ وَقَاحٍ . وهذا الشعرُ الذى غنّاه أبو سعيد يقوله أبو عدىّ عبد الله بن عمر العَبَلىّ فيمن قتَله عبدُ الله بن علىّ بنهر أبى فُطْرس وأبو العبّاس السفّاح أمير المؤمنين بعدهم من بنى أميّة . وخبرُهم والوقائعُ التى كانت بينهم مشهورةٌ يطول ذكرها جدًّا. ونذكر هاهنا ما يُستحسن منها .

(١) أبو هفان كنية عبد الله بن أحمد المهزمى ، كما فى معجم ياقوت فى كلامه على « كثوة » .

(٢) كذا فى جميع الأصول، و يلاحظ أن « العبلىّ » ليس نسبة لأبى سنة ، و إنما هو نسبة لأبى عدىّ عبد الله بن عمر صاحب هذا الشعر، كما سيذكره المؤلف فى هذا الخبر بعد قليل .

[ذكر(١) من قَتَل أبو العباس السفّاح من بنى أُمَيّة]

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنى مُسَبّح بن حاتم العُكْلِىّ(٢) قال حدّثنى الجَهْم ابن السَّبّاق عن صالح بن ميمون مولى عبد الصمد بن علىّ، قال :

مقتل مروان بن محمد وظفر عبد الصمد بن على برأسه

لمّا آستمرّت الهزيمةُ بمَرْوان، أقام عبدُ الله بن علىّ بالرَّقّة، وأنفذ أخاه عبدَ الصمد فى طلبه فصار إلى دمشق، وأتبعه جيشًا عليهم أبو إسماعيلَ عامرٌ الطويل من قوّاد خُراسان، فلحقه وقد جاز مصرَ فى قرية تدعى بُوصِير(٣)، فقتَله ، وذلك يومَ الأحد لثلاثٍ بقين من ذى الحِجّة، ووجّه برأسه إلى عبد الله بن علىّ ، فأنفذه عبد الله بن علىّ إلى أبى العبّاس، فلما وُضع بين يديه خَرّ لله ساجدا، ثم رفع رأسَه وقال : الحمد لله الذى أظهرنى عليك وأظفرنى بك ولم يُبْقِ ثارى قِبَلَك وقِبَلَ رَهْطِك أعداءِ الدّين؛ ثم تمثّل قولَ ذى الإِصْبَع العَدْوانىّ :

لو يَشْرَبون(٤) دَمِى لم يُرْوِ شاربَهم * ولا دماؤهمُ للغَيْـظ تُرْوِينى

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكِيعٌ قال حدّثنى محمد بن يزيد قال :

أمّن عبدُ الله بن على آبن مسلمة بن عبد الملك فأبى وقاتل حتى قتل

نظر عبـد الله بن علىّ إلى فتًى عليه أُبَّهةُ الشرف وهو يقاتل مُسْتَنْتِلًا(٥)، فناداه : يا فتى ، لك الأمانُ ولو كنتَ مروانَ بن محمد ؛ فقال : إلّا أكُنْه فلستُ بدونه ؛ قال : فلك الأمان مَنْ كنتَ؛ فأطرق ثم قال :

(١) زيادة عن ب ، س . (٢) فى م : « مسبح بن حاتم العتكى » .

(٣) هى بوصير قوريدس من أعمال الفيوم التى قتـل بها مروان المذكور كما فى تقويم البلدان لأبى الفـدا اسماعيل (ص ١٠٧ طبع أوربا) ومعجم البلدان لياقوت فى كلامه على « بوصير » . وفى كتاب ولاة مصر وقضاتها للكندى (ص ٩٦ طبع بيروت) أنه « قتل ببوصير من كورة الأشمونين يوم الجمعة لسبع بقين من ذى الحجة سـنة اثنتين وثلاثين ومائة » . وكورة الأشمونين من كور الصعيد الأدنى غربى النيل كما فى معجم ياقوت . وفى النجوم الزاهرة (ج ١ ص ٣١٧ طبع دار الكتب المصرية) أنه قتل ببوصير بالجيزة . (٤) ورد هـذا البيت فى الأمالى (ج ١ ص ٢٥٦ طبع دار الكتب المصرية) فى قصيدة ذى الأصبع العدوانى هكذا :

لو تشربون دمى لم يرو شاربكم * ولا دماؤكم جمعًا ترويني

(٥) كذا فى س . والمستنتل : الخارج من الصف المتقدم على أصحابه . وفى سائر الأصول : « مستقتلا » .

أذلّ الحيـاةِ وكُرْهَ المـماتِ * وكُلًّا أرى لك شرًّا وبيـلَا

ويروى : * وكلًّا أراه طعـامًا وبيـلَا *

فإن لم يكن غيرُ إحداهمـا * فسيرًا إلى الموت سيرًا جميلَا

ثم قاتل حتى قتل؛ قال : فإذا هو آبن مَسلمة (١) بن عبد الملك بن مروان .

اجتمع عند السفاح جماعة من بنى أمية فأنشده سديف شعرا يغريه بهم فقتلهم وكتب الى عماله بقتلهم

٥ أخبرنى عمّى قال حدّثنى محمد بن سَعْد الكُرَانىّ قال حدّثنى النَّضْر بن عمرو عن المُعَيْطِىّ ، وأخبرنا محمد بن خَلَف وَكِيعٌ قال قال أبو السائب سَلْم بن جُنَادة السُّوَائىّ (٢) سمعت أبا نُعَيم الفضلَ بن دُكَيْن يقول :

دخل سُدَيف — وهو مولى لآل أبى لَهَب — على أبى العبـاس بالحيرة . هكذا قال وَكيع ، وقال الكُرَانىّ فى خبره واللفظُ له : كان أبو العباس جالسًا فى مجلسه

١٠ على سريره وبنو هاشم دونَه على الكراسىّ ، وبنو أميـة على الوسائد قد ثُنِيتْ لهم ، وكانوا فى أيام دولتهـم يجلسون هم والخلفاءُ منهم على السّرير، ويجلس بنو هاشم على الكراسىّ؛ فدخل الحاجب فقال : يا أمير المؤمنين ، بالبـاب رجل حجازىّ أسود راكبٌ على نجيب متلثّمٌ يستأذن ولا يخبر بآسمه ، ويحلف ألّا يَحْسِرَ اللِّثَامَ عن وجهه حتى يراكَ؛ قال: هذا مولاى سُدَيف، يدخل، فدخل؛ فلما نظر إلى أبى العبّاس

١٥ وبنو أميّة حولَه ، حَدَر اللثامَ (٣) عن وجهه وأنشأ يقول :

(١) فى النجوم الزاهرة (ج ١ ص ٢٥٨ طبع دار الكتب المصرية) بعد ذكر هذين البيتين : «فاذا هو محمد بن عبد الملك، وقيل : آبن لمسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم» . (٢) السوائى (بالضم والتخفيف والهمز) : نسبة الى سُواءة بن عامر بن صعصعة . (٣) اتفق الكامل للبرد (ص ٧٠٧ طبع أوربا) والعقد الفريد (ج ٢ ص ٣٥٦ طبع مصر) فى أن قائل هذا الشعر هو شبل بن

٢٠ عبد الله مولى بنى هاشم ، ويؤكد هذا الشعر نفسه ، إذ يقول فيه ، على رواية ، :

نعم شبل الهراش مولاك شبل * لو نجا من حبائل الإفلاس

واتفقا أيضا على أن شعر سديف هو :

لا يغرّنك ما ترى من أناس * إن تحت الضلوع داء دويّا

فضع السيف وآرفع السوط حتى * لا ترى فوق ظهرها أمويّا

٢٥ وآختلفا فيمن أُنشد بين يديه هذا الشعر، ففى العقد الفريد أنه أبو العباس السفاح، وفى الكامل أنه عبد الله بن علىّ .

أصبح المُلك ثابتَ الآساسِ * بالبَهاليل[1] من بنى العبّاس
بالصدور المقدَّمين قديمًا * والرءوس القَماقِم الرُّؤّاس[2]
يا أمير المُطَهَّرين من الذ * مّ ويا رأس منتهى كلّ راس
أنت مَهْدىُّ هاشم وهُدَاها * كم أُناس رَجَوْك بعد إياس[3]
لا تُقيلنّ عبدَ شمس عِثارًا * وَاقطعنْ كلَّ رَقْلة[4] وغِراس
أنزلوها بحيث أنزلها اللهُ بدارِ الهَوان والإتعاس
خوفُهم أظهر التوَدّدَ منهم * وبهم منكمُ كحزّ المَواسى
أقْصِهم أيها الخليفةُ وآحسِمْ * عنك بالسيف شأفَةَ الأرْجاس
وآذكرنْ[5] مَصْرَعَ الحسينِ وزيدٍ[6] * وقتيلٍ[7] بجانب المِهْراس[8]
والإمامِ الذى بحَرّان[9] أمسى * رَهْنَ قبرٍ فى غُرْبةٍ وتَناسى
فلقد سَاءنى وساء سَوائى * قُربُهم من نَمارِقٍ وكَراسى
نِعم كلبُ الهِراش مولاك لولا[10] * أوَدٌ[11] من حبائل الإفلاس

(١) البهاليل: جمع بهلول وهو العزيز الجامع لكل خير، أو هو الحىّ الكريم. (٢) الرؤاس: الولاة والحكام. (٣) فى ى، ط: * كم أناس رجوك بعد أناس *

(٤) الرقلة: النخلة الطويلة التى تفوت اليد. (٥) فى الكامل: «واذكروا».

(٦) هو زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، قتل فى أيام هشام بن عبد الملك.

(٧) كذا فى ى، ط، م. وفى سائر النسخ: «وقتيلا». ويعنى به حمزة بن عبد المطلب، قتله يوم أحد وحشىّ غلام جبير بن مطعم. (٨) المهراس فيما ذكر المبرد: ماء بأحد؛ وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم عطش يوم أحد فجاءه علىّ فى درقة بماء من المهراس، فعافه وغسل به الدم عن وجهه. قال المبرد فى الكامل: وإنما نسب شبل قتل حمزة إلى بنى أمية لأن أبا سفيان بن حرب كان قائد الناس يوم أحد. (٩) الإمام الذى بحران: هو إبراهيم الإمام رأس الدعوة العباسية، وقد قتله مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية صبرا. (١٠) فى الكامل والعقد الفريد:

نعم شبل الهراش مولاك شبل * لو نجا من حبائل الإفلاس

(١١) الأود: الكد والتعب والجهد.

فتغيّر لونُ أبى العبّاس وأخذه زَمَعٌ[(١)] ورِعْدة؛ فالتفتَ بعضُ ولدِ سليمانَ بنِ عبد الملك إلى رجل منهم، وكان إلى جَنْبه، فقال: قتلَنا واللهِ العبدُ. ثم أقبل أبو العبّاس عليهم، فقال: يا بنى الفواعل، أرى قتْلاكم من أهلى قد سَلَفوا وأنتم أحياءٌ تتلذّذون فى الدنيا! خُذُوهم! فأخذتْهم الخُراسانيّةُ بالكافركوبات[(٢)]، فأُهْمِدوا، إلا ما كان من عبدالعزيز بن عمر بن عبد العزيز فإنه آستجار بداودَ بن علىّ وقال له: إن أبى لم يكن كآبائهم وقد علمتَ صنيعتَه إليكم؛ فأجاره وآستوهبَه من السفّاح، وقال له: قدعلمتَ يا أميرَ المؤمنين صنيعَ أبيه إلينا؛ فوهَبه له وقال له: لا تُرِيَنّى وجهَه وليكن بحيثُ تأمنُه؛ وكتب إلى عمّاله فى النواحى بقتل بنى أميّة.

سبب قتل السفاح لبنى أمية وتشفيه فيهم

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنى أحمد بن سَعيد الدِّمَشْقىّ قال حدّثنا الزُّبَير ابن بَكّار عن عمّه:

أن سبب قتل بنى أميّة: أن السفّاح أُنشِدَ قصيدةً مُدح بها، فأقبل على بعضهم فقال: أين هذا ممّا مُدِحتم به! فقال: هيهات لا يقول والله أحدٌ فيكم مثلَ قول ابن قَيْس الرُّقَيّات فينا:

ما نَقَموا من بنى أميّةَ إلا أنهم يَحْلُمون إن غَضِبوا
وأنّهم مَعدِنُ الملوكِ ولا * تَصْلُح إلّا عليهمُ العَرَبُ

فقال له: يا مَاصّ كذا من أمه، أوَ إنّ الخلافةَ لَفِى نفسِك بعْدُ! خُذُوهم! فأُخِذُوا فقُتلوا.

بسط السفاح على قتلاهم بساطا تغدى عليه وهم يضطربون تحته

أخبرنى عمّى عن الكُرَانىّ عن النَّضْر بن عمرو عن المُعَيْطىّ:

(١) الزمع: شبه الرعدة تأخذ الإنسان.
(٢) فى حـ: «بالكفركوبات» ولعله اسم أعجمىّ لآلات يضرب بها كالعمد وغيرها.

٩٤/٤

أن أبا العباس دعا بالغَداء حين قُتِلوا، وأمر بِبساط فبُسط عليهم، وجلس فوقه يأكل وهم يضطربون تحته . فلما فرَغ من الأكل قال : ما أعلَمُنى أكلتُ أَكْلَةً قطُّ أهنأَ ولا أطيبَ لنفسى منها . فلما فرَغ قال : جُرّوا بأرجلهم؛ فأُلقُوا فى الطريق يلعنهم الناسُ أمواتًا كما لعنوهم أحياء . قال : فرأيت الكلابَ تجر بأرجلهم وعليهم ٥ سَرَاوِيلاتُ الوَشْى حتى أَنْتنوا؛ ثم حُفِرت لهم بئر فأُلقوا فيها .

أنشد ابن هرمة داود بن على شعرا فأوغر صدره على بعض الأمويين فى مجلسه

أخبرنى عمر بن عبد الله بن جَميل العَتَكِىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى محمد بن مَعْن الغِفَارىّ عن أبيه قال :

لمـا أقبل داود بن علىّ من مكة أقبل معه بنو حسن جميعا وحسين بن علىّ بن حسين وعلى بن عمر(١) بن على بن حسين وجعفر بن محمـد والأَرْقط محمد بن عبـد الله ١٠ وحسين بن زيد ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان وعبد الله بن عَنْبَسة بن سعيد ابن العاصى وعُرْوةُ وسعيد ابنا خالد بن سعيد بن عمرو بن عثمان، فعُمِل لداود مجلسٌ بالرُّوَيثة(٢)، فجلس عليه هو والهاشميّون، وجلس الأُمويون تحتهم؛ فأنشده إبراهيم بن هَرْمة قصيدةً يقول فيها :

فلا عفا اللهُ عن مروانَ مَظْلِمةً * ولا أُميّةَ بئس المجلسُ النادى(٣)

١٥ كانوا كعادٍ فأمسى اللهُ أهلكهم * بمثل ما أهلك الغاوين من عادِ

فلن يكذّبنى من هاشم أحدٌ * فيما أقول ولو أكثرتُ تَعْدادى

---

(١) كذا فى ط، م، وهو الموافق لما فى الطبرى (قسم ٣ ص ١٩١ طبع أوربا) . وفى ء : «على ابن عمرو بن على بن حسين» . وفى باقى الأصول : «على بن محمد بن على بن حسين» ، وهما تحريف .

(٢) الرويثة : موضع على ليلة من المدينة . (٣) فى ب، س، م : «البادى» بالباء الموحدة .

قال : فنبذ داودُ نحوَ ٱبن عَنْبَسة ضَحْكةً كالكَشْرة ؛ فلما قام قال عبدُ الله [ٱبن حسن](1) لأخيه حسن : أمَا رأيتَ ضَحْكتَه إلى ٱبن عَنْبَسة! الحمد لله الذى صَرَفها عن أخى(2) (يعنى العُثْمانىّ) . قال : فما هو إلا أن قدِم المدينةَ(3) حتى قَتَل ٱبنَ عَنْبَسة .

استحلف عبد الله ابن حسن داود ابن على ألا يقتل أخويه محمدا والقاسم

قال محمد بن مَعْن حدّثنى محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان قال : ٥

استحلف أخى عبدُ الله بن حسن داودَ بن علىّ، وقد حَجّ معه سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، بطلاق ٱمرأته مُلَيكة بنتِ داود بن حسن ألّا يقتل أخوَيْه محمدًا والقاسمَ ابنى عبد الله؛ قال : فكنت أختلف إليه آمنًا وهو يقتل بنى أُمَيّة ، وكان يكره أن يرانى أهلُ خُراسان ولا يستطيع إلىّ سبيلا ليمينه ؛ فاستدنانى يوما فدنوتُ منه ، فقال : ما أكثرَ الغفلَةَ وأقلَّ الحَزْمَةَ ! فأخبرتُ بها عبدَ الله بن حسن؛ فقال : يٱبن ١٠ أُمّ، تَغَيَّبْ عن الرجل؛ فتغيّبتُ عنه حتى مات .

أنشد سديف السفاح شعرا وعنده رجال من بنى أمية فأمر بقتلهم

أخبرنى الحسن بن علىّ ومحمد بن يحيى قالا حدّثنا الحارث بن أبى أُسامَة قال حدّثنى إسماعيل بن إبراهيم عن الهَيْثَم بن بِشْر مولى محمد بن علىّ قال :

أنشد سُدَيف أبا العبّاس، وعنده رجالٌ من بنى أُمَيّة، قولَه :

يٱبن عمّ النبىّ أنت ضِياءٌ * ٱستبنّا بك اليقينَ الجَلِيّا ١٥

فلما بلغ قولَه :

جَرِّدِ السيفَ وٱرفع العفوَ حتى * لا ترى فوق ظهرها أُمويّا

لا يغرّنْكَ ما ترى من رجالٍ * إنّ تحت الضلوع داءً دَوِيّا

بَطَن البغضُ فى القديم فأضحَى * ثاويًا فى قلوبهم مَطْوِيّا

(1) زيادة عن حـ . (2) هو أخوه لأمّه، كما ذكر ذلك فى كتب التاريخ . ٢٠

(3) فى ب ، سـ : «فما هو إلا أنه ما قدم المدينة الخ» .

وهى طويلة ؛ قال : يا سُدَيف، خُلِق الإنسان من عجل؛ ثم قال :[(١)]

أحيا الضغائنَ آباءٌ لنا سَلَفُوا * فلن تبيدَ وللآباء أبناءُ

٩٥/٤ ثم أمر بمن عنده منهم فقُتلوا .

حضر سليمان بن على جماعة من بنى أمية فأمر بقتلهم

أخبرنى أحمد بن عبد الله بن عمّار قال حدّثنى علىّ بن محمد بن سليمان النّوفلىّ عن أبيه عن عمومته :

٥

أنهم حضروا سليمانَ بن علىّ بالبَصْرة، وقد حضَره جماعةٌ من بنى أُميّة عليهم الثيابُ المَوْشِيّة المرتفعة ، فكأنى أنظر إلى أحدهم وقد آسودّ شَيْبٌ فى عارضيه من الغَالِية[(٢)] ، فأمر بهم فقُتلوا وجُرّوا بأرجلهم ، فأُلْقُوا على الطريق ، وإنّ عليهم لَسَرَاويلاتِ الوَشْى والكلابُ تجر بأرجلهم .

وفد عمرو بن معاوية على سليمان بن على يسأله الأمان فأجابه اليه

١٠ أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن عمرو[(٣)] قال أخبرنى طارِق بن المُبَارَك عن أبيه قال :

جاءنى رسولُ عمرو بن معاوية بن عمرو بن عُتْبة، فقال لى : يقول لك عمرو: قد جاءت هذه الدولةُ وأنا حديث السنّ كثيرُ العِيال منتشرُ المال، فما أكون فى قبيلة إلا شُهِر أمرى وعُرِفتُ ، وقد آعتزمتُ على أن أَفْدِىَ حُرَمى بنفسى؛ وأنا صائر إلى

١٥ باب الأمير سليمان بن علىّ ، فصِرْ إلىّ ؛ فوافيتُه فإذا عليه طَيْلَسانٌ مُطبِقٌ أبيض وسراويلُ وَشْى مَسْدول، فقلت : يا سبحانَ الله! ما تصنع الحداثةُ بأهلها ! أبهذا اللّباس تَلْقَ هؤلاء القومَ لِمَا تريد لقاءَهم فيه ! فقال : لا والله، ولكنه ليس عندى ثوبٌ إلا أشهر مما[(٤)] ترى ؛ فأعطيتُه طَيْلَسانى وأخذتُ طَيْلَسَانَه ولويتُ سراويلَه إلى

---

(١) فى الأصول : «فقال» . (٢) الغالية : ضرب من الطيب . (٣) فى حـ ، م :

٢٠ «محمد بن عبد الله بن عمر» . (٤) كذا فى ى ، ط ، م . وفى سائر النسخ : «إلا أشهر من هذه» .

ركبتيه، فدخل ثم خرج مسرورا، فقلت له : حدّثنى ما جرى بينك وبين الأمير؛ قال : دخلتُ عليه ولم تَتَراءَ قطُّ، فقلت : أصلح اللهُ الأميرَ، لَفَظَتْنى البلادُ إليك، ودلّنى فضلُك عليك، فإمّا قتلتَنى غانمًا، وإمّا رددتَنى سالمًا؛ فقال : ومَنْ أنت ؟ ما أعرفك؛ فانتسبت له؛ فقال : مرحبًا بك، أُقعد فتكلّم آمنًا غانمًا؛ ثم أقبل علىّ فقال : ما حاجتُك يابن أخى ؟ فقلت : إنّ الحُرَم اللواتى أنت أقربُ النّاس إليهنّ معنا وأولى الناس بهنّ بعدنا، قد خِفْن لخوفنا، ومن خاف خِيف عليه؛ فوالله ما أجابنى إلا بدموعه على خدّيه؛ ثم قال : يابن أخى، يَحْقِن اللهُ دمَك، ويحفظك فى حُرَمك، ويوفّر عليك مالَك، ووالله لو أمكننى ذلك فى جميع قومك لفعلتُ، فكن متوارِيًا كظاهر، وآمنًا كخائف، ولتأتِنى رقاعُك . قال : فكنتُ والله أكتب إليه كما يكتب الرجلُ إلى أبيه وعمّه . قال : فلما فرغ من الحديث رددْتُ عليه طَيْلسانَه؛ فقال : مَهْلًا[1]، فإن ثيابنا إذا فارقتنا لن ترجع إلينا .

شعر لسديف فى تحريض السفاح على بنى أمية

أخبرنى [أحمد بن عبد الله قال حدّثنا][2] أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر ابن شَبّة قال :

قال سُدَيف لأبى العباس يحضّه على بنى أُميّة ويذكر مَنْ قَتَل مروانُ وبنو أُميّة من قومه :

كيف بالعفو عنهمُ وقَدِيمًا * قتلوكم وهتّكوا الحُرُماتِ
أين زيدٌ وأين يحيى بنُ زيد * يالَهَا من مُصيبةٍ وتِرَاتِ
والإمامُ الذى أُصيب بحَرّا * نَ إمامُ الهدى ورأسُ الثّقاتِ
قتلوا آل أحمد لاعفا الذ[3] * نبَ لمروانَ غافرُ السيئات

(١) كذا فى ء، ط، م . وفى سائر النسخ : «مه» . (٢) زيادة عن سـ، م .
(٣) فى حـ :

قتلوا آل أحمد لاعفا الله * ـه لمروان سافر السيئات

شعر لرجل من شيعة بنى العباس فى التحريض على بنى أمية

٩٦ / ٤

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال :

أنشدنى محمد بن يزيد لرجل من شيعة بنى العبّاس يحرّضهم على بنى أميّة :

إياكمُ أن تلينوا[1] لاعتذارهمُ * فليس ذلك إلّا الخوفُ والطّمعُ

لو أنهم أمنوا أبدَوْا عداوتهم * لكنّهم قُمعوا بالذلّ فانقمعوا

أليس فى ألف شهرٍ قد مضتْ لهمُ * سَقَوْكمُ جُرَعًا من بعدها جُرَعُ

حتى إذا ما انقضتْ أيّامُ مدّتهمْ * متّوا إليكم بالأرحام التى قطعوا

هيهات لا بدّ أن يُسْقَوْا بكأسهمُ * ريًّا وأنْ يحصُدوا الزرعَ الذى زرعوا

إنا وإخوانَنا الأنصارَ شيعتُكم * إذا تفرّقتِ الأهواءُ والشّيَعُ

إياكمُ أن يقولَ الناسُ إنّهمُ * قد مُلّكوا ثم ما ضرّوا ولا نفعوا

رواية أخرى فى تحريض سديف للسفاح

وذكر ابن المعتزّ : أنّ جعفر بن إبراهيم حدّثه عن إسحاق بن منصور عن أبى الخَصيب فى قصّة سُدَيف بمثل ما ذكره الكُرانىّ عن النَّضْر بن عمرو عن المُعَيطىّ، إلا أنه قال فيها :

فلما أنشده ذلك التفت إليه أبو الغَمْر سليمان بن هشام ، فقال : يا ماصّ بَظْرِ أمّه ، أتجبَهُنا بهذا ونحن سَرَوَات النّاس ! . فغَضب أبو العبّاس ؛ وكان سليمان بن هشام صديقَه قديمًا وحديثًا يقضى حوائجَه فى أيّامهم ويبرّه ؛ فلم يلتفت إلى ذلك، وصاح بالخُرَاسانيّة : خُذُوهم ؛ فقُتلوا جميعا إلا سليمانَ بن هشام ، فأقبل عليه السّفّاح فقال : يا أبا الغَمْر ، ما أرى لك فى الحياة بعد هؤلاء خيرًا ؛ قال : لا والله ؛ فقال : اقتلوه ، وكان إلى جَنْبه ، فقُتل ، وصُلبوا فى بستانه ، حتى تأذّى جلساؤه بروائحهم ، فكلّموه فى ذلك ، فقال : والله لَهَذا ألذّ عندى من شَمّ المِسك والعنبر ، غيظًا عليهم وحَنَقًا .

(١) فى حـ : «تنيبوا» . وفى م :
* إياكم أن يلينوا الاعتذار لكم *

نسبة ما فى هذه الأخبار من الغناء

صــــوت

أصبح الدِّينُ[(1)] ثابتَ الآساسِ * بالبَهَا لِيلِ من بنى العبّاس
بالصدور المُقَدّمين قديمًا * والرءوس القَماقمِ الرُّؤّاس

عروضُه من الخفيف . الشعر لسُدَيف . والغناء لعَطَرَّد رَمَل بالبنصر عن حَبَش . قال : وفيه لحَكَم الوادى ثانى ثقيل . وفيه ثقيلٌ أوّلُ مجهول .

ومما قاله أبو سعيد مولى فائد فى قَتْلَى بنى أُميّة وغَنَّى فيه :

صــــوت

بكيتُ وماذا يَرُدّ البُكاءْ * وقلّ البُكاء لقَتْلى كَدَاءْ[(2)]
أُصيبوا معًا فتولّوا معًا * كذلك كانوا معًا فى رَخَاءْ
بكت لهمُ الأرضُ من بعدهم * وناحتْ عليهم نجومُ السّماءْ
وكانوا الضّياءَ فلما انقضى الـ * ـزمانُ بقومى تولّى الضّياءْ

عَروضُه من المتقارب . الشعر والغناء لأبى سَعيد مولى فائد، ولحنه من الثقيل الأوّل بالبِنصر من رواية عمرو بن بانة وإسحاقَ وغيرهما .

ومما قاله فيهم وغَنَّى فيه على أنه قد نُسب إلى غيره :

صــــوت

أثَّر الدهرُ فى رجالى فقلّوا * بعد جَمْع فراح عَظْمى مَهِيضَا
ما تذكّرتُهم فتَمْلك عينى * فيضَ غَرْب وحقّ لى أن تَفيضا

(1) فى م : « أصبح الملك » ، وهى الرواية التى روى بها هذا البيت فيما مرّ .
(2) وردت القافية فى هذا الشعر، فى معجم ياقوت فى الكلام على كداء، بالقصر .

الشعر والغناء لأبى سَعيد خفيفُ ثقيل بالوسطى عن ابن المكىّ والهشامىّ .

وروى الشِّيعىّ عن عمر بن شَبَّة عن إسحاق أن الشعر لسُدَيف والغناءَ للغَرِيض ؛ ولعلّه وَهَمٌ .

ومنها :

صـــوت

أولئك قَوْمى بعــد عِزٍّ ومَنْعةٍ * تفَانَوْا فإلّا تَذْرِفِ العينُ أَكْمَدِ

كأنّهـــمُ لاناسَ للموت غيرُهم * و إن كان فيهم مُنْصِفًا غيرَ مُعْتَدِى

الشعر والغناء لأبى سَعيد . وفيه لحنٌ لمتيَّمَ .

ركب المأمون الى جبل الثلج فغناه علويه بشعر ندب فيه بنى أمية فسبه ثم كلّم فيه فرضى

أخبرنى عبد الله بن الرَّبيع قال حدّثنا أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم قال حدّثنى عمّى طَيّاب بن إبراهيم قال :

ركب المأمونُ بِدمَشْق يتصيّد حتى بلغ جبلَ الثَّلج، فوقف فى بعض الطريق على بِرْكة عظيمة فى جوانبها أربعُ سَرَواتٍ(١) لم يُرَ أحسنُ منها ولا أعظم، فنزل المأمونُ وجعل ينظر إلى آثار بنى أُمَيّة ويتعجّب منها ويذكرهم ، ثم دعا بطَبَق عليه بَزْماوَرْد(٢) ورطلِ نبيذ، فقام عَلَّوَيْه فغنّى :

أولئكَ قَوْمى بعــد عزٍّ ومَنْعةٍ * تَفَانَوْا فإلّا تَذْرِفِ العينُ أَكْمَدِ

(١) السرو : شجر حسن الهيئة قويم الساق واحده سروة . (٢) البزماورد : طعام يسمى لقمة القاضى، وفخذ الست، ولقمة الخليفة، وهو مصنوع من اللحم المقلى بالزبد والبيض . وفى شفاء الغليل : "زماورد" والعامة تقول : « بزماورد » : كلمة فارسيّة استعملتها العرب للرقاق الملفوف باللحم .

قال : فغضب المأمون وأمر برفع الطبق ، وقال : يآبن الزانية ، ألم يكن لك وقتٌ تبكى فيه على قومك إلّا هذا الوقتَ ! قال : نعم أبكى عليهم ، مولاكم زِرْياب[1] يركب معهم فى مائة غلام ، وأنا مولاهم معكم أموت جوعاً ! . فقام المأمون فركب وآنصرف الناسُ ، وغضب على عَلُّويَه عشرين يوماً ، فكلّمه فيه عبّاس أخو بَحْرٍ ، فرضِىَ عنه ، ووصله بعشرين ألفَ درهم .

صـــوت

من المـائة المختارة

مَهاةٌ لَوَ آنّ الذرَّ تمشِى ضِعافُه * على مَتْنِها بَضَّتْ مَدارِجُه دمَا[2]

فقُلْن لها قُومى فدَيْنَاكِ فَآرْكَبى * فأومَتْ بلا لَا غيرَ أنْ تتكلّمَا[3]

عَروضُه من الطويل . بضّت : سالت . يقول : لو مشى الذرّ على جلدها لجرى منه الدّم من رقّته . وروى الأصمعىّ :

منعّمةٌ لو يُصبح الذّرُّ سارياً * على متنها بضّت مدارجُه دماَ

الشعر لحُمَيد بن ثَوْر الهلالىّ . والغناء فى اللحن المختار لفُلَيح بن أبى العَوْراء ، ولحنُه من الثقيل الأوّل بالوسطى . وذكر عمرو بن بانة أنّ لحن فُلَيح من خفيف الثقيل الأوّل بالوسطى ، وأن الثقيل الأوّل للهُذَلىّ .

(١) زرياب : هو على بن نافع المغنى مولى المهدى ومعلم إبراهيم الموصلى ، صار الى الشام ثم صار الى المغرب الى بنى أمية فقدم الأندلس على عبدالرحمن الأوسط سنة ١٢٦ ﻫ فركب بنفسه لتلقيه كما حكاه ابن خلدون . وزرياب لقب غلب عليه ببلده لسواد لونه مع فصاحة لسانه ، شبه بطائر أسود غرّاد ، وكان شاعرا مطبوعا وأستاذا فى الموسيقى (انظر شرح القاموس مادة زرب ، وتاريخ بغداد لأبن طيفور ج ٦ ص ٢٨٤ طبع أوربا) . (٢) رواية عيون الأخبار : * فأومت بلا لا غير ما أن تكلما *

(٣) رواية عيون الأخبار (ج ٤ ص ١٤٣ طبع دار الكتب المصرية) :

* على جلدها نضت مدارجه دما * ونضت بالنون أيضا : سالت .

ومما يُغَنَّى فيه من هذه القصيدة :

صـــــوت

اذا شئتُ غنّتنى بأجزاعِ بِيشَةٍ[1] * أو النخلِ من تَثْلِيثَ[2] أو من يَلَمْلَما[3]

مُطَوَّقةٌ طوقًا وليس بحِليةٍ * ولا ضربِ صَوّاغٍ بكفّيه دِرْهَمَا

تُبَكِّى[4] على فرخٍ لها ثم تَغْتَدِى * مُوَلَّهَةً تبغى له الدّهرَ مَطْعَمَا

تُؤمّل منه مُؤنِسًا لانفرادها * وتَبكى عليه إن زَقَا أو ترنّما

غناه محمد الرَّفّ[5] خفيفَ رَمَلٍ بالوُسْطَى .

٥

٩٨/٤

(١) كذا فى حـ ، م . وفى باقى الأصول : «بأجراع» بالراء المهملة . وقد تقدّم تفسيرهما فى الحاشية رقم ٢ ص ٢٧٨ من هذا الجزء . وبيشة : اسم قرية غناء فى واد كثير الأهل من بلاد اليمن . (٢) تثليث (بكسر اللام و ياء ساكنة وثاء أخرى مثلثة) : موضع بالحجاز قرب مكة . (٣) كذا بالأصول . و يلملم و يقال فيه : ألملم ويرمرم : ميقات أهل اليمن ، وهو جبل على مرحلتين من مكة ، وفيه مسجد معاذ بن جبل . وفى معجم البلدان لياقوت ورد هذا البيت (ص ٤٨٧ ج ١) هكذا :

إن شئت غنّتنى بأجزاع بيشة * وبالرَّزن من تثليث أو من يبمبما

وقال : يبمبم بفتحتين بوزن غشمشم : موضع أو جبل . ولم تجتمع الباء والميم فى كلمة اجتماعهما فى هذه الكلمة ، ورواه بعضهم يبمبم . وفى معجم ما استعجم (ص ٨٥٠) :

«إذا شئت ...... * ...... ينبـبما »

و ينبنبم (بفتح أوله وثانيه بعده نون وباء أخرى) : واد بحجر قبل تثليث .

وقد ذكر هذا البيت فى الكامل للبرد (ص ٥٠٣ طبع أوربا) كما هنا وأشير فى هامشه الى عدة روايات فى هذا الاسم تقرب فى الرسم من هذه الروايات التى ذكرناها . (٤) رواية الكامل للبرد ص ٥٠٣

مطوّقة خطباء تسجع كلما * دنا الصيف وانجال الربيع فأنجما

محلاة طوق لم يكن من تميمة * ولا ضرب صوّاغ بكفيه درهما

وأنجم : أقلع مثل انجال . (٥) فى حـ : « محمد الزف » بالزاى المعجمة (انظر ما كتبناه عليه فى الحاشية رقم ٢ ص ٣٠٦ من الجزء الأوّل من هذه الطبعة) .

١٠

١٥

٢٠

ذكر حُمَيد بن ثور ونسبه وأخباره

نسبه وطبقته في الشعراء

هو حُمَيد بن ثَوْر بن عبد الله بن عامر بن أبى رَبيعة بن نَهِيك بن هِلَال بن عامر بن صَعْصَعة بن مُعَاوية بن بَكْر بن هَوَازِن بن منصور بن عِكْرِمة بن خَصَفَة بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر بن نِزَار . وهو من شعراء الإسلام، وقَرَنه آبنُ سَلّام بِنَهْشل ابن حَرِّيّ وأوس بن مَغْرَاء[1] . وقد أدرك حُمَيدُ بن ثور عمرَ بن الخطاب رضى الله عنه، وقال الشعرَ فى أيامه، وقد أدرك الجاهليةَ أيضا .

هو مخضرم أدرك عمر بن الخطاب

نهى عمر الشعراء عن التشبيب فقال شعرا

أخبرنا وَكِيع قال حدّثنا عبد الله بن أبى سَعْد وعبدُ الله بن شَبِيب قالا حدّثنا إبراهيم بن المُنْذِر الحِزَامىّ قال حدّثنى محمد بن فَضَالة النحوىّ قال :

تقدّم عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه إلى الشعراء ألّا يُشَبِّب أحدٌ بآمرأة إلا جلَده . فقال حُمَيد[2] بن ثور :

أبَى اللهُ إلّا أنّ سَرْحَة[3] مالكٍ * على كلّ أفنانِ العِضَاه[4] تَرُوقُ[5]

فقد ذهبتْ عَرْضًا ومافوق طُولها * من السَّرْح إلا عَشَّةٌ وسَحُوقُ

— العَشّة : القليلة الأغصان والورق . والسَّحُوق : الطويلة المفرطة —

(١) عدّه آبن سلام فى الطبقة الثالثة من الشعراء الإسلاميين . أما حميد بن ثور ونهشل بن حَرِّيّ فقد عدّهما فى الطبقة الرابعة من الشعراء الاسلاميين (راجع طبقات الشعراء لمحمد بن سلّام الجمحى ص ١٢٩، ١٣٠ طبع أوربا) . (٢) فى م : « فقال حميد بن ثور وكانت له صحبة فذكر شعرا فيه » .

(٣) السرحة : الشجرة الطويلة . (٤) العضاهة بالكسر : أعظم الشجر أو كل ذات شوك أو ما عظم منها وطال كالعضه كعنب والعضهة كعنبة ، والجمع : عضاه وعضون وعضوات .

(٥) أى تزيد عليها بحسنها و بهائها ، من قولهم : راق فلانٌ على فلان اذا زاد عليه فضلا .

فلا الظلُّ[1] من بَرْد الضُّحى[2] تستطيعهُ * ولا الفيءَ من بردِ العشيِّ تذوقُ

فهــل أنا إن علّلتُ نفسي بَسَرْحةٍ * من السَّرْح موجودٌ عليَّ طريقُ

وهي قصيدة طويلة أولها :

نأتْ أُمّ عمــرٍو فالفؤادُ مَشُوقُ * يَحِنّ إليها والهًا ويَتُــوقُ

صــــوت

٥

وفيها ممـا يُغنَّى فيه :

سقَى السَّرْحةَ المِحْلالَ[3] والأَبْرَقَ[4] الذي * به الســرحُ غيثٌ دائمٌ وبُرُوقُ

وهــل أنا إن علّلتُ نفسي بسرحةٍ * من السرح موجودٌ عليَّ طــريقُ

غنّاه إسحاقُ، ولحنه ثاني ثقيلٍ [بالوسطى][5] .

وفد على بعض خلفاء بني أمية بشعر فوصله

١٠ أخبرنا الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبَير عن عمّه قال :

وفَد حُمَيد بن ثَوْر على بعض خلفاء بني أُميّة، فقال له : ما جاء بك ؟ فقال :

أتاكَ بيَ اللهُ الذي فوق مَنْ تَرَى * وخيرٌ ومعـروف عليك دليــلُ

---

(١) الظل : ما كان أوّل النهار الى الزوال . والفيء : ما كان بعـد الزوال الى الليل ؛ فالظل غربيّ تنسخه الشمس ، والفيء شرقيّ ينسخ الشمس . والبرد : من معانيه الظل والفيء . يقال : البردان
١٥ والأبردان للظل والفيء ، وأيضا للغـداة والعشيّ . وظاهر الكلام يقتضي أن يكون المراد من «البرد» في الموضعين هنا : الظل والفيء . على أن تكون «من» بيانية .

(٢) في معجم البلدان لياقوت في الكلام على سرحة : «تستظله» .

(٣) المحلال : التي يكثر الناس الحلول بها . قال ابن سيده : وعندي أنها تحل الناس كثيرا ، لأن مفعالا إنما هي في معنى فاعل لا في معنى مفعول .

(٤) الأبرق : أرض غليظة واسعة مختلطة بحجارة ورمل ؛ والمراد به هنا موضع بعينه .

٢٠ (٥) زيادة عن س ، م .

ومَطْوِيَّةُ الأَقْـــرابِ[1] أمّا نهارُها * فَنَصٌّ[2] وأمّا ليلُهـا فذَمِيـــلُ

ويَطْوِى علىّ الليلُ حِضْنيهِ إنّنى * لذاكَ إذا هاب الرجالُ فَعُـــولُ

فوصله وصرفه شاكرا .

(١) الأقراب : جمع قرب (بالضم و بضمتين) وهو الخاصرة ، وقيــل : القرب من لدن الشاكلة الى مراقّ البطن . وفى التهذيب : فرس لاحق الأقراب ، يجمعونه و إنما له قربان لسعته ، كما يقال : شاة ضخمة الخواصر ، و إنما لها خاصرتان (انظر اللسان مادّة قرب) . (٢) كذا فى أكثر الأصول . والنص : أقصى السير . والذميل : السير اللين . وفى ى ، ط : «فسبت» . والسبت : سير للإبل .

أخبار فُلَيح بن أبى العَوْراء

هو مولى بنى مخزوم وأحد مغنى الدولة العباسية

فُلَيح رجل من أهل مكة مَوْلًى لبنى مخزوم، ولم يقع إلينا اسمُ أبيه . وهو أحد مغنِّى الدولة العباسـية ، له محل كبير من صناعته ، وموضع جليل . وكان إسحاق إذا عَدّ مَنْ سمع من المُحْسِنين ذكَرَه فيهم وبدأ به . وهو أحدُ الثـلاثة الذين اختـاروا المـائة الصوتِ للرشيد .

مدح إسحاق الموصلى غناءه

أخبرنى أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثنى آبن المَكّىّ عن أبيه عن إسحاق قال: ما سمعتُ أحسنَ غناءً من فُليح بن أبى العَوْراء وآبنِ جامع . فقلت له : فأبو إسحاق ؟ (يعنى أباه)؛ فقال : كان هذان لا يُحسنان غيرَ الغناء، وكان أبو إسحاق فيه مثلَهما، ويزيد عليهما فنونًا من الأدب والرواية لا يداخلانه فيها .

كان يحكى الأوائل فيصيب ويحسن

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا يَزيد بن محمد المهلَّبىّ [(١)] قال : قال لى إسحاق : أحسنُ من سمعتُ غناءً عَطَرَّد وفُلَيح .

وكان [(٢)] فُليح أحدَ الموصوفين بحسن الغنـاء المسـموع فى أيّامه ، وهو أحدُ مَنْ كان يَحكى الأوائلَ فيُصيبُ ويُحسِن .

أمره الرشيد بتعليم ابن صدقة صوتا له

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنى هارون بن محمـد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثنى محمد بن محمد العَنْبَسىّ قال حدّثنى محمد بن الوَليد الزُّبيرىّ قال :

---

(١) كذا فى ى ، ط ، م . وفى سائر النسخ : « محمد بن يزيد المهلبى » وهو خطأ .

(٢) فى سه ، م ، حـ ، زيادة قبل هذا الخبر هى : « وقال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال : كان فليح أحد الموصوفين ... الخ » .

سمعتُ كَثير بن المحوّل يقول : كان مغنّيان بالمدينة يقال لأحدهما فُلَيح بن أبى العَوْراء، والآخر سليمان بن سُلَيم؛ فخرج إليهما رسول الرشيد يقول لفُلَيح: غناؤك من حَلْق أبى صَدَقة(1) أحسنُ منه من حلقك، فعلّمه إيّاه — قال : وكان يُغنّى صوتا يُجيده، وهو :

* خيرُ ما نَشْرَبُها(2) بالبُكَرْ *

— قال : فقال فُلَيح للرسول : قل له : حَسْبُك . قال : فسمعنا ضَحِكَه من وراء الستارة .

كانت ترفع الستارة بينه وبين المهدى دون سائر المغنين

أخبرنى رِضْوان بن أحمد الصَّيْدَلانى قال حدّثنا يوسف بن إبراهيم قال حدّثنى أبو إسحاق إبراهيمُ بن المهدى قال حدّثنا الفَضْل بن الرَّبيع :

أنّ المهدى كان يسمع المغنّين جميعا، ويحضُرون مجلسَه ، فيُغنّونه من وراء السّتارة لا يرون له وجهًا إلا فُلَيحَ بن أبى العَوْراء؛ فإنّ عبد الله بن مصعَب الزُّبيرى كان يُرَوِّيه شعرَه ويغنّى فيه فى مدائحه للمهدى؛ فدسّ فى أضعافها بيتين يسأله فيهما أن ينادمَه ، وسأل فُلَيحا أن يُغنّيَهما فى أضعاف أغانيه، وهما :

صــــوت(3)

يا أمينَ الإله فى الشّرق والغـر * ب على الخَلْق وآبنَ عمِّ الرّسولِ

مجلِسًا بالعشىّ عنـدك فى المَيْ * دانِ أبغى والإذنَ لى فى الوُصُول

(1) هو أبو صدقة مسكين بن صدقة أحد مغنى عصر الرشيد ، ذكر له أبو الفرج ترجمة فى (ج ٢١ طبع أوربا) . (2) فى ى ، ط ، م : « ما تشربها » . (3) هذه الكلمة ساقطة فى ى ، ط ، م . ومما يرجح سقوطها أن أبا الفرج لم يذكر طريقة الغناء فى هذا الشعر .

فغنّاه فُليح إيّاهما ؛ فقال المهدىّ : يا فضلُ ، أجِبْ عبدَ الله إلى ما سأل ، وأحْضِره مجلسى إذا حضَره أهْلى وموالىّ وجاستُ لهم ، وزِده على ذلك أن ترفع بينى و بين رَاوِيتِه فُلَيح السِّتارةَ ؛ فكان فُلَيح أوّلَ مُغنّ عايَن وجهَه فى مجلسهم .

دعاه محمد بن سليمان ابن على أوّل دخوله بغداد ووصله

أخبرنى رِضْوان قال حدّثنى يوسف بن إبراهيم قال حدّثنى بعد قُدومى فُسطَاط مصرَ زيادُ بن أبى الخَطّاب كاتبُ مسرور خادمِ الرشيد، قال: سمعتُ محبوب ابن الهَفْتىّ يحدّث أبى، قال :

دعانى محمد بن سليمان بن علىّ ، فقال لى : قد قَدِم فُليح من الحجاز ونزل عند مسجد ابن رَغْبَان(١) ، فصِرْ إليه ، فأعلِمْه أنه إن جاءنى قبل أن يدخل إلى الرشيد ، خلعتُ عليه خلعة سَرِيَّةً من ثيابى و وهبتُ له خمسة آلاف درهم؛ فمضيتُ إليه فخبّرته بذلك؛ فأجابنى إليه إجابةَ مسرورٍ به نشيطٍ له؛ وخرج معى ، فعدَل إلى حَمّام كان بقُربه ، فدعا القيّم فأعطاه درهمين وسأله أن يجيئَه بشىء يأكله ونبيذٍ يشربه؛ فجاءه برأسٍ كأنه رأس عجل ونبيذ دُوشابىّ(٢) غليظ مسحورىّ(٣) ردىء؛ فقلت

---

(١) فى حـ : «ابن زغبان» بالزاى قبل الغين، وفى باقى الأصول : «ابن عتاب» وكلاهما محرّف عن «ابن رغبان» . و يقع مسجد ابن رغبان هذا فى غربى بغداد وكان مزبلة . قال بعض الدهاقين : مرّ بى رجل وأنا واقف عند المزبلة التى صارت مسجد ابن رغبان قبل أن تبنى بغداد، فوقف عليها وقال : ليأتين على النـاس زمان من طرح فى هذا الموضع شيئا فأحسن أحواله أن يحمل ذلك فى ثو به ، فضحكت تعجبا ، فما مرت إلا أيام حتى رأيت مصداق ما قال . (أنظر معجم البلدان لياقوت ج ٤ ص ٥٢٤ طبع أوربا) . (٢) الدوشابى : نسبة الى الدوشاب وهو نبيذ التمر معرّب ؛ قال ابن المعتز :

لا تخلط الدوشاب فى قدح * بصفاء ماء طيب البرد

وقال ابن الرومى :

علّى أحدٌ من الدوشاب * شربة بقّضت قناع الشباب

(٣) مسحورى : فاسد .

له : لا تفعلْ، وجهَدْتُ به ألّا يأكل ولا يشرب إلا عند محمد بن سليمان؛ فلم يلتفت إلىّ، وأكل ذلك الرأس وشرب من ذلك النبيذ الغليظ حتّى طابت نفسُه، وغنّى وغنّى القيّم معه مَليًّا؛ ثم خاطبَ القيّمَ بما أغْضَبه، وتَلاحَيا وتَواثَبا؛ فأخذ القيّم شيئًا فضَربه به على رأسه فشجّه حتى جرى دمُه؛ فلما رأى الدّمَ على وجهه اضطرب وجزِع وقام يغسل جُرحَه، ودعا بصوفة مُحْرَقة وزيت، وعَصَبه وتعمّم وقام معى. فلما دخلنا دار محمد بن سليمان، ورأى الفرشَ والآلة وحضر الطّعامُ فرأى سَرْوَه[1] وطيبه، وحضر النّبيذ وآلته، ومُدّت الستائروغنّى الجوارى، أقبل علىّ وقال: يامجنون! سألتك بالله أيّما أحقُّ بالعَرْبدة وأَوْلى: مجلِسُ القيّم أم مجلِسُ الأمير! فقلت: وكأنه لا بدّ من عَرْبَدة! قال: لا! والله مالى منها بدّ، فأخرجتُها من رأسى هناك؛ فقلت: أمّا على هذا الشّرط فالذى فعلتَ أجود. فسألنى محمد عما كُنّا فيه، فأخبرته؛ فضحك ضحكا كثيرًا، وقال: هذا الحديث والله أظرفُ وأطيبُ من كلّ غِناء؛ وخلَع عليه وأعطاه خمسة آلاف درهم.

اتفــق مع حكم الوادى على إسقاط ابن جامع عنـــد يحيى بن خالد

قال هارون بن محمد وحدّثنى حمّاد بن إسحاق قال حدّثنى أبو إسحاق القرمطىّ قال حدّثنا مُدْرِكةُ بن يَزيد قال:

قال لى فُلَيح بن أبى العَوْراء: بعث يحيى بنُ خالد إلىّ وإلى حَكَم الوادى وإلى ابن جامع، فأتيناه؛ فقلت لحكم: إن قعَد ابنُ جامع معنا فعاوِنّى عليه لنكسِرَه. فلما صِرْنا إلى الغناء غنّى حَكَم؛ فصحْتُ وقلت: هكذا والله يكون الغناء! ثم غنّيتُ، ففعل لى حَكَمٌ مثلَ ذلك؛ وغنّى ابنُ جامع فما كنّا معه فى شىء. فلما كان

[1] كذا فى ط، ى. وفى باقى الأصول: «ورأى سروره به وطيبه»: وهو تحريف. والسرو: الشرف والسخاء. ولعل المراد بسَرْو الطعام جودته وكثرته.

العشىُّ أرسل إلى جاريته دنانير : إنّ أصحابَك عندنا، فهل لك أن تَخرُجى الينا ؟ فخرجتْ وخرج معها وصائفُ ؛ فأقبلَ عليها يقول لها من حيث يظنّ أنّا لا نسمع : ليس فى القوم أنزهُ نفسًا من فُلَيح ؛ ثم أشار إلى غلام له : أنِ ائْتِ كلَّ إنسان بألفَىْ درهم؛ فجاء بها، فدفع إلى ابن جامع ألفَىْ درهم فأخذها فطرَحها فى كُمّه، وفعل ٥ بحَكَم الوادِى مثلَ ذلك فطرَحها فى كُمّه، ودفع إلىّ ألفين؛ فقلتُ لدَنانيرَ : قد بلغ منّى النّبيذُ، فٱحبِسيها لى عندك حتى تبعثى بها إلىّ ؛ فأخذت الدراهمَ منّى و بعثتْ بها إلىّ من الغد، وقد زادت عليها ؛ وأرسلتْ إلىّ : قد بعثتُ إليك بوديعتك و بشىءٍ أحببْتُ أن تُفرِّقه على أخَواتى (تعنى جَوَارِىَ) .

طلبه الفضل بن الربيع فجىء به مريضا فغنى ورجع ثم مات فى علته

قال هارون بن محمد وحدّثنى حَمّاد قال حدّثنى أبى قال :

١٠ كنّا عند الفضل بن الرَّبيع ، فقال : هل لك فى فُلَيح بن أبى العَوْراء؟ قلت : نعم ؛ فأرسل إليه ، فجاء الرسول فقال : هو عَليل؛ فعاد إليه ، فقال الرسول : لا بدّ من أن تجىء ؛ فجاء به محمولا فى مِحفَّة؛ فحدّثنا ساعةً ثم غنّى؛ فكان فيما غنّى :

تقولُ عِرْسى إذ نبا المَضْجَعُ ❊ ما بالُك الليلةَ لا تَهْجَعُ

فٱستحسنّاه منه وٱستعَدْناه منه مرارا؛ ثم ٱنصرف ومات فى علّته تلك ؛ وكان آخر ١٥ العهد به ذلك المجلس .

روى قصة فتى عاشق غناه هو وعشيقته فبعثت اليه مهرها ليخطبها الى أبيها

أخبرنى أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثنى محمد بن أحمد بن يحيى المَكّىّ قال حدّثنى أبى عن فُلَيح بن أبى العَوْراء قال :

كان بالمدينة فتًى يعشَق ٱبنةَ عمّ له ، فوعدتْه أن تزوره ؛ وشكا إلىّ أنها تأتيه ولا شىء عنده ، فأعطيتُه دينارا للنفقة ؛ فلما زارتْه قالت له : من يُلَهِّينا ؟ قال : ٢٠ صديق لى ، ووصَفنى لها ، ودعانى فأتيتُه ؛ فكان أوّل ما غَنّيته :

مِنَ الخَفِراتِ لم تَفْضَحْ أخاها * ولم تَرْفَعْ لوالدها شَنَارا (١)

فقامت إلى ثوبها فلبِسته لتنصرف، فعلِق بها وجَهَد بها كُلَّ الجَهْد فى أن تقيم، فلم تُقِمْ وآنصرفت . فأقبل علىّ يلومنى فى أن غَنّيتُها ذلك الصوتَ ؛ فقلت : والله ما هو شىء آعتمدتُ به مَساءتَك ، ولكنه شىء آتّفق . قال : فلم نبرَح حتى عاد رسولُها بعدها ومعه صُرّة فيها ألفُ دينار ودفَعها إلى الفتى، وقال له : تقول لك ابنةُ عمك : هذا مهرى آدفعْه إلى أبى، وآخطُبنى؛ ففعل فتزوّجها .

١٠١ / ٤

نسبة هذا الصوت

صوت

مَنَ الخَفِراتِ لم تفضَح أخاها * ولم ترفع لوالدها شَنَارَا

كأنّ مَجامِعَ الأرداف منها * نَقًا (٢) درَجتْ عليه الريحُ هارا

يعافُ وِصالَ ذاتِ البذلِ قلبى * وأتّبع المُمَنّعةَ النَّوَارا (٣)

الشعرُ لسُلَيك بن السُّلَكة السَّعْدىّ . والغناء لآبن سُرَيج رَمَلٌ بالسبابة فى مجرى الوسطى . وفيه لآبن الهِرْبِذ لحنٌ من رواية بَذْلٍ، أوّله :

* يَعافُ وِصالَ ذاتِ البَذْل قلبى *

وبعده :

غَذَاها قارِصٌ (٤) يَغْدُو عليها * ومَحْضٌ حين تنتظر العِشَارَا

(١) الخفرة : الشديدة الحياء . والشنار : العيب والعار . (٢) النقا (مقصور) : الكثيب من الرمل . وهار : سقط وتهدّم . (٣) النوار : المرأة النفور من الريبة والجمع نُور . (٤) القارص : لبن يحذى اللسان أو حامض يحلب عليه حليب كثير حتى تذهب الحوضة . والمحض : اللبن الخالص . والعشار : جمع عُشَراء وهى الناقة مضى لحملها عشرة أشهر . قال الأزهرى : والعرب يسمونها عشارا بعد ما تضع ما فى بطونها، للزوم الاسم بعد الوضع، كما يسمونها لقاحا .

ورد دمشق على ابراهيم بن المهدى فأخذ عنه جواريه غناءه وانتشرت أغانيه بها

أخبرنى رِضْوان بنُ أحمد قال حدّثنا يوسف بن إبراهيم قال حدّثنا أبو إسحاق إبراهيمُ بن المهدىّ قال :

كتب إلىّ جعفر بن يحيى وأنا عاملٌ للرشيد على جُنْد دِمَشْق : قد قَدِم علينا فُلَيح بن أبى العَوْراء، فأفسد علينا بأهزاجه وخفيفه كلَّ غناء سمعناه قبله ؛ وأنا محتالٌ لك فى تخليصه إليك، لتستمتعَ به كما استمتعْنا . فلم ألبث أن ورَد علىّ فُليح بكتاب الرشيد يأمر له بثلاثة آلافِ دينار؛ فورَد علىّ رجلٌ أذكرنى لقاؤه الناسَ، وأخبرنى أنه قد ناهز المائةَ، فأقام عندى ثلاثَ سنين، فأخذ عنه جوارِىّ كلَّ ما كان معه [من الغناء](1)، وانتشرتْ أغانيه بدِمَشْق . قال يوسف : ثم قدِم علينا شابٌّ من

غنى مونق ألحان فليح بفسطاط مصر عند مقدم عنبسة ابن إسحاق

المغنِّين مع علىّ بن زيد بن الفَرَج الحَرَّانىّ ، عند مَقْدَم عَنْبَسة بن إسحاق فُسطاطَ مصر، يقال له مُونِق، فغنّانى من غناء فُلَيح :

[صوت](2)

يا قُرّة العين اقبَلى عُذرى * ضاق بهجرانكم صدرى

لو هلَك الهجرُ استراح الهوى * ما لقِىَ الوصلُ من الهجر

— ولحنه خفيفُ رَمَل — فلم أر بين ما غناه و بين ما سمعته فى دار أبى إسحاق فرقًا ؛ فسألته من أين أخذه؟ فقال : أخذتُه بدمشق ؛ فعلمتُ أنه مما أخذه أهلُ دمشق عن فُلَيح .

(١) زيادة عن ء ، ط ، م .
(٢) زيادة عن ء ، ط .

صـــــوت

من المـائة المختـارة

أفاطمَ إنّ النأىَ يُسْلِي ذوى الهوَى * ونأيُكِ عنّى زاد قلبى بكم وجدَا
أرى حَرَجًا ما نلتُ من وُدّ غيركم * ونافلةً ما نلتُ من ودّكم رُشْـدا
وما نلتقِي من بعدِ نأيٍ وفُرْقة * وشَحْطِ نوًى إلا وجدتُ له بَرْدا
على كبِدٍ قد كاد يُبْدى بها الهوى * نُدوبا وبعضُ القوم يحسَبُنى جَلْدا

عروضــه من الطويل . النأى : البعد، ومثله الشحط . والحرج : الضيق؛ قال الله تعالى: ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾. والنُّدُوبُ: آثارُ الجراح، واحدُها نَدَب .

١٠٢/٤ الشعر لإبراهيم بن هَرْمة . والغِناء فى اللحن المختار، على ما ذكره إسحاقُ، ليونسَ الكاتبِ، وهو من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر فى مجرى الوســطى . وذكر يحيي بنُ علىّ بن يحيي عن أبيه مثلَ ذلك . وذكر حَبَش بن موسى أن الغناء لمرزوق الصرّاف أو ليحيي بنِ واصِــل . وفى هــذه الأبيات للهُذَلىّ لحنٌ من خفيف الثقيل الأوّل بالوسطى على مذهبِ إسحاقَ من رواية عمرو بنِ بانة، ومن الناس من يَنْسُب اللحنين جميعا إليه .

ذكر ابن هَرْمة وأخباره ونسبه

نسبه

هو إبراهيم بن عليّ بن سَلَمة بن هَرْمة بن هُذَيل ، هكذا ذكر يعقوبُ بن السِّكِّيت . وأخبرنى الحَرَمىّ بنُ أبى العَلَاء عن الزُّبير بن بَكّار عن عمّه مُصعَب، وذكر ذلك العبّاس بن هِشَام الكَلْبىّ عن أبيه هِشَام بن محمد بن السائب، قالوا جميعا: هو إبراهيم بن عليّ بن سَلَمة بن عامر بن هَرْمة بن الهُذَيل بن رَبيع بن عامر بن صُبَيح بن كِنَانة بن عَدِىّ بن قَيْس بن الحارث بن فِهْر — وفهرٌ أصلُ قريش ، فمن لم يكن من ولده لم يُعدّ من قريش، وقد قيل ذلك فى النَّضْر بن كنانة — وفهر ابنُ مالك بن النَّضْر بن كِنَانة بن خُزَيمة بن مُدْرِكة بن إلياس بن مُضَر . قال من ذكرْنا من النسّابين : قيسُ بن الحارث هو الخُلُجُ ، وكانوا فى عَدْوان ثم انتقلوا الى بنى نصر بن معاوية بن بكر بن هوَازِن . فلما استُخلف عمر بن الخطّاب رضى الله عنه أتَوْه ليَفْرِض لهم، فأنكر نسبَهم؛ فلما آستُخلف عثمان أتَوْه فأثبتَهم فى بنى الحارث ابن فِهْر وجعل لهم معهم ديوانا . وسُمّوا الخُلُجَ لأنهم اختلجُوا ممن كانوا معه من عَدْوان ومن بنى نصر بن معاوية . وأهل المدينة يقولون : إنما سُمّوا الخُلُجَ لأنهم نزلوا بالمدينة على خُلُج (وواحدها خليج) فسُمُّوا بذلك؛ ولهم بالمدينة عَدَدٌ . قال مُصعب : كان لإبراهيم بن هَرْمة عمٌّ يقال له هَرْمة الأعور ، فأرادت الخُلُجُ نفيَه منهم؛ فقال : أمسيتُ ألأمَ العرب دعىٌّ أدعياء . ثم قال يهجوهم :

رأيتُ بنى فِهْرٍ سِبَاطًا[1] أكُفُّهمْ * فما بالُ أَنْبُونى[2] أكفّكم قُفْدَا

(١) سباط : جمع سبط : وصف من السبوطة وهى الاعتدال والسهولة والطول . ويكنى بسبوطة اليدين عن الكرم؛ يقال : رجل سبط اليدين إذا كان سخيا سمحا كريما ، كما يقال : رجل جعد اليدين إذا كان بخيلا . (٢) كذا فى ط ، وهو الذى يقتضيه سياق الكلام . وفى ب ، س : «أكفهم» . وجملة أنبونى — وهو أمر من أنبأ خففت همزته فحذفت — معترضة بين المضاف والمضاف اليه . والقَفَد : مَيَلٌ فى الكف، يريد أنهم بخلاء .

ولم تُدرِكوا ما أدرك القومُ قبلَكم * من المجد إلا دَعْوةً[1] ألحقتْ كدَّا

على ذى أيادِى الدّهرِ أفلح جدُّهم * وخِبْتُم فلم يَصرَعْ لكم جدُّكم جَدّا

نفاه بنو فهر عنهم فعاتبهم فصار منهم لساعته

وقال يحيى بن علىّ حدّثنى أبو أيّوب المدينىّ عن المدائنىّ عن أبى سَلَمة الغِفَارىّ قال :

نَفَى بنو الحارث بن فهرٍ ٱبنَ هَرْمة، فقال :

أحارِ بنَ فهرٍ كيف تَطّرحونَنى * وجاء العِدَا من غيركم تبتغى نَصْرِى

قال : فصار من ولد فهر فى ساعته .

كان يقول : أنا ألأم العرب

قال يحيى بن علىّ وحدّثنى أحمد بن يحيى الكاتبُ قال حدّثنى العبّاسُ بن هِشَام الكَلْبىّ عن أبيه قال :

كان ٱبن هَرْمة يقول : أنا ألأمُ العرب، دَعِىٌّ أدعياءَ: هَرْمةُ دَعِىٌّ فى الخُلُج، والخُلُج أدعياءُ فى قريش .

قصته مع أسلمىّ ضانه

حدّثنى الحَرَمِىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنى عمر بن أبى بَكْر المؤمّلى قال حدّثنى عبد الله بن أبى عُبَيدة بن محمد بن عمّار بن ياسر قال :

زرتُ عبد الله بن حسن ببادِيَتِه وزاره ابنُ هرمة ، فجاءه رجل من أَسْلَمَ ؛ فقال ابن هرمة لعبد الله بن حسن : أصلحك الله ، سَلِ الأسلَمِىّ أن يأذن لى أن أُخبرك خبرى وخبرَه؛ فقال له عبد الله بن حسن : ائذن له ، فأذن له الأسلمىّ ؛ فقال له إبراهيم بن هرمة : إنى خرجت — أصلحك الله — أبغى ذَوْدًا[2] لى ،

(١) الدعوة (بالفتح وتكسر) : الاسم من ادعى بمعنى زعم .

(٢) الذود : القطيع من الإبل من الثلاث الى التسع ، وقيل : ما بين الثلاث الى الثلاثين ، ولا يكون إلا من الإناث دون الذكور . قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : «ليس فيما دون خمس ذود صدقة» .

فأوحشتُ(١) وضِفْتُ هذا الأسْلَمِيّ، فذبح لى شاة وخبز لى خبزًا وأكرمنى، ثم غدوت من عنده، فأقمت ما شاء الله، ثم خرجت أيضا فى بُغَاء ذَوْدٍ لى، فأوحشتُ فضِفْتُه فقرانى بلبن وتمر، ثم غدوت من عنده فأقمتُ ما شاء الله، ثم خرجت فى بُغَاء ذَوْدٍ لى، فأوحشتُ فقلت: لو ضِفْتُ الأسْلَمِيّ! فاللبن والتمر خيرٌ من الطَّوَى، فضِفْتُه فجاءنى بلبن حامض. فقال: قد أجبتُه — أصلحك الله — إلى ما سأل، فسَلْه أن يأذن لى أن أخبرك لم فعلتُ، فقال له: ائذن له، فأذن له، فقال الأسلمىّ: ضافنى، فسألتُه مَنْ هو؟ فقال: رجلٌ من قريش، فذبحتُ له الشاة التى ذكَر، ووالله لو كان غيرُها عندى لذبحتُه له حين ذكر أنه من قريش، ثم غدا من عندى وغدا علىّ الحىّ، فقالوا: من كان ضيفَك البارحة؟ قلت: رجل من قريش، فقالوا: لا والله ما هو من قريش، ولكنه دعىٌّ فيها، ثم ضافنى الثانيةَ على أنه دعىّ فى قريش، فجئتُه بلبن وتمر وقلت: دعىُّ قريش خيرٌ من غيره، ثم غدا من عندى وغدا علىّ الحىّ، فقالوا: من كان ضَيفَك البارحةَ؟ قلت: الرجل الذى زعمتم أنه دَعِىٌّ فى قريش، فقالوا: لا والله ما هو بدَعِىٍّ فى قريش، ولكنه دَعِىُّ أدعياءِ قريش، ثم جاءنى الثالثةَ، فقَرَيْتُه لبناً حامضًا، ووالله لو كان عندى شَرٌّ منه لقَرَيْتُه إياه. قال: فانخذل ابنُ هَرْمة، وضحِك عبد الله وضحِكنا معه.

لقيه ابن ميادة وطلب مهاجاته ثم تبين أنه يمزح

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنى الزُّبير قال حدّثنى نَوْفل بن ميمون قال:

لقِىَ ابنُ مَيّادةَ ابنَ هَرْمة، فقال ابنُ ميّادة: والله لقد كنتُ أُحِبّ أن ألقاك، لا بدّ من أن نتهاجى، وقد فعل الناسُ ذلك قبلنا، فقال ابنُ هَرْمة: بئس والله مادعوتَ إليه وأحببتَه، وهو يظُنّه جادًّا، ثم قال له ابنُ هَرْمة: أمَا والله إنى لَلّذى أقول:

(١) يقال: أوحش الرجل اذا جاع ونفد زاده.

إنى لميمونٌ جوارًا وإننى * إذا زجر الطيرَ العدا لمشُومُ
وإنى لملآنُ[1] العنانِ مُناقلٌ[2] * إذا ماونَى يومًا ألفُّ[3] سَئُومُ
فودّ رجالٌ أن أمّى تقنّعتْ * بشيب يغشّى الرأسَ وهى عقيمُ

فقال ٱبن ميّادة : وهل عندك جراء ؟[4] ثكِلَتْك أمُّكَ ، أنت ألأمُ من ذلك ! ما قلتُ إلا مازحا .

أخبرنا [به][5] وكيع قال حدّثنا محمد بن إسماعيل قال قال عبد العزيز بن عِمْران :

اجتمع ابن هَرْمة وٱبن ميّادةَ عند جُمَيع بن عمر بن الوَليد ، فقال ٱبنُ ميّادة لٱبن هَرْمة : قد كنتُ أُحبّ أن ألقاك . ثم ذكر نحوَه .

أُنكر عليه أن يمضغ الناطف مع قدوم وزير فحمله وتلق به الموكب

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك حدّثنا علىّ بن محمد بن سُلَيمان النَّوْفَلىّ قال حدّثنى أبو سَلَمة الغِفارىّ عن أبيه قال :

وفَدتُ على المهدىّ فى جماعة من أهل المدينة ، وكان فيمن وفَد يوسُف بن مَوْهَب[6] وكان فى رجال بنى هاشم من بنى نوفل، وكان معنا ٱبن هَرْمة، فجلسْنا يومًا على دكّان قد هُيِّئَ لمسجد ولم يُسقّف، فى عسكر المهدىّ، وقد كنّا نلقَى الوزراء وكبراء

(١) يقال : ملأ فلان عنان جواده اذا أعداه وحمله على الحُضْر الشديد . (٢) كذا فى ى ، ط . والمناقل : السريع نقل القوائم . وفى باقى الأصول : «مثاقل» بالثاء المثلثة وهو تحريف . (٣) الألفّ : الثقيل البطىء . (٤) كذا فى أكثر النسخ . وفى ى ، ط : «جَرَى» . والجراء (بالفتح والكسر) والجراية والجرى (بالفتح فيهما) : الفتوة . (٥) زيادة عن ط ، ى . (٦) فى اللسان والقاموس وشرحه مادّة وهب : «وموهب كمقعد اسم ، قال سيبويه : جاءوا به على مفعل (بالفتح) لأنه اسم ليس على الفعل ، اذ لو كان على الفعل لكان مفعلا (بكسر العين) ، فقد يكون ذلك لمكان العلمية لأن الأعلام مما تغير القياس» اهـ .

السلطان، وكانوا قد عرفونا؛ وإذا حِيَالَ الدُّكّان رجل بين يديه ناطِفٌ(١) يبيعه فى يوم شاتٍ شديدِ البردِ، فأقبل إذ ضربه بفأسه فتطاير جُفُوفًا؛ فأقبل ابن هَرْمة علينا، فقال ليوسف : يابن عمّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أمَا معك درهم نأكل به من هــذا الناطف ؟ فقال له : متى عَهِدتَنى أحمل الدارهم ! . قال : فقلت له : لكنّى أنا معى، فأعطيتُه درهمــا(٢) خفيفا، فاشــترى به ناطفًا على طَبَق للناطفىّ فجاء بشىء كثير، فأقبل يتمضّغه وحدَه ويحدّثنا ويضحك؛ فما راعنا إلا الموكِبُ أحدِ الوزيرين: أبى عبيــد الله أو يعقوبَ بنِ داود . ثم أقبلتِ المُطَرِّقة(٣)؛ فقلنا : مالك قاتلك الله ! يهجُم علينا هــذا وأصحابُه ، فيرَوْن الناطفَ بين أيدينا فيظنّون أنّا كنّا نأكل معك؛ قال : فوالله ما أحدٌ أولى بالسَّــتْر على أصحابه وتَقَلُّد البليّة منك يابْنَ عمّ رسول الله ! فضَــعْه بين يديك؛ قال : اعزُبْ(٤) قبّحك الله ! قال : فأنت يابْنَ أبى ذَرّ، فزبَرْتُه(٥)؛

(١) الناطف : نوع من الحلواء، وقال الجوهرى : هو القُبَّيط لأنه يتنطف قبل استضرابه أى يقطر قبل خثورته . وجعل النابغة الجعدى الخمر ناطفا فقال :

وبات فريق ينضحون كأنما * سُقُوا ناطفا من أذرعات مفلفلا

وكذلك جعلها ابن هرمة كما سيأتى قريبا فى ص ٣٧٣ (٢) يريد بذلك الدراهم الصغار ذات الوزن الخفيف . قال المقريزى فى كتابه شذور العقود فى ذكر النقود (ص ١٦ طبع أوربا) : «وكان الناس قبل عبد الملك يؤدّون زكاة أموالهم شطرين من الكبار والصغار، فلما اجتمعوا مع عبد الملك على ما عزم عليه عمد الى درهم واف فوزنه فاذا هو ثمــانية دوانيق، والى درهم من الصغار فاذا هو أربعة دوانيق، فجمعها وحمل زيادة الأكبر على نقص الأصغر وجعلهما درهمين متساويين زنة كل منهما ستة دوانيق سواء» اهـ. ثم قال : « صنع عبد الملك فى الدراهم ثلاث فضائل : الأولى أن كل سبعة مثاقيــل زنة عشرة دراهم . والثانية أنه عدل بين كبارها وصغارها حتّى اعتدلت وصار الدرهم ستة دوانيق . والثالثة أنه موافق لمــا سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فريضة الزكاة بغير وكس ولا إشطاط فمضت بذلك السنة واجتمعت عليه الأمة ... ... الخ » . (٣) لعله يريد بهم الذين يتقدّمون الموكب يفسحون له الطريق . (٤) أى اذهب وابْعُدْ . (٥) زبره : نهره وأغلظ له فى القول .

قال : فقال : قد علمتُ أنه لا يُبْتَلَى بهذا إلا دعىٌّ أدعيـاءَ عاضّ كذا من أمه ؛ ثم أخذ الطبقَ فى يده فحَمَله وتلقّ به الموكب ، فمـا مرّ به أحدٌ له نباهةٌ إلّا مازَحه، حتى مضى القومُ جميعا .

مدح عبد الله بن حسن فأكرمه

وقال هارون حدّثنى أبو حُذَافة السَّهْمِىّ قال حدّثنا إسحاقُ بن نَسْطَاس قال : كان آبنُ هَرْمة مشتهرًا بالنبيذ، فأتى عبدَ الله بن حسن وهو بالسَّيالة[(١)]، فأنشده مديحًا له ؛ فقام عبد الله إلى غنم كانت له ، فرمى بساجةٍ[(٢)] عليها فآفترقتْ فرقتين، فقال: اخترْ أيَّهما شئتَ — قال : فإما أن تكون زادت بواحدة أو نقصت بواحدة على الأخرى، قال : وكانت ثلثمائة — وكتب له إلى المدينة بدنانير؛ فقال له : يآبن هرمة، انقُلْ عيالك إلينا يكونوا مع عيالنا ؛ فقال : أفعل يآبن رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

دعاه صديق وهو يزمع السفر الى النبيذ فشرب حتى حمل سكران

ثم قدِم آبنُ هرمة المدينةَ وجهّز عيالَه لينقلهم إلى عبد الله بن حسن، وآكترى من رجلٍ من مُزَينة ؛ فبينا هو قد شدّ متاعَه وحمَله والكَرِىُّ[(٣)] ينتظره أن يتحمّل، إذ أتاه صـديق له ، فقال : أىْ أبا إسحاق ، عندى والله نبيذ يُسقط لحمَ الوجه ؛ فقال : وَيْحَك! أمَا ترانا على مثل هذه الحال! أعليها يمكن الشرابُ! فقال : إنما هى ثلاثة لا تزِدْ عليهنّ شيئا ؛ فمضى معه وهم وقوف ينظرون[(٤)]؛ فلم يزل يشرب حتى مضى من الليل صـدرٌ صالح ؛ ثم أُتى به وهو سكرانُ ، فطُرح فى شِقِّ المَحْمِل وعادلتْه[(٥)] آمرأتُه ومضَوْا ؛ فلما أسحروا رفع رأسَه فقال : أين أنا؟ فأقبلتْ عليه آمرأته تلومه وتعذُله ؛

لامته امرأته على ذلك فأجابها بشعر

وقالت : قد أفسد عليك[(٦)] هذا النبيذُ دينَك ودنياك ، فلو تعلّلتَ عنه بهذه الألبان ! فرفع رأسَه إليها وقال :

(١) السيالة كسحابة : موضع بقرب المدينة على مرحلة . (٢) الساجة : ضرب من الملاحف منسوجة ، أو هى واحدة الساج وهو خشب يجلب من الهند . (٣) الكرىّ كغنىّ : المكارى. (٤) فى ى ، ط ، م : «ينتظرون» ، وهما بمعنى واحد . (٥) عادله أى كانت معه فى الشق الآخر من المحمل . (٦) كذا فى ى ، ط . وفى سائر النسخ : «عليه» ، وهو تحريف .

لا نبتغى لبنَ البعير وعنــدنا * ماءُ الزبيب وناطفُ المِعْصارِ (١)

أخبرنا محمد بن خَلَف وَكِيع قال حدّثنا زكريّا بن يحيى بن خَلّاد قال :

هو أحد من ختم بهم الشعراء فى رأى الأصمعىّ

كان الأصمعىّ يقول: خُتم الشعراء بآبن هَرْمة، والحَكَم الخُضْرىّ (٢)، وآبن مَيّادة، وطُفَيلٍ الكِنانىّ، ومِكِين العُذْرىّ (٣) .

٥ قال هارون بن محمد بن عبد الملك حدّثنى أبو حُذافة السَّهْمىّ أحمد بن إسماعيلَ قال :

رهن رداءه لأجل النبيذ

كان آبن هَرْمة مُدْمِنًا للشراب مُغْرَمًا به ، فأتى أبا عمرو بنَ أبى راشد مولى عَدْوان، فأكرمه وسقاه أيامًا ثلاثةً، فدعا آبنُ هَرْمة بالنبيذ، فقال له غلام لأبى عمرو ابن أبى راشد : قد نفِد نبيذُنا ؛ فنزَع آبنُ هرمة رداءه عن ظهره فقال للغلام :

١٠ اذهب به الى آبن حونك (٤) (نَبّاذ كان بالمدينــة) ، فآرهَنْه عنده وأْتنا بنبيذ ففعل . وجاء ابن أبى راشــد (٥) ، فجعل يشرب معه من ذلك النبيذ ؛ فقال له : أين رداؤك يا أبا إسحاق؟ فقال : نصفٌ فى القدح ونصفٌ فى بطنك .

مدح محمد بن عمران الطلحىّ فاحتجب عنه فمدح محمد بن عبد العزيز فأجازه

قال هارون حدّثنى محمد بن عمر بن اسماعيل بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن ابن عَوْف الزُّهْرىّ قال حدّثنى عمّى عبد العزيز بن إسماعيل قال :

---

١٥ (١) فى ط ، م ، ى : « لا تبتغى » بالتاء الفوقيّة و يكون الخطاب ، على هذه الرواية لأنثى . (٢) فى ب ، س : « الحضرمى » وهو تحريف . (٣) كذا فى حـ ، ى ، حد والشعر والشعراء (ص ٤٧٣ طبع أوربا) . وفى ب ، س : « دكين » بالدال المهملة . وفى م : « ذكين » بالذال المعجمة . (٤) فى حـ : « ابن هويك » . وقد ضبط فيها بالقلم بضم الهاء وفتح الواو وسكون الياء . وفى م : « ابن حوقل » بالقاف واللام . (٥) كذا فى أكثر

٢٠ النسخ . وفى س ، م : « وجاء الى ابن حوقل بن أبى راشد » بزيادة « آبن حوقل » سهوا من الناسخ .

مدح ابنُ هَرْمة محمدَ بن عِمْرانَ الطَّلْحىّ، وبعث إليه بالمديح مع ابن رُبيح[1]، فاحتجب عنه؛ فمدح محمد بن عبد العزيز، وكان ابنُ هرمة مريضا، فقال قصيدتَه التى يقول فيها :

إنى دعوتُك إذ جُفيتُ وشفَّنى * مرضٌ تَضَاعفنى[2] شديدُ المُشْتكَى

وحُبِستُ عن طلب المعيشة وٱرتقتْ * دونى الحوائجُ فى وُعورِ المُرْتقَى

فأجبْ أخاك فقد أناف بصوته * ياذا الإخاء ويا كريمَ المُرتجَى

ولقد حُفيتَ[3] صَبِيبَ عُكّة[4] بيتنا * ذَوْبًا[5] ومزْتُ بصَفْوه عنك القَذَى

نخُذِ الغَنِيمةَ وٱغتنمنى إننى * غُنْمٌ لمثلك والمكارمُ تُشترَى

لا تَرمِيَنَّ بحاجتى وقضائها * ضَرْحَ[6] الجِجاب كما رَمَى بى مَنْ رَمَى

فركب إلى جعفر بن سليمان نصفَ النهار؛ فقال : ما نَزَعك[7] يا أبا عبد الله فى هذا الوقت؟ قال : حاجة لم أر فيها أحدًا أكفى منّى؛ قال : وما هى؟ قال : قد مدحنى ابن هَرْمة بهذه الأبيات، فأردتُ من أرزاق مائة دينار؛ قال : ومن عندى مثلُها

---

(١) كذا فى ط ، ى ، م ، وسيذكر غير مرة فى جميع الأصول كذلك . وفى حـ : «ابن زنيج» بالزاى والنون والجيم . وفى ب ، س : « ابن ربيع » ، وكلاهما تحريف . وابن ربيح هذا هو راوية ابن هرمة .

(٢) كذا فى أكثر الأصول ، ولم نجد هذه الصيغة فى كتب اللغة تدل على المعنى المراد هنا وهو أضعفنى وأسقمنى . وفى م ، حـ : « يضاعفنى » بالياء وضاعفه : جعله ضعفين ؛ فلعل المراد على هذه الرواية : مرض يضاعف شكواى .

(٣) حفيتَ : أُعطيت ، وفى م : «خفيت» بالخاء المعجمة وهو تصحيف . وفى ب ، ط ، ى ، س : «جفيت» بالجيم وهو تصحيف أيضا ؛ وفى حـ : «خُبيت» ولعلها مصحفة عن « حبيت » وهى « كحفيت » وزنا ومعنى والذى ظهر لنا فى معنى البيت أنه يريد : لقد منحت خير ما نملك وهو ما فى عكتنا من عسل مصفى ، يكنى بذلك عن مديحه الحسن .

(٤) العكّة : للسمن كالشَّكْوة للبن ، وقيل : العكّة أصغر من القربة للسمن وهو زقيق صغير . وفى الحديث : أن رجلا كان يهدى للنبىّ صلى الله عليه وسلم العكّة من السمن والعسل . قال ابن الأثير فى النهاية : « وهى وعاء من جلود مستدير، يختص بهما وهو بالسمن أخص » .

(٥) الذوب : العسل .

(٦) كذا فى ى ، ط . والضرح : أن يؤخذ شىء فيرمى به فى ناحية . وفى ب ، س : « ضوح » بالواو . وفى م : « صرح » بالصاد وكلاهما تحريف .

(٧) ما نزعك يريد : ما حركك من مكانك وما جاء بك .

قال : ومن الأمير أيضا. قال : فجاءت المائتا الدينار إلى ابن هَرْمَة، فما أنفق منها إلا دينارًا واحدا حتى مات، وورث الباقي أهلُه .

امتدح أبا جعفر فلما أجازه لم يرض وطلب أن يحتال له في إباحة الشراب

وقال أحمد بن أبي خَيْثمة عن أبي الحسن المدائنيّ قال :

امتدح ابنُ هَرْمة أبا جعفر فوصله بعشرة آلاف درهم ؛ فقال : لا تقع مني هذه ؛ قال : وَيْحَك ! إنها كثيرة؛ قال : إن أردت أن تُهَنِّئَني فأبِحْ لي الشرابَ فإني مغرمٌ به ؛ فقال : ويحك! هذا حدّ من حدود الله ! قال : احتَلْ لي يا أمير المؤمنين ؛ قال : نعم ؛ فكتب إلى والي المدينة : مَنْ أتاك بابن هرمة سكرانَ فاضرِبه مائةً واضربِ ابنَ هرمةَ ثمانينَ . قال : فجعل الجِلْوازُ[1] إذا مرّ بابن هَرْمةَ سكرانَ، قال : مَن يشتري الثمانين بالمائة ! .

امتدح الحسن بن زيد فأجازه وعرض بعبد الله بن حسن وأخويه لأنهم وعدوه وأخلفوه

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثني أبو زيد عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو سَلَمة الغِفاريّ قال أخبرنا ابن رُبَيح راويةُ ابن هرمة قال :

أصابت ابنَ هرمة أزمةٌ ؛ فقال لي في يوم حارّ : اذهب فتكارَ حمارَيْنِ الى ستة أميال، ولم يُسَمِّ موضعًا؛ فركب واحدًا وركبت واحدًا؛ ثم سِرْنا حتى صِرْنا الى قصور الحسن بن زيد ببَطْحاء ابنِ أَزْهَر ، فدخلنا مسجدَه ، فلما مالت الشمس خرج علينا مُشْتمِلا[2] على قميصه ؛ فقال لمولًى له : أَذِّنْ، فأذّنَ ولم يكلّمنا كلمة ؛ ثم قال له : أقِمْ، فأقام فصلّى بنا، ثم أقبل على ابن هَرْمة فقال : مرحبًا بك يا أبا إسحاق، حاجَتَك؟ قال : نعم ، بأبي أنت وأمّي ، أبياتٌ قلتُها — وقد كان عبدُ الله وحسنٌ وإبراهيم بنو حسن بن حسن وعَدُوه شيئا فأخلفُوه — فقال : هاتِها؛ فقال :

(١) الجِلْوَازُ: الشُّرَطيّ، وسُمّي بذلك لسُرْعَته وخفته في ذهابه ومجيئه بين يدي الأمير. (٢) كذا في جميع النسخ وهذا الفعل إنما يتعدى بالباء.

أمّا بنو هاشم حولى فقد قرَعُوا * نبلَ الضِّباب[1] التى جمّعتُ فى قَرَنِ
فما بيثربَ منهم مَنْ أُعاتبه * إلا عوائدَ أرجوهنّ من حسَنِ
اَللهُ أعطاك فضلًا من عطيّته * على هَنٍ وهَنٍ[2] فيما مضى وهَنِ

قال : حاجتَك! قال: لآبن أبى مُضَرِّس علىّ خمسون ومائةُ دينار؛ قال: فقال لمولى له : ياهَيْثم، آركَب هذه البغلة فأتنى بآبن أبى مضرِّس وذِكْرِ[3] حقه . قال : فما صلّينا العصر حتى جاء به؛ فقال له : مرحبًا بك يآبن أبى مضرّس، أمعك ذكرُ حقك على آبن هرمة؟ قال : نعم؛ قال : فآمحُه، فمحاه . ثم قال : ياهَيْثم، بِعِ آبنَ أبى مضرِّس من تمرِ[4] الخانِقَيْن بمائة وخمسين دينارًا وزده على كلّ[5] دينار ربعَ دينار، وكِلِ آبنَ هرمة بخمسين ومائة دينار تمرًا، وكِلِ آبنَ رُبَيح بثلاثين دينارًا تمرًا . قال : فآنصرفنا من عنده؛ فلقيه محمدُ بن عبد الله بن حسن بالسَّيَالة ، وقد بلغه الشعرُ، فغضب لأبيه وعُمُومته، فقال : أىْ ماصَّ بَظْرِ أُمّه! أنت القائل :

* على هَنٍ وهَنٍ فيما مضى وهَنِ *

فقال : لا والله ! ولكنّى الذى أقول لك :

لا والذى أنت منه نعمةٌ سَلَفَتْ * نرجو عواقبَها فى آخر الزمَنِ
لقد أُتيتُ بأمرٍ ما عَمَدتُ له * ولا تعمّده قولى ولا سَنَنى

(١) الضباب : الأحقاد . يقال : فى قلبه ضب أى غلّ داخل ، كالضب المعن فى جحره . والظاهر أنه يريد أن يقول : إنهم سلوا أحقادهم وأظهروا عداوتهم وأنا قد كتمتها وأخفيتها . (٢) هن : كلمة يكنى بها عن آسم الانسان . وقد كررها الشاعر ثلاثا لأنه أراد ثلاثة أشخاص معينين . (٣) ذكر الحقّ : الصكّ الذى يكتب فيه الدَّين . (٤) فى ط ، ء : « ثمر » بالثاء المثلثة . والخانقان : موضع بالمدينة وهو مجمع مياه أوديتها الثلاثة : بطحان والعقيق وقناة . (٥) فى ط ، ء ، م : « وزده فى كل دينار » .

فكيف أمشي مع الأقوام معتدلاً * وقد رَمَيتُ بَرِيءَ العُودِ بالأُبَنِ(١)
ما غَيَّرتْ وجهَه أُمٌّ مُهجَّنةٌ * إذا القَتامُ تَغَشَّى أوجُهَ الهُجُنِ(٢)

قال : وأمّ الحسن أمّ ولد .

لما عرض بعبدالله ابن حسن وأخويه قطع عنه ما كان يجريه عليه فما زال به حتى رضي

قال هارون : فحدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيوبَ بن عَبَاية قال :

٥ لما قال آبن هَرْمة هذا الشعر في حسن بن زيد ، قال عبد الله بن حسن : والله ما أراد الفاسقُ غيري وغيرَ أخَوَيّ : حسن و إبراهيم . وكان عبد الله يُجْرِي على آبن هَرْمة رزقًا فقطعه عنه وغضب عليه ؛ فأتاه يعتذر ، فنُحِّيَ وطُرِدَ ؛ فسأل رجالاً أن يكلّموه ، فردّهم ؛ فيئس من رضاه وآجتنبه وخافه . فمكث ما شاء الله ، ثم مرّ عشيّةً وعبدُ الله على زُرْبيّة(٣) في ممرّ المنبر ، ولم تكن تُبْسَطُ لأحدٍ غيره في ذلك المكان ،

١٠ فلما رأى عبدَ الله تضاءل وتَقَنْفَذَ وتصاغرَ وأسرع المشيَ . فكأنّ عبدَ الله رَقّ له ، فأمر به فرُدَّ عليه ، فقال : يا فاسقُ ، يا شاربَ الخمر ، على هَنٍ وهَنٍ أتفضِّلُ الحسنَ عليّ وعلى أخويّ ! فقال : بأبي أنت وأمّي ، وربِّ هذا القبر ما عَنيتُ إلا فرعونَ وهامانَ وقارونَ ، أفتغضبُ لهم ! فضحك وقال : والله ما أحسَبُكَ إلا كاذبًا ؛ قال : والله ما كَذَبْتُك . فأمر بأن تُرَدّ عليه جِرايتُه .

١٥ أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال أخبرني أبو أيّوب المدينيّ عن مُصْعَب قال : إنما آعتذر آبنُ هَرْمة بهذا إلى محمد بن عبد الله بن حسن .

قصيدة له خالية من الحروف المعجمة

قال يحيى : وأخبرني أبو أيّوب عن عليّ بن صالح قال :

---

(١) الأبن : جمع أُبنة وهي العقدة تكون في العود تفسده و يعاب بها . وقولهم : ليس في حسب فلان أُبنة ، أي عيب ، مأخوذ من هذا . (٢) الهجين : من أبوه خير من أمه أو من أبوه عربيّ وأمه غير عربية ، وجمعه : هُجُن وهُجناء وهجان ومهاجين ومهاجنة . (٣) الزربيّة (بفتح

٢٠ فسكون) : البساط والنمرقة ، وقيل : كل ما بسط وآتكئ عليه ، والجمع زرابيّ .

أنشدنى عامر بن صالح قصيدةً لابن هَرْمة نحوًا من أربعين بيتًا، ليس فيها حرف يُعجَم، وذكر هذه الأبيات منها، ولم أجد هذه القصيدةَ فى شعر ابن هَرْمة، ولا كنت أظن أن أحدًا تقدّم رُزَيْنًا العَرُوضىَّ الى هذا الباب، وأوّلها :

أرسمُ سَوْدة أمسى دارسَ الطَّلَلِ * مُعَطَّلًا ردّه الأحوال كالحُلَلِ

هكذا ذكر يحيى بن علىّ فى خبره أن القصيدة نحوٌ من أربعين بيتًا، ووجدتُها فى رواية الأصمعىّ ويعقوب بن السِّكِّيت اثنى عشر بيتا، فنسختها هاهنا للحاجة إلى ذلك؛ وليس فيها حرف يُعجَم إلا ما اصطلح عليه الكُتّاب من تصييرهم مكان ألف ياءً مثل أعلى فإنها فى اللفظ بالألف وهى تكتب بالياء، ومثل رأى ونحو هذا، وهو فى التحقيق فى اللفظ بالألف، وإنما اصطلح الكُتّاب على كتابته بالياء كما ذكرناه. والقصيدة :

أرسْمُ سَوْدةَ مَحْلٌ دارسُ الطَّلَلِ * مُعَطَّلٌ ردَّهُ الأحوالُ كالحُلَلِ

لما رأى أهلَها سدّوا مطالعَها * رام الصدودَ وعاد الودُّ كالمُهُلِ[1]

وعاد وُدُّك داءً لا دواءَ له * ولو دعاك طَوالَ الدهر للرحَلِ

ما وصلُ سودةَ إلا وصلُ صارمةٍ * أحلَّها الدهرُ[2] دارًا مأكلَ الوَعِلِ[3]

وعاد أمواهُها سُدْمًا[4] وطار لها * سهمٌ دعا أهلَها للصرم والعِلَلِ

صدّوا وصدّ وساء المرءَ صدُّهم * وحام للوِرْد ردْهًا حَوْمَةَ العَلَلِ

حَوْمة الماء : كثرتُه وغَمْرتُه[5]. والعَلَلُ : الشربُ الثانى . والرَّدْهُ : مُستنقع الماء .

(١) كذا فى أكثر الأصول . والمهل : ما ذاب من صُفْر أو حديد وبه فسر قوله تعالى : (وإنْ يَستَغيثُوا يُغاثُوا بماءٍ كالمُهْلِ يَشْوِى الوُجُوهَ بئسَ الشَّرابُ وساءتْ مُرْتَفَقًا) وحركت هاؤه للضرورة الشعرية ولعله يريد أنه لما حيل بينه وبينها عانَى من وُدّه لها ما يُعانيه متجرّع هذا الشراب . وفى حـ : * رام الصدود وعاد الودّ كالعمل * (٢) فى ء، ط، م : * أحلها الود دهرا معقل الوعل * وهذا لا يتفق والإهمال المراد فى هذه القصيدة . (٣) الوعل : تيس الجبل يريد بذلك استعصاءها ومنعتها . (٤) سدما : متغيرة من طول المكث . (٥) هذا تفسير غير واضح ولعله المرة من الحوم .

وحَلَّئُوه[1] رِداها ماؤها عَسَلٌ * ما ماءُ رَدْه لعَمْرُ الله كالعَسَل

دعا الحَمامُ تَماماً سَدَّ مَسْمَعَه * لما دعاه رآه طامحَ الأمَل[2]

طُمُوحَ سارحةٍ حَوْمٍ مُلَمَّعَةٍ[3] * ومُمْرِعُ السِّرِّ سهلٌ ماكِدُ السَّهل

وحاولوا رَدَّ أمرٍ لا مَرَدَّ له * والصَّرمُ داء لأهلِ اللَّوعةِ الوُصُل

٥ أحلَّك اللهُ أعلَى كلِّ مَكرُمةٍ * واللهُ أعطاك أعلَى صالحِ العمل

سهلٌ مَوَارِدُه سَمْحٌ مواعده * مُسَوَّدٌ لكرامٍ سادةٍ حُمُلِ[4]

عاب المسور بن عبد الملك شعره فقال فيه شعرا

قال يحيى بن علي وحدثني أبو أيوب المديني عن أبي حُذَيفة قال :

كان المُسَوَّر بن عبد الملك المخزومي يَعيب شعرَ ابن هَرْمة ، وكان المسوَّر هذا عالما بالشعر والنسب[5]، فقال ابن هَرْمة فيه :

١٠ إيَّاكَ لا أُلزِمَنْ لَحْيَيكَ من لُجُمِي * نِكْلًا[6] يُنكِّل قَرّاصاً[7] من اللُّجُم

يَدُقُّ لَحيَيك أو تنقادَ مُتَّبِعاً * مَشْيَ المقيَّدِ ذي القِردان[8] والحَلَم

(١) حلأ القومَ عن الماء : منعهم عنه . (٢) كذا في ء ، ط ومختار الأغاني لابن منظور . وفي باقي الأصول : * لما دعاه ودهر طامح الأمل * (٣) السارحة : الماشية . والحوم : القطيع الضخم . والملمع : الذي في جسده بقع تخالف سائر لونه . والممرع : المخصب . والسر : بطن الوادي وأكرم موضع فيه . والماكد : الدائم الذي لا ينقطع . (٤) حمل : جمع حمول وهو كثير الاحتمال لما ينوبه

١٥ لحلمه وكرمه . (٥) كذا في ط ، ء . وفي باقي الأصول : « ... والنسيب » . (٦) النكل : اللجام .
(٧) كذا في ط ، ء . والقرّاص (بالصاد المهملة) : وصف من القرص وهو معروف . وفي باقي الأصول : « قراضا » بالضاد المعجمة . والقرّاض : القطاع ، وبه يستقيم المعنى أيضا . (٨) القردان : جمع قرادة وهي دويبة تتعلق بالبعير ونحوه . (والحلم بالتحريك واحده حلمة بالتحريك أيضا) قيل :

٢٠ هو الصغير من القراد وقيل : هو الضخم ، وهو الأشهر . قال الأصمعي : القراد أول ما يكون صغيرا قَمْقامة ثم يصير حَمْنانة ثم يصير قُرادا ثم حلمة .

إنى إذا ما آمرؤٌ خَفَّتْ نَعَامته(١) * إلىّ وآستحصدتْ منه قُوَى الوَذَم(٢)

عقدتُ فى مُلتقى أوداج لَبَّتِــه * طَوْقَ الحمامة لا يَبْــلَى على القِــدَم

إنى آمرؤٌ لا أصوغ الحلىَ تَعمَــلُه * كفّاىَ لكن لسانى صائغُ الكَلِم

إنّ الأديمَ الذى أمسيتَ تَقرِظُه(٣) * جهــلًا لذو نَغَــلٍ بادٍ وذو حَلَم

ولا يَئِطّ(٤) بأيــدِى الخــالِقينَ ولا * أيدى الخوالق إلا جيّــدُ الأَدَم ٥

عاتب عبد الله بن مصعب فى تفضيله ابن أذينة عليه

قال يحيى وحدّثنى أبو أيّوب عن مُصْعَب بن عبد الله عن أبيه قال :

لقينى آبنُ هرمة فقال لى : يابنَ مُصْعَب، أتُفضّل علىّ آبنَ أُذَيْنة! أمَا شكرت قــولى :

فمــا لك مختــلًا عليك خَصَاصــةٌ * كأنك لم تَنْبُتْ ببعض المنــابتِ

كأنك لم تَصحَبْ شُعَيبَ بن جعفرٍ * ولا مُصْعَبًا ذا المكرمات آبنَ ثابت ١٠

ـــ يعنى مصعب بن عبد الله ـــ قال : فقلت : يا أبا إسحاق، أقِلْنى ورَوِّنى من شعرك ما شئتَ، فإنى لم أروِ لك شيئا، فروّانى عبّاسيّاته(٥) تلك .

ثناؤه على ابراهيم بن عبد الله وابراهيم بن طلحة لاكرامهما له وشعره فى الأول

قال يحيى : وأخبرنى أبو أيّوب المَدِينىّ عن مُصْعَب بن عبد الله عن مُصْعَب ابن عثمان قال :

---

(١) النعامة : القدم . و يكنى بخفة النعامة عن السرعة، يقال : خفت نعامتهم، أو شالت نعامتهم، اذا أسرعوا . (٢) الوذم (بالتحريك) : سيور تقدّ مستطيلة . واستحصاد قواها : إحكام فتلها، وقد يكنى بذلك عن الغضب، فيقال : استحصد حبل فلان اذا غضب . (٣) الأديم : الجلد . و يقرظه : يدبغــه بالقرظ لإصلاحه . والنغل (بالتحريك) : الفساد . والحلم (بالتحريك) : فساد فى الجلد، سببه أنه يقع فيه دود فيتثقب . (٤) يئط : يصوّت . والخالقون : وصف من قولهم : خلق الجلد اذا قدّره قبل قطعه . (٥) لعله يريد قصائده التى مدح بها بنى العباس .

قال ابن هَرْمة : ما رأيتُ أحدًا قطُّ أسخَى ولا أكرَمَ من رجلين : إبراهيمَ ابنِ عبد الله بن مُطيع، و إبراهيمَ بنِ طَلْحة بن عمرو بن عبد الله بن مَعْمَر . أمّا إبراهيم ابن طلحة فأتيته فقال : أحسِنوا ضيافةَ أبي إسحاق، فأُتِيتُ بكلّ شيء من الطعام، فأردتُ أن أُنشِدَه، فقال : ليس هذا وقتَ الشعر . ثم أخرج الغلامُ إليّ رُقعةً فقال : ائت بها الوكيلَ، فأتيتُه بها، فقال : إن شئتَ أخذتُ لك جميع ما كتب به، و إن شئتَ أعطيتُك القيمة، قلت : وما أمَرَ لي به؟ فقال : مائتا شاة برِعَائها وأربعةُ أجمالٍ وغلامٌ جَمّال ومِظلّةٌ وما تحتاج إليه، وقوتُك وقوتُ عيالك سنةً، قلت : فأعطِني القيمةَ، فأعطاني مائتي دينار . وأما إبراهيم بن عبد الله فأتيته في منزله بمُشَاش[1] على بئر ابن الوليد[2] بن عثمان بن عَفّان، فدخل إلى منزله ثم خرج اليّ برُزْمة من ثياب وصُرّةٍ من دراهم ودنانيرَ وحُلِيّ، ثم قال : لا والله ما بَقَّينا في منزلنا ثوبًا إلا ثوبًا نُواري به امرأةً ولا حَلْيًا ولا دينارا ولا درهما . وقال يمدح إبراهيم :

أَرّقتْني تلومُني أمُّ بكرٍ * بعد هَدْءٍ واللَّوْمُ قد يُؤذيني
حذّرتني الزمانَ ثُمّتَ قالت * ليس هذا الزمانُ بالمأمون
قلت لمّا هبّتْ تُحذّرني الدهـ * ـرَ دَعِي اللّومَ عنك واستَبْقيني
إنّ ذا الجودِ والمكارم إبرا * هيمَ يَعنيه كلُّ ما يَعنيني
قد خبَرْناه في القديم فألفيـ * ـنا مواعيدَه كعَيْن اليقين
قلتُ ما قلتُ للذى هو حقٌّ * مستبينٌ لا للّذى يُعطيني

---

(١) مشاش : (بضم أوله وشين معجمة أيضا في آخره) : موضع بين ديار بني سليم و بين مكة، و بينه و بين مكة نصف مرحلة . (انظر معجم ما استعجم للبكرى في اسم مشاش ج ٢ ص ٥٦٠ طبع أوربا) .

(٢) في ء، ط : « بئر الوليد » . وكان لعثمان بن عفان (رضى الله عنه) ابن يسمى الوليد ، ولا ندرى أكانت هذه البئر له أم لابنه .

نَضَحتْ أرضَنا سماؤك بعد الـ * ـجَدْب منها وبعد سوء الظُّنون

فرعَيْنا آثارَ غيثٍ هَراقَتْ * ـه يَدَا مُحكَم القُوَى مَيْمُونِ

طلب من محمد بن عمران علفا بإغراء محمد الزهرى فأعطاه كل ما ورده

وقال هارون حدّثنا حمّاد عن عبد الله بن إبراهيم الجُمَحِىّ :

أن إبلًا لمحمد بن عِمْران تحمل علفًا مرّت بمحمد بن عبد العزيز الزُّهْرِىّ ومعه ابن هَرْمة، فقال : يا أبا إسحاق، أَلَا تستعلف محمدَ بن عِمْرانَ! وهو يريد أن يعترضه لمنعه فيهجوه ؛ فأرسل ٱبن هَرْمة فى أثر الحَمُولة رسولًا حتى وقف على ٱبن عمران، فأبلغه رسالتَه ؛ فردّ إليـه الإبلَ بما عليها ، وقال : إن ٱحتجْتَ إلى غيرها زِدناك . فأقبل ٱبنُ هَرْمة على محمد بن عبد العزيز ، فقال له : اغسِلْها عنّى، فإنه إن علِم أنّى ٱستعلفتُه ولا دابّة لى وقعتُ منه فى سَوْءة(1)؛ قال : بماذا ؟ قال: تُعْطِينى حمارَك؛ قال: هو لك بسَرْجه ولجامه؛ فقال ابنُ هَرْمة : مَنْ حفَر حفرةَ سوءٍ وقع فيها .

وفد على السرىّ ابن عبد الله باليمامة ومدحه فأكرمه وكان يحب لقاءه

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثنا أبو يحيى هارون بن عبدالله الزُّهْرِىّ عن ابن زُرَيق(2)، وكان منقطعا إلى أبى العبّاس بن محمد(3) وكان من أَرْوَى الناس، قال :

كنت مع السَّرِىّ بن عبـد الله باليمـامة ، وكان يتشـوّق إلى إبراهيم بن علىّ ابن هَرْمة ويُحبّ أن يفِد عليـه ؛ فأقول : ما يمنعك أن تكتب إليـه ؟ فيقول : أخاف أن يُكلّفنى من المؤونة مالا أُطيق ؛ فكنت أكتب بذلك إلى ٱبن هرمة ، فكرِه(4) أن يَقدَم عليه إلا بكتاب منـه ؛ ثم غُلِب فشخص إليه ، فنزل علىّ ومعه راوِيتُـه ابن رُبَيح ؛ فقلت له : ما مَنَعك من(5) القدوم على الأمير وهـو من الحـرص

(1) فى ط ، ء ، م : « وقعت معه » . (2) كذا فى جميع الأصول فيما سيأتى ص ٣٨٦ وفى أكثر الأصول هنا : « عن أبى زريق » . وفى م ، سـ : «ابن أبى زريق» . (3) أبو العباس بن محمد : هو عبد الله السفاح أوّل خلفاء بنى العباس . (4) فى ط ، ء : «فيكره» . (5) كذا فى ط ، ء ، م . وفى باقى الأصول : « ما يمنعك » .

على قدومك على ما كتبتُ به إليك؟ قال : الذى منعه من الكتّاب إلىّ . فدخلت على السرىّ فأخبرته بقدومه ، فسُرّ بذلك وجلس للناس مجلسًا عامًّا ، ثم أذن لابن هَرْمة فدخل عليه ومعه راويته ابن رُبَيح ، وكان ابن هَرْمة قصيرا دميما أُرَيْمِص،[1] وكان ابن رُبيح طويلا جسيما نقىّ الثياب ، فسلّم على السّرىّ ثم قال له : أصلحك الله إنى قد قلتُ شعرا أثنيتُ فيه عليك ، فقال : أَنْشِدْ ، فقال : هذا يُنْشِد ، فجلس فأنشده ابن رُبَيح قصيدتَه التى أوّلها :

عُوجَا على ربعِ لَيْلى أُمِّ محمودِ * كيما نُسائلَه مِن دون عَبُّودِ[2]

عن أمّ محمودَ إذ شَطّ المزارُ بها * لعلّ ذلك يَشْفى داءَ مَعمودِ[3]

فعرّجا بعد تغويرٍ وقد وقفتْ[4] * شمسُ النهار ولَاذَ الظلُّ بالعودِ

شيئًا فما رَجَّعتْ أطلالُ منزلةٍ * قَفْرٍ جوابًا لمحزون الجَوَى مُودِى[5]

ثم قال فيها يمدح السّرىّ :

ذاك السرىّ الذى لولا تدفُّقُه * بالعُرْفِ متناحليفُ المجد والجودِ[6]

مَنْ يعتمدكَ ابنَ عبد الله مجتَديًا[7] * لسَيْب عُرفك يَعمِدْ خير معمودِ[8]

---

(١) أريمص : تصغير أرمص ، وصف من الرمص فى العين وهو كالغمص ، وقيل : الرمص : ما سال مما تلفظ به العين ، والغمص : ما جمد ، وقيل العكس . (٢) عبود وصغر : جبلان مابين المدينة والسيالة ينظر أحدهما الى الآخر . و بينهما طريق المدينة . (٣) المعمود : من هدّه العشق . (٤) التغوير : النزول وقت القائلة . وفى ى ، ط : « تعويق » . والتعويق : الانصراف عن الشىء والانحباس عنه . وفى مختار الأغانى لابن منظور : « تطويل » . (٥) المودى : الهالك . (٦) كذا فى حـ : وفى سائر النسخ :

* بالعرف مات حليف المجد والعود *

(٧) فى حـ : « مجتهدا » . (٨) معمود : مقصود . يقال : عمده يعمده اذا قصده .

يابن الأُسَاة الشُّفَاة المُسْتغاثِ بهم * والمُطْعِمين ذُرَى الكُومِ المَقَاحِيد (١)

والسابقـين إلى الخيرات قومَهُمُ * سبقَ الجياد إلى غاياتها القُـودِ (٢)

أنت ٱبن مُسْلَنْطِح البَطْحاء مَنْبِتكمْ * بطحاءُ مكة لا رُوسُ القَرَاديد (٣)

لكُمْ سِقايتُهـا قِدَمًا ونَدْوتُهـا (٤) * قـد حازها والدٌ منكم لمولود

لولا رجاؤك لم تَعْسِفْ بنا قُلُصٌ * أجوازَ مَهْمهةٍ قَفْر الصُّوَى بِيد (٥)

لكن دعانى وميضٌ لاح معترضًا * من نحو أرضك فى دُهمٍ مَنَاضِيد (٦)

وأنشده أيضا قصيدةً مدحه فيها، أوّلهـا :

أفى طَلَلٍ قَفْـرٍ تحمَّـلَ آهلُهْ * وقفتَ وماءُ العـين ينهلُّ هامِـلُهْ

تُسائلُ عن سَـلْمَى سَفَاهًا وقد نأتْ * بسَـلْمَى نوًى شَحْطٌ فكيف تُسائلُهْ

---

(١) كذا فى أكثر الأصول . والذرى (بضم الذال) : جمع ذروة (بضم الأوّل وكسره) وذروة كل شىء : أعلاه ، وذروة السنام والرأس : أشرفهما . والكوم : جمع أكوم وكوماء وهى الناقة الضخمة السنام . والمقاحيد : جمع مقحاد وهى أيضا الناقة العظيمة السنام . وفى ى ، ط ، م : «ذرى الكوم الفراقيد» والفراقيد : جمع فرقد وهو ولد البقرة ، وقيـل : ولد البقرة الوحشـية . وظاهر أن الرواية الأولى هى الصـحيحة . (٢) القود : جمع أقود وهو من الخيل الطويل العنق . (٣) اسلنطح الوادى : اتسع . (انظر ص ٣١٧ من هذا الجزء) . وروس : جمع رأس ، خففت همزته . والقراديد : جمع قردود وهو ما ارتفع من الأرض وغلظ ، وقيل : جمع قردد ، وزادوا اليـاء كراهية التضعيف . (٤) السقاية : ما كانت قريش تسـقيه الحجاج من النبيذ المنبوذ فى المـاء ، وكان يليها العبـاس بن عبـد المطلب فى الجاهلية والاسـلام . والندوة : هى دار الندوة بمكة وهى التى بناها قصىّ ، سميت بذلك لاجتماعهم فيها لأنهـم كانوا اذا حزبهم أمر ندوا اليها للتشاور . (٥) كذا فى أكثر الأصول . والعسف : السـير فى المفازة وقطعها بغير قصد ولا هداية ، والصوى : الأعلام من الحجـارة تنصب فى الفيافى والمفازات المجهولة يستدل بها على الطريق . وفى حـ :

* أجواب مهمهة قفر الطوى بيد *

والأجواز والأجواب بمعنى ، من جاز المكان وجابه اذا قطعه . والطوى : ما يطوى ، من طوى البلاد أى قطعها ، وطوى المكانَ جاوزه الى غيره . (٦) دهم : سود . ومناضيد : متراكبة بعضها فوق بعض ، يريد سحبا هذا وصفها .

وترجو ولم يَنطِق وليس بناطقٍ * جوابًا مُحيلٌ[1] قد تحمّل آهلُهْ

ونُؤْىٌ كخطّ النونِ ما إن تَبِينُهُ * عفَتْه ذيولٌ[2] من شَمالٍ تُذايِلُهْ[3]

ثم قال فيها يمدح السَّرِىّ :

فقل للسَّرِىّ الواصلِ البرّ ذى النَدَى * مديحًا إذا ما بُثّ صُدِّق قائلُهْ

٥ جوادٌ على العِلّاتِ يهتزُّ للنَّدَى * كما اهتزّ عَضْبٌ أخلصتْه صَياقِلُهْ

نَفَى الظلمَ عن أهل اليمامة عدلُهُ * فعاشوا وزاح[4] الظلمُ عنهم وباطلُهْ

وناموا بأمنٍ بعد خوفٍ وشِدّةٍ * بسيرةِ عَدلٍ ما تُخافُ غَوائلُهْ

وقد علِم المعروفُ أنك خِدْنُه * ويعلمُ هذا الجوعُ[5] أنك قاتِلُهْ

بكَ اللهُ أحيا أرضَ حَجْرٍ وغيرَها[6] * من الأرض حتى عاش بالبقل آكلُهْ

١٠ وأنت تُرَجَّى للذى أنت أهلُهُ * وتنفعُ ذا القربى لديك وَسائلُهْ

وأنشده أيضا ممّا مدحه به قولَه :

* عُوجا نُحَيِّ الطلولَ بالكَثَبِ[7] *

يقول فيها يمدحه :

دَعْ عنك سَلْمى وقُلْ مُحَبَّرةً[8] * لِماجِدِ الجَدّ طيّبِ النَسبِ

١٥ مَحضٍ مُصفًّى العروقِ يَحْمَدُه * فى العُسرِ واليُسرِ كلُّ مُرتَغِبِ

(١) المحيل : الذى أتت عليه أحوال فغيّرته . يقال : أحالت الدار وأحولت . (٢) ذيل الريح : ما انسحب منها على الأرض ، وذيل الريح أيضا : ما تتركه فى الرمال على هيئة الرسن ، وما جرّته على الأرض من التراب والقتام . وقيل : أذيال الريح مآخيرها التى تكسح بها ما خف لها . (٣) تذايله : لعله يريد أنها تجر عليه ذيولها وتعفيه . وفى أكثر الأصول : «تذائله» بالهمز . (٤) زاح مثل

٢٠ انزاح فعلان لازمان كلاهما بمعنى ذهب . (٥) فى مختار الأغانى : «الجور» بالراء المهملة .

(٦) كذا فى أكثر الأصول . والحجر (بالفتح) : مدينة اليمامة وأم قراها . وفى م :

* بك الله أحيا الأرض حجرا وأهلها *

(٧) الكثب (بالتحريك) : موضع بديار بنى طيئ . (٨) حبّر الشعرَ والكلام : حسّنه وأجاده .

الواهبِ الخيلَ فى أعنّتها * والوُصَفاءَ الحِسانَ كالذهبِ
مجـدًا وحمـدًا يُفيـده كرمًا * والحمدُ فى الناس خيرُ مكتَسَب

قال : فلما فرغ ٱبن رُبَيح، قال السَّرىّ لابن هَرْمة : مرحبًا بك يا أبا إسحاق، ما حاجتُك ؟ قال: جئتك عبدًا مملوكا؛ قال : [لا!](1) بل حرًّا كريمًا وٱبنَ عم، فما ذاك؟ قال: ماتركتُ لى مالًا إلا رهنته، ولا صديقًا إلا كلّفتُه — قال أبو يحيى : يقول لى ابن زُرَيق(2) : حتى كأن له ديَّانًا وعليه مالا — فقال له السَّرىّ : وما دَينُك؟ قال : سبعمائة دينار؛ قال: قد قضاها الله عزّ وجلّ عنك. قال : فأقام أيامًا، ثم قال لى : قد ٱشتقتُ؛ فقلت له : قل شعرًا تَشَوَّق فيه؛ فقال قصيدتَه التى يقول فيها :

أ ألحمامـة(3) فى نخـل ٱبن هَـدّاجٍ * هاجت صبابةَ عانى القلب مُهتاجِ
أم المخبِّر أنّ الغيثَ قد وضَعَتْ * منـه العشارُ تمامًا غيرَ إخداج(4)
شقَّتْ(5) سوائفُها بالفَرْش(6) من مَلَلٍ * إلى الأعارف(7) من حَزْنٍ وأولاج(8)
حتى كأن وجوهَ الأرض مُلْبَسةٌ * طرائفًا من سَدَى عَصْبٍ وديباجِ

(1) الزيادة عن مختار الأغانى لابن منظور . (2) كذا ورد هـذا الاسم هنا فى جميع الأصـول : انظر ص ٣٨٢ من هذا الجزء . (3) فى مختار الأغانى لابن منظور : « إن الحمامة » . (4) أخدجت الناقة : ألقت ولدها قبل أوانه لغير تمـام الأيام و إن كان تام الخلق . (5) كذا فى م . وشقت : انفطرت عن النبات، يقال : شق النبات يشق شقوقا، وذلك أول ما تنفطر عنه الأرض . والسوائف : جمع سائفة وهى أرض بين الرمل والجلَد أو جانب من الرمل ألين ما يكون . ولعل المراد بالضمير المستتر فى شقّت الأرض التى أصابهـا ذلك الغيث . وفى باقى الأصول : « شفت شوائفها » . (6) الفرش، كما فى معجم البلدان لياقوت، واد بين غَمِيس الحَمَام ومَلَل . نزله رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مسيره الى بدر . وملل : موضع بين الحرمين ، وسمى به لأن المـاشى اليه من المدينـة لا يبلغه إلا بعد ملل وجهد ، وقد نزله أيضا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مسيره الى بدر . (7) الأعارف كما فى ياقوت : جبال باليمامة . (8) كذا فى م . والحزن : ماغلظ من الأرض . والأولاج : الغامض من الأرض، واحده : وَلَجَة . وفى باقى الأصول : « من حزن وأوجاج » .

وهي طويلة مختارة من شعره، يقول فيها يمدح السّرىّ :

أمّا السّرىّ فإنى سوف أمدَحُه * ما المادحُ الذاكرُ الإحسانِ كالهاجى

ذاك الذى هو بعد الله أنقذنى * فلستُ أنساه إنقاذى وإخراجى

ليثٌ بَحْجرٍ إذا ما هاجَه فَزَعٌ * هاج إليه بإلجامٍ وإسراجِ

لأحبُوَنّك ممّا أصطفِى مِدَحًا * مُصَاحِبَاتٍ لعُمّارٍ وحُجّاجِ ٥

أسدَى الصنيعةَ من بِرٍّ ومن لَطَفٍ * إلى قَرُوعٍ لِبَابِ المُلْكِ وَلّاجِ

كم من يدٍ لك فى الأقوام قد سَلَفَتْ * عند امرئٍ ذى غِنًى أو عند محتاج

فأمر له بسبعمائة دينار فى قضاء دَينه، ومائةِ دينار يتجهّز بها، ومائةِ دينار يُعَرِّض بها أهلَه، ومائةِ دينار إذا قَدِم على أهله.

١٠ قوله : يعرِّض بها أهلَه أى يُهدى لهم بها هديّة، والعُرَاضَةُ : الهديّةُ؛ قال الفرزدق يهجو هشام بن عبد الملك :

كانت عُرَاضَتُك التى عرَّضتَنا * يوم المدينة زَكْمَةً وسُعَالَا

أنكر شعراله فى بنى فاطمة خوفا من العباسيين

أخبرنى الحَرَمِىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى نَوْفَل بن ميمون قال أخبرنى أبو مالك محمد بن علىّ بن هَرْمة قال :

١٥ قال ابنُ هَرْمة :

ومهما أُلامُ على حبّهم * فإنى أُحبُّ بَنى فاطمهْ

بَنِى بنتِ مَن جاء بالمُحكَما * تِ والدّين والسُّنّة القائمهْ

فلقيه بعد ذلك رجلٌ ، فسأله : مَن قائلُها ؟ فقال : مَنْ عَضّ بَظْرَ أمّه ؛ فقال له ٱبنه : يا أبت ، ألستَ قائلَها؟ قال: بلى؛قال : فلِمَ شَتَمْتَ نفسَك؟ قال : أليس أن يَعَضّ المرءُ بَظْرَ أمّه خيرٌ من أن يأخذَه ٱبنُ قَحْطَبَة (١) ! .

خبره مع رجل يتاجر بعرض ٱبنتيه

أخبرنا الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا جعفر بن مُدْرِك الجَعْدىّ قال :

جاء ٱبنُ هَرْمة إلى رجل كان بسوق النَّبَط ، معه زوجةٌ له وٱبنتان كأنهما ظبيتان [يقود عليهما] (٢) ، بمال فدفعه إليه ، فكان يشترى لهم طعاما وشرابا ؛ فأقام ٱبن هَرْمة مع ٱبنتيه حتى خفّ ذلك المال ؛ وجاء قوم آخرون معهم مال ؛ فأخبرهم بمكان ٱبن هَرْمة ؛ فٱستثقلوه وكرهوا أن يعلَم بهم ؛ فأمر ٱبنتيه ، فقالتا له : يا أبا إسحاق ، أمَا دَرَيْتَ ما الناسُ فيه ! [قال : وما هم فيه؟ قالتا :] (٣) زُلْزِل بالرَّوْضة ، فتغافلهما ؛ ثم جاء أبوهما متفازعًا ، فقال : أيْ أبا إسحاق ، ألَا تَفْزَع لما الناسُ فيه ! قال : وما هم فيه ؟ قال : زُلْزِل بالرَّوْضة ؛ قال : قد جاءكم الآنَ إنسانٌ معه مالٌ ، وقد

(١) هو حميد بن قحطبة بن شبيب بن خالد بن جعدان الطائى . ولى مصر من قبل الخليفة أبى جعفر المنصور بعد عزل محمد بن الأشعث فى أوائل سنة ثلاث وأربعين ومائة . وكان أميرا شجاعا وقائدا مقداما عارفا بأمور الحروب والوقائع ، وتنقل فى الأعمال الجليلة ، معظما عند بنى العباس ، وقد حضر مع أبيه قحطبة كثيرا من الوقائع فى ابتداء دعوة بنى العباس . ومات فى خلافة المهدى سنة تسع وخمسين ومائة (راجع النجوم الزاهرة ج ١ ص ٣٤٩ طبع دار الكتب المصرية) . وفى مختصر كتاب الأغانى المسمى بتجريد الأغانى من ذكر المثالث والمثانى لابن واصل الحموى المتوفى سنة ٦٩٧ هـ ورد بعد ذكر هذا الخبر ما نصه : «قلت وإنما خاف ٱبن هرمة من نسبة الشعر اليه لأن المنصور كان شديد الطلب لمن يميل الى العلويين والتتبع لمن يحبهم بخروجهم عليه ، وكان خرج عليه محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب بالمدينة وأخوه ابراهيم بالبصرة سنة خمس وأربعين ومائة فهزما وقتلا وحمل رأسهما اليه» اهـ . (٢) الزيادة عن مختصر الأغانى لابن واصل الحموى (ص ١٩٢ من النسخة الفتوغرافية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٠٧١ أدب) . (٣) الزيادة من مختار الأغانى لابن منظور (ص ٨٥ طبع مصر) .

نَفَضتُ[1] ما جئتكم به وثَقُلتُ[2] عليه، فأردتَ إدخالَه وإخراجى؛ أيُزَلزَل برَوضةٍ من رِيَاض الجنّة ويُترك منزلُك وأنت تجمَع فيه الرجالَ على آبنتيك! والله لاعدتُ إليه! وخرج من عنده.

١١١/٤

ورَوَى هــذا الخبرَ عن الزُّبَير هارونُ بن محمد الزّيات فزاد فيه، قال: ثم خرج من عندهم فأتى عبــدَ الله بن حسن، فقال: إنى قد مدحتُك فآستمع منّى؛ قال: لا حاجةَ لى بذلك، أنا أُعطيك ما تريد ولا أسمع؛ قال: إذًا أُسقُط ويَكسُــد سُوقى[3]؛ فسَمِع منه وأمر له بمائتى[4] دينار، فأخذها وعاد إلى الرجل، وقال: قد جئتُك بما تُنفقه كيف شئت؛ ولم يزل مقيمًا عنده حتى نفِدَتْ.

قصته مع محمد بن عبدالعزيز ومحمد بن عمران وغيرهما

قال الزُّبَير: وحدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله بن عبــد العزيز قال حدّثنى عمّى عِمْران بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف قال:

وافينا الحجَّ فى عامٍ من الأعوام الخالية، فأصبحتُ بالسَّيَالة، فإذا إبراهيمُ بن علىّ ابن هَرْمة يأتينا، فاستأذن على أخى محمد بن عبد العزيز فأذن له، فدخل عليه فقال: يا أبا عبد الله، ألا أُخبرُك ببعض ماآستَظْرِفُ[5]؟ قال: بلى، وربما فعلت يا أبا إسحاق؛ قال: فإنه أصبح عنــدنا هاهنا منذُ أيّام محمــدُ بن عِمْران وإسمــاعيلُ بن عبد الله ابن جُبَير، وأصبح آبن عِمْران بجملين له ظالعَينْ[6]، فإذا رسولُه يأتينى أنْ أجبْ، فخرجتُ

(١) كذا فى م . والذى فى اللسان : «وأنفض القوم : نفد طعامهم وزادهم مثل أرملوا ... وأنفضوا زادهم أنفــدوه ... ونفض القوم نفضا : ذهب زادهم ... وقوم نفض أى نفضوا زادهم» . وفى باقى الأصول : «تنضب» وهو تحريف . (٢) فى م : «وثقلت عليكم» . (٣) فى مختار الأغانى : «شعرى» . (٤) فى مختار الأغانى : «بمائة» . (٥) فى م : «ألا أخبرك ببعض ما يُستطرف» . (٦) الظالع : الذى يغمز فى مشيه .

حتى أتيتُه، فأخبرنى بطَلْع جمليه، وقال لى: أردتُ أن أبعثَ إلى ناضِحَين[1] لى بعَمْق[2] لعلِّى أُوتَى بهما إلى هاهنا لأَمضىَ عليهما، و يصيرَ هذان الظالعان إلى مكانهما، ففرِّغ لنا دارَكَ واشترِ لنا عَلَفًا وٱستَلِنْه بجَهْدك، فإنا مقيمون هاهنا حتى تأتينا[3] حالُنا؛ فقلت: فى الرَّحْب والقُرْب، والدّارُ[4] فارغة، وزوجتُه طالقٌ إن اشتريتُ عُودَ علَف، عنـدى حاجتُك منه؛ فأنزلتُه ودخلتُ إلى السوق، فما أبقيت فيه شيئاً من رِسْلٍ[5] ولا جِداء ولا طُرْفةٍ ولا غير ذلك، إلا ٱبتعتُ منه فاخِرَه و بعثتُ به إليه مع دَجَاج كان عندنا . قال: فبينا أنا أدور فى السوق إذ وقف علىّ عبدٌ لإسماعيل بن عبد الله يُساوِمُنى بحمل عَلَف لى، فلم أزَلْ أنا وهو حتى أخذه منى بعشرة دراهم ، وذهب به فطَرَحه لظَهْره ، وخرجتُ عند الرواح أتقاضَى العبدَ ثمنَ حِملى، فإذا هو لإسماعيل ابن عبد الله ولم أكن دريتُ؛ فلما رآنى مولاه حيّانى و رحّب بى ، وقال : هل من حاجةٍ يا أبا إسحاق؟ فأعلمه العبدُ أن العلَفَ لى؛ فأجلسنى فتغـدّيتُ عنده ، ثم أمر لى مكانَ كل درهم منها بدينار، وكانت معه زوجته فاطمة بنت عبّاد، فبعثتْ إلىّ بخمسة دنانير . قال : وراحوا، وخرجتُ بالدنانير ففرّقتها على غُرَمائى، وقلت : عند ٱبن عِمران عوضٌ منها . قال : فأقام عندى ثلاثاً، وأتاه جَمَلاه ، فما فعلَ بى شيئا؛ فبينا هو يترحَّل وفى نفسه منِّى ما لا أدرى به، إذ كلّم غلامًا له بشىء فلم يفهم؛ فأقبل علىّ فقال : ما أقدِرُ على إفهامه مع قُعودك عندى، قد والله آذيتَنى ومنعتَنى[6] ما أردتُ؛ فقمت مُغتمًّا بالذى قال؛ حتى إذا كنت على باب الدار لقِينى إنسان ،

(١) الناضح : البعير يستقى عليه ثم استعمل فى كل بعير و إن لم يحمل الماء . (٢) عمق : ماء ببلاد مزينة من أرض الحجاز، كما فى معجم ما استعجم للبكرى . (٣) كذا فى م . وفى سائر النسخ : «حتى يأتينا» . (٤) فى م : «الدار» بدون واو . (٥) الرسل (بكسر الراء) : اللبن ما كان . والجداء : جمع جدى، وهو الذكر من أولاد المعز . والطرفة : ما يطرف به الرجل صاحبه و يتحفه به . (٦) فى م : «قد والله آذيتنى ومنعنى مكانك معى مما أردت» .

فسألني : هل فعل إليك شيئا؟[1] فقلت : أنا والله بخير إذ تلف[2] مالى وربحت بدنى. قال : وطلع علىّ وأنا أقولها، فشتمنى والله يا أبا عبد الله حتى ما أبقى لى، وزعم أن لولا إحرامه لضربنى؛ وراح وما أعطانى درهما؛ فقلت :

يامن يُعين على ضيف ألمّ بنا * ليس بذى[3] كرم يُرجى ولا دِين[4]

٥ أقام عندى ثلاثا سُنّةً سلفت * أغضيتُ منها على الأقذاء والهُون

مسافةُ البيت عَشْرٌ غير مُشكلة * وأنت تأتيه فى شهرٍ وعشرين[5]

١١٢/٤ لستَ تُبالى فواتَ الحجّ إن نَصِبتْ * ذاتُ الكَلال وأسمنتَ ابن حرقين

تحدّث الناس عما فيك من كرم * هيهاتَ ذاك لضيفان المساكين

أصبحتَ تخزُن ما تحوى وتجمعه * أبا سليمانَ من أشلاءِ[6] قارون

١٠ مثلُ ابن عِمرانَ آباءٌ له سلفوا * يجزُون فعلَ ذوى الإحسان بالدون

ألّا تكون كإسماعيلَ إنّ له * رأيًا أصيلًا وفعلًا غير ممنون

أو مثل زوجته فيما ألمّ بها * هيهاتَ مَنْ أُمُّها ذات النطاقين[7]

فلما أنشدها قال له محمد بن عبد العزيز : نحن نُعينك يا أبا إسحاق — لقوله : «يا من يُعين» — قال : قد رفعك الله عن العَوْن الذى أريده، ما أردتُ إلّا رجلا

---

١٥ (١) كذا فى م . وفى سائر الأصول : «هل فعل إلىّ شيئا» . (٢) فى م : «أنا والله بخير أن تلف ... » وكلتا العبارتين صحيحة . (٣) فى م : «فليس ذا كرم ... ... » . (٤) فى حـ : « ... ... على الأقذاء فى عينى » . (٥) كذا فى أكثر الأصول ، وفى : حـ «ابن حرفين» بالفاء . (٦) لعله يريد : من بقايا قارون ، أو لعلها محرفة عن أسلاب . (٧) ذات النطاقين : أسماء بنت أبى بكر الصديق ، سميت بذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها :

٢٠ «أنت ونطاقاك فى الجنة» . وقد دخل هذا الشعر السناد وهو أن يخالف الشاعر بين الحركات التى تلى الأرداف فى الروىّ .

مثل عبد الله بن خِنْزِيرة وطلحة أَطْباء الكلبة يُمسكونه لى وآخُذ خُوطَ سَلَمٍ فأُوجعُ به خواصرَه وجَواعِرَه . قال : ولما بلغ فى إنشاده إلى قوله :

* مثلُ ٱبن عمرانَ آباءٌ له سَلَفوا *

أقبل علىّ، فقال : عُذْرًا إلى الله تعالى و إليكم ، إنى لم أَعْنِ من آبائه طلحة بن عُبَيد الله . قال: ونزل إليه إسماعيل بن جعفر بن محمد، وكان عندنا، فلم يكلّمه حتى ضرب أنفَه ، وقال له : فعَنَيتَ من آبائه أبا سليمانَ محمد بن طلحة يادعىّ! قال : فدخلنا بينهما . وجاء رسول محمد بن طلحة بن عُبَيد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه إلى ٱبن هَرْمة يدعوه فذهب إليه؛ فقال له : ما الذى بلغنى من هجائك أبا سليمان! والله لا أرضَى حتى تَحلِفَ ألّا تقولَ له أبدًا إلا خيرا، وحتى تلقاه فتَرضّاه إذا رجع، وتحتمل كلّ ما أزلّ إليك وتمدحه؛ قال : أفعل، بالحبّ والكرامة؛ قال : وإسماعيل بن جعفر لا تَعرِضْ له إلا بخير؛ قال: نعم. قال : فأخذ عليه الأيمان فيهما وأعطاه ثلاثين دينارا، وأعطاه محمد بن عبد العزيز مثلها . قال : وٱندفع ٱبنُ هَرْمة يمدح محمد بن عِمْران :

ألم تر أنّ القولَ يخلُص صدقُه * وتأبَى فما تزكو لباغٍ بواطلُه

ذممت ٱمرأً لم يطبَعِ الذمُّ[1] عِرْضَه * قليلا لَدَى تحصيله من يُشاكلُه

فما بالحجاز من فتًى ذى إمارةٍ * ولا شرفٍ إلا ٱبنُ عمران فاضلُه

فتًى لا يَطُورُ[2] الذمُّ ساحةَ بيته * وتشقَى به ليلَ التِّمام[3] عواذلُه

(١) الطبع : الدنس . (٢) لا يطور : لا يقرب . وفى حديث على كرم الله وجهه : «والله لا أطور به ما سمر سمير» أى لا أقربه . (٣) ليل التمام (بالكسر وقد يفتح) : أطول ما يكون فى ليالى الشتاء .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال حدّثنا عبدُ الله بن أبي سعد قال حدّثنا أحمد بن عمر الزُّهْريّ قال حدّثنا أبو بكر بن عبد الله ابن جعفر المِسْوَريّ قال :

مدح إبراهيمُ بن هَرْمَةَ محمدَ بن عِمْران الطَّلْحيّ، فألفاه راويتُه[1] وقد جاءته عِيرٌ له تحمل غَلّةً قد جاءته من الفُرُع[2] أو خَيْبر؛ فقال له رجل كان عنده : أعلم والله أنّ أبا ثابت عِمْرانَ بن عبد العزيز أغراه بك وأنا حاضرٌ عنده وأخبره بعيرك هذه؛ فقال: إنما أراد أبو ثابت أن يُعرّضني للسانه، قُودوا إليه القِطارَ، فقِيدَ إليه .

طلب من عمر بن القاسم تمرا على ألا يعمل منه نبيذا، ثم عمل

أخبرنا الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثني يحيى بن محمد عن عبد الله بن عمر[3] بن القاسم قال :

جاء أبي تمرٌ من صَدَقة عمر، فجاءه ابنُ هَرْمة فقال : أمتع الله بك! أَعْطِني من هذا التمر؛ قال: يا أبا إسحاق، لولا أنّي أخاف أن تعمَل منه نبيذًا لأعطيتُك؛ قال: فاذا علمتَ أنّي أعمَل منه نبيذًا لا تعطيني؛ قال : فخافه فأعطاه؛ فلقيه بعد ذلك ، فقال له : ما في الدنيا أجودُ من نبيذٍ يجيء من صَدَقة عمر؛ فأنجله .

١١٣ / ٤

سمع جرير شعره فدحه

أخبرنا الحَرَميّ قال أخبرنا الزُّبَير قال حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز قال :

قدِم جريرٌ المدينة، فأتاه ابنُ هَرْمة وابن أُذَيْنة فأنشداه؛ فقال جرير : القرشيّ أشعرُهما، والعربيّ أفصحهما .

(١) كذا في م . وفي باقي الأصول : «روايته» ، وهو تحريف . (٢) الفرع (بالضم) : قرية من نواحي الرَّبَذة عن يسار السُّقيا بينها وبين المدينة ثمانية برد على طريق مكة . (٣) كذا في م وهو الموافق لما في الطبري (قسم ٣ ص ٢٣٨ طبع أوربا) . وفي باقي الأصول : «عن عبد العزيز بن القاسم» ، وهو تحريف .

مدح المطلب بن عبد الله فلاموه لمدحه غلاما حديث السن فأجابهم

أخبرنا يحيى بن علىّ إجازةً قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثنى عبد الله بن محمد :

أنّ ابنَ هَرْمَةَ قال يمدح أبا الحَكَم المطّلب بن عبد الله :

لمّا رأيتُ الحادثاتِ كَنَفْنَنِى * وأَوْرثْنَنِى بؤسَى ذكرتُ أبا الحَكَمْ

سليلُ ملوكٍ سبعةٍ قد تتابعوا * هم المصطفَوْن والمُصَفَّوْن بالكرمْ ٥

فلاموه وقالوا : أتمدح غلامًا حديثَ السنّ بمثل هذا ! ؛ قال: نعم . وكانت له ابنةٌ يلقّبها "عُيَيْنة" — وقال الزُّبَيْر : كان يلقّبها "عينة" — فقال :

كانت عُيينةُ فينا وهى عاطلةٌ * بين الجوارى فحلّاها أبو الحكم

فَمَنْ لحانا على حُسن المقالِ له * كان المُليمَ وكنّا نحن لم نُلِم[(١)]

شكا حاله لعبد العزيز بن عبد المطلب فأكرمه ثم عاوده فردّه فهجاه

قال يحيى وحدّثنى حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الزُّبَيرى عن نَوْفَل بن ميمون قال: ١٠

أرسل ابنُ هَرْمة إلى عبد العزيز بن المطّلب بكتاب يشكو فيه بعضَ حاله ؛ فبعث إليه بخمسة عشر ديناراً ؛ فمكث شهراً ثم بعث يطلُب منه شيئا آخرَ بعد ذلك ؛ فقال: إنّا والله ما نقوى على ما كان يقوَى عليه الحكمُ بن المطّلب ؛ وكان عبد العزيز قد خطب إلى امرأة من ولد عُمر فردّته ، فخطب إلى امرأة من بنى عامر بن لُؤَىّ فزوّجوه ؛ فقال ابن هرمة : ١٥

خطبتَ إلى كَعْبٍ فردُّوك صاغرًا * فحوّلت من كعب إلى جِذْم[(٢)] عامرِ

وفى عامرٍ عِزٌّ قديمٌ وإنما * أجازك فيهم هزلُ أهل المقابرِ

(١) لم نلم : لم نأت ما نلام عليه ، ومنه المليم (بضم الميم) من ألام الرجل فهو مُليمٌ اذا أتى ذنبا يُلام عليه . (٢) الجذم (بالكسر) : أصل الشىء .

وقال فيه أيضا :

أبالبخلِ تطلُب ما قَـدّمتْ * عرانينُ جادتْ بأموالها

فهيهات ! خالفتَ فعلَ الكرامِ * خِـلافَ الجمال بأبوالها

خبره مع امرأة تزوجها

وقال هارون بن محمد حدّثنى مُغيرةُ بن محمد قال حدّثنى أبو محمد السَّهمىّ قال

٥ حدّثنى أبو كاسب[1] قال :

تزوّج ابنُ هَرْمة بامرأة، فقالت له : أعطِنى شيئا ؛ فقال : والله ما معى إلا نعلاى، فدفعهما إليها، ومضى معها فتورّكها مراراً ؛ فقالت له : أحْفَيْتَنى[2] ؛ فقال لها : الذى أحفَى صَاحبَه منّا يَعضّ بَظْر أُمّه .

أغراه قوم بالحكم ابن المطلب بأن يطلب منه شاة كانت عزيزة عليه فأعطاه الحكم كل ما عنده من شاء

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال حدّثنا

١٠ عبد الله بن أبى سَعْد قال حدّثنى المُسَيَّبىّ محمد بن إسحاق قال حدّثنى ابراهيم بن سكرة جارُ أبى ضَمْرة قال :

جلس ابن هَرْمة مع قومٍ على شراب، فذكَر الحكَمَ بن المطّلب فأطنب فى مدحه ؛ فقالوا له : إنك لتُكثر ذكرَ رجلٍ لو طَرَقتَه الساعةَ فى شاةٍ يقال لها «غَرّاء» تسأله إيّاها لردّك عنها ! فقال : أهو يفعل هذا ؟ قالوا : إى والله، وكانوا قد عرفوا أنّ الحكم

١٥ بها مُعجَبٌ، وكانت فى داره سبعون شاة تُحلَب ؛ فخرج وفى رأسه مافيه، فدقّ البابَ فخرج إليه غلامه ؛ فقال له : أعلِم أبا مروان بمكانى — وكان قد أمَر ألّا يُحجبَ إبراهيم بن هَرْمة عنه — فأعلمه به، فخرج إليه مُتّشحا، فقال : أفى مثل هذه الساعة

١١٤/٤ يا أبا إسحاق ! فقال : نعم جُعلت فداك، وُلد لأخ لى مولود فلم تَدِرّ عليه أُمّه، فطلبوا

(١) فى م : «ابن كاسب» . (٢) أحفيتنى : أجهدتنى .

له شاةً حلوبةً فلم يجدوها، فذكروا له شاة عندك يقال لها «غَرّاء»[1] فسألنى أن أسألكها؛ فقال : أتجىء فى هذه الساعة ثم تنصرف بشاة واحدة ! والله لا تبقَ فى الدار شاةٌ إلا آنصرفتَ بها ، سُقْهنّ معه يا غلام، فساقهن، فخرج بهنّ إلى القوم ؛ فقالوا : وَيْحَك! أىّ شىء صنعت! فقصّ عليهم القصة . قال : وكان فيهنّ والله ما ثمنه عشرةُ دنانير وأكثرُ من عشرة .

لما سمع بقتل الوليد أنشد شعرا فى مدحه

قال هارون وحدّثنى حمّاد بن إسحاق قال ذكر أبى عن أيّوب بن عَبَاية عن عمر ابن أيّوب اللّيثىّ قال :

شرِب آبنُ هَرْمة عندنا يومًا فسكِر فنام، فلما حضرتِ الصلاةُ تحرّك أو حرّكته، فقال لى وهو يتوضأ : ما كان حديثكم اليوم؟ قلت : يزعمون أنّ الوليد قُتل؛ فرفع رأسه إلىّ وقال :

وكانت أمورُ الناس مُنْبَتَّةَ القُوَى * فشدّ الوليــدُ حين قام نِظامَها
خليفةُ حقٍّ لا خليفـــةُ باطلٍ * رمى عن قَناة الدِّين حتى أقامها

ثم قال لى : إياك أن تذكر من هذا شيئا، فإنى لا أدرى ما يكون .

كان ابن الأعرابى يقول : ختم الشعراء بابن هرمة

أخبرنى علىّ بن سليمان النحوىّ قال حدّثنا أبو العبّاس الأحول عن آبن الأعرابىّ : أنه كان يقول : خُتِم الشعراءُ بآبن هرْمة .

سكر مرّة سكرا شديدا فعتب عليه جيرانه فأجابهم

أخبرنا يحيى بن علىّ بن يحيى قال أخبرنى أحمد بن يحيى البَلَاذُرِىّ :

(١) كذا فى حـ . وفى م : «فذكرت لى شاة» . وفى باقى الأصول : «فذكرت شاة» .

أنّ ابن هَرْمة كان مُغرَمًا بالنبيذ، فمرّ على جِيرانه وهو شديد السكر(١) حتى دخل منزله؛ فلمـا كان من الغد دخلوا(٢) عليه فعاتبوه على الحال التى رأوه عليها؛ فقال لهم: أنا فى طلب مثلها منذ دهر، أمَا سمعتم قولى :

أسألُ الله سَكرةً قبـل موتى * وصياحَ الصِّبيان يا سكرانُ

٥ قال : فنفضوا ثيابَهم وخرجوا، وقالوا : ليس يُفلح والله هذا أبدا .

لم يحمـل جنازته الا أربعـة نفـر وكان ذلك مصداقا لشعره

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال : أنشدنى عمّى لابن هَرْمة :

ما أظنّ الزمانَ يا أمّ عمرٍو(٣) * تاركًا إنْ هلكتُ من يَبْكينى

قال : فكان والله كذلك، لقد مات فأخبرنى من رأى جنازته ما يحملها إلا أربعة نفر، ١٠ حتى دُفن بالبَقيع .

ولد سـنة ٩٠ هـ ومدح المنصـور وعمره خمسون سنة وعاش بعـد ذلك طويلا

قال يحيى بن علىّ — أراه عن البلاذرىّ(٤) — : ولد ابنُ هَرْمة سنةَ تسعين، وأنشد أبا جعفر المنصور فى سنة أربعين ومائة قصيدته التى يقول فيها :

إنّ الغوانىَ قد أعرضن مَقْلِيَـةً * لمـا رمى هَدَفَ الخمسين ميلادى

قال : ثم عُمِّر بعدها مدّة طويلة .

---

(١) فى مختار الأغانى لابن منظور (ج ١ ص ٩٢ طبع مصر) : « منبتّ سكرا » أى منقطع . ١٥ وفى ء ، ط ، م : «فمر على جيرانه وهو مثبت سكرا» بالثاء المثلثة وهو تصحيف عن «منبتّ» .

(٢) كذا فى مختار الأغانى لابن منظور . وفى جميع الأصول : « اليه » . (٣) فى حـ : « يا أم سعد » . (٤) فى م : « رواه عن البلاذرىّ » .

ذكر أخبار يُونس الكاتب

نسب يونس الكاتب ومنشؤه ومن أخذ عنهم، وهو أوّل من دوّن الغناء

هو يونس بن سليمان بن كُرْد بن شِهْرِيَار، من ولد هُرْمُز، وقيل : إنه مولًى لعمرو بن الزُّبَير . ومنشؤه ومنزله بالمدينة . وكان أبوه فقيها (١) ، فأسلمه فى الديوان فكان من كُتّابه . وأخذ الغناءَ عن مَعْبَد وٱبن سُرَيج وٱبن مُحْرِز والغَرِيض، وكان أكثرُ روايته عن معبد ؛ ولم يكن فى أصحاب معبد أحذقُ ولا أقومُ بما أُخذ عنه منه . وله غناء حسن، وصنعة كثيرة ، وشعرٌ جيّد . وكتابه فى الأغانى ونسبها إلى من غنّى فيها هو الأصلُ الذى يُعمل عليه ويُرْجَع إليه؛ وهو أوّل من دوّن الغناء .

شعر مسعود بن خالد فى مدحه

١١٥
―
٤

أخبرنا محمد بن خَلَف وَكِيع قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاقَ قال حدّثنى أبى قال أنشدنى مسعود بن خالد المُورِيانى (٢) لنفسه فى يونس :

يا يونسُ الكاتبُ يا يونسُ * طاب لنا اليومَ بك المجلسُ
إنّ المغنّين إذا ما هُمُ * جارَوْك أَخْنى بهم المقبس
تنشُر ديباجًا وأشباهَه * وهم اذا ما نشروا كَرْبَسُوا (٣)

خرج مع بعض فتيان المدينة الى دومة فتغنوا وأجتمع عليهم النساء فتغنى آبن عائشة ففرق جمعهم اليه

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال . ذكر إبراهيم بن قُدامة الجمحىّ قال :

اِجتمع فِتيانٌ من فتيان أهل المدينة فيهم يونس الكاتب وجماعة ممن يُغَنّى ، فخرجوا الى وادٍ يقال له دُومة من بطن العَقيق ، فى أصحاب لهم ، فتَغَنّوْا وٱجتمع

(١) فى مختصر الأغانى لابن واصل الحموى : «وكان أبوه مقيما بها» . (٢) كذا فى أكثر الأصول وهو الموافق لما فى تاريخ الطبرى (قسم ثالث ص ٣٧٠ و ٣٧٢ طبع أوربا) . والمورياني (بضم الميم وكسر الراء) : نسبة الى موريان : قرية بخوزستان . وفى م : «المرزبانى» وهو تحريف .
(٣) كربسوا : أتوا بالكرابيس وهى الثياب الخشنة من القطن .

إليهم نساءُ أهل الوادي — قال بعض من كان معهم : فرأيت حولنا مثلَ مُراح الضأن — وأقبل محمد بن عائشة ومعه صاحب له ، فلما رأى جماعةَ النساء عندهم حسَدهم ، فالتفت إلى صاحبه فقال : أَمَا والله لأُفَرِّقنّ هذه الجماعة ! فأتى قصرًا من قصور العَقيق ، فعَلَا سطحَه وألقى رداءه واتّكأ عليه وتغنّى :

٥

صوت

هذا مُقامُ مُطرَّدٍ * هُدِمتْ منازلُه ودُورُهْ
رقَّى(١) عليه عُداتُه * ظلمًا فعاقبه أميرُهْ

— الغناء لابن عائشة رَمَلٌ بالوسطى . والشعر لعُبَيد بن حُنَين مولى آل زيد بن الخطّاب ، وقيل : إنه لعبد الله بن أبي كَثِير مولى بني مخزوم — قال : فوالله ما قضى صوته حتّى ما بَقِيت امرأةٌ منهن إلا جلستْ تحت القصر الذي هو عليه وتفرّق عامّةُ أصحابهم ؛ فقال يونس وأصحابه : هذا عملُ ابنِ عائشة وحَسَدُه .

١٠

صاحب الشعر الذي تغنى به ابن عائشة وسبب قوله

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا أبو غَسّان محمد بن يحيى عن أبيه قال :

تزوّج عبد الله بن أبي كَثِير مولى بني مخزوم بالعراق في ولاية مُصْعَب بن الزُّبَيْر امرأةً من بني عَبْد بن بَغِيض(٢) بن عامر بن لُؤَيّ ، ففرّق مصعبٌ بينهما ؛ فخرج حتى قدِم على عبد الله بن الزُّبَير بمكة فقال :

١٥

(١) رقّى عليه عداته : تقوّلوا عليه ما لم يقل . قال في القاموس : ورقّى عليه كلاما ترقية : رفع . وفي اللسان ونهاية ابن الأثير : « ... وفي حديث استراق السمع : ولكنهم يرقّون فيه أي يزيدون ، يقال : رقّى فلان على الباطل اذا تقوّل مالم يكن وزاد فيه » .

(٢) كذا في أكثر الأصول . وبغيض بن عامر كان شريفا وهو الذي نقل الحطيئة الى جواره من جوار الزبرقان . وأدرك بغيض الإسلام ووفد الى النبي صلى الله عليه وسلم فسماه حبيبا . وفي م : « من عبد بغيض » . وفي حـ : « من بني عبد الفيض » .

٢٠

هــذا مقام مُطَــرَّدٍ * هُدِمتْ منازِلُه ودُورُه

رَقَّتْ عليــه عُــداتُهُ * كذباً فعاقبــه أميرُهْ

فى أنْ شَــرِبتُ بجمِّ ما * ءٍ كان حِلًّا لى غــديرُهْ

فلقد قطعت الخَرْقَ(١) بعـ * ـد الخرق مُعْتَسِفاً(٢) أسيرُهْ

حتى أتيتُ خليفــةَ الـ * ـرحمن ممهــوداً سريرُهُ

حيَّيتُــه بتحيَّـــةٍ * فى مجلس حضرت(٣) صُقُورُهْ

فكتب عبــد الله إلى مصعب : أن ٱردُدْ عليه ٱمرأتَه، فإنى لا أُحرِّم ما أحلّ الله عزّ وجل، فردّها عليه . هذه رواية عمر بن شَبّة .

ذهب الى الشام فبعث اليه الوليد ابن يزيد ليغنيه ثم وصله

وأخبرنى الحسن بن علىّ عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن المَدَائنىّ عن سُحَيم ابن حَفْص : أن المتزوج بهذه المرأة عُبَيد بن حُنين مولى آل زيد بن الخطّاب ، وأن المفرق بينهما الحارث بن عبــد الله بن أبى رَبيعــة الذى يقــال له القُبَاع(٤) ؛ وذكر باقىَ الخبر مثل الأوّل .

أخبرنى عمّى قال حدّثنى طَلْحة بن عبــد الله الطَّلْحىّ قال حدّثنى أحمــد بن الهَيْثم قال :

خرج يونُس الكاتب من المدينــة إلى الشأم فى تجارة ، فبلغ الوليــدَ بن يزيد مكانُه ، فلم يشعر يونسُ إلا برُسُله قد دخلوا عليه الخانَ ، فقالوا له : أَجِبِ الأميرَ — والوليد إذ ذاك أميرٌ — قال : فنهضتُ معهم حتى أدخلونى على الأمير ، لا أدرى

(١) الخرق : القفر . (٢) معتسفا : خابطا الطريق على غير هداية ولا دراية . وفى م : «منقطعا أسيره» . (٣) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب ، سـ : «حصرت» بالصاد المهملة .

(٤) كان الحارث بن عبــد الله أميرا على البصرة ، ولقّبه أهلهــا القباع وذلك أنه مر بقوم يكيلون بقفيز فقال : إن قفيزكم لقباع . أى كبير واسع (راجع النقائض ص ٦٠٧ وعيون الأخبار ج ٢ ص ١٧ والأغانى ج ١ ص ١١٠ طبع دار الكتب المصرية) .

من هو، إلّا أنه من أحسن الناس وجهًا وأنبلهم، فسلّمتُ عليه، فأمرنى بالجلوس، ثم دعا بالشراب والجوارى ؛ فكنّا[1] يومنا وليلتنا فى أمر عجيب ؛ وغنّيتُه فأُعجب بغنائى، الى أن غنّيتُه :

إن يَعِشْ مُصْعَبٌ فنحن بخيرٍ * قد أتانا من عيشنا ما نُرَجِّى

ثم تنبّهتُ فقطعتُ الصوت ؛ فقال : مالَكَ ؟ فأخذتُ أعتذر من غِنائى بشعرٍ فى مُصعَب ؛ فضَحِك وقال : إنّ مُصعباً قد مضى وآنقطع أثرُه ولا عداوةَ بينى وبينه وإنما أريد الغناء، فأمْضِ الصوتَ ؛ فعُدتُ فيه فغنّيتُه ؛ فلم يزل يَستعيدُنيه حتى أصبح، فشَرِب مُصْطَبِحا وهو يستعيدنى هذا الصوتَ ما يتجاوزه حتى مضت ثلاثةُ أيام . ثم قلتُ له : جعلنى الله فداءَ الأمير ! أنا رجلٌ تاجرٌ خرجتُ مع تُجّار وأخاف أن يرتحلوا فيَضيعَ مالى ؛ فقال لى : أنت تغدو غداً، وشرب باقىَ ليلته، وأمر لى بثلاثة آلاف دينار فحُمِلتْ إلىّ، وغدوتُ إلى أصحابى ؛ فلما خرجتُ من عنده سألتُ عنه ؛ فقيل لى : هذا الأمير الوليد بن يزيد ولىّ عهد أمير المؤمنين هشام . فلما آستُخلِف بعث إلىّ فأتيتُه، فلم أزل معه حتى قُتِل .

صــــوت

من المـائة المختـارة

أصواته المعروفة بأز يانب

أقصدتْ زينبُ قلبى بعد ما * ذهَب الباطلُ عنّى والغَزَلْ
وعَلا المَفْرِقَ شيْبٌ شامِلٌ * واضحٌ فى الرأس منّى وآشتَعلْ

الشّعر لآبن رُهَيْمة المَدَنىّ . والغناء فى اللحن المختـار لعُمَر الوادى ثانى ثقيل بالبنصر فى مجراها عن إسحاق . وفيه ليونسَ الكاتب لحنان، أحدُهما خفيفُ ثقيل

(١) فى نهاية الأرب للنويرى (ج ٤ ص ٣١٠ طبع دار الكتب المصرية) : «فكنا» .

أوّل بالبنصر[1] فى مَجْرى الوُسْطى عن إسحاق، والآخر رَمَلٌ بالسبّابة فى مَجْرى البنصر عنه أيضا . وفيه رملان بالوسطى والبنصر، أحدهما لابن المكىّ، والآخر لحَكَم، وقيل : إنه لإسحاق من رواية الهِشَامىّ . ولحنُ يونسَ فى هذا الشعر من أصواته المعروفة بالزيانب، والشعر فيها كلها لابن رُهَيمة فى زينب بنت عِكْرِمَة بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام؛ وهى سبعة، أحدها قد مضى، والآخر : ٥

صـــوت

أقصدتْ زينبُ قلبى * وسَبَتْ عقلى ولُبّى

تركتْنى مُستهامًا * أستغيث اللهَ ربّى

ليس لى ذنبٌ إليها * فتُجازينى بذَنْبى

ولها عندى ذنوبٌ * فى تنائيها وقُرْبى ١٠

غنّاه يونس رمَلًا بالبِنصر . وفيه لحَكَم هَزَجٌ خفيفٌ بالسبّابة فى مَجْرى البِنْصر عن إسحاق .

ومنها :

صـــوت

١١٧/٤

وَجَد الفؤادُ بزينبا * وجْدًا شديدًا مُتْعِبا ١٥

أصبحتُ من وَجْدِى بها * أُدْعَى سقيًّا مُسْهَبا[2]

وجعلتُ زينبَ سُتْرَةً * وأتيتُ أمرًا مُعْجِبا

غنّاه يونسُ ثقيلًا أوّلَ مطلقا فى مجرى البنصر عن عمرو و إسحاق، وهو مما يُشَكّ فيه من غناء يونس . ولعُلَيّة بنتِ المهدىّ فيه ثقيلٌ أوّل آخر لا يُشكّ فيه أنه لها،

(١) فى حـ : « أوّل بالخنصر » . ٢٠

(٢) أسهب الرجل (مبنيا للمجهول) : ذهب عقله، أو تغيّر لونه من حب أو غيره .

كَنَّتْ فيه عن رَشَأ الخادم — وذكر أحمد بن عُبَيد أن فيه من الغناء لحنَيْن هما جميعا من الثقيل الأوّل ليونس — ومن لا يعلم يزعُم أنّ الشعر لها .

ومنها :

صوت

إنما زينبُ المُنَى * وهِىَ الهَمُّ والهَوَى ٥

ذاتُ دَلٍّ تُضْنِى الصحيـ * ـحَ وتبْرِى من الجَوَى[1]

لا يَغُرَّنْكِ أن دعو * تِ فؤادى فما ٱلْتوَى[2]

وٱحْذَرِى هِجْرةَ الحبيـ * ـبِ إذا مَلّ وٱنْزَوى

غنّاه يونس رملًا بالخنصر فى مجرى البنصر عن إسحاق .

ومنها : ١٠

صوت

إنما زينبُ همّى * بأبى تلك وأُمّى

بأبى زينبَ لا أُكْـ * ـنِى ولكنّى أُسمّى

بأبى زينب مِنْ قا * ضٍ قضى عمدًا بظلمى

بأبى من ليس لى فى * قلبه قيراطُ رُحمِ[3] ١٥

غنّاه يونس رملًا بالبنصر عن عمرو، وله فيه لحن آخر .

ومنها :

صوت

يا زينبُ الحسناءُ يا زينبُ * يا أكرمَ الناس إذا تُنْسَبُ

تَقِيكِ نفسى حادثاتِ الرَّدَى * والأُمّ تَفْديكِ معًا والأبُ ٢٠

---

(١) فى حـ : « ... تصبى الحليم » . (٢) كذا فى م . وفى حـ : « الى التوى » بالتاء المثناة من فوق ، والتوى : الهلاك . وفى سائر الأصول : « الى النوى » بالنون . (٣) الرحم : (بالضم) : مصدر رحم كالرحمة .

هل لك فى وُدِّ امرئ صادقٍ * لا يَمْذُق الوُدَّ ولا يكذبُ

لا يبتغى فى وُدّه مُحْرَماً * هيهاتَ منكَ العملُ الأَرْيَبُ(١)

غنّاه يونسُ ثانىَ ثقيل بالسبّابة فى مجرى الوُسْطَى عن إسحاق .

ومنها :

صوت

فليت الذى يَلْحَى على زينبَ المُنَى * تَعَلَّقه مما لَقِيتُ عَشِيرُ(٢)

فحَسْبِى له بالعُشْرِ مما لقِيتُه * وذلك فيما قد تَراه يسيرُ

غنّاه يونسُ ثانىَ ثقيلٍ بالوُسْطَى فى مَجْراها عن الهِشَامىّ .

هذه سبعة أصوات قد مضت وهى المعروفة بالزيانب . ومن الناس من يجعلها ثمانية، و يزيد فيها لحنَ يونس فى :

* تَصابَيتَ أم هاجتْ لك الشوقَ زينبُ *

وليس هذا منها . و إن كان ليونس لحنُه؛ فإن شعره لحُجَيَّةَ بن المُضَرِّب الكِنْدىّ، وقد كُتب فى موضع آخر؛ و إنما الزّيانب فى شعر ٱبن رُهَيمة . ومنهم من يعدّها تسعةً ويُضيف إليها :

قُولَا لزينب لو رأيـ * ـتِ تَشَوّقى لك وٱشترافى(٣)

وهـذا اللحن لحَكَم . والشعر لمحمد بن أبى العبّاس السفّاح فى زينبَ بنتِ سليمان ٱبن علىّ، وقد كتب فى موضع آخر .

انقضت أخبار يونس الكاتب .

---

(١) المحرم : الحرام . والأريب : ذو الريب . وفى م : «العمل الأعيب» . (٢) العشير : جزء من عشرة أجزاء كالعشر . (٣) الاشتراف : التطلع .

أخبـار ٱبن رُهَيْمة

شبب بزينب بنت عكرمة فأمر بضربه هشام بن عبد الملك فتوارى وظهر فى أيام الوليد بن يزيد وقال شعرا

أخبرنى محمد بن جعفر النحوىّ قال حدّثنا أحمد بن القاسم قال حدّثنى أبو هَفّان عن إسحاق قال :

كان ٱبن رُهَيْمة يُشبِّب بزينب بنت عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، ويُغنّى يونسُ بشعره، فٱفتضحتْ بذلك، فٱستعدى عليه أخوها هشامَ بنَ عبدالملك، فأمر بضربه خمسمائة سوط، وأن يُباح دمُه إن وُجِدَ قد عاد لذكرها، وأن يُفعل ذلك بكل من غَنّى فى شىء من شعره، فهرب هو ويونس فلم يُقْدَرْ عليهما . فلما وَلِىَ الوليدُ بن يزيد ظَهَرا . وقال ٱبن رُهَيْمة :

لئن كنتَ أطردتَنى[1] ظالمًا * لقد كشف اللهُ ما أرهبُ
ولو نلتَ مِنّىَ ما تشتهى * لقَلَّ إذا رَضِيَتْ زينبُ
وما شئتَ فٱصنَعْه بى بعد ذا * فحُبِّى لزينبَ لا يذهبُ

وفى الأصوات المعروفة بالزيانب يقول أَبَانُ بن عبد الحميد اللاحقىّ :

أُحبُّ[2] من الغنـاء خَفيـ * ـفه إنّ فاتنى الهزجُ
وأشنَا « ضوء برق »[3] مثـ * ـل ما أَشْنَا « عفا مُزُجُ »
وأُبغض « يومَ تنأى » و « الزيانبُ » * كلُّها سَمُجُ

(١) أطرده : صيره طريدا ، وأطرد السلطان فلانا : أمر بطرده أو باخراجه من البلد .

(٢) وردت هذه الأبيات فى كتاب الأوراق للصولى (المحفوظ منه نسخة خطية بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٣٠٣ أدب) ضمن قصيدة طويلة مثبتة فى ترجمة أبان هذا ، ومطلعها :

أأحزنك الألى ردّوا * جمال الحىّ وٱدّلجوا

(٣) يريد الشاعر بما وضعناه بين هذه العلامات أصواتا فى الغناء .

ويُعجبنى لإبراهـ * ـيم والأوتارُ تختلج[1]
« أُديرُ مُدامةً صِرْفاً * كأن صبيبها وَدَجُ[2] »

يعنى أبانُ لحنَ إبراهيم ؛ والشعر لأبان أيضا ، وهو :

صـــوت

أُديرُ[3] مُدامةً صِرْفا * كأن صَبِيبَها وَدَجُ
فظَلّ تخالُه مَلِكًا * يصرِّفها ويَمتزج

الشعر لأبان، والغِناء لإبراهيم ثانى ثقيل بالخنصر فى مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لابن جامع ثانى ثقيل بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى عن إسحاق أيضا .

ومما فى غناء يونس من المائة المختارة المذكورة فى هذا الكتاب :

صـــوت

من المائة المختارة

أَلَا يا لَقَومى لِلرُّقادِ المُسَهَّدِ[4] * وللماء ممنوعًا من الحائم الصَّدِى
وللحال بعد الحال يَركَبُها الفتى * وللحبّ بعد السَّلْوة المُتَمَرِّدِ[5]

---

(١) كذا فى كتاب الأوراق للصولى . وفى الأصول : « تعتلج » بالعين المهملة . وما أثبتناه أنسب بالمعنى ، على أن كلمة « تعتلج » قد وردت فى بيت آخر من هذه القصيدة وهو :

نعم فبنات هم الصد * ر فى الأحشاء تعتلج

(٢) الودج : عرق الأخدع الذى يقطعه الذابح فلا يبقى معه حياة ، والمراد تشبيه لون الخمرة بلون الدم الذى يسيل من الأخدع عند الذبح . (٣) نسب المؤلف هذين البيتين فى (ج ١٢ ص ١١٠ طبع بولاق) لمطيع بن إياس ، وهو خطأ . (٤) فى مختصر الأغانى لابن واصل الحموى : « المشرّد » .
(٥) فى م : « المتردّد » .

١١٩ / ٤

الشعر لإسماعيل بن يَسَار النسائى من قصيدة مدح بها عبد الملك بن مروان ؛ وذكر يحيى بن علىّ عن أبيه عن إسحاق : أنّها[1] للغول بن عبد الله بن صَيْفِىّ الطائى ؛ والصحيح أنها لإسماعيل ؛ وأنا أذكر خبره مع عبد الملك بن مروان ومَدْحَه إياه بها ليُعلم صحةُ ذلك . والغناء ليونس ، ولحنُه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل مطلق فى مجرى البنصر . وتمـام هذه الأبيات :

وللمـرءِ لا عمَّن[2] يُحِبُّ بمُرْعَوٍ * ولا لسبيلِ الرُّشدِ يومًا بمُهتدى

وقد قال أقوامٌ وهم يعــذُلونه[3] * لقد طال تعذيبُ الفؤادِ المُصَيَّدِ

---

(١) كذا فى ط ، حـ ، ى . وفى سائر الأصول : « أنه للغول » . والتذكير باعتبار أنه شعر .

(٢) كذا فى م . وفى سائر النسخ : « عما » ، وكلاهما صحيح . (٣) فى م : « يعذلوننى .... الفؤاد المعبد » . وفى حـ : « لقد طاب تعذيب الفؤاد المفند » .

أخبار إسماعيل بن يَسَار ونسبه

كان منقطعا الى آل الزبير ثم اتصل بعبد الملك بن مروان ومدحه والخلفاء من ولده

حدّثنى عمّى قال حدّثنى أحمد بن أبى خَيْثَمة قال حدّثنا مُصْعَب بن عبد الله الزُّبيرىّ قال :

كان إسماعيل بن يَسَار النِّسائىّ مولى بنى تَيْم بن مُرّة: تَيْم قريش، وكان منقطعا إلى آل الزُّبير؛ فلما أفضت الخلافةُ إلى عبد الملك بن مروان، وفَد إليه مع عُرْوة ابن الزُّبير، ومدحه ومدح الخلفاء من ولده بعده، وعاش عمرا طويلا إلى أن أدرك آخرَ سلطان بنى أُميّة، ولم يدرك الدولة العباسية. وكان طيّبا مليحا مُنْدِرا[1] بطّالا، مليح الشعر، وكان كالمنقطع إلى عُرْوة بن الزُّبير. وإنما سمى إسماعيلُ بن يسار النِّسائىَّ[2]،

سبب تلقيبه بالنسائى

لأن أباه كان يصنع طعام العُرْس ويبيعه، فيشتريه منه من أراد التعريس من المتجمِّلين وممن لم تبلغ حالُه ٱصطناعَ ذلك.

وأخبرنى الأَسَدىّ قال حدّثنا أبو الحسن محمد بن صالح بن النطّاح قال :

إنما سُمّى إسماعيلُ بن يسار النَّسائىّ لأنه كان يبيع النَّجَد والفُرُش التى تُتّخذ للعرائس، فقيل له إسماعيل بن يسار النِّسائىّ.

وأخبرنى محمد بن العباس اليَزيدىّ قال حدّثنا الخليلُ بن أَسَد عن ٱبن عائشة:

أن إسماعيل بن يَسَار النِّسائىّ إنما لُقِّب بذلك لأن أباه كان يكون عنده طعام العُرُسات[3] مُصْلَحا أبدًا، فمن طرَقه وجده عنده مُعَدًّا.

---

(١) مندرا : يأتى بالنوادر من قول أو فعل. وبطّال : كثير الهَزْل والمزاح ؛ يقال بطل الرجل يَبْطَل بَطَالة من باب فرح اذا هزل. (٢) النِّسائىّ : نسبة الى النساء الذى هو من أسماء جموع المرأة. وفى اللسان : أن سيبويه يقول فى النسبة الى نساء : نَسَوِىٌّ ردًّا له الى واحده.

(٣) العرسات : جمع عرس وهو طعام الوليمة. وفى حـ، م : «العرسان» بالنون فى آخره. وفى باقى الأصول : «العرسيات».

نكتة له مع عروة ابن الزبير أثناء سفرهما للشام

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا أحمد بن يحيى ثَعْلَب قال حدّثنى الزُّبَير بن بَكّار قال قال مُصْعَب بن عثمان :

لمّا خرج عُرْوة بن الزُّبَير إلى الشأم يريد الوليد بن عبد الملك، أخرج معه إسماعيلَ بن يسار النِّسائىّ ، وكان منقطعا إلى آل الزُّبير ، فعادَله[1] ؛ فقال عروة ليلةً من الليالى لبعض غِلمانه : أُنظر كيف ترى المَحْمِل ؟ قال : أراه معتدلا ؛ قال إسماعيل : الله أكبر ، ما آعتدل الحقّ والباطل قبل الليلة قطّ ؛ فضحك عروة ، وكان يستخفّ إسماعيلَ ويستطيبُه .

تسابّ هو وآخر يكنى أبا قيس فى اسميهما فغلبه

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن سَعيد قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى عمّى عن أيوب بن عَبَاية المَخزومىّ :

أن إسماعيل بن يَسار كان ينزل فى موضع يقال له حُدَيلة[2] وكان له جلساء يتحدّثون عنده، ففقَدهم أياما؛ وسأل عنهم فقيل: هم عند رجل يتحدّثون إليه طيِّب الحديث حُلْوٍ ظريف قدِم عليهم يسمّى محمّدًا ويُكنى أبا قيس؛ فجاء إسماعيل فوقف عليهم؛ فسمع الرجلُ القومَ يقولون : قد جاء صديقنا إسماعيل بن يسار ؛ فأقبل عليه فقال له : أنت إسماعيل ؟ قال : نعم؛ قال : رحم الله أبويك فإنهما سمياك بآسم صادقِ الوعد وأنت أكذب الناس؛ فقال له إسماعيل: ما آسمك؟ قال: محمد؛ قال: أبو من ؟ قال : أبو قيس؛ قال : لا[3] ! ولكن لا رحم الله أبويك ، فإنهما سمّياك بآسم نبىٍّ وكنّياك بكُنيةِ قرد ؛ فأُفحِم الرجلُ وضحِك القومُ، ولم يَعُدْ إلى مجالستهم، فعادوا إلى مجالسة إسماعيل .

(١) عادله : ركب معه فى المحمل مقابلا له . (٢) كذا فى ب، حـ، ء، ط . وحديلة : محلة بالمدينة بها دار عبد الملك بن مروان. وفى باقى الأصول «جديلة» بالجيم . وجديلة : مكان فى طريق خارج البصرة، وهذا لا يتفق مع سياق الخبر. (٣) فى حـ : «قال: ولكن لا رحم ... الخ» بدون «لا» .

استأذن على الغمر ابن يزيد فحجبه ساعة فدخل يبكى لحجبه وادّعى مروانيته نفاقا

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز (1) قال حدّثنا المدائنىّ عن نُمَير العُذْرىّ قال :

استأذن إسماعيلُ بن يَسَار النِّسائىّ على الغَمْر بن يزيد بن عبدالملك، يوماً فحَجبه ساعةً ثم أذِن له، فدخل يبكى؛ فقال له الغَمْر: مالك يا أبا فائد تبكى؟ قال: وكيف لا أبكى وأنا على مَرْوَانِيّتى ومَرْوَانيّة أبى أُحْجَبُ عنك! فجعل الغَمْر يعتذر إليه وهو يبكى؛ فما سكت حتّى وصله الغَمْر بجملة لها قَدْر. وخرج من عنده، فلحقه رجل فقال له : أخبرنى وَيْلَك يا إسماعيل: أىّ مَرْوانيّة كانت لك أو لأبيك؟! قال: بُغْضنا إيّاهم، امرأته (2) طالق إن لم يكن يلعن (3) مروانَ وآلَه كلّ يوم مكانَ التسبيح، وإن لم يكن أبوه حضره الموت، فقيل له : قل لا إله إلا الله، فقال: لعن الله مروانَ، تقرُّباً بذلك إلى الله تعالى وإبدالاً له من التوحيد وإقامةً له مُقامَه !.

شعره الذى يفخر فيه بالعجم على العرب

أخبرنى عمّى قال حدّثنى أبو أيّوب المَدينىّ قال حدّثنى مُصْعَب قال :

قال إسماعيل بن يَسَار النِّسائىّ قصيدتَه التى أوّلها :

ما على رسم منزل بالجَناب (4) * لو أبانَ الغَداةَ رَجْعَ الجوابِ

غيّرتْه الصَّبا وكلُّ مُلِثٍّ (5) * دائمِ الوَدْقِ مُكْفَهِرِّ السَّحابِ

(1) كذا فى حـ، وهو الصواب. (راجع حاشية ٢ ص ٢٧٧ ج ٣ من الأغانى طبع دار الكتب المصرية). وفى باقى الأصول: «احمد بن اسماعيل الخزاز» بزايين. (2) فى ط، ء: «مرته الطلاق». ومرة (على وزن سنة): لغة فى امرأة. (3) كذا فى ط، م، ء. وفى سائر الأصول: «ان لم تكن أمه تلعن ... الخ». (4) الجناب (بالفتح): الفناء وما قرب من محلة القوم، وقيل: هو موضع فى أرض كلب فى السَّماوة بين العراق والشام. والجناب (بالكسر): موضع بعراض خيبر وسَلاح ووادى القرى، وقيل: هو من منازل بنى مازن. وقال نصر: الجناب: من ديار بنى فزارة بين المدينة وفَيْد. (انظر معجم البلدان لياقوت). (5) يقال: ألث المطر، إذا أقام أياما ولم يقلع. والودق: المطر.

دارَ هندٍ وهــلْ زمانى بهنـدٍ * عائدٌ بالهوى وصَــفْوِ الجَنابِ
كالذى كان والصــفاءُ مَصُونٌ * لم تَشُــبْه بهــجرةٍ واجتنابِ
ذاك منها إذ أنت كالغصن غضٌّ * وهى رُؤْدٌ(1) كدُمْيــةِ المِحْــراب
غادةٌ تَسْتبى العقولَ بعَـــذْبٍ * طَيِّبِ الطعم باردِ الأنيـاب
٥ وأثيثٍ(2) من فوق لونٍ نَقِيٍّ * كبياض اللُّجَين فى الزِّرْياب
فأقِلَّ المَــلامَ فيهـا وأقْصِرْ * لجَّ قلبى من لوعةٍ واكتئاب(3)
صاحِ أبصرتَ أو سمِعتَ براعٍ * ردّ فى الضَّرْع ماقَرَى فى العِلاب(4)
[انقضتْ شِرَّتى وأقصر جهلى * واستراحتْ عواذلى من عِتابى](5)

وقال فيها يَفْخَر على العرب بالعجم :

١٠ رُبَّ خالٍ مُتــوَّجٍ لى وعمٍّ * ماجدٍ مُجْتَدًى كريمِ النِّصابِ
إنما سُمِّىَ الفــوارسُ بالفُــرْ * سِ مُضاهاةَ رِفعةِ الأنسـابِ
فاتركى الفخــرَ يا أُمامَ علينـا * واتركى الجَوْرَ وانطقى بالصَّوابِ
واسألى إن جَهِلتِ عنّا وعنكم * كيف كنّا فى سالف الأحقابِ
إذ نُرَبّى بناتِنـا وتَدُسُّــو * نَ سَــفاهًا بناتِكم فى التّرابِ

---

١٥ (١) الرؤد : الشابة الحسنة . والدمية : الصورة . (٢) شعر أثيث : كثير عظيم . والزرياب : الذهب ، وقيل : ماؤه ، معرب زر أى ذهب ، وآب أى ماء (خففت الهمزة ثم أبدلت ياء) . وفى حـ : « والزرياب » بواو العطف . (٣) فى ى ، ط : « من عولتى واكتئابى » . والعولة والعول : البكاء والصياح . (٤) كذا فى أكثر الأصول . وقرى الماء فى الحوض : جمعه . والعلاب : جفان تحلب فيها الناقة . وفى ى ، ط وتجريد الأغانى لابن واصل الحموى : « الحلاب » بالحاء المهملة .
٢٠ والحلاب (بالكسر) : الاناء الذى يحلب فيه اللبن . (٥) الزيادة عن تجريد الأغانى لابن واصل الحموى وقد ذكره المؤلف بعد قليل .

فقال رجل من آل كَثير بن الصَّلْت : إنّ حاجتنا إلى بناتنا غيرُ حاجتكم ، فأفحمه . يريد : أنّ العجم يُربّون بناتِهم لِينكِحُوهنّ ، والعرب لا تفعل ذلك . وفى هذه الأبيات غناءٌ ، نِسْبتُه :

صــــوت

صاحِ أبصرتَ أو سمعتَ براعٍ * ردّ فى الضَّرع ماقَرَى فى العِلاَبِ ٥
اِنقضتْ شِرّتى وأَقصرَ جَهْلى * وآستراحتْ عَواذلى من عِتابى

١٢١/٤ الشــعر لإسماعيل بن يَســار النَّسائىّ . والغناء لمــالك خفيفُ ثقيلٍ بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى . وذكر عمرو بن بانة فى نسخته الأولى أنّ فيه للغَريض خفيفَ ثقيل بالبنصر، وذكر فى نسخته الثانية أنه لآبن سُرَيج . وذكر الهشامىّ أنّ لحن آبن سُرَيج رَمَلٌ بالوسطى، وأن لحن الغَريض ثقيل أوّل . ١٠

كان شعوبيا شديد التعصب للعجم

وحدّثنى بهذا الخبر عمّى قال حدّثنا أحمد بن أبى خَيْثمة عن مُصْعَب قال :

إسماعيلُ بن يسار يكنى أبا فائد، وكان أخواه محمــد وإبراهيم شاعرين أيضا، وهم من سَبْى فارس، وكان إسماعيل شُعُوبيًّا[1] شديدَ التعصُّب للعجم، وله شعرٌ كثير يفخر فيه بالأعاجم . قال : فأنشد يومًا فى مجلس فيه أشعبُ قولَه :

إذ نُربّى بناتِنا وتَدُسُّــو * ن سَــفاهًا بناتِكم فى التراب ١٥

فقال له أشعب : صدقتَ والله يا أبا فائد، أراد القوم بناتِهم لغير ما أردتموهنّ له ؛ قال : وما ذاك ؟ قال : دفَن القوم بناتِهم خوفًا من العار، وربّيتموهن لتنكحوهنّ ؛ قال : فضحِك القوم حتى آستغربوا[2]، وخجِل إسماعيل حتى لو قَدَر أن يَسيخ فى الأرض لفَعَل .

(١) الشعوبية : فرقة لا تفضل العرب على العجم ولا ترى لهم فضلا على غيرهم ويرون التسوية بين الشعوب . ٢٠
(٢) أى بالَغُوا فى الضحك .

رماه عبد الصمد في البركة بثيابه بإيعاز من الوليد ابن يزيد ثم مدح الوليد فأكرمه

أخبرني الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال أخبرني أبو سلمة الغفاريّ قال أخبرنا أبو عاصم الأسلميّ قال :

بينا ابن يسار النّسائيّ مع الوليد بن يزيد جالسٌ على بركة ، إذ أشار الوليد إلى مولًى له يقال له عبد الصمد فدفع ابن يسار النّسائيّ في البركة بثيابه ، فأمر به الوليد

٥ فأُخرج ؛ فقال ابن يسار :

قل لوالى العهد إن لاقيته (١) * وولىّ العهد أولى بالرَّشَدْ

إنّه والله لولا أنتَ لم * ينجُ منّى سالمًا عبدُ الصَّمَدْ

إنه قد رام منّى خُطّةً * لم يَرُمْها قبله منّى أحدْ

فهو ممّا رام منّى كالذى * يَقْنُصُ الدُّرّاج (٢) من خِيس (٣) الأسَدْ

١٠ فبعث إليه الوليدُ بخلعةٍ سنيّةٍ وصِلَةٍ وترضّاه . وقد رُوى هذا الخبرُ لسعيد بن عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت فى قصة أخرى ، وذُكر هذا الشعرُ له فيه .

---

(١) كذا في أكثر النسخ . وفي ط ، ء : «قل لولى العهد ... الخ» بدون ألف بعد الواو . وعلى هذه الرواية يكون قد دخله الخزم ، وهو زيادة حرف في أول الجزء أو حرفين أو حروف من حروف المعاني نحو الواو وبل وإذا ، وأكثر ما جاء من الخزم بحروف العطف . فالخزم بالواو كقول امرئ القيس :

١٥ وكأن ثبيرا في أفانين ودقه * كبير أناس في بجاد مزمّل

وقد يأتي الخزم في أول المصراع الثاني كما أنشد ابن الأعرابي :

بل بُريقًا بتّ أرقُبه * "بل" لا يرى إلا اذا اعتلما

وربما اعترض في حشو النصف الثاني بين سبب ووتد كقول مطر بن أشيم :

الفخر أوله جهل وآخره * حقد "اذا" تذكرت الأقوال والكلم

٢٠ (٢) الدرّاج (بضم الدال وتشديد الراء) : طائر أسود باطن الجناحين وظاهرهما أغبر على خلقة القطا إلا أنه ألطف . وجعله الجاحظ من أقسام الحمام لأنه يجمع فراخه تحت جناحيه كما يجمع الحمام . وهو من طير العراق كثير النتاج . وفي المثل : فلان « يطلب الدراج من خيس الأسد » ، يضرب لمن يطلب ما يتعذر وجوده . (انظر كتاب حياة الحيوان للدميري ج ١ ص ٤١٧ طبع بولاق) . (٣) خيس الأسد : غابته ومكانه .

استنشد أحد ولد جعفر بن أبى طالب الأحوص قصيدة فلما سمعها أنشد هو قصيدة من شعره فأعجب بها الطالبى

أخبرنى الحسين بن يحيى قال قال حمّاد قرأت على أبى[1] : حدّثنى مُصْعَب بن عبد الله قال سمعت إبراهيم بن أبى عبد الله يقول :

ركب فلان من ولد جعفر بن أبى طالب رحمه الله بإسماعيل بن يَسَار النِّسَائىّ حتى أتى به قُبَاءَ، فآستخرج الأحوص، فقال له : أنشدنى قولَك :

ما ضرّ جيرانَنَا إذ ٱنتجعوا * لو أنّهم قبل بَيْنهم رَبَعُوا

فأنشده القصيدةَ فأُعجِب بها ثم ٱنصرف ؛ فقال له إسماعيل بن يَسَار : أمَا جئت إلا لِمَا أرى ؟ قال : لا[2] ؛ قال : فٱسمعْ، فأنشده قصيدتَه التى يقول فيها :

ما ضرّ أهلكِ لو تَطَوّف عاشقٌ * بفِناء بيتــك أو ألمّ فسلّمـا

فقال : والله لو كنتُ سمعتُ هذه القصيدة أو علمتُ أنك قلتَها لَمَا أتيتُه . وفى أبياتٍ من هذا الشعر غناءٌ، نِسْبتُه :

صوت

ياهندُ رُدّى الوصل أن يَتَصرّما * وصِلِى آمرأً كَلِفاً بحبك مُغْرَمَا

لو تبذلين لنا دَلاَلَكِ مرّةً * لم نَبْغِ منكِ سوى دلالكِ مَحْرَمَا

مَنَعَ الزيارةَ أنّ أهلكِ كلَّهم * أبدَوْا لزَوْرِكِ غلظةً وتجهُّمَا

ما ضَرّ أهلكِ لو تَطَوّف عاشقٌ * بفِناء بيتــكِ أو ألمّ فسلّما

الشعر لإسماعيل بن يَسَار النِّسَائىّ . والغناء لابن مِسْجَح خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالسبّابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لإبراهيم المَوْصِلىّ رملٌ بالبنصر عن حَبَش .

---

(١) فى م : « ... قرأت على أبى قال حدّثنى ... » . (٢) كذا فى جميع الأصول، وظاهر أن المقام مقام « بلى » . فلعل ذلك خطأ من النساخ .

سمع زبان السوّاق شعره فبكى

أخبرنى محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثنا أبو حاتم عن أبى عُبَيدة قال : أنشد رجل زبّان(1) السوّاق قولَ إسماعيل بن يَسَار :

ما ضرّ أهلَكِ لو تطوّف عاشقٌ * بفناء بيتكِ أو ألمّ فسلّما

فبكى زبّان(1)، ثم قال : لا شىء والله إلا الضجر وسوء الخلق وضيق الصدر، وجعل يبكى ويمسح عينيه .

شعره الذى تشاجر بسببه أبو المساف مع زبان السوّاق

أخبرنى محمد بن جعفر الصَّيْدَلَانِىّ النحوىّ صهر المبرّد(2) قال حدّثنى طَلْحة بن عبد الله بن إسحاق(3) الطَّلْحىّ قال حدّثنى الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنى جعفر بن الحسين اللهبىّ قال :

أنشدتُ زبان(1) السوّاق قولَ إسماعيل بن يَسَار النِّسَائىّ :

صوت

إنّ جُمْلًا(4) وإنْ تَبَيَّنْتُ منها * نَكَبًا عن مودّتى وٱزْوِرَارَا

شَرَّدتْ(5) بادّكارها النومَ عنّى * وأُطِيرَ العـزاءُ منّى فطَارا

ما على أهلها ولم تأتِ(6) سوءًا * أن تُحَيَّا تحيـّةً أو تُزارَا

يوم أبدَوْا لِىَ التّجهّمَ فيها * وحَمَوْها لحاجةٍ وضِرارَا

---

(1) فى حـ : «ريان السوّاق» بالراء والياء المثناة من تحت . (2) فى إنباه الرواة للقفطى (ص ٥٦ ج ٢ قسم أول، عن النسخة الفتوغرافية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٧٩ تاريخ) : «محمد بن جعفر الصيدلانى صهر أبى العباس المبرد على ابنته» . (٣) فى ط ، م ، ء : «أبو إسحاق» . ولم نوفق الى تحقيق هذا الاسم فى المظانّ : أهو كنية لطلحة أم أن إسحاق اسم جدّه . (٤) فى حـ : «إن جملا خلى تبينت ... ...» . (٥) فى ط ، م ، ء : «شرقت بادّكارها اليوم عينى» . وشرقت العين : احمرّت . (٦) كذا فى ط ، ء . وفى باقى الأصول : «ولم نأت» بالنون .

فقال زبّان : لا شيء وأبيهم إلا الْحَزَز[1] وقلّة المعرفة وضيق العَطَن[2] ؛ فصاح عليه أبو المُعَافَى وقال : فعلَى مَنْ ذاك ويلك ! أعليك أو على أبيك أو أمك؟ فقال له زبّان : إنما أُتيتَ ياأبا المعافى من نفسك، لو كنتَ تفعل هذا ما اختلفتَ أنت وآبنك ؛ فوثب إليه أبو المعافى يرميه بالتراب و يقول له : وَيْحَك ياسفيه ! تحسن الدِّيَاثة، و زبّانُ يَسعى هربًا منه .

الغناء فى هذه الأبيات لآبن مِسْجَح خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن ابن المكىّ وحمّاد . وذكر الهشامىّ وحَبَش أنه لآبن مُحْرِز، وأن لحن آبن مسجح ثانى ثقيل .

طلبه الوليد بن يزيد من الحجاز فحضر وأنشده فأكرمه

أخبرنى إسماعيل بن يونس الشِّيعىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى إسحاق المَوْصِلىّ قال :

غُنِّيَ الوليدُ بن يزيد فى شعر لإسماعيل بن يسار وهو :

حتى إذا الصبح بدا ضوءه * وغارت الجوزاءُ والمِرْزَمُ[3]
خرجت والوطءُ خَفِيٌّ كما * ينساب من مَكْنَنه الأرقمُ[4]

فقال : من يقول هذا ؟ قالوا : رجل من أهل الحجاز يقال له إسماعيل بن يسار النسائىّ ؛ فكتب فى إشخاصه إليه؛ فلما دخل عليه آستنشده القصيدة التى هذان البيتان منها؛ فأنشده :

كَلْثَمُ أنتِ الهمُّ ياكاثمُ * وأنتمُ دائى الذى أكتُمُ
أُكاتم الناسَ هوًى شَفَّنى * و بعضُ كتمان الهوى أحزم

(١) كذا فى ط ، ء . والحزز (بالتحريك) : الشح والبخل . وفى باقى الأصول : «الحزن» بالنون بدل الزاى ، وهو تحريف . (٢) ضيق العطن : كناية عن الحمق وضيق الصدر . (٣) المرزم : من نجوم المطر ، وأكثرما يذكر هذا اللفظ بصيغة المثنى ، فيقال : المرزمان . (٤) الأرقم : أخبث الحيات والأنثى «رقشاء» ، بالشين ولا يقال : «رقماء» بالميم لأنه قد جعل اسما منسلخا عن الوصفية .

قد لُمْتِنى ظلمًا بلا ظِنّةٍ * وأنتِ فيما بيننا ألْوَمُ
أُبدى الذى تُخفينه ظاهرًا * أرتدّ عنه فيك أو أُقْدِمُ
إمّا بيأسٍ منك أو مطمع * يُسْدَى بحسن الوُدّ أو يُلْحَمُ
لا تتركينى هكذا مَيّتًا * لا أُمْنَحُ الودَّ ولا أُصْرَمُ
أَوْفى بما قلتِ ولا تندَمى * إنّ الوفىَّ القول لا يندَمُ
آيةُ(١) ما جئتُ على رِقْبَةٍ * بعد الكَرَى والحىّ قد نَوّموا
أُخافتُ المشىَ حذارَ العدا(٢) * والليلُ داجٍ حالكٌ مُظْلِمُ
ودون ما حاولتُ(٣) إذ زرتكم * أخوكِ والخالُ معًا والحَمُ
وليس إلّا اللهُ لى صاحبٌ * إليكمُ والصارمُ اللَّهْذَمُ(٤)
حتى دخلتُ البيتَ فآستذرفتْ * من شَفَقٍ عيناكِ لى تَسْجُمُ
ثم آنجلى الحزنُ ورَوعاتُه * وغُيِّبَ الكاشحُ والمُبْرِمُ(٥)
فَبِتُّ فيما شئتُ من نَعْمةٍ(٦) * يَمْنَحُنِيها(٧) نحرُها والفَمُ
حتى إذا الصبح بدا ضوءُه * وغارتِ(٨) الجَوْزاءُ والمِرْزَمُ
خرجتُ والوطءُ خفىٌّ كما * ينساب من مكمنه الأَرْقَمُ

قال : فطرب الوليد حتى نزل عن فَرْشه وسريره، وأمر المغنّين فغنّوه الصوتَ وشرب عليه أقداحا، وأمر لإسماعيل بكُسْوة وجائزة سنيّة، وسرّحه إلى المدينة .

---

(١) فى ب ، حـ : «إيه بما جئت ... الخ» . (٢) فى ى ، ط ، م : «حذار الردى» . (٣) فى حـ : «ودون ما جاوزت» . (٤) اللهذم : القاطع من السيوف والأسنة . (٥) المبرم : الجليس الثقيل . (٦) النعمة بفتح النون : المسرة والفرح والترفه . (٧) فى ى ، ط ، م : «جاد بها لى ثغرها والفم» . (٨) فى ى ، ط : «وغابت» وكلتاهما بمعنى .

نسبة هذا الصوت

الشعر لإسماعيل بن يسار النِّسَائىّ . والغناء لابن سُرَيج رَمَلٌ .

سمع شيخ قينة تغنى بشعره فألقى بنفسه فى الفرات إعجابا به

حدّثنا أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا إسحاق الموصلىّ قال حدّثنا محمد بن كُنَاسة قال :

اصطحب شيخٌ وشبابٌ فى سفينة من الكوفة، فقال بعض الشباب للشيخ : إن معنا قَيْنَةً لنا، ونحن نُجلّك ونحبّ أن نسمع غناءها[1]؛ قال : الله المستعان، فأنا أرقى على الأطلال[2] وشأنكم؛ فغنّت : ٥

حتى اذا الصبح بدا ضوءه * وغارت الجوزاء والمرزمُ

أقبلتُ والوطءُ خفىٌّ كما * ينساب من مكمنه الأرقمُ

قال : فألقى الشيخ بنفسه فى الفُرات ، وجعل يخبط بيديه و يقول : أنا الأرقم ! أنا الأرقم ! فأدركوه وقد كاد يغرَق؛ فقالوا : ما صنعتَ بنفسك ؟ ! فقال : إنى والله أعلم من معانى الشعر مالا تعلمون . ١٠

مدح عبد الله بن أنس فلم يكرمه فهجاه

أخبرنى الحسن بن علىّ الخفّاف قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَه قال حدّثنى أبو مُسْلِم المُسْتَمْلِى عن المدائنىّ قال :

مدح إسماعيلُ بن يَسَار النِّسَائىّ رجلًا من أهل المدينة يقال له عبد الله بن أَنَس ، وكان قد اتّصل ببنى مروان وأصاب منهم خيرا ، وكان إسماعيل صديقا ١٥

---

(١) فى ى ، ط : «تسمع» بتاء الخطاب .
(٢) كذا فى م . والأطلال : جمع طلل . وطلل السفينة : شراعها . وفى سـ : « الظلال » . وفى باقى الأصول : « الأظلال » وكلاهما تحريف .

له ؛ فرحل إلى دمشق إليه ، فأنشـده مديحًا له ومتّ إليه بالجوار والصداقة ، فلم يعطه شيئا ؛ فقال يهجوه :

لعمرُك ما إلى حَسَنٍ رحلْنـا * ولا زُرْنا حُسـينًا يابْنَ أَنسِ

(يعنى الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما)

ولا عبـــدًا لعبدهما(1) فنحظَى(2) * بحسن الحظّ منهم غيرَ بَخْسِ

ولكن ضَبَّ جَنْـدلةٍ(3) أتينـا * مُضِـبًّا(4) فى مكامنـه يُفَسِّى

فلمّـا أن أتينـاه وقلنـا * بحاجتنـا تلوّن لونَ وَرْسِ(5)

وأعرض غيرَ مُنْبَلِجٍ لعُـرْف * وظلّ مُقَرْطِبا(6) ضِرْسًا بضرس(7)

فقلتُ لأهـــله أبه كُزازٌ(8) * وقلت لصـاحبي أتُرَاه يُمْسِى

فكان الغُـــنمُ أن قمنـا جميعًا * مخـافةَ أن نُزَنَّ(9) بقتـل نفسِ

---

(1) ورد بعض هذه الأبيات فى كتاب عيون الأخبار (ج ٣ ص ١٥٤ طبع دار الكتب المصرية) منسوبا الى الحارث الكندىّ هكذا :

فلما أن أتيناه وقلنا * بحاجتنا تلوّن لون ورس

وآض بكفه يحتك ضرسًا * يرينا أنه وَجِعٌ بضرس

فقلت لصاحبي أبه كزازٌ * وقلت أُسِـرّه أتُراه يمسى

وقمنا هاربين معًا جميعًا * نحاذر أن نُزَنّ بقتل نفس

(2) كذا فى ط ، م ، ء . وفى باقى الأصول : «لعبدهم» . (3) الجندلة : واحدة الجندل وهى الحجارة . (4) أضب فى المكان : لزمه فلم يفارقه . (5) الورس : نبات أصفر يكون باليمن يتخذ منه طلاء للوجه ، ونباته مثل نبات السمسم . (6) المقرطب (بكسر الطاء) : الغضبان . (7) كذا فى ء ، ط . وفى سائر النسخ : « ضرسا لضرس » . (8) الكزاز (كغراب ورمّان) : داء يأخذ من شدة البرد وتعترى منـه رعدة . (9) نزن : نتهم .

رثاؤه لمحمد بن عروة

حدّثنى عمّى[1] قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال حدّثنا مُصْعَب بن عبد الله قال:

وفَد عُرْوة بن الزُّبَير إلى الوَليد بن عبد الملك وأخرج معه إسماعيلَ بن يَسَار النَّسَائىّ، فمات فى تلك الوِفادة محمد بن عُرْوة بن الزُّبَير، وكان مطّلعًا على دوابّ الوليد بن عبد الملك، فسقط من فوق السطح بينها، فجعلت ترمحه[2] حتى قطّعته، وكان جميلَ الوجه جوادا؛ فقال إسماعيل بن يسار يرثيه:

صلّى الإلهُ على فتًى فارقتُه * بالشأم فى جَدَث الطَّوِىّ[3] المُلْحَدِ[4]

بوّأتُه بيدىّ دارَ إقامة * نائى المَحَلّة عن مَزار العُوَّدِ

وغبَرتُ أُعْوِلُه[5] وقد أسلمتُه * لصَفَا[6] الأماعِزِ والصَّفِيح المُسْنَدِ[7]

متخشِّعًا للدهر ألبَسُ حُلّةً * فى النائبات بحَسْرة وتجلُّدِ

أعنى ابنَ عُرْوة إنه قد هدّنى * فقدُ ابنِ عُرْوة هدّةً لم تَقْصِدِ

فإذا ذهبتُ إلى العَزاء أرُومُه * ليَرَى المُكاشِحُ بالعَزاء تجلُّدى

منَع التعزِّىَ أنّنى لفراقه * لبِس العدوّ علىّ جلدَ الأَرْبَدِ[8]

ونأى الصديقُ فلا صديقَ أعدّه * لدِفاع نائبة الزمان المُفْسِدِ

فلئن تركتُك يا محمّد ثاوياً * لَبِمَا[9] تروح مع الكِرام وتغتدى

(١) فى م: «حدّثنى الحسن» وهو الحسن بن محمد عم صاحب الأغانى.
(٢) ترمحه: تضربه بأرجلها. (٣) الطوىّ: المراد به القبر المعرّش بالحجارة والآجرّ.
(٤) ألحد القبر: عمل له لحدا. (٥) أعول الرجل: رفع صوته بالبكاء.
(٦) الصفا: جمع صفاة وهى الحجر الصلد الضخم لا ينبت. والأماعز: جمع أمعز وهو المكان الصلب الكثير الحصى. (٧) الصفيح والصفيحة: واحد الصفائح وهى الحجارة العريضة. والمسند: المتراكب بعضه فوق بعض. (٨) الأربد: الأسد. (٩) كذا فى ء، ط، م. وفى سائر النسخ: «على».

كان الذى يَزَع العدوَّ بدفعه * ويردّ نَخوة ذى المِراح الأَصْيد[1]

فمضى لوجهته وكل مُعَمَّرٍ * يوماً سيدركه حِمَامُ الموعد

دخل على عبد الملك ابن مروان بعد قتل ابن الزبير ومدحه فأكرمه

حدّثنى عمّى قال حدّثنى أحمد بن أبى خَيْثَمة قال حدّثنا مُصْعَب بن عبد الله عن أبيه :

أن إسماعيل بن يَسَار دخل على عبد الملك بن مروان لما أفضى إليه الأمر بعد مقتل عبد الله بن الزُّبَير ، فسلّم ووقف موقفَ المُنْشِد وآستأذن فى الإنشاد؛ فقال له عبد الملك : الآنَ يآبنَ يَسَار! إنما أنت امرؤ زُبَيْرِىّ ، فبأىّ لسان تُنْشِد! فقال له : يا أمير المؤمنين، أنا أصغرُ شأناً من ذلك ،وقد صفحتَ عن أعظمَ جُرْماً وأكثرَ غَنَاء لأعدائك منّى ، وإنما أنا شاعر مُضْحِك ، فتبسّم عبد الملك ، وأومأ إليه الوليد بأن يُنشد ، فابتدأ فأنشد قولَه :

ألَا يا لَقَومى للرُّقاد المسهَّد * وللماء ممنوعاً من الحائم الصَّدِى

وللحال بعد الحال يركبها الفتى * وللحبّ بعد السَّلْوة المتمرِّد

وللمرء يُلْحَى فى التصابى وقبلَه * صَبَا بالغوانى كلُّ قَرْم ممجَّد

وكيف تَنَاسِى القلبِ سَلْمَى وحبَّها * كجمر غَضًى بين الشَّرَاسِيفِ[2] مُوقَد

حتى انتهى إلى قوله :

إليك إمامَ الناسِ من بطن يَثْرِب * ونعم أخو ذى الحاجة المتعمِّد

رحلْنا لأنّ الجُود منك خليقةٌ * وأنك لم يَذْمُمْ جنابَك مُجْتَد

ملكتَ فزدتَ الناسَ ما لم يزدهمُ * إمامٌ من المعروف غيرِ المُصرَّد[3]

---

(١) المراح : الأشر والنشاط . والأصيد : الذى يرفع رأسه كبرا ، ومنه قيل للملك : أصيد ، لأنه لا يلتفت يمينا ولا شمالا .

(٢) الشراسيف : أطراف أضلاع الصدر التى تشرف على البطن .

(٣) صرّد عطاءه : قلله ، وقيل أعطاه قليلا قليلا .

وقمتَ فلم تنقُض قضاءَ خليفة * ولكن بما ساروا من الفعل تقتدى[1]

ولمّا وَليتَ الملك ضاربتَ دونه * وأسندتَه لا تأتلى خيرَ مُسْنَدِ

جعلتَ هشامًا والوليدَ ذخيرةً * وليَّيْن للعهد الوثيق المؤكَّد

قال : فنظر إليهما عبد الملك متبسّما ، والتفت إلى سليمان فقال : أخرجك إسماعيل من هذا الأمر ؛ فقطّب سليمانُ ونظر إلى إسماعيل نظرَ مُغْضَب ؛ فقال إسماعيل : يا أمير المؤمنين ، إنما وزن الشعر أخرجه من البيت الأوّل ، وقد قلتُ بعده :

وأمضيتَ عزمًا فى سليمانَ راشدًا * ومن يعتصم بالله مثلَك يَرْشُدِ

فأمر له بألفَىْ درهم صلةً ، وزاد فى عطائه ، وفرَض له ، وقال لولده : أَعْطُوه فأعطَوْه ثلاثةَ آلافِ درهم .

استنشده هشام بن عبد الملك فافتخر فرمى به فى بركة ماء ونفاه الى الحجاز

أخبرنى عمّى قال حدّثنا أحمد بن أبى خَيْثَمة قال ذكر ابن النطّاح عن أبى اليَقْظان :

أن إسماعيلَ بن يَسَار دخل على هِشَام بن عبد الملك فى خلافته وهو بالرُّصَافة جالسٌ على بِركةٍ له فى قصره ، فآستنشده وهو يُرَى أنه يُنْشِده مديحًا له ؛ فأنشده قصيدتَه التى يفتخر فيها بالعجم :

يا ربعَ رامةَ[2] بالعَلْياء من رِيمٍ[3] * هل تَرْجِعَنّ إذا حَيَّيْتُ تسليمى

(١) فى ى ، ط . «وقلت» . (٢) رامة : منزل بينه وبين الرمادة ليلة فى طريق البصرة الى مكة . وبين رامة وبين البصرة اثنتا عشرة مرحلة . وقيل : رامة : هضبة أو جبل بنى دارم .
(٣) رئم (بكسر أوّله وهمز ثانيه وسكونه وقيل بالياء غير مهموز) : واد لمزينة قرب المدينة ، وقيل : على ثلاثين ميلا من المدينة ، وقيل : على أربعة برد من المدينة أو ثلاثة . (والبريد فرسخان أو أربعة فراسخ ، والفرسخ : ثلاثة أميال) .

ما بال حيٍّ غدت بُزْلُ المطىّ بهم * تَخْـدِى لغربتهم سَـيْرًا بتقحيم (١)
كأننى يوم سـاروا شاربٌ سلبتْ * فؤادَه قَهْـوةٌ من خمـرِ دَارُومِ (٢)

حتى انتهى الى قوله :

إنى وجدِّك ما عُودِى بذى خَوَرٍ * عند الحفاظ ولا حَوْضى بمهدوم
أصلى كريمٌ ومجـدى لا يُقاس به * ولى لسانٌ كحدِّ السيف مسموم (٣)
أَحْمِى به مجدَ أقوامٍ ذوى حَسَبٍ * من كل قَرْم بتـاج الملك مَعْموم
جَحَاجِحٍ سـادةٍ بُلْجٍ مَرَازِبةٍ (٤) * جُرْدٍ عِتَـاقٍ مَسَاميحٍ مَطَـاعيم
من مثل كسرى وسابور الجنودِ معًا * والهُرْمُزَان (٥) لفخرٍ أو لتعـظيم
أُسْد الكتائب يوم الرَّوْع إن زحَفُوا * وهم أذلّوا ملوكَ الـترك والروم
يمشـون فى حَلَق (٦) المـاذىّ سابغةً * مَشْىَ الضَّراغمة الأُسْـد اللَّهاميم
هناك إن تسألى تُنْبَىْ بأن لنـا * جُرْثومـةً (٧) قهرتْ عِزَّ الجراثيم

قال : فغضب هشـام وقال له : يا عاضّ بَظْرِ أمّه، أعلىّ تَفْخَر وإياى تُنشـد قصـيدة تمدح بهـا نفسك وأَعْلاجَ قومك ! ! غُطّوه فى المـاء، فغطّوه فى البركة

(١) بزل (ككتب ويسكن) : جمع بزول، والبزول : الناقة فى تاسع سنها وليس بعده سن تسمّى . وخدى الفرس والبعـير : أسرع وزجّ بقوائمه . والتقحيم : طىّ المنازل وعدم النزول بها ؛ يقال : قحم المنازل اذا طواها ، وقحمت الإبل راكبها : جعلتهم يطوون المنازل منزلا منزلا من غير أن ينزلوا بها .
(٢) داروم : قلعة بعـد غزة للقاصد الى مصر، الواقف فيها يرى البحر الاأن بينها وبين البحر مقدار فرسخ، خربها صلاح الدين لما ملك الساحل فى سنة ٥٨٤ هـ تنسب اليها الخمر .
(٣) الظاهر أن هذه الكلمة مرفوعة ، وبذلك يكون فى الشعر إقواء . على أنه يمكن أن يقال : إنها مجرورة إما لأنها نعت لحد السيف ، على مذهب من يجوز نعت المعرفة بالنكرة مطلقا ، أو نعت للسان على أن يكون أصل الكلام : « الى لسان ... » بدل « ولى لسان ... » .
(٤) جحاجح : جمع جحجح ، والجحجح والجحجاح : السيد الكريم . والمرازبة : جمع مرزبان وهو رئيس الفرس .
(٥) الهرمزان : الكبير من ملوك العجم .
(٦) حلق : جمع حلقة وهى الدرع . والمـاذى : الدروع السهلة اللينة أو البيضاء . واللهاميم : جمع لهميم وهو السابق الجواد من الخيل والناس .
(٧) جرثومة الشىء : أصله .

حتى كادت نفسُه تخرج ، ثم أمر بإخراجه وهو بشرٍّ ونفاه من وقته، فأُخْرِج عن الرُّصَافة منفيًّا إلى الحجاز . قال : وكان مبتلًى بالعصبيّة للعجم والفخر بهم، فكان لا يزال مضروبا محروما مطرودا .

مدح الوليد والغمر ابنى يزيد فأكرماه

١٢٦ / ٤

أخبرنى عمّى قال حدّثنى أحمد بن أبى خَيْثَمة قال قال ابن النطّاح وحدّثنى أبو اليَقْظان :

٥

أن إسماعيل بن يَسَار وفد إلى الوَليد بن يزيد، وقد أسنّ وضعُف، فتوسّل إليه بأخيه الغَمْر ومدَحه بقوله :

نَأَتْكَ سُلَيْمَى فالهوى متشاجِرُ * وفى نأيها للقلب داءٌ مُخامِرُ

نَأَتْك وهامَ القلبُ نأيًا بذكرها * ولَجّ كما لَجّ الخليعُ المقامِرُ

بواضحة الأَقْراب(1) خَفّاقة الحَشَى * بَرَهْرَهَةٍ(2) لا يَحْتويها(3) المُعَاشِرُ

١٠

يقول فيها يمدح الغَمْرَ بن يزيد :

إذا عَدّد الناسُ المكارمَ والعُلَا * فلا يَفْخَرَنْ يومًا على الغَمْرِ فاخرُ

فما مرّ من يوم على الدهر واحدٍ * على الغَمْر إلا وهو فى الناس غامرُ(4)

تراهم خُشُوعا حين يبدو مَهَابةً(5) * كما خَشَعت يومًا لكسرى الأساورُ

أغرُّ بِطَاحِىٌّ(6) كأنّ جبينَه * إذا ما بدا بدرٌ إذا لاح باهرُ

١٥

(1) الأقراب : جمع قرب وهى الخاصرة . (2) البرهرهة : المرأة البيضاء الشابة الناعمة . (3) فى أكثر الأصول : «لا يستويها» . وفى م : «لا يحتويها» وكلاهما تحريف، وما أثبتناه هو تصحيح الشنقيطى فى نسخته، وهو الذى يستقيم به المعنى . واجتواه : كرهه . (4) فى م :

فما مر من يوم من الدهر واحد * من الغمر إلا وهو للناس غامر

(5) كذا فى حـ ، وبه صحح الشنقيطى نسخته . وفى باقى الأصول : «تبدو» . (6) البطاحىّ : نسبة الى البطاح وهى التى كان ينزلها قريش البطاح، وهم أشرف قريش وأكرمهم . (انظر الحاشية رقم ٣ ص ٢٥٤ من الجزء الأوّل من هذه الطبعة) .

٢٠

وَقَى عِرْضَه بالمال فالمال جُنّةٌ * له وأهان المالَ والعِرْضُ وافرُ
وفى سَيْبه للمُجتدين عِمارةٌ * وفى سيفه للدِّين عزٌّ وناصرُ
نَماه إلى فَرْعَىْ لُؤَىّ بن غالبٍ * أبوه أبو العاصى وحربٌ وعامرُ
وخمسةُ آباء له قد تتابعوا * خلائفُ عَدْلٍ مُلْكُهم متواتِرُ
بَهاليلُ سَبّاقون فى كل غاية * إذا ٱستبَقَتْ فى المَكْرُمات المَعاشرُ
همُ خيرُ مَنْ بين الحَجُون إلى الصَّفا * إلى حيث أفْضَتْ بالبِطاح الحَزاوِرُ[1]
وهم جمعوا هذا الأنامَ على الهدى * وقد فرّقت بين الأنام البصائرُ

قال : فأعطاه الغمر ثلاثةَ آلاف درهم وأخذ له من أخيه الوليد ثلاثة آلاف درهم.

أخبرنى عمِّى قال حدّثنا أحمد بن أبى خَيْثَمة عن مُصْعَب قال :

لما مات محمد بن يَسَار، وكانت وفاتُه قبل أخيه، دخل إسماعيل على هشام ابن عُرْوة فجلس عنده وحدّثه بمصيبته ووفاة أخيه، ثم أنشده يَرْثيه :

عِيلَ العزاءُ وخانَنى صبرى * لما نَعَى الناعى أبا بكرِ
ورأيتُ رَيْبَ الدهر أفردنى * منه وأسلم للعِدَا ظَهْرى
من طَيِّب الأثواب مُقْتَبل * حُلْو الشمائل ماجِدٍ غَمْرِ[2]
فمضى لوجهته وأدركه * قَدَرٌ أُتيح له من القَدْر
وغَبَرْتُ[3] مالى من تَذَكُّره * إلا الأَسَى وحرارةُ الصدر
وجَوًى يُعَاوِدُنى[4] وقَلَّ له * منّى الجَوَى ومحاسِنُ الذكر

(١) الحزاور : جمع حزورة، وهى الرابية الصغيرة، ومنها الحزورة : سوق مكة وقد دخلت فى المسجد لما زيد فيه . وفى الحديث : وقف النبى صلى الله عليه وسلم بالحزورة فقال : "يا بطحاء مكة ما أطيبك من بلدة وأحبك الىّ ولولا أن قومى أخرجونى منك ما سكنت غيرك". (٢) الغمر : الكريم الواسع الخلق.
(٣) غبر : مكث وبقى . (٤) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «يعاورنى» بالراء .

لما هوتْ أيدى الرجالِ به * فى قعرِ ذات جوانبٍ غُبْرِ
وعلمتُ أنّى لن أُلاقيَهُ * فى الناس حتى مُلْتقَى الحَشْرِ
كادت لفرقته وما ظَلَمتْ * نفسى تموت على شَفَا القبرِ
ولَعَمْرُ من حُبِس الهَدِىُّ له * بالأَخْشَبَيْن[1] صَبيحةَ النَّحْرِ
لو كان نَيْلُ الخلد يدركه * بَشَرٌ بِطِيب الخِيمِ[2] والنَّجرِ
لغَبَرْتَ لا تخشَى المَنُونَ ولا * أَوْدَى بنفسك حادثُ الدهرِ
ولَنِعْمَ مأوَى المُرْمِلين اذا * قَحَطُوا وأخلف صائبُ القَطْرِ
كم قلتُ آونة وقد ذَرَفتْ * عينى فماءُ شؤونها يجرى
أَنَّى وأىّ فتًى يكون لنا * شَرْوَاكَ[3] عند تفاقُم الأمرِ
لدفاع خَصْم ذى مُشَاغَبةٍ * ولعائلٍ تَرِبٍ أخى فَقْرِ
ولقدعلمتُ وإن ضمنتُ جَوًى * مما أُجِنّ كواهجِ الجمرِ
ما لامرئٍ دون المنيّة من * نَفَقٍ فيُحْرِزه ولا سِتْرِ

قال : وكان بحضرة هشام رجلٌ من آل الزُّبَير ، فقال له : أحسنتَ وأسرفتَ فى القول ، فلو قلتَ هذا فى رجل من ساداتِ قريش لكان كثيرا ؛ فزجره هشام ، وقال : بئس والله ما واجهتَ به جليسَك ؛ فشكره إسماعيل ، وجزاه خيرا . فلما انصرف تناول هشامٌ الرجلَ الزُّبَيرىّ وقال : ما أردتَ الى رجل شاعرٍ ملَكَ قولَه فصرَف أحسنَه الى أخيه ! مازدت على أن أغريتَه بعِرْضك وأعراضنا لولا أنِّى

(١) الأخشبان : جبلان يضافان تارة الى مكة وتارة الى منى ، أحدهما أبو قبيس والآخر قعيقعان ، و يقال : بل هما أبو قبيس والجبل الأحمر المشرف هنالك . (٢) الخيم : الطبيعة والسجية ، وقيل : الأصل ، والنجر : الأصل . (٣) شرواك : مثلك .

تلافيتهُ . وكان محمد بن يسار أخو إسماعيل هذا الذى رثاه[1] شاعرا من طبقة أخيه؛ وله أشعار كثيرة، ولم أجد له خبرا فأذكره، ولكن له أشعار كثيرة يُغَنَّى فيها . منها قوله فى قصيدة طويلة :

صــــوت

٥ غَشِيتُ الدارَ بالسَّـــنَدِ * دُوَيْنَ الشِّعْبِ من أُحُدِ

عَفَتْ بعـــدى وغيّرها * تقـادُم سالِف الأبَدِ

الغناء لِحَكَم الوادِى خفيفُ ثقيلٍ عن الهِشَامىّ .

ولإسماعيل بن يَسَار ٱبنٌ يقال له إبراهيم، شاعرٌ أيضا، وهو القائل :

مضى الجهل عنك إلى طِيَّتِه * وآبك حلمُك من غَيْبَتِهْ[2]

١٠ وأصبحتَ تَعْجَب مما رأيـ * ـتَ من نَقْض دهرٍ ومن مِرَّتِه

وهى طويلة يفتخر فيها بالعجم كرهتُ الإطالةَ بذكرها .

انقضت أخبارُه :

صــــوت[3]

كُلَيبٌ لَعَمْرِى كان أكثرَ ناصرًا * وأيسرَ جُرْمًا منك ضُرِّج بالدمِ

١٥ رمى ضَرْعَ نابٍ فٱستمرّ بطعنة * كحاشـية البُرْدِ اليَمَـانى المُنَمْنَمِ[4]

١٢٨ / ٤

عَرُوضُه من الطويل . الشعر للنابغة الجَعْدىّ . والغناء للهُذَلىّ فى اللحن المختار، وطريقتُه من الثقيل الأوّل بإطلاق الوَتَر فى مجرى البنصر عن إسحاق . ونذكر هاهنا

(١) كذا فى م . وفى سائر الأصول : «أخو اسماعيل هذا رثَّاه شاعرا ... » .

(٢) فى حـ : «من غيّه» والغيّة : الضلال والفساد . (٣) فى م : «صوت من المائة المختارة» .

٢٠ (٤) برد منمنم : مرقوم موشى . وفى م فى هذا الموضع : « المسهم » كما فى سائر الأصول فيما يأتى .

سائر ما يُغَنّى به[1] فى هــذه الأبيات وغيرها من هــذه القصيدة ونَنسُبه إلى صانعه ، ثم نأتى بعده بمــا يَتْبَعه من أخباره . فمنها على الوِلاء سوى لحن الهُذَلىّ :

كُلَيبٌ لعَمْرِى كان أكثَرَ ناصراً * وأيسرَ جُرما منك ضُرِّج بالدّمِ

رمى ضرعَ نابٍ فٱستمرّ بطعنــة * كحاشــية البُرْد اليمــانى المسهمِ[2]

أيادار سَلْمَى بالحَرُورِيّة[3] ٱسلَمى * إلى جانب الصَّمان[4] فالمتثلَّمِ[5]

أقامت به الــبردين ثم تَذَكّرَتْ * منازلَهــا بين الدَّخول فجُرثُمِ[6]

ومسكنُها بين الغُروب[7] إلى اللِّوَى * إلى شُــعَبٍ تَرْعَى بهنّ فَعَيهَــمِ[8]

ليــالىَ تصــطاد الرجالَ بفاحمٍ[9] * وأبيضَ كالإغريض لم يتثــلَّمِ

فى البيت الأوّل والثــانى لآبن سُرَيج ثقيــلٌ أوّلُ آخرُ بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى عن إسحاقَ[10] و يونسَ . وفيهما لمــالكٍ خفيفُ ثقيلٍ بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق . وللغَريض فى الثالث والرابع والأوّل والثانى ثقيلٌ أوّلُ بالسبّابة فى مجرى الوسطى . ولإسحاق فى الثالث والأوّل ثقيلٌ أوّلُ بالوســطَى[11] ، ذكر ذلك أبو العُبَيس والهِشَامىّ . وللغَريض فى الرابع ثم الأوّل خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى فى رواية

---

(١) فى م : «الى صاحبه» . (٢) البرد المسهم : المخطط . (٣) قال ياقوت : الحرورية منسوب فى قول النابغة الجعــدى حيث قال ، ثم ذكر البيتين : أيا دار ســلمى ، والذى بعــده . وربمــا كان منسوبا الى حَرُوراء ، وهى رملة وعثــة بالدهناء ، أو موضع بظاهر الكوفة نزل به الخوارج الذين خالفوا علىّ بن أبى طالب ، فنسبوا اليــه . (٤) الصمان : بلد لبنى تميم أرضــه صلبة صعبة الموطئ . (٥) المتثلم (رواه أهل المدينــة بفتح اللام وهو الذى ضــبطه به ياقوت ، ورواه غيرهم من أهــل الحجاز بالكسر) : موضع بأوّل أرض الصمّان . (٦) جرثم : ماء من مياه بنى أســد تجاه الجواء كما قال البكرى فى معجم ما استعجم ، واستشهد بقول النابغــة الجعدى وذكر البيت هكذا : أقامت به البردين ثم تذكرت * منازلهم بين الجــواء وجرثم

(٧) الغروب : موضع لم يعينه ياقوت وقال : ذكره صاحب البيان . (٨) عيهم : موضــع على طريق اليمامة الى نجد . (٩) الفاحم : الشعر الأســود الحسن . والإغريض : الطلع حين ينشق عنه كافوره ، يريد بذلك وجهها . (١٠) هذه الكلمة ساقطة فى ب . (١١) فى م : «بالبنصر ، ولابراهيم فى الأوّل والثانى ثقيل أوّل بالوسطى ذكر ذلك أبو العنبس ... الخ» .

عمرو بن بانة. ولمَعْبَد[1] فيهما وفى الخامس والسادس خفيفُ ثقيلٍ من رواية أحمد بن المكىّ. ولابن سُرَيج فى الخامس والسادس ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر من رواية علىّ[2] بن يحيى المنجّم، وذكر غيره أنه للغَرِيض. ولإبراهيم فيه ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن الهِشَامىّ، وذكر حَبَش أنه لمَعْبَد. ولابن مُحْرِز فى الأوّل والثانى والثالث والرابع هَزَجٌ، ذكر ذلك أبو العُبَيس[3]، وذكر قُمْرِىّ أنه لأبى عيسى بن المتوكّل لا يشكّ فيه. وللدَّلَال فى الخامس والسادس ثانى ثقيلٍ عن الهِشَامىّ، وذكر أبو العُبَيس أنه للهُذَلىّ. ولعبيد الله بن عبد الله بن طاهر فى الرابع خفيفُ رَمَلٍ. ولإسحاق فى الثالث والرابع أيضا ماخُورِىّ، ولمَعْبَد خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى فيهما، وقيل: إنه لحنه الذى ذكرنا متقدّما، وإنه ليس فى هذا الشعر غيره. وذكر حَبَش أن فى هذه الأبيات التى أوّلها: «كليب لعمرى» خفيفَ رَمَلٍ بالوسطى، وللهذلىّ خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر، وللدَّلَال رَمَلٌ، فذلك ثمانيةَ عشرَ صوتا.

وأخبرنى محمد بن إبراهيم قريص أن له فيهما (أعنى الأوّل والثانى) خفيفا بالوسطى[4].

---

(١) كذا فى م، وفى سائر النسخ: «فيها». (٢) كذا فى م. وفى سائر النسخ: «على بن أبى يحيى المنجم». وهو تحريف. (٣) فى م: «أبو العنبس» أنظر الحاشية رقم ٤ ص ٩٦ من الجزء الأوّل من هذه الطبعة. (٤) فى م: «خفيف ثقيل بالوسطى».

انتهى الجزء الرابع من كتاب الأغانى

ويليه الجزء الخامس

وأوّله ذكر النابغة الجعدىّ ونسبه وأخباره

فهرس

الجـزء الرابع من كتاب الأغانى

فهـــرس أسمـاء الشـــعراء

فهـــرس رجال الســـند

(أ)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

فهرس المغنين

(١)

فهـــرس رواة الألحان

فهـــــرس الأعـــــلام

(ذ)

(ر)

(ض)

(ط)

(ظ)

(ع)

(هـ)

(ى)

فهرس الأمم والقبائل والأرهاط والعشائر ونحوها

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(غ)

(ف)

(ق)

(ن)

(هـ)

(ى)

فهــــرس أسمـاء الأمـاكـن

(ا)

(ب)

فهـــرس أسماء الكتب

فهـــــرس القــــــوافى*

(*) ملاحظة : ليس من الأحرف التالية الحروف : ث، خ، ذ، ز، ، ش، ط، ظ .

صدر البيت	قافيته	بحره	ص س
بدلا	الأبدالَا	خفيف	٧:٢٢٤
أبالبخل	بأموالها	متقارب	٢:٣٩٥
ألاما	إدلالهَا	«	١١:٣٣
أذل	وبيلَا	«	١:٣٤٤

(م)

صدر البيت	قافيته	بحره	ص س
زبرية	رممُ	طويل	١٤:٢٨٢
أراك	مقيمُ	«	١٥:٩٩
إنى	لمشومُ	«	١:٣٧٠
أتيناك	المواسمُ	«	٤:١٥٠
منعنا	وراغمُ	«	٧:١٥٠
كليب	بالدمِ	«	٣:٤٢٨:١٤:٤٢٧
وكنت	الدمِ	«	٨:٢٤٦
خليلى	الحتمِ	«	٧:١٠٨،٢:٤٢
إذا	سقمَا	«	١:٢٦٦
ألا قف	نعمَى	«	٣:٢٦٤،٧:٢٦٣
تمش	النجمَا	«	١٣:٢٦٣
ألست	ابن أسلمَا	«	١٧:٢٤٨
اذا شئت	يلملمَا	«	٣:٣٥٥
مهاة	دمَا	«	٨:٣٥٤
وكانت	نظامهَا	«	١١:٣٩٦
لما	أبو الحكمْ	«	٤:٣٩٤
ألا إنما	والعدمْ	«	٤:٥
دين	كالسقمْ	مديد	٣:٢١٥
بل	اعتلمَا	«	١٧:٤١٣
الفخر	والكلمُ	بسيط	١٩:٤١٣
كانت	أبوالحكمِ	«	٨:٣٩٤
إياك	الجمِ	بسيط	١٠:٣٧٩
يا ربع	تسليمى	«	١٥:٤٢٢
بانت سعاد	إضمَا	«	١:٢٧٨ و٧
أما والله	الظلومُ	وافر	٨:٦٩،٤:٥١
سقيت	الهمامِ	«	٨:٣٢
وإن	بالخطامِ	«	٣:١٦٣
خليل	ألاممُ	مجزوء الوافر	١:٩٠
وكأن	معدمُ	كامل	٦:١٥٤
كالبيض	نعيمُ	«	٣:٣٠١
تبلت	بسامِ	«	:٢١٢،١٣:١٣٣ ١٢
ترك	ولجامِ	«	٣:١٧٠
إن كنت	هشامِ	«	٤:١٠٩
أبلغ	إمامِى	«	٥:٥٥
لعب	هومِى	«	١٠:١١٠
ما ضر	فسلمَا	«	٣:٤١٥،٨:٤١٤
من حس	راهمَا	مجزوء الكامل	٦:٢١٢،٣:٢١٠
ان تغفر	لا ألمَّا	رجز	٨:١٣٢،٩:١٢٨
أنا	القدامَا	«	٧:٢٣١
ليكما	لديكما	مجزوء الرجز	:١٢٨،١٤:١٢٧ ٣:١٣٢،١٥:١٣١،٤
أيا ذوى	الملامَهْ	«	٥:٩٤
إنما	وأمى	مجزوء الرمل	١١:٤٠٣
ليت	خسرتُمْ	«	١٣:٤٧
ساكنى	كنتمْ	«	٩:٤٧ و١٢
كلثم	أكتمُ	سريع	٦:٤١٦

فهـــــرس أنصاف الأبيات

مرتبـــة حسب أوائل كلماتهــا

فهـــرس أيام العـــرب

فهـــرس الأمثـــال

فهـــرس الموضـــوعات

صفحة

ذكر نسب أبي العتاهية وأخباره

صفحة

أخبار فريدة

صفحة

أمية بن أبي الصلت

أخبار حسان بن ثابت

ذكر الخبر عن غزاة بدر

ذكر أخبار يونس الكاتب

أخبار ابن رهيمة

أخبار إسماعيل بن يسار ونسبه

إصلاح خطأ

وقع أثناء الطبع بعض أغلاط مطبعية أو كسر بعض حروف نذكرها هنا ليستدركها القراء فى النسخ التى وقعت فيها :

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٥	١٣	حدثنا موسى	حدثنا محمد بن موسى
١١	١٤	يؤدن	يؤذن
١٥	١٤	بمعت	سمعت
١٧	١٠	عبيد الله بن عطية	عبد الله بن عطية
٢٩	.. فى الهامش	شكا إليه الفضل	شكا إليه محمد بن الفضل
٣٢	٣	على بنى مهدى	على بن مهدى
٣٦	١	أبو دلف محمد بن هاشم	أبو دلف هاشم بن محمد
٥١	٧	أحمد بن حريث	أحمد بن حرب
٧١	٩	بما	بما
٧٤	٦	الحسن بن يحيى	الحسين بن يحيى
٢١٧	١٣	الحسن بن يحيى	الحسين بن يحيى
٧٩	٥	رزيل	مزيل
٧٩	.. فى الهامش	أهدى الفضل	أهدى إلى الفضل
٨٤	١٣	أحمد بن العباس بن عليل العنزى	أحمد بن العباس عن ابن عليل العنزى
٩٩	١٥ و ١٨	امرا	امرأ

صفحة	سطر	خطـأ	صـواب
١٠١	١٣	بقية الله	هبة الله
١٠٥	١٨	عبيد الله بن أبي سعد	عبد الله بن أبي سعد
١١١	١	مَهَرَوَيْه	مُهْرُوَيه
١١٨	٧ و ٤٠	قنونا	قنونى
١١٨	٢٠	ينبوعة	ينسوحة
١٢٤	٧	سَمَيِ	عَمَيِ
١٢٩	٦	اللهبى	المهلبى
٤١٥	٨		
١٣٠	١٤	مَلَاِ	مَلَكِ
١٣٥	١٠	يحيى بن عبد الرحمن بن سعيد	يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد
١٣٦	٦١	الحسين	الحسن بن على
١٣٦	في الهامش ..	الخنـاه	الخنـاء
١٣٦	١٤	محمد بن الحسين بن دريد	محمد بن الحسن بن دريد
٢١٧	٤		
١٤٧	١	للأفـــرع	الأقـــرع
١٥٦	١٥	لندن	ليدن
١٧٧	١٩	(ص ١٤٧)	(ص ١٤٨)
٢٠٠	٣	مرضخة	جز صخة (٢)
٢٠٦	١١	الحكم بن عيينة	الحكم بن عتيبة
٢١٧	٣	أهَيك	أهلَكِ
٢٢٤	١	السيـبه	السـبه

صفحة	سطر	خطـأ	صـواب
٢٤٠	.. فى الهامش	عانـه	أعانه
٢٥٦	١٣	ويـمل	ويدل
٢٨٢	.. فى الهامش	ثم أعفاه	ثم عفا عنه
٢٩٣	٩ و ١٣		
٣٥٣	١٤	عَلَّوَيْه	عَلُّويَه
٣٥٤	٤		
٣٠٣	١٠	النخع ابن عمرو	النخع بن عمرو
٣٠٧	٢	أنهـم	أنه
٣٢١	٤	سار	سامر
٣٣٨	٧	النضر بن عمر	النضر بن عمرو
٣٤٣	١٩	قتـل	قتـل
٣٤٣	٢٥	الحـاج	الحـارج
٣٤٩	٤	أحمد بن عبد الله بن عمار	أحمد بن عبيد الله بن عمار
٣٥٤	٩	تتكلما (٢)	تتكلما (٣)
٣٦١	٤	ضوان	رضوان
٣٦٨	.. فى الهامش	بنو فهر	بنو الحارث بن فهر
٣٧٩	٢	حَماماً	حَماماً
٣٨٠	١٩	فى الحلد	فى الجلد
٣٩٤	.. فى الهامش	عبد العزيز بن عبد المطلب	عبد العزيز بن المطلب

(مطبعة الدار ٨٧٩/١٩٣٠/٢٣٠٠)

